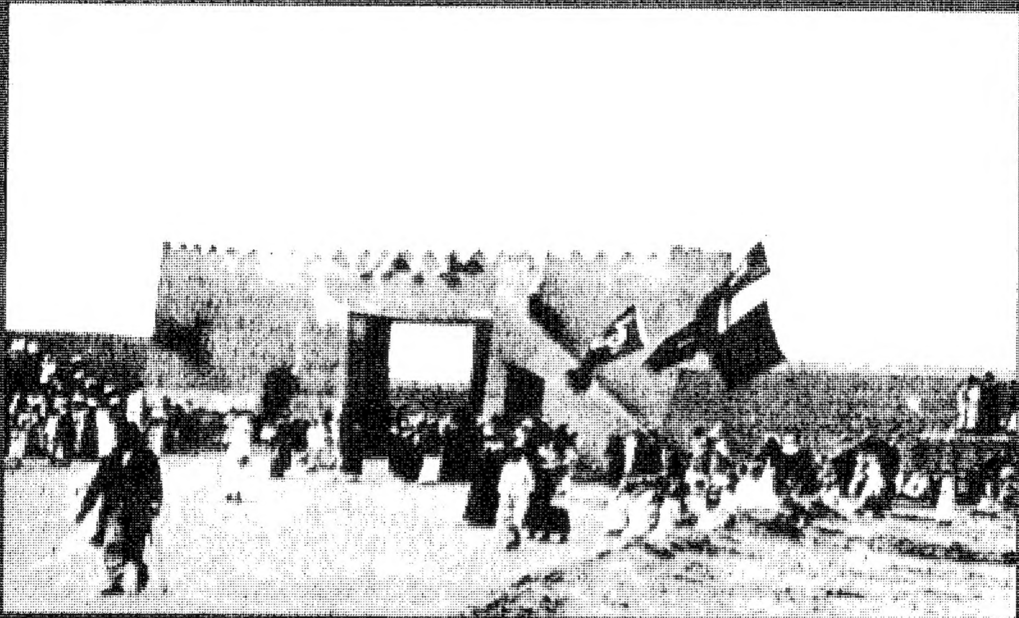
تاريخ الكويت الحديث

١١٦٣ - ١٣٨٥هـ
١٧٥٠ - ١٩٦٥م



الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة

قليلون - نسبيا - الذين يدركون ان نشأة الكويت تعود الى الجزء الاخير من القرن السابع عشر ، وان حكم اسرة الصباح لها بدأ منذ سنة ١٧٥٢ ·

وبغية تكريس هذه الحقائق من الناحية التاريخية ، بدأ المؤلف ابحاثه حول تاريخ الكويت منذ ربع قرن من الزمان · ولقد تم توكيد معظم الحقائق التاريخية المتعلقة بالكويت في اوائل عهده بالبحث ، وتم نشر هذه الابحاث ليستفيد منها القارىء الغربي والعربي باللغتين الانكليزية والعربية · ولما بقيت تلك الحقائق ثابتة على مر الايام ، فانه لم يجر تعديل اي شيء في هذا العمل الجديد سوى بعض التواريخ القليلة ·

ولعله تجدر الاشارة الى ان هذا الكتاب يغطي حوالي قرنين ونصف القرن من تاريخ الكويت · اما القرنان الاوليان وهما الثامن عشر والتاسع عشر فانهما يشكلان ، الى حد ما ، الجزء الاقل معرفة والاندر توثيقا من ذلك التاريخ ، بينما السنوات التي تلت عام ١٩٠٠ وحتى يومنا هذا هي اما مدعمة تدعيما كاملا بالوثائق او مدونة باسهاب وتفصيل في مؤلفات القرن العشرين ·

ومع بدء عصر النفط ، امتلأت اسواق الكتب بالمنشورات باللغات العربية والاوروبية حتى الافاضة · بيد انه للاسف فان معظم تلك المنشورات اتسمت بطابع السرد او بالاسلوب الصحافي المجرد عن الوثائق التاريخية مما ادى الى اضاعة او اهمال الوقائع والحقائق التاريخية اهمالا تاما ·

ومن ناحية اخرى ، فان بعض المؤلفات اعطت انطباعات مناسبة عن الكويت في النصف الاول من القرن العشرين مما يوحي بتوفر المعلومات المتعلقة بهذه الفترة الزمنية ·

ولهذا السبب ، فان المؤلف قد شعر بالحاجة الى ضرورة وجود دراسة عميقة وموثوقة ، مستفيدا قدر الامكان من بعض المراجع غير المطروحة ، والمخطوطات العربية (المنشورة) ومن بعض المراجع التي تسرد احداثا من تاريخ الكويت القديم ·

ولما كانت الكويت جزءا من شبه الجزيرة العربية المتاخمة للخليج العربي ، فلقد كان من الطبيعي الاستعانة ببعض الاعمال العربية كأحد المصادر المعول عليها للكتابة عن تاريخ الكويت · ولقد اثبتت بعض المراجع العربية المتوفرة بأنها اما محدودة المدى او انها لا تحتوي على اية معلومات عن تاريخ الكويت القديم · وعلى اية حال ، فلقد تم العثور على بعض المخطوطات العربية في مكتبات المتحف البريطاني وجامعتي كمبردج واكسفورد · وهذه المخطوطات تم شراؤها بالاصل من قبل ممثلي شركة الهند الشرقية البريطانية اثناء اقامتهم في منطقة الخليج العربي ، ومن ثم حصلت عليها المكتبات الآنفة الذكر · ولقد اجريت مقابلات شخصية - من مصادر شفهية - في كل من لندن والبحرين والكويت ، في الوقت الذي كان يجري فيه المؤلف دراساته وابحاثه حول موضوع هذا الكتاب ، وذلك لمطابقتها بالمراجع المكتوبة حول نشأة وحكم آل الصباح وآل خليفة في الجزء الثاني من القرن الثامن عشر ·

تاريخ الكويت الحديث

١٧٥٠ - ١٩٦٥

١٩٨٤

الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة

تاريخ الكويت الحديث

١٧٥٠ - ١٩٦٥

طباعة ونشر وتوزيع



ذات السلاسل

الطبعة الأولى

١٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

يعتبر الدكتور احمد ابو حاكمه من الباحثين القلائل الذين خاضوا في تاريخ الخليج العربي وبخاصة في حقبه المبكرة . لقد أمضى المؤلف قرابة ربع قرن من الزمان وهو يبحث وينقب ويتنقل في سبيل الحصول على اوثق المراجع وادق المعلومات واصدق الوثائق والمخطوطات والصور ليتسنى له الكتابة عن تاريخ الكويت والخليج العربي .

ولقد استطاع بعد سنوات من الجهود المتواصلة والعمل الدائب والبحث المستمر ، أن يحقق حلمه القديم في تقديم هذا العمل المتكامل حول تاريخ الكويت منذ القرن السابع عشر .

ويسر الناشر ، الذي عرف في الدكتور احمد ابو حاكمه دأبه المتواصل وجهده المركز ، ان يقدم هذا الكتاب الى القارىء العربي عامة والخليجي خاصة ليطلع على تاريخ هذا الجزء الغالي من الوطن العربي العزيز بقلم كاتب عربي غيور امضى سحابة عمره في البحث والاستقصاء .

والناشر ، اذ يعتز بنشر هذا المؤلف فانه يتوجه بالشكر الى الكاتب على جهوده المثمرة ، والى القارىء على اهتمامه بالاطلاع على تاريخ هذا البلد العربي الذي اثبت اصالته وعطاءه عبر تاريخه المشرف .

والله المستعان

الدكتور عبد العزيز المنصور

عرفان وتقدير

اود ان اتوجه بالشكر الى الاصدقاء العديدين الذين ساعدوا بمختلف السبل في اظهار هذا الكتاب الى حيز الوجود ، وبخاصة الى كرستين كوره ، وبات فونغ اللتين يعود الفضل اليهن في طباعة المسودة الاولى . وإلى إليانور والزابث كالفرلي والى مركز دنكن التذكاري (في هارتفورد) الذين قدموا الى معظم الصور القديمة للكويت .

واود ان اشكر ايضا آن ميلودي وشريفة (كورنيليا) دالنبرغ لمعونتهم لي في الامور المتعلقة بالسنوات الأول للقرن العشرين وكذلك الدكتور روبرت ج لاندن الذي تولى القراءة الاولى وقدم لي ملاحظات وانتقادات قيمة كذلك الدكتور ثوماس ج . ف بافلاسك .

ولابدلي ايضا من ان انوه بالتعاون المستمر الذي قام به موظفو مكتبة وسجلات مكتب الهند (لندن) وموظفو مكتبة جامعة روتجرز (نيوبرسويك - نيوجرسي)
ولقد كانت الدكتورة باتريشيا رسو دوبيسون ، تلميذتي ، ذات عون كبير في قراءة وتصحيح المسودة النهائية وتقديم المقترحات المفيدة . كما قامت السيدة آن بلس بطباعة وتبويب المسودة النهائية على الكومبيوتر حيث قدمتها باطار ممتاز .
وانني لشديد الامتنان للدكتور ب . ج سلوت مدير الارشيف الوطني الهولندي في لاهاي حيث قدم لي معلومات تاريخية موازية وكذلك خرائط للخليج العربي في القرن السابع عشر لشركة الهند الشرقية الهولندية .

ولقد وضع الميجور ج . د . لانت من كلية وادهام في جامعة اكسفورد ، تحت تصرفي ملف المراسلات الخاصة للمرحوم الكابتن و . هـ شكسبير ، الذي تظهر صوره التي التقطها في الكويت في هذا الكتاب .

كما واتوجه بالشكر والعرفان الى جيليان جرانت في مركز الشرق الاوسط في كلية سان انتوني باكسفورد لمساعدتها في الحصول على صور قديمة .

واخيرا ، وليس اخرا ، يجب ان اتوجه بالشكـــر الى عائلتي واصدقائي المخلصين في الكويت لمساندتهم لي في تحقيق هذا الحلم .

المــؤلف

مقدّمة

قليلون – نسبيا – الذين يدركون ان نشأة الكويت تعود الى الجزء الاخير من القرن السابع عشر ، وان حكم اسرة الصباح لها بدأ منذ سنة ١٧٥٢ ٠

وبغية تكريس هذه الحقائق من الناحية التاريخية ، بدأ المؤلف ابحاثه حول تاريخ الكويت منذ ربع قرن من الزمان ٠ ولقد تم توكيد معظم الحقائق التاريخية المتعلقة بالكويت في اوائل عهده بالبحث ، وتم نشر هذه الابحاث ليستفيد منها القاريء الغربي والعربي باللغتين الانكليزية والعربية ٠ ولما بقيت تلك الحقائق ثابتة على مر الايام ، فانه لم يجر تعديل اي شيء في هذا العمل الجديد سوى بعض التواريخ القليلة ٠

ولعله تجدر الاشارة الى ان هذا الكتاب يغطي حوالي قرنين ونصف القرن من تاريخ الكويت ٠ اما القرنان الاوليان وهما الثامن عشر والتاسع عشر فانهما يشكلان ، الى حد ما ، الجزء الاقل معرفة والاندر توثيقا من ذلك التاريخ ، بينما السنوات التي تلت عام ١٩٠٠ وحتى يومنا هذا هي اما مدعمة تدعيما كاملا بالوثائق او مدونة باسهاب وتفصيل في مؤلفات القرن العشرين ٠

ومع بدء عصر النفط ، امتلأت اسواق الكتب بالمنشورات باللغات العربية والاوروبية حتى الافاضة ٠ بيد انه للاسف فان معظم تلك المنشورات اتسمت بطابع السرد او بالاسلوب الصحافي المجرد عن الوثائق التاريخية مما ادى الى اضاعة او اهمال الوقائع والحقائق التاريخية اهمالا تاما ٠

ومن ناحية اخرى ، فان بعض المؤلفات اعطت انطباعات مناسبة عن الكويت في النصف الاول من القرن العشرين مما يوحي بتوفر المعلومات المتعلقة بهذه الفترة الزمنية ٠

ولهذا السبب ، فان المؤلف قد شعر بالحاجة الى ضرورة وجود دراسة عميقة وموثوقة ، مستفيدا قدر الامكان من بعض المراجع غير المطروحة ، والمخطوطات العربية (المنشورة) ومن بعض المراجع التي تسرد احداثا من تاريخ الكويت القديم ٠

ولما كانت الكويت جزءا من شبه الجزيرة العربية المتاخمة للخليج العربي ، فلقد كان من الطبيعي الاستعانة ببعض الاعمال العربية كأحد المصادر المعول عليها للكتابة عن تاريخ الكويت ٠ ولقد اثبتت بعض المراجع العربية المتوفرة بأنها اما محدودة المدى او انها لا تحتوي على اية معلومات عن تاريخ الكويت القديم ٠ وعلى اية حال ، فلقد تم العثور على بعض المخطوطات العربية في مكتبات المتحف البريطاني وجامعتي كمبردج واكسفورد ٠ وهذه المخطوطات تم شراؤها بالاصل من قبل ممثلي شركة الهند الشرقية البريطانية اثناء اقامتهم في منطقة الخليج العربي ، ومن ثم حصلت عليها المكتبات الآنفة الذكر ٠ ولقد اجريت مقابلات شخصية - من مصادر شفهية - في كل من لندن والبحرين والكويت ، في الوقت الذي كان يجري فيه المؤلف دراساته وابحاثه حول موضوع هذا الكتاب ، وذلك لمطابقتها بالمراجع المكتوبة حول نشأةوحكم آل الصباح وآل خليفة في الجزء الثاني من القرن الثامن عشر ٠

لعل اهم مصدر للمعلومات كانت المواد الارشيفية المحفوظة في ملفات مكتب الهند (I.O.R) في لندن ببريطانيا٠

ولعل ملفات المصنع (Factary Records) المصنفة في باب بلاد الفرس والخليج الفارسي هي ذات اهمية خاصة عن تاريخ الكويت وهي التي تمت لدى نهاية القرن الثامن عشر ٠ (ولعله من المفيد ان اذكر ان الوثيقة الملكية الصادرة بتأسيس شركة الهند الشرقية قد صدرت في ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠)

وبالاضافة الى تلك المواد الارشيفية ، فلقد استعنت بملفات غير منشورة في مكتب الهند كما يظهر في هوامش هذا الكتاب ٠

ولقد قامت حكومة بومبي - التي كانت تدير شؤ ون مصانع الشركة في الخليج

العربي - بالطلب من بعض موظفيها بمراجعة ملفاتها القديمة • وظهرت نتيجة هذه المراجعات في سلسلة من الكتب قامت حكومة بومبي بطباعتها •

ومن بين تلك الكتب ، ثلاثة مجلدات رئيسية تحتوي على مواد بحث جوهرية متعلقة بتاريخ الكويت • وهي :

أ - مقتطفات من ملفات حكومة الهند - مجلد ٢٤
ب - سلدانا برسز ـ مسجلة في البيبليوغرافيا
ج - مجلد الخليج الفارسي - لورمر

ولقد برهنت مجموعة اخرى - وهي الارشيف المصري الوطني (وتعرف سابقا بارشيف قصر عابدين بالقاهرة - مصر) على فائدتها القصوى في تسليط الضوء على تاريخ الكويت على النصف الاول من القرن التاسع عشر •

لقد سبق لمحمد علي باشا والي مصر ان ارسل سنة ١٨١٠ بعثة استطلاع مصرية - تركية الى جزيرة العرب بادئا حكمه لها الذي استمر حتى عام ١٨٤٠ • ومع ان الهدف الرئيسي لارسال البعثة هو اخراج الوهابيين من المدن المقدسة في الحجاز وبخاصة المدينة المنورة ومكة المكرمة على الجانب الغربي من شبه الجزيرة ، الا ان قواته استمرت في التوغل شرقا الى ان استولت على المناطق الوهابية في نجد والحسا مقتربة بذلك من شواطيء الخليج العربي •

ولقد تمت تغطية المشيخات الممتدة على الشاطيء من مسقط في الجنوب حتى الكويت في الشمال ، تغطية جيدة في المراسلات المتبادلة بين محمد علي باشا وجنرالاته في شرق الجزيرة العربية • ولم تكن الكويت بمعزل ، فالحق يقال ان الكويت بقيت حتى نهاية ١٨٣٠ كمركز دعم للجيش المصري حيث كانت التجهيزات والامدادات الضرورية تصل اليها وتشحن منها جنوبا الى الحسا •

ولقد قام المؤلف بمطالعة المواد الارشيفية الاخرى في القاهرة ولكنها برهنت على خلوها من المعلومات •

ولقد ساعدت الملفات التاريخية الموجودة لدى الكنيسة الاصلاحية الهولندية في

اميركا الموجودة في نيوبرنسويك - نيوجرسي - الولايات المتحدة ، ساعدت في دعم ملفات مكتب الهند للفترة الواقعة مابين عام ١٨٩٠ وحتى القرن العشرين ٠

ولقد ادى البحث في هذه الملفات الارشيفية من قبل المؤلف الى ان يقوم بعدة اسفار بغية زيارة بعض الاعضاء القليلين الذين لا زالوا على قيد الحياة من البعثة الاميركية العربية التي اقامت في الكويت واجزاء اخرى من الخليج من بدء هذا القرن حتى مدة قريبة جدا ٠

وفي الختام ، يأمل المؤلف بأن يساعد هذا الكتاب في المزيد من الاهتمام بتاريخ الخليج العربي وان يحض الاخرين على الخوض في سبل اخرى للبحث والتحري عن هذا الجزء من العالم ٠

احمد مصطفى ابو حاكمة
جامعة ماك جل
مونتريال ١٩٧٩

الفصل الأول

نشأة الكويت

نشـــأة الكـويـت

مدينة الكويت أو القرين

يصعب على المؤ رخ أن يضع تاريخا ثابتا لظهور مدينة الكويت أو القرين كما كانت تدعى قديما - وبالتالي مشيخة الكويت الى حيز الوجود • فلو قلنا انها لا بد أن تكون قد ظهرت مع ظهور مدينة الكويت ، فاننا لا نصيب الحقيقة اذ أن وجود الكويت كان قائما قبل قيام حكم العتوب ، الذين ينتمي اليهم ال صباح ، بفترة تزيد على القرن • وعلى الرغم من تدويننا أكثر من كتاب بالعربية والانجليزية عن ذلك التاريخ منذ عام ١٩٦٠ ، فان البحث والتنقيب يأتيان بالجديد دوما • لقد قررنا عند بداية بحثنا عن تاريخ الكويت ، أن تاريخ بلدة الكويت الحديث يعود الى عام ١٧١٦ (١) ، وكنا نعتمد حينذاك على ما دونه رجال شركة الهند الشرقية الانجليزية في وثائق تلك الشركة المحفوظة في لندن (٢) • وكانت الكويت حينذاك تسمى بالقرين • غير أن الرحالة الدنمركي نيبور رسم خريطة الخليج العربي ، ووضع في ركنه الشمالي الغربي اسم القرين مقرونا بالكويت • كان ذلك عام ١٧٦٥ ، ومن الجدير بالذكر أن نيبور لم يزر الكويت في طريق عودته من بومباي الى اوروبا مارا بمسقط وبوشهر والبصرة ، وانما استقى معلوماته عنها من اقامته ببوشهر والبصرة • وعند البحث في الخرائط الجغرافية المتعددة ، والمحفوظة في دور الوثائق والمتاحف والمكتبات في بريطانيا ،

---

(١) A. M.ABU - HAKIMA , **History of Eastern Arabia** , (1750 - 1800) Beirut , 1965

(٢) **Bombay Selections , Vol . XXIV , Bombay , 1856 , p. 361 ff .**

وهي لا تحوي الخرائط المرسومة في بريطانيا فحسب ، بل في معظم البلدان الاوروبية لم نجد خريطة أسبق من خريطة نيبور يظهر عليها اسم القرين أو الكويت ، حتى كان عام ١٩٧٨ ، حين عثرنا على اسم القرين مدونا على خريطة ملاحية للخليج العربي من تخطيط هولندي يعود تاريخها الى منتصف القرن السابع عشر الميلادي (١) • أي أن هذه الخريطة الهولندية يمكن أن تكون أقدم خريطة يظهر عليها اسم القرين • وعلى ذلك يمكننا القول دون تردد بأن الكويت كانت معروفة منذ أوائل القرن السابع عشر ، لا الثامن عشر ، كما تقرره وثائق شركة الهند الشرقية الانجليزية •

أما التسمية بالقرين أو بالكويت ، فهي تصغير من قرن وكوت ، والقرن هو التل أو الارض العالية ، والكوت هو القلعة أو الحصن • وهناك عدة مواضع تسمى بالقرين على الساحل الشرقي لجزيرة العرب ، الى الجنوب من الكويت ، وعديد من البلدان العربية المسماة بالكوت (٢) • وجمع الكوت أكوات ، ويطلق مؤرخو الجزيرة العربية هذه التسمية على الحصون المتعددة في المدن ذات القلاع والاسوار ، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ، ابن بشر في كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد ، وابن غنام في كتاب الغزوات البيانية • ولعل براكا شيخ بني خالد ، انما أنشأ كويتا بالقرين ، وغلب اسم الكويت على الموضع • فصارت البلدة تعرف باسم الكويت بدلا من القرين • وبذلك تصح الرواية

---

(١) وثائق شركة الهند الشرقية الهولندية المحفوظة في دار المحفوظات الهولندية بلاهاي ، هولنده .

(٢) في مقال تحت عنوان في تسمية مدينة الكويت للأب انستاس ماري الكرملي نشر في مجلة المشرق البيروتية في عددها العاشر سنة ١٩٠٤ قال ان الكويت مشتقة من الكوت والكوت في لغة جنوبي العراق وما جاوره من البلدان في بلاد العرب وفارس هو البيت الذي يبنى على شاكلة القلعة حتى يسهل الدفاع عنه . وهو بيت تحيط به عادة بيوت اخرى . ويطلق اسم الكوت على ذلك البيت شريطة ان يقع بقرب الماء سواء أكان ذلك ماء البحر أو النهر او بحيرة أو ماء مستنقع . ثم أصبح ذلك الاسم يطلق على القرية ان بنيت في مثل ذلك الموقع . وضرب امثلة بكوت الافرنجي وكوت الزين وكوت العمارة وكوت بندر . انظر الصفحات ٤٤٩ ـ ٤٥٨ من ذلك العدد .

المحلية الكويتية التي تذكر أن براكا ، شيخ بني خالد ، قد بنى الكويت قبل بداية القرن الثامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري • وبراك بن غرير ال حميد ، تولى زعامة بني خالد ما بين عام ١٦٦٩ م و ١٦٨٢ م •

سكان الكويت في العصور الحديثة

بعد أن نظرنا في تسمية الكويت وتحديد زمن تقريبي لنشأتها ، لا بد أن ننظر في سكانها ، قبل أن تصلها جماعات العتوب ، وهي الجماعات التي تحدثت عنها سجلات شركة الهند الشرقية الانجليزية ، محددة نزول العتوب بها حوالي عام ١٧١٦ ميلادية (١) •

اذا نظرنا الى موقع الكويت الجغرافي من جزيرة العرب ، وجدنا أنها تقع في ركن يرجع سكانه في أصولهم الى عرب الشمال أو العدنانيين ، وقبائلهم تنزل في ديار نجد وساحل العدان الممتد من قطر جنوبا الى أطراف الكويت الشمالية • وتفيد مدونات شركة الهند الشرقية الانجليزية ، التي وضعها رجالها المقيمون في منطقة الخليج العربي ، تفيد أن حكام هذه المنطقة في القرن الثامن عشر ، هم بنو خالد ، وهم من العدنانية • ولقد استمر حكم بني خالد في شرقي جزيرة العرب منذ القرن السابع عشر ، حين انتزعوا الحكم من الولاة العثمانيين حتى نهاية القرن الثامن عشر ، حين استولى الوهابيون على ديار بني خالد • وبالنظر لنشأة الكويت في ظل حكم بني خالد ، وكذلك لاهمية بني خالد في تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، لا بد من أن نلقى نظرة سريعة على تاريخهم السابق لنشأة الكويت •

بنو خالد – حكام شرقي الجزيرة العربية

تشير الكتابات التاريخية العربية الموثوق بها الى أنه كان بمقدور شيوخ بني خالد أن يتحدوا تحرشات شرفاء مكة بهم عام ١٥٨١ م ، عندما أراد الشرفاء أن يتحدوا بدورهم سلطة بني خالد في الاحساء • والذي نراه هو أن قبائل بني خالد كانت تجوس شرقي الجزيرة العربية متنقلة في حركة دائبة – خلال القرن السادس عشر

---

(١) Bombay Selections , XXIV , 361 ff .

- ما بين قطر جنوبا والبصرة شمالا ، وذلك كما تحتمه الظروف الجوية عليها ٠ على أنه لا يبدو أنهم كانوا على علاقة طيبة مع العثمانيين الذين اخضعوا العراق لنفوذهم في العقد الرابع من القرن السادس عشر ، والذين اخضعوا الاحساء لنفوذهم عام ١٥٥٥ ، بمساعدة قبائل المنتفق ٠ أقام العثمانيون في الاحساء ، بعد أن ازالوا عنها سلطة الجبور وهم من قبيلة قيس ، واستمر حكمهم في الاحساء حتى عام ١٠٨٠ هـ ١٦٧٠ م عندما استولى عليها براك بن غرير ال حميد الخالدي ٠ ولقد تداول حكم الاحساء من الاتراك العثمانيين أربعة باشوات ، وذلك قبل أن يطردهم منها براك ، وهم فاتح باشا ثم علي باشا فمحمد باشا واخيرا عمر باشا الذي استسلم لبراك الذي ظل يحكم بني خالد حتى وفاته سنة ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م ، وانتقل الحكم من بعده الى أخيه محمد بن غرير ال حميد ٠ (١)

إن سيطرة بني خالد على شرقي الجزيرة العربية ، بعد أفول نجم العثمانيين عنها قد جعلهم يتولون حكم منطقة غنية ، ان قيست بجيرانها الى الغرب ونعني بذلك منطقة نجد ٠ وهي بالاضافة الى قربها من مناطق الغوص على اللؤلؤ ، ووجود موانىء القطيف والعقير بها ، كانت ذات زرع ونخيل ، مما يجعلها دوما محطا لاطماع شيوخ نجد وأمرائها ٠ ولعل ذلك كان أحد الاسباب التي اذكت نيران الصراع مع الوهابيين في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، كما سنرى بعد حين(٢). غير أنه لا بد لنا من أن نشير في هذا المقام الى طبيعة الحكم الخالدي في شرقي الجزيرة ٠ فلقد اكثر وكلاء شركة الهند الشرقية الانجليزية ، في تقاريرهم المرسلة من الخليج الى بومباي ولندن ، من ذكر حرص أمراء بني خالد على استتباب الأمن في ديارهم ، حتى تكون الطرق التجارية فيها متمتعة بالطمأنينة والامان (٣) ٠ ولقد ذكر أحد التقارير الانجليزية من الخليج بتاريخ

---

(١) Longrigg , Four Centuries of Modern Iraq , p. 38

(٢) ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، المجلد الأول ، صفحة ٢٥ .

(٣) Report on the trade of Arabia etc, in Saldanha , Selections from State Papers , pp. 403 - 409

١٧٩٠ ، وهو تقرير يتحدث عن تجارة البلدان العربية الواقعة على ساحل الخليج العربي ، أن مينائي القطيف والعقير ، كانا بمثابة نقطة الانطلاق للقوافل المتوجهة الى بلدان نجد في الداخل حاملة السكر والقهوة والبهارات من الهند ومن اليمن • ولقد كانت الكويت بالطبع في موقع يسمح لها بالمشاركة في هذه التجارة ، غير أنها لم تكن قد أكملت مقومات نموها في هذه الفترة • ولعله من الجدير بالملاحظة أن طبيعة التكوين القبلي لبني خالد كانت ذات شقين ، فبعضهم كانوا ممن استقروا بالمدن والقرى ، والبعض الآخر كانوا من البدو . ولما كانت المدن في شتى بقاع الجزيرة العربية تطلب الحماية من بعض القبائل البدوية النازلة في جيرتها ، صار بمقدور القبائل المتنقلة من بني خالد أن تمنح تلك الحماية لسائر المدن في منطقة ملكهم • أما مقر تلك القبائل المتنقلة ، فكان فيما يبدو واحة الاحساء في الهفوف والمبرز • ومن ذلك المقر كانت تتوجه غزوات بني خالد الى نجد غربا (١) ، وكذلك الى البصرة شمالا ، حيث اصطدموا بقبائل الظفير النازلة بأطرافها •

وفي ظل هذا الأمن الخالدي ، نشأت الكويت وترعرعت ، بعد أن بنى فيها براك بن غرير كويته ، الذي اتخذه - فيما يبدو - مصيفا •

قدوم العتوب الى الكويت

قلنا فيما سبق أن موضع الكويت كان يسمى بالقرين ، وذكرنا أن القرين كانت قائمة في مكان الكويت الحالية منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي ولم تكن حينذاك سوى قرية صغيرة • والى تلك القرية وفدت جماعات العتوب ، وهم مجموعات من الاسر العربية المختلفة النسب • أما تاريخ وفود العتوب ، فهو أمر لا يزال موضع نقاش وجدل ، وكذلك الحال مع تسميتهم بالعتوب ، ثم الطريق التي سلكوها وادت بهم الى الكويت •

واذا أمعنا النظر في المصادر التي تحدثت عن العتوب نجد أنها تختلف في التسمية ، اذ أن بعضها يشير اليهم باسم بني عتبة (٢) ، في حين يسميهم

---

(١) نفس المصدر ص ٤٠٨ •

(٢) عثمان بن سند ، سبائك العسجد في اخبار احمد نجل رزق الاسعد صفحة ١٨ .

اخـرون بالعتـوب (١) ، واخـرون بالعتـوبيين (٢) • ومهما يكن من أمـر الاختلاف في ذلك الاسم ، فكل التسميات ترجع الى الاصل الثلاثي « عتب » وهو فعل معناه : أكثر من الترحال من مكان الى اخر . غير ان المصادر العـربية المؤلفة في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي والتاسع عشر تشير اليهـم باسـم ' العتوب ' وهو التسمية التي سندرج عليها في تاريخنا هذا •

ويذكر الكولونيل ديكسون (٣) ، الذي عاش في الكويت منذ ١٩٢٩ حتى وفاته بها عام ١٩٦٠ ، وكان يعمـل معتمـدا بريطـانيا بالـكويت ، أن الاسـم « عتوب » مشتق من الفعل « عتب » ، ويضيف أن المغفور له الشيخ عبدالله بن سالم الصباح ، أمير الكويت ، قد أخبره أن أجداده قد سموا بذلك الاسم بعد ارتحالهم من الجنوب شمالا الى الكويت أي أنهم « عتبوا الى الشمال » واشتقـاق اسماء القبائل من الافعال مألوف في شرق جزيرة العرب فقبائل الظفير أو الضفير مجموعات من قبائل شتى تضافرت فسميت بذلك الاسم ، وكذلك الحـال مع عرب المنتفق ، واسمهم مشتق من الاتفاق وهم بدورهم قبائل عربية شتى مختلفة الاصل والنسب •

وصول العتوب الى الكويت

ومهما يكن من اشتقاق اسم العتوب ، فان جميع المراجع التـي تحدثـت عن تاريخ الكويت ، قديمة كانت أم حديثة ، تتفق فيما بينها على أنهم جماعات كبيرة من القبائل ترجع في أصلها الى عنزة وغيرها من نجد • وأما عنزة فهي قبيلة عربية كبرى تنزل اليوم شمالي الجزيرة العربية ونجد وكذلك أطراف العراق والشام • وينسب آل صباح وال خليفة وغيرهم من الأسر العتبية انفسهم الى بطون عنزة هذه • فآل صباح ينتمون الى جميلة وهي فخذ من عنزة ، وكانوا في الأصل ينزلون الهدار من الافلاج في نجد الجنوبي الشرقي (٤) • ومن هناك هاجروا مع سائر

---

(١) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، صفحات ١١٠ ـ ١١٢ .

(٢) Bombay Selections , XXIV, pp. 362 - 372

(٣) Dickson , Kuwait And Her Neighbours , pp. 26 - 27

(٤) راجع عبدالعزيز الرشيد ، الجزء الاول من تاريخ الـكويت ، ص ١٢ فيما يتعلـق بنسب آل صباح وكذلك آل خليفة أبناء عمومتهم وانتمائهم الى قبيلة عنزة .

العتوب الى قطر ، ومنها الى الكويت • وعلى الرغم من أن هذه الرواية لا تعين على وجه التدقيق متى تمت هذه الهجرة الا أنه يمكن القول انها ربما كانت جزءا من هجرة عنزة الكبرى التي تمت في أواخر القرن السابع عشر الميلادي حينما هاجرت عنزة وغيرها من قبائل شرقي الجزيرة العربية بسبب القحط في منازلها (١) • وقد نتج عن تلك الهجرة أن وصل عرب الرولة في أوائل القرن الثامن عشر الى سوريا (٢) ، وهؤلاء من احدى الجماعتين اللتين تنقسم اليهما عنزة القبيلة الأم ، وهما عنزة الشمالية والجنوبية ، والرولة ينتمون الى الاولى • والى الثانية ينتمي ال سعود وال صباح وغيرهم ، اتجهت جماعات العتوب في هجرتها شرقا الى الاحساء وقطر ، ومن تلك النواحي هاجرت لتستقر نهائيا في الكويت • وليس لدينا الدليل الكافي لكي نحدد بالضبط تاريخ هذه الهجرة • غير أننا نعرف أنه قد مرت بقلب جزيرة العرب سنوات جدب عديدة خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر • وقد دعا ذلك الجدب الكثير من القبائل للهجرة ، ولا بد بالتالي أن يكون العتوب من الذين هاجروا الى شرقي الجزيرة ، كنتيجة لذلك الجدب • استقر العتوب بعد هذا في قطر التي كانت تخضع لنفوذ بني خالد • ومن قطر ، كما تورد الرواية المحلية ، واصل العتوب تنقلهم حتى استقروا في الكويت •

أما البلدان التي طاف بها العتوب قبل حلولهم بالكويت فلا نستطيع كذلك أن نحددها على وجه الدقة غير أننا نميل الى الاعتقاد أن العتوب قد قضوا فترة طويلة في قطر ، قد لا تقل بحال عن خمسين سنة ، استطاعوا خلالها أن يتعلموا ركوب البحر ، ويصبحوا بالتالي امة بحرية • ولعلنا بهذا نستطيع أن نفسر الرواية المحلية القائلة بسفرهم الى الكويت بحرا • وفي الواقع ، فان الرواية المحلية

---

(١) لم يستطع المستشرق اوبنهايم أن يحدد وقتا لتلك الهجرة ، غير أنه ذكر ان جميلة لا تزال تقيم بالأفلاج . واوبنهايم يرى أن العتوب هاجروا من الأفلاج كذلك .

انظر M . Von Oppenheim , Die Beduinen (Leipzig , 1939 , I, 62

وانظر كذلك Ashkenazı , The Anaza Tribes in South - Western **Journal of Anthropology** , (**New Mexico , 1948**) ; **222 - 39** .

(٢) Musil , A , **The Manners and Customs of the Ruwala Bedouins, p. 46** .

تورد أن العتوب لم يسافروا دفعة واحدة من قطر او الاحساء الى الكويت ، بل انها تقرر انهم تفرقوا من قطر الى مختلف موانىء الخليج العربي ، ثم عادوا بعدها ليتجمعوا في الكويت أسرة اثر اخرى (١) • والروايات المحلية تفترض ثلاثة اماكن نزلها العتوب بعد أن غادروا قطر ، ومن احدها توجهوا الى الكويت بعد ردح من الزمن •

أما المكان الاول فهو خور الصبية الواقع الى الجنوب من البصرة • والرواية هنا تقول ان العتوب طردوا من ذلك المكان بناء على اوامر متسلم البصرة بعد ان مارسوا ضربا من السطو على القوافل القادمة الى البصرة ، وكذلك بعد اعمال سلب ونهب قاموا بها في شط العرب • والثاني يفترض انهم أتوا الكويت عبر الخليج بعد ان طردوا من الشاطىء الشرقي ، وكان الطارد لهم القبائل العربية الاخرى النازلة ذلك الشاطىء • بينما يميل اخرون للاعتقاد انهم ابحروا من قطر الى الكويت بعد ان اختلفوا مع ال مسلم ، اصحاب قطر • أما القناعي في تاريخه فقد حاول التوفيق بين هذه الاراء المختلفة زاعما أن العتوب قد نزلوا قطر وهم في طريق هجرتهم من الافلاج • ومن قطر تفرقت الاسر العتبية الى سائر موانىء الشاطىء الشرقي للخليج العربي • ومن ثم عادت تلك الاسر تتجمع في الكويت من جديد • وهو يضرب مثلا باسرته ، القناعات (٢) ، الذين وصلوا الكويت منذ نحو مائتي عام قادمين من الساحل الشرقي للخليج ، ومن العراق ومن الجنوب ، أي من قطر • وعلى هذا يمكننا أن نرجح أن العتوب انما قدموا من الجنوب بعد ان امضوا على شاطىء الخليج بقطر او الاحساء نحو نصف قرن ، بعد هجرتهم من الافلاج ، وهي مدة لازمة وكافية للتدريب على ركوب البحر ، الذي لا بد وانهم ركبوه في طريقهم الى الكويت •

الوصول الى الكويت

ونحن بالتالي لا نستطيع أن نجزم بتاريخ محدد لوصول العتوب الى

---

(١) يوسف بن عيسى القناعي ، صفحات من تاريخ الكويت ، ص ٩ ، الرشيد ج ١ ، ١٥ - ١٦ .

(٢) القناعى ، صفحات ، ٩٩ - ١٠٠ .

الكويت • وفي هذا المقام علينا أن نميز بين أمرين احدهما وصول ال صباح الى الكويت ، أولئك الذين صار رئيسهم صباح بن جابر شيخا على الكويت حوالي عام ١٧٥٠ ، ثم وصول باقي الاسر العتبية • اذ أنه على الرغم من أن المستر واردن (WARDEN) وغيره من موظفي حكومة بومباي الانجليز قد زعموا بأن آل صباح ومعهم آل خليفة وآل جلاهمة وغيرهم من العتوب قد وصلوا الكويت حوالي ١٧١٦ (١) ، واحتلوا البلدة وبدأوا في ادارة شئونها ، فاننا لا نملك الا ان نقول أن في مثل هذه العبارة بعض المغالاة • فأولا ، من الثابت أن العتوب لم ينزلوا الكويت دفعة واحدة ، فبعض الاسر كانت أسبق في الحضور من غيرها • وثانيا فأن عبارة المستر واردن في طياتها خطأ في الترتيب الزمني للحكام ، فان صباح وخليفة لم يكونا قد ظهرا على مسرح الحوادث كزعيمين لجماعتيهما بعد • على هذا يجب أن لا يعني بحال ان أسلاف صباح بن جابر لم يكونوا قد وصلوا الكويت في مثل هذا الوقت المبكر من تاريخ تلك الاسرة الحاكمة في بداية القرن الثامن عشر (٢) •

حكام الكويت

اما اشخاص الحاكمين في الكويت في النصف الاول من القرن الثامن عشر فهي غير واضحة المعالم ، ولم يجدنا في هذا المضمار مراجعة سجلات شركة الهند الشرقية ، ولا المخطوطات العربية او الرواية المحلية أو حتى ما دونه الرحالة الاوروبيون المعاصرون • على أنه يبدو أن الكويت حتى العقد الخامس من القرن الثامن عشر كانت تخضع لحكم أمراء بني خالد المباشر • فقد شهد مطلع ذلك القرن حكم الامير القوي سعدون بن محمد بن غرير آل حميد (٣) • وبعد وفاة سعدون تولى الحكم في بني خالد اخوه علي بعد صراع بينه وبين ولدي سعدون ، وهما دحين ومنيع ، وذلك عام ١٧٢٢ • وبعد وفاته عام ١٧٣٦ تولى

---

(١) Bombay Selections , XXIV , 140

(٢) في الرواية المحلية للبحرين أن آل خليفة وصلوا الكويت قبيل وصول آل صباح اليها . روى ذلك للمؤلف الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة .

(٣) انظر جدول حكام بني خالد في ملحقات هذا الكتاب .

الحكم أخوه سليان (١٧٣٦ - ١٧٥٢) (١) ٠

ويبدو أن ذلك الصراع بين شيوخ بني خالد على تولي رئاسة القبيلة والنفوذ فيها ، وهو الصراع الذي أعقب وفاة سعدون سنة ١٧٢٢ ، قدفت في عضد بني خالد ، وخفف من شدة قبضتهم على القبائل التي كانت تخضع لهم وتؤدي لهم الاتاوات ، ومن ثم بدأت هذه القبائل والجماعات تمارس نوعا من الاستقلال الذاتي وبدأت تنفصل عن تبعيتها لبني خالد ، غير انها حافظت على ولائها لهم ٠ غير ان الكويت لم تستطع على ما يبدو أن تنال مثل ذلك الاستقلال الا في العقد السادس من القرن الثامن عشر ٠ أما من كان أول حكام الكويت فأمر ذلك غير بين ٠ فقد ذكر المستر واردن (WARDEN) في مقالته عن العتوب التي دونها في سنة ١٨١٧ ان أول رئيس لآل صباح هو سليمان بن احمد الذي كان يتولى الحكم حوالي سنة ١٧١٦ (٢) ٠ ولما كنا لا نجد أي ذكر للشيخ سليمان هذا في الروايات المحلية او أي مصدر آخر ، سوى ما ذكره المستر واردن ، كأول حاكم للعتوب من آل صباح ، جاز لنا أن نشك في قوله ونميل الى القول بأن حاكم الكويت قبل آل صباح انما كان من بني خالد ٠ وعلى هذا فأغلب الظن أن سليمان بن أحمد الذي ذكره المستر واردن انما هو حاكم بني خالد المسمى سليمان بن محمد ، ومن السهل تحريف محمد الى احمد لا سيما وان سليمان هذا كان يسمى سليمان بن محمد آل حميد امير بني خالد من ١٧٣٦ حتى ١٧٥٢ (٣) ٠

ونستطيع ان ندعم نظريتنا هذه على اساس الحقائق التالية ٠ انه من السهل ان نحرف اسم محمد الى احمد كما بينا ، لا سيما عند ذكر اسم العائلات بعد ان عرفنا ان سليمان بن محمد كان يذكر اسمه مقرونا باسرته آل حميد ٠ ثم ان العتوب انما نزلوا الكويت ، بموافقة وتحت حماية بني خالد كما ورد في الروايات المحلية (٤) ويمكننا ان نضيف الى هذا ان نفوذ بني خالد بقي ثابت الاركان ومركزا في يد شيخ

---

(١) ابن بشر ، المجلد الأول ، ٢٧ .

(٢) Bombay Selections , XXIV , 362

(٣) ابن بشر ، المجلد الاول ، ٢٧ .

(٤) القناعي ، صفحات ٩٢ .

واحد حتى وفاة سليمان بن محمد آل حميد في سنة ١٧٥٢ ۰ ولا داعي للشك في ان الصراع بين افراد الاسرة الحاكمة من بني خالد عقب وفاة سعدون سنة ١٧٢٢ قد اتاح للعتوب ، كما اتاح لغيرهم من القبائل المنضوية تحت حكم بني خالد ، نوعا من الاستقلال الداخلي ۰ غير ان حدة ذلك الصراع لم تكن من القوة بالمقدار الذي يجعل زمام الامور يفلت من يد سليمان بن محمد طوال مدة حكمه ۰ غير ان وفاة سليمان سنة ١٧٥٢ وعودة الخلاف بين افراد الاسرة الحاكمة من ناحية ثم بدء الخطر الوهابي القادم من نجد على شرقي الجزيرة ، كل هذا جعل العتوب يتمتعون بنوع من الاستقلال عن حكم بني خالد ، وهو استقلال قد لا نبالغ اذا وصفناه بأنه كان تاما ۰

تولى صباح ١٧٥٢

وهكذا اذن يمكننا القول بأن سليمان الذي أشار اليه المستر واردن ليس الا سليمان بن محمد آل حميد ، الذي طرده منافسه سعدون بن عريعر آل حميد من الاحساء الى الخرج في جنوبي نجد عام ١٧٥٢ حيث توفي في نفس السنة ۰ ثم تمضي الرواية المحلية الكويتية الى القول بأن صباح قد اختير وفق الطريقة العربية العشائرية من لدن أهل الكويت لتصريف شئون المدينة والفصل فيما قد يقع بين سكانها من خلافات (١) ۰ ويبدو انه لم يكن لصباح شهرة كبيرة قبيل تسلمه شئون المدينة فوالده جابر مثلا لم يرد له ذكر في الروايات المعاصرة ۰

وكذلك فان اسم صباح لم يرد في رحلات الرحالة الاوروبيين الذين مروا بالمنطقة في وقت قريب من حكمه أو اثناء حكمه للكويت ، على الرغم من انهم اشاروا الى الكويت وأوضحوا انها تخضع لحكم شيخ عربي ۰

---

(١) الرشيد ، الجزء الثاني ، ٢ .

علاقة الكويت بالهولنديين
الدكتور آيفز في جزيرة خارج (١) سنة ١٧٥٨
منطقة نفوذ شيخ الكويت

غير أنه يبدو أن حكم صباح كان قد استقر وتركز قبيل عام ١٧٥٨ بقليل على الكويت والمنطقة المجاورة لها • ويبدو كذلك أن الكويت أصبحت محطة للقوافل المسافرة بين حلب وشرقي الجزيرة العربية ، وفي هذا دلالة على نمو الكويت وازدهارها تجاريا في ذلك التاريخ المبكر من عمرها • وقد كانت القوافل المارة بالكويت تحمل معها بضائع الهند التي كانت تصل الكويت على السفن الكويتية ، وبالاضافة الى البضائع ، كانت تحمل معها كذلك الركاب المسافرين الى حلب ممن يكونون قد وصلوا شمالي الخليج العربي قادمين من الهند أو جنوبي الخليج • ولعل الظروف التي احاطت بجماعة من المسافرين الاوروبيين في هذا الوقت جديرة بالايراد والسرد في هذا المقام ، وهي الظروف التي لابست سفر الدكتور آيفز ورفاقه ، اذ أن تلك الظروف كما رواها الدكتور آيفز نفسه في كتابه هي المكان الاول - على ما نعلم - الذي ورد فيه ذكر الكويت في مؤلف رحالة أوربي (٢) •

ففي شهر مارس عام ١٧٥٨ رسا المركب المقل للدكتور آيفز ورفاقه المسافرين بصحبته والقادم من الهند ، رسا على جزيرة خارج في شمالي غربي الخليج وكان هؤلاء القوم في طريقهم الى أوربا • نزل المسافرون في ضيافة البارون كنبهاوزن KNIPHAUSEN رئيس الوكالة التجارية الهولندية التي اتخذت من تلك الجزيرة مكانا لنشاطها التجاري ، ونقلوا اليه رغبتهم في معرفة أسرع الطرق المؤدية الى

---

(١) انظر من أجل وصف جزيرة خارج .

Dr. Ives , Voyages , 207 - 216 ; Niebhuhr , Voyages en Arabie , II, 149 - 186 ; Parsona , 190 - 198 .

(٢) Dr. Ives , 207 - 216

حلب (١) فأشار عليهم البارون بأن يركبوا قاربا (فلوكه FELUCCA) الى الكويت (٢) ومن هناك يستطيعون السفر بسرعة مع القوافل المتجهة الى حلب ، وأضاف البارون أن شيخ الكويت صديق عزيز عليه « وأنه مدين له بفضل سابق وعلى هذا فهو تحت تأثيره » اي ان شيخ الكويت يدين للبارون بنوع من السلطان ٠ وأضاف البارون أن القافلة ستقطع المسافة بين الكويت وحلب في مدة تتراوح بين خمسة وعشرين أو ثلاثين يوما ، وبذا فان في استطاعتهم أن يختصروا زمنا يتراوح بين اسبوعين الى أربعة عما لو ارادوا السفر صعدا في شط العرب الى البصرة ثم الى بغداد في دجلة واكمال باقي الرحلة من بغداد بطريق الصحراء المعهود ٠

« ذلك الطريق الذي كان البارون واثقا من أنه سبيل يطرقه التجار بكثرة ، وان أي أوروبي يستطيع أن يسلكه في أمان واطمئنان دون أن يصحب معه اكثر من خادم واحد كرفيق لسفره » ٠

وعلى هذا أعد قارب للابحار الى الكويت يوم ٣١ مارس ، غير أن القارب لم يعد سوى في اليوم الرابع عشر من شهر ابريل ، وكان فيه ذلك العربي الذي طال انتظاره (٣) ٠ ثم جرت المفاوضات بين البارون والشيخ بخصوص المبلغ الذي يتقاضاه الاخير من المسافرين الانجليز نظير ايصالهم سالمين الى حلب ٠ فحدد الشيخ مبلغ الفي قرش ، بينما ارتأى البارون أن لا يزيد المبلغ عن الف قرش أو ألف ومائة ٠ ولما كان البون شاسعا بين المبلغين اخفقت المفاوضات وعاد الشيخ الى مدينته وركب المسافرون الانجليز البحر الى البصرة ٠ غير أن الشيخ قبل أن يغادر مجلس البارون وبعد ان اخفقت المفاوضات خاطب البارون غاضبا بقوله :

« انك يا سيدي ، تعاملني معاملة غير كريمة ٠ قل بالله عليك أية علاقة تربطك بهؤلاء المسافرين ؟ لقد ساد

---

(١) Ives , 207

(٢) جزيرة خارج الآن هي الموضع الذي يتجمع فيه نفط ايران لتصديره للخارج ٠

(٣) Ives , 222

الود علاقتنا منذ أمد طويل ، ولم أكن اتوقع ان
تحابي غرباء على حسابي » (١) •

وعندما جاء دور المؤ رخين للتعقيب على هذه الحادثة ، زعم لورمر LORIMER أن تصرف البارون مع الشيخ يدل على أن الشيخ كان خاضعا لنفوذ البارون ، وربما انه وقع في ذلك الخطأ بعد أن قرأ حرفية الكلمات التي اوردها آيفز من أن الشيخ كان « واقعا تحت تأثير البارون • » فالواقع أن الشيخ لم يكن تابعا للبارون بحال وان كان هنالك علاقات قائمة بينهما ، فانها قامت على قدم المساواة ورائدها المنفعة المشتركة • فالبارون والشيخ كانا يستفيدان من نقل التجارة عبر الصحراء على الجمال بطريق تتجنب المرور بالبصرة • وكان الغرض من تجنب البصرة أن لا يستفيد متسلمها من المكوس التي كان يفرضها على البضائع المارة بمدينته • واذا تذكرنا ان البارون كنبهاوزن (KNIPHAUSEN) قد خرج من البصرة مطرودا لخلاف نشب بينه وبين ذلك المتسلم ، ادركنا الفائدة التي تعود عليه من جراء خسران المتسلم لتلك المكوس التي كانت كبيرة • أما شيخ الكويت فكان يستفيد فائدة كبرى من ذلك الخلاف نظرا لتحول الكثير من السفن الهولندية وغيرها الى ميناء الكويت لتفريغ شحنتها من البضائع فيها وليس في البصرة • وكانت هذه البضائع تصدر الى الشام وأوروبا •

اتساع رقعة نفوذ شيخ الكويت

لا شك أن شيخ الكويت بما كان له ولتجار بلده من يد في نقل التجارة عن طريق البحر والقوافل من الكويت واليها ، قد أفاد فائدة مادية كبيرة ، ثم انه ارتبط بعلاقات مع جيرانه • غير أنه من العسير بل يكاد يكون من قبيل المستحيل ، تحديد الرقعة التي كان يعمها نفوذ شيخ الكويت في هذه الفترة التاريخية • ولكننا نستطيع القول بأن نفوذه كان يتعدى اسوار مدينة الكويت ممتدا

---

(١) نفس المصدر ، ٢٢٤ .

في صحرائها غير بعيد عنها • وان قصته مع الدكتور آيفـز ورفاقـه توضـح أن العرب النازلين على الطريق الصحراوي من الكويت الى حلب كانوا على وفاق معه ، والا ما امكنه أن يتعهد بارسال المسافرين سالمين الى حلب •

ومهما يكن من أمر فان الادلة المدونة التي تحدد اتساع رقعـة مشيخـة حاكم الكويت آنذاك لا وجود لها • غير آننا نستطيع ان نفترض وجود مثل ذلك النفوذ للشيخ على الجهرة ، في الطريق الى البصرة ، والتي كانت محطة للقوافل المتجهة من الكويت الى البصرة والى الشام • هذا عن البر أما في البحر فيبدو ان سلطانه كان قائما على الجزر القريبة من الكويت (١) • أما مقدار ثراء الشيخ وبالتالي مدينة الكويت فيمكن استقراؤه من قصته مع الدكتور آيفز يوم أن رفض عرض البارون مع أن المبلغ المعروض كان بمقاييس ذلك العصر كبيرا •

أما عن مصادر ثروة الكويت فلعل التجارة المشار اليها آنفا عبر الخليج ، من والى الهند ، والتي كانت تحملها سفن التجار الكويتيين وغيرهم ، ثم القوافل ، الى الكويت ، كانت تمثل مصدر الدخل الاكبر بالنسبة لتلك المدينة • وكانـت اللآلىء والغوص عليها تكون مصدرا آخر من مصادر دخل المدينة (٢) • وقد بلغ عدد القوارب المستغلة في هذا الباب في الكويت ، وفقا لرواية الرحالة نيبور عام ١٧٦٥ (٣) ، ثمانماية • ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام ايضا أن عتوب الكويت اعتادوا الابحار جنوبا في الخليج طلبا للغوص على اللؤلؤ على ساحل بني خالد في اتجاه البحرين •

وبالطبع لم يكن آل صباح وحدهم التجار الذين نقلوا تلك البضائع أو سيروا السفن للغوص على اللؤلؤ ، بل أنه قد أسهم معهم في هذا المضمار من سكن الكويت من الاسر العتبية الاخرى •

---

(١) Niebuhr , Description , 288 - 295

(٢) كانت قافلة دكتور آيفز تضم خمسة آلاف جمل وألف جمال . Voyages , 222

(٣) Niebuhr , Description , 296

وصف الكويت

ويبدو أن هذه الاسر ، قد نزلت بحي من المدينة صار يعرف باسمها ، وكان يعرف كذلك بالجهة او الاتجاه • ونزول كل جماعة أو قبيلة بحي أمر مألوف في الامصار العربية منذ الفتوح الاسلامية الاولى • وهكذا كانت المدينة مقسمة الى « حي شرق » و « قبلة » وهو الغرب بالنسبة للاتجاهات الاربعة لأن ذلك الحي يشير الى اتجاه مكة ثم « الوسط » • وفي الحي الاخير كان ينزل آل صباح ، الذين آل اليهم الحكم في المدينة (١) •

سور المدينة

وكانت مدينة الكويت مسورة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، غير أنه يبدو أن ذلك السور لم يدع لوجوده داع عند نشأة المدينة في مطلع القرن ، لا سيما وان نفوذ حماتها بني خالد كان قويا في تلك الآونة ، وكان كافيا لردع أية محاولة للهجوم على المدينة الناشئة • والرواية المحلية تفيد أن المدينة لم تكن مسورة في بداية عهدها ، وكما هو معروف عن الرواية المحلية من اهمال ذكر التواريخ ، لا تذكر الرواية شيئا عن التاريخ الذي سورت فيه المدينة لأول مرة • غير أننا نستطيع أن نحدد ذلك بالفترة التي بدأ فيها نفوذ حماتها من بني خالد يضعف اثر التنافس بين شيوخ تلك القبيلة على الحكم • وعلى هذا يمكننا ان نؤ رخ بناء سور الكويت على وجه التقريب بحوالي ١٧٦٠ ، أي بعد نحو ثمانية أعوام من وفاة سليمان بن محمد آل حميد ، حاكم بني خالد ، وعندما بدا للعيان أن نفوذ تلك القبيلة على شرق الجزيرة قد بدأ يتزعزع • وكان السور مبنيا من الطين مما جعله عرضه للانهيار أثر نزول الامطار الغزيرة • وسور من طين كهذا لم يكن بمقدوره درء خطر قوي قد يدهم المدينة ، غير أنه كان كافيا لوقايتها من هجمات بدو

---

(١) صفحات من تاريخ الكويت ، ٦٧ و362 , Bombay Selectios الرشيد ، المجلد الأول ، ١٨

الصحراء • وبقي شأنه كذلك حتى مطلع القرن العشرين • اما السبب في بناء ذلك السور ، فقد عللته الروايات المحلية بانه اقيم لدرء خطر القبائل المجاورة للمدينة بعد أن أخذ نفوذ بني خالد في الانهيار التدريجي • ولهذا فعلى الرغم من أن تاريخا لبناء ذلك السور لم يرد له ذكر في الرواية المحلية ، فاننا يمكننا أن نؤرخه بحكم صباح ، لان عهد ذلك الحاكم كان هو الزمن الذي بدأ فيه حكم بني خالد في التضعضع • وتفيد سجلات شركة الهند الشرقية بأن المدينة كانت مسورة في العقد الثامن من القرن الثامن عشر (١) •

نظام الحكم

لقد ادى ضعف الدفاع عن المدينة الى تخويل شيخها صباح سلطات واسعة • وتفيد الرواية المحلية أن صباح قد اختير من لدن الاسر العتبية المختلفة للنظر في شئون المدينة وسكانها ، وعلى هذا فان حكمه لم يكن مطلقا بالقدر الذي كنا نتوقعه من شيخ عربي يحكم مدينة او قبيلة • ومرد هذا يرجع الى ان العتوب كانوا منذ نزولهم الكويت تجارا مستقرين ولم يكونوا بدوا متنقلين ، وكانوا قد مروا بعهد التنقل والبداوة ، وهم في طريق رحلتهم من نجد الى قطر في ابان القرن السابع عشر • ولذا وجدنا انه على الرغم من ان سلطة شيوخ العرب في تلك الآونة من تاريخ الجزيرة كانت مطلقة فان سلطة شيخ الكويت لم تكن كذلك ، فهو يستشير قومه في كل ما يخص بلدته ، لا سيا أمورها التجارية (٢) •

ولعلنا نجد في لجوء الكثير من تجار البصرة الى الكويت ، حين هاجم الفرس البصرة عام ١٧٧٥ ، بقصد ممارسة نشاطهم التجاري فيها ، ما يعزز ما ذهبنا اليه من المركز الممتاز الذي كان يتبوأه تجار الكويت في مجتمعها •

---

(١) Factory Records , Vol . 17 , Dispatch No . 1152

(٢) القناعي ، ١٤

القضاء

اما عن تصريف شئون الحكم ، فكان من الطبيعي أن يمارس شيخ الكويت السلطات التي يمارسها معاصروه من شيوخ القبائل العربية • فقد كان الشيخ ينظر في تطبيق العدالة بين جماعته • والشيء الطبيعي في مثل هذه الحالة أن يسترشد الشيخ بالقرآن ، والسنة ، والعرف ، غير أن الرواية المحلية ، كما يدونها الرشيد والقناعي في تاريخهما تظهر بجلاء أن الاحكام المرعية في الكويت آنذاك ، لم تسر مطابقة لاحكام الشريعة الاسلامية ، بقدر ما كانت مطابقة للسالفة (١) • وليس هذا الامر بغريب على بيئة الكويت ، التي لم تزد على ان كانت جزءا من بيئة شرقي الجزيرة العربية ، حيث سادت شريعة السالفة أو العادة السارية مما استنكره الشيخ محمد عبد الوهاب في دعوته الاصلاحية الكبرى للمجتمع الاسلامي في ذلك العصر •

وكذلك قل عن حال العتوب من آل خليفة وشيعتهم في الزيارة • غير أن هذا لا يمنع وجود قاض في الكويت منذ تأسيسها ، فالعلماء كانوا موفوري العدد في الاحساء في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وابن سند في كتابه « سبائك العسجد » (٢) ، يترجم لنيف واربعين من هؤلاء ، ومن المترجمين جماعة من معاصريه • وقد كان أثر هؤلاء العلماء على معاصريهم كبيرا ، ولم تخل منهم مدينة من مدن الاحساء او نجد • ولقد كان والد محمد بن عبد الوهاب ابن واحد من هؤلاء ، وهو الشيخ عبد الوهاب بن سليمان ، قاضي العيينه • ولقد قام محمد بن عبد الوهاب بجهد كبير لاقناع الكثير من العلماء بآرائه التي نادى بها وهي آراء لم تخرج بحال عما ورد في القرآن الكريم وسنة الرسول وصحابته • ولقد سافر محمد ابن عبد الوهاب الى معظم مدن نجد والحجاز حيث اجتمع بعلمائها ، واستفاد منهم ، وناظر بعضهم (٣) •

---

(١) الرشيد ، المجلد الأول ، ٧٥ ـ ٧٦ والقناعي ٣٣ ـ ٣٥ .

(٢) توفي عثمان بن سند عام ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م . انظر مقالة كاظم الدجيلي عن عثمان بن سند في مجلة لغة العرب الصادرة في بغداد في شهر ذي القعدة ١٣٣١ هـ/ ١٩١٩م .

(٣) ابن غنام ، روضة الأفكار من ٣٠ - ٣١ انظر كذلك لمع الشهاب ، ١٥ ـ ١٦ .

الشيخ محمد بن فيروز أول قضاة الكويت

ويذكر ابن سند ، في كتابه السابق الذكر ، وبين من ترجم لهم من العلماء ، الشيخ محمد بن فيروز ونجله عبد الوهاب بن محمد بن فيروز • ويرد اسم الشيخ محمد بن فيروز في الرواية المحلية الكويتية ، على انه أول من تولى شئون القضاء بالكويت • ويؤ رخ القناعي والرشيد وفاته بعام ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م • ويتفق المؤ رخان على ان ابن فيروز هذا ، كان القاضي في عهد صباح (١) ، ولما كنا قد برهنا على ان « صباح » ، لايمكن ان يكون قد أصبح شيخ الكويت قبل عام ١٧٥٢ ، فاننا نستطيع أن ندرك أن المؤ رخين قد جانبا الصواب في تاريخ تلك الوفاة •

أما ابن سند ، المعاصر للشيخ محمد بن فيروز ، فقد حدد سنة ولادته بعام ١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م وسنة وفاته بعام ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م (٢) • ويضيف ابن سند ، ان ابن فيروز قد ولد في هجر (الاحساء) وانه دفن في مدينة الزبير ، الواقعة بين الكويت والبصرة ، ولما جرت عادة علماء ذلك العصر على التجول من مكان الى آخر ، فاننا نميل الى الاعتقاد بأن ما دونه ابن سند هو الصحيح ، وان ما دونه القناعي والرشيد بعيد عن الصواب • ومهما يكن من أمر فاننا نستطيع ان نستنتج مما ذكرته الرواية المحلية عن ابن فيروز ، ومما دونه ابن سند عن تاريخ حياته ، انه كان اول قاض في الكويت وانه قام بهذه الوظيفة في عهد الشيخ صباح •

عبدالله بن صباح ثاني حكام الكويت

اذا كانت الروايات التاريخية تختلف في الزمن الذي تولى فيه صباح الحكم ، فانها لم تتفق على سنة وفاته بحال ، وقد وردت في احداها على انها عام ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م ، وهذا خطأ بين • ولقد خلف صباح بعد وفاته خمسة ذكور هم

---

(١) صفحات من تاريخ الكويت ، ٣٥ ـ ٣٦ ، وأيضا الرشيد الجزء الأول ، ٧٥ ـ ٧٦ .

(٢) ابن سند ، سبائك العسجد ، ٩٦ .

سلمان ومالك ومبارك ومحمد وعبدالله ، وكان الاخير اصغرهم سنا ٠ وتتفق الروايات المحلية على ان عبدالله اختير ليخلف اباه في الحكم لمزايا انفرد بها دون اخوته وهي الشجاعة ، وحب العدل والحكمة ، والسخاء ، وهي جميعها صفات يحب العربي ان يتحلى بها حاكمه (١) ، وكانت سنة تولى عبدالله الحكم وفق ما رواه لورمر (LORIMER) في تاريخــــه المعتمد على وثائق شركة الهند الشرقية ، هي ١٧٦٢ م (٢) ٠ اما عثمان بن سند فعلى الرغم من انه لم يعط تاريخا محددا لتولي عبدالله زمام الامور في الكويت ، الا انه يستفاد مما دونه أن عبدالله كان يتولى شئون الحكم قبل ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م ببضعة أعوام اما القناعي فيذكر ان سنة وفاته كانت ١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ م ٠ اما الرشيد فيعطي نفس تاريخ القناعي ٠ ويضيف القناعي الى ذلك ان عبدالله قد حكم نحوا من سبعين سنة ، وهذا يعني انه تولى الحكم قبل عام ١١٥٩ هـ/ ١٧٤٦ م ٠ ولما كان هذا لا يتفق مع ما بيناه من تولي صباح الحكم عام ١٧٥٢ ، فاننا يمكننا ان نقدر ان عبدالله قد بدأ حكمه عام ١٧٦٢ او بعد ذلك بقليل اي قبل هجرة آل خليفة من الكويت الى الزبارة في قطر عام ١١٨٠ هـ/ ١٧٦٦ م ٠

وهكذا أمضى العتوب النصف الاول من القرن الثامن عشر وهم يبذلون الجهود الصادقة لتنمية مدينتهم وتركيز انفسهم فيها ٠ وقد اختاروا حوالي ١٧٥٢ م أول حاكم لهم من آل صباح وهو صباح بن جابر ، مؤسس الاسرة الحاكمة ٠ وقد خلفه في الحكم ابنه عبدالله بن صباح حوالي ١٧٦٢ (٣) ، وكانت هجرة آل خليفة وغيرهم من العتوب واستقرارهم في الزبارة ثاني مدينة للعتوب في عهد عبدالله هذا ٠

---

(١) الرشيد ، الجزء الثاني ، ٢ ، والقناعي ١٠ .

(٢) Lorimer , Gazetteer of The Persinan Gulf , IV , Table 9

(٣) ابن بشر ، الجزء الأول ١٦٥ و ١٧٦ حيث يحدد ابن بشر وفاة الشيخ عبدالله بن صباح وسعود بن عبدالعزيز كالآتي : كانت وفاة سعود لثلاثة عشر مضين من شهر ربيع الاول سنة . ١٢٢٠ هـ/ ١٨١٤ - ١٨١٥ م ، وأرخ وفاة عبدالله بن صباح بقوله : وفيها بعد وفاة سعود بثلاثة أيام توفي رئيس الكويت عبدالله بن صباح العتبي .

ولكي يستطيع القارىء أن يتبين كيف استطاع آل صباح تأسيس حكمهم في الكويت خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر ، ثم السير بالكويت قدما حتى احتلت منزلة سامية بين مشيخات الجزيرة العربية آنـذاك ، لا بد لنـا من استعراض للاوضاع السائدة في مياه الخليج العربي آنذاك لنبين الظروف التـي كانت تمر بها تلك القوى في البر والبحر ، وهي ظروف مهدت ليس فقط لنشأة الكويت ، بل لاحتلالها مركزا من مراكز الصدارة بين مشيخات الخليج العربي آنذاك ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل اللاحق ٠

الفصل الثاني

الاوضاع السياسية في منطقة الخليج في النصف الأول من القرن الثامن عشر

الاوضاع السياسية في منطقة الخليج في النصف الأول من القرن الثامن عشر

فارس - العراق - نجد - الانجليز

بعد أن عالجنا في الفصل السابق نشأة الكويت المبكرة في اوائل القرن السابع عشر الميلادي واوائل الثامن عشر ، ننتقل الى دراسة الاوضاع السياسية التي كانت تسود منطقة الخليج العربي في تلك الفترة • ذلك لأن تلك الاوضاع هي التي سهلت للكويت النمو والازدهار • والباحث المتدبر لتاريخ هذه الحقبة يستطيع ان يستشف ثلاثة عوامل شاركت في منح الكويت الفرصة للنمو والازدهار •

أما العامل الاول فهو ضعف الفرس والاتراك ، وانعدام نفوذ كل من الدولتين في الخليج مما أتاح الفرصة للمدن الصغيرة النامية أن تتطور دون خوف من خطر قوة اكبر منها ، قد تتدخل في شئونها الداخلية وتفرض عليها سلطانها ، وبذلك تحد من حريتها في الحركة والكسب والنمو • وأما العامل الثاني فهو وقوع الكويت في منطقة النفوذ الخالدي في شرقي الجزيرة العربية ، وقد رأينا حرص بني خالد على استتباب الامن والسلام في المنطقة حتى تزدهر التجارة • وازدهار التجارة كان بالطبع الركن الاساسي لنهضة الكويت وتقدمها كما سنرى في الفصل اللاحق • واما العامل الثالث ، فهو النشاط التجاري الملحوظ للشركات التجارية الاوروبية ، ونقل البضائع بحرا عن طريق الخليج وبرا بالطريق الصحراوي • وليس هناك أدنى ريب في أن الكويت قد استفادت فائدة كبيرة من المساهمة بهذه التجارة وقد بدا أثر ذلك واضحا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر •

أحوال فارس والعراق العثماني

لقد عملت الاوضاع السياسية المهلهلة السائدة في فارس والعراق في النصف الاول من القرن الثامن عشر على أن تحتل الكويت ، وغيرها من مدن العتوب ، مكانا مرموقا في عالـم الخليج العربي بعد حين • ولقد كانت فارس من جهـة والعراق في ظل الاتراك العثمانيين من جهة أخرى ، هما البلدان الوحيدان اللذان كان بمقدورهما بما لهما من قوة عسكرية ، أن يلعبا دورا هاما في سياسة الخليج العربي في هذه الحقبة • غير أنه لا الاتراك ولا الفرس كانوا في وضع يمكنهم من أن يلعبوا مثل ذلك الدور الهام ، وهكذا خلا ميدان الخليج العربي السياسي في هذه الحقبة من أية قوة كبرى تفرض هيمنة كلية عليه ، ومن هنا صار في مقدور المدن الناشئة أن تتطور وتقوى دون أن تتعرض لخطر جشع حكام فارس أو الاتراك • ولندخل الآن في بعض التفاصيل عن أوضاع فارس والعراق •

أحوال بلاد فارس

أما أحوال فارس فكانت خلال الربع الاول من القرن الثامن عشر مضطربة متغيرة متبدلة لا استقرار فيها (١) • فقد تعرضت بلاد فارس للغزو الافغاني ، ثم العثماني ، ثم الروسي على التوالي • وكـان من الطبيعـي اذن خلال هذه الفترة أن يتحرر الخليج العربي من أية سيطرة فارسية • ولم يأخذ الخليج العربي مكانا مرموقا في الدبلوماسية الفارسية الا بعد عام ١٧٢٦ عندما سيطر نادر شاه على فارس جميعها ، وبدأ يتلفت بانظاره الى الخليج العربي ، وتبنـى حينـذاك « سياسته البحرية » في الشمال والجنوب ، أي في بحر قزوين والخليج العربي • وحتى هذه السياسة فشلت بسرعة لعدم توفر البحارة الفرس اللازمين لمواكبة ذلك الطمـوح السياسي • ذلك أن قوام أسطولـه كان من البحـارة الهنـود ومـن البرتغاليين • (٢) أما الميناء الذي كان يتجمع فيه ذلك الاسطول فهـو ميناء بوشهر الذي أطلق عليه نادر شاه عام ١٧٣٤ اسم بندر نادرية •

---

(١) للأحوال المضطربة في ايران انظر :
L.Lockhart, **Nadir Shah, A Critical Study**, pp. 1 - 17

(٢) Sykes, A History of Persia, 271

أحوال العراق العثماني

هذا ما كان من شأن أحوال فارس السياسية وعلاقتها بالخليج أما أوضاع العثمانيين في العراق ، فلم تكن أحسن حالا من جيرانهم الفرس ٠ ولسوف نرى كيف أنه لم يكن بمقدورهم بالتالي أن يلعبوا أي دور ذي بال في هذه الحقبة ٠

كانت السلطة العليا في العراق تتركز في يد والي بغداد اي باشا بغداد منذ الاحتلال العثماني للعراق عام ١٥٣٤ ، غير ان سلطان ذلك الوالي كان ضعيفا في العراق نفسه نظرا لتدخل الباب العالي في اسطمبول في تعيين وعزل الولاة ، وكان هؤلاء الولاة من المماليك ، على شاكلة مماليك مصر ونظرا لان نفوذ باشا بغداد لم يكن يصل الى متسلمية البصرة جنوبا بالعراق ، ولأن والي بغداد كان دائما في حالة حرب مستمرة مع شاهات فارس منذ الفتح العثماني للعراق .

والدارس لتاريخ العراق جنوبي بغداد في هذه الحقبة يتبين أن متسلمية البصرة كانت شبه مستقلة عن بغداد ، وكان ذلك المتسلم لا يستطيع الدفاع عن البصرة دون ان يستمد العون بانتظام من القبائل العربية النازلة اطراف المدينة ، ولو صادف أن انضمت هذه القبائل الى الفرس أو أية قوة مهاجمة للبصرة ، فلا بد للمتسلم من التسليم للغزاة ٠ وقد كانت سلطة المتسلم نفسها لا تكاد تخرج عن نطاق اسوار مدينة البصرة نفسها ٠ اما القبائل العربية النازلة حول البصرة فكان من اشهرها قبيلة المنتفق ، أو المتفق كما يحلو للبعض تسميتها ٠ وكانت هذه القبيلة تنزل الاراضي الواقعة الى الغرب من البصرة ، ثم بنو كعب الذين كانوا ينزلون الاراضي الواقعة الى الشرق والجنوب الشرقي من البصرة (١) ٠ وفي الوقت الذي استمر فيه ولاء المنتفق لمتسلم البصرة وباشا بغداد طوال القرن الثامن عشر تقريبا ، كان بنو كعب لا يدومون على ولاء لاحد ، فهم طورا مع الفرس وطورا مع الاتراك واحيانا مع الطرفين في آن واحد ، اي كانت لبني كعب قدرة عجيبة على تبديل سياسة الولاء تبعا لظروفهم ٠ والى جانب المنتفق وبني كعب

---

(١) Niebuhr, **Voyage en Arabie,** II, 178-188

كانت هناك قبائل الظفير (١) ، وهؤلاء كان ولاؤهم لباشا بغداد ومتسلم البصرة اشبه ما يكون بالتام طوال القرن الثامن عشر ٠

ان علاقة هذه القبائل العربية النازلة بالعراق مع عرب شرقي الجزيرة كانت علاقات ود وصداقة خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر ، غير أن تلك الصداقة سرعان ما انتقلت الى عداء مستحكم في النصف الثاني من ذلك القرن ، ولقد حرص متسلم البصرة دوما على كسب صداقة تلك القبائل ، غير أنه لم يكن دائم التوفيق ٠ اما حرصه على ذلك فمرده تجارة البصرة اولا ثم تجارة بغداد ثانيا فان اي اضطراب يعكر صفو الأمن بالبصرة كان طبيعيا ان يؤثر في تجارتها وكذلك الحال مع التجارة المنقولة برا وبالطريق النهري بين البصرة وبغداد ٠ اما كمية هذه التجارة المنقولة بين البصرة وبغداد والمتجهة شمالا فقد كانت كبيرة على حد تعبير أحد الرحالة الانجليز الذين نقلوا تجارتهم على احدى القوافل المتجهة من بغداد الى البصرة ٠

اما مرد حرص العثمانيين على البصرة واستتباب الاحوال فيها ، فقد كان يرجع بادىء الامر عند احتلالها عام ١٥٤٦ الى مقاومة النفوذ البرتغالي في الخليج وفي ديار الاسلام عامة ، غير أن اقتلاع جذور النفوذ البرتغالي من الخليج العربي في اوائل القرن السابع عشر ، لم يفقد البصرة اهميتها من وجهة النظر التركية العثمانية ، اذ ان مركز البصرة التجاري كان ممتازا لا سيما بعد أن أسست الشركات الاوروبية فيها وكالاتها التجارية (٢) ٠ وعلى هذا فقد حرص والي بغداد على استتباب الامن في نواحيها ، ذلك أن عظم التجارة فيها او قلتها كان يتوقف على

---

(١) الظفير او الضفير هم قبائل نجدية الاصل هاجرت الى العراق واستقرت بجوار البصرة . انظر عباس العزاوي ، (عشائر العراق ـ بغداد ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٥ م) ج١ ، ٢٩٥ ـ ٣٠٤ ، أما المنتفق فهم كذلك من نجد نزلوا بعد هجرتهم منها الى العراق بين بغداد والبصرة . انظر ابراهيم بن صبغة الله الحيدري ، (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد) مخطوطة المتحف البريطاني ، ورقة ٥٨ ، ثم انظر كذلك محمد البسام ، (الدرر المفاخر في اخبار العرب الاواخر) ، ورقة ٤٣ .

(٢) أسست شركة الهند الشرقية الانجليزية وكالتها في البصرة عام ١٦٤٣ . انظر Longrigg. 108 , Wilson. The Persian Gulf, 163.

ذلك الامر الى حد بعيد ٠ والواقع ان مقدار التجارة بالبصرة وبينها وبين بغداد وسائر اجزاء البشالك (الولاية) كان يتوقف على عدة عوامل يأتي في مقدمتها شخص متسلم البصرة ٠ فجشع ذلك المتسلم اوحكمته وتعقله ، وحسن تصرفه مع وكلاء الشركات التجارية كل ذلك كان له أثره في مقدار التجارة بالبصرة ٠

والعامل الثاني يكمن في السلم والامان واستتبابهما ، فالتجارة تنمو وتزدهر حين يخيم السلام على ارجاء البلدان التي تنتقل فيها التجارة ٠ والسلام في البصرة لم يتحكم فيه الغزو الفارسي فحسب ، بل كانت تحكمه القبائل العربية النازلة باطراف البصرة ، اذ أن أي خلل فيه نتيجة لتدخل تلك القبائل المشار اليها آنفا كان يعطل التجارة لا في البصرة فحسب بل في سائر مدن العراق الشمالية كبغداد وغيرها ٠ وكانت هذه القبائل نفسها أيضا تعمل في نقل التجارة على القوافل ما بين نجد وشرقي الجزيرة العربية والبصرة وبغداد وبلدان الشام كذلك ٠ وهذا طريق تجاري قديم عرفته القبائل العربية منذ مئات السنين ٠ كان هذا الطريق يمر بقرية الجهرة ، ذات الماء العذب ، وذلك لحاجة رجال القوافل وجمالها للماء والاستراحة ، ولا ريب أن الكويت قد استفادت وهي تنشأ من مرور القوافل عن ذلك الطريق ، ولقد كانت الجهرة والكويت وغيرها في هذه الحقبة خاضعة لسلطان شيخ بني خالد أقوى حكام شرقي الجزيرة آنذاك ، كما سنتبينه بعد حين ٠

احوال نجد وشرقي الجزيرة العربية السياسية
١٧٥٠ - ١٨٠٠

لقد أشرنا في الفصل السابق الى بني خالد وديارهم وحكمهم في منطقة الحسا وشرقي الجزيرة العربية ، ولذلك سنخص نجدا وقلب جزيرة العرب بلمحة عابرة ، نظرا لما كان لنجد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، من أثر بعيد في مجريات الامور في شرقي الجزيرة العربية ، حين كانت مدن العتوب في الكويت والزبارة تتقدم باضطراد ملحوظ ، وتنمو ثروتها الاقتصادية ، وتتعاظم اساطيلها البحرية ، كما سيأتي شرحه في الفصل اللاحق ٠

في الوقت الذي تركزت فيه السلطة السياسية في ساحل جزيرة العرب الشرقي بيد شيخ بني خالد في اوائل القرن الثامن عشر ، وبقي ذلك حالها طوال النصف الاول من ذلك القرن ، كانت بلاد نجد منقسمة على نفسها ، اذ ان الوحدة بين سائر مدن وقرى نجد كانت معدومة ، فكان كل أمير مستقلا استقلالا تاما بتصريف شئون مدينته أو قريته أو قبيلته ، وكان قوله هو الفصل ٠ ولم يبدأ أولئك الامراء ولا شيوخ تلك القبائل بالخوف على سلطانهم من الضياع قبل عام ١٧٤٥ (١) ، عندما بدأت قوة الدرعية في الظهور على حيز السياسة العامة في نجد ، وذلك بعد أن لجأ اليها محمد بن عبد الوهاب وتحالف مع محمد بن سعود على نشر دعوته ، واقامة دولة الموحدين في نجد ٠ ان هذه اليقظة التي اصابت نجد ، قد امتدت ٠ وأخذت في حماس ذلك الامتداد ، تتحرك شرقا نحو الاحساء ، على ما سنبينه في موضعه من هذا الكتاب عند الحديث عن الصراع بين بني خالد والوهابيين ، غير أنه يجمل بنا في هذا المقام ان نشير الى أن الوهابيين قد اتخذوا من بني خالد ، موقف المدافع لا المهاجم ، مدى عشرين سنة منذ ١٧٤٥ وحتى ١٧٦٥ ٠ غير أنهم بعد ذلك اتخذوا موقف المهاجم اذ توالت غزواتهم على أرض الاحساء واشتدت بنوع خاص في الفترة ما بين ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م و ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م (٢) ، حتى تم لهم القضاء على نفوذ بني خالد في الاحساء وشرقي الجزيرة العربية ٠

الشركات الاوروبية التجارية ونشاطها في الخليج العربي :

شركة الهند الشرقية الانجليزية

اما نشاط شركة الهند الشرقية الانجليزية في الخليج العربي فيمكن ان ننظر اليه من زاويتين ، اولهما التجارة الانجليزية في الخليج العربي عامة وما تبع ذلك من

---

(١) في هذا العام بدأ نشاط الحركة الوهابية في نجد. انظر ابن غنام، روضة الافكار، الجزء الثاني، صفحة ٤ وابن بشر، الجزء الاول ، ١٥ .

(٢) ابن غنام، الجزء الثاني، ١٨٥ - ١٩٢ وابن بشر، الجزء الاول، ١٠٠ - ١٠٢ ولمع الشهاب، ٦٧ - ٧٢.

صراع بين هذه الشركة والشركات التجارية الاوروبية الاخرى ، العاملة في الخليج ،أي الصراع بين الشركات الاوروبية في الخليج العربي ، ثم من زاوية علاقة هذه الشركة الانجليزية بالقبائل العربية المتعددة النازلة في البلدان المحيطة بالخليج العربي من كل جانب دون استثناء لأي جزء من اجزاء الخليج العربي • غير أنه من المعلوم ان الانجليز لم يكونوا هم اول أمة أوروبية ربطتها مع الخليج العربي علاقات تجارية ، اذ سبقهم الى ذلك البرتغاليون والهولنديون ثم نافسهم أيضا الفرنسيون في هذه التجارة ، ولو ان المنافسة الفرنسية كانت ذات صبغة سياسية اكثر منها تجارية •

ولقد كان البرتغاليون اول أمة أوروبية عرفت طريق الهند في عام ١٤٩٨ ، عندما أوصلهم اليها البحار العربي أحمد بن ماجد (١) وذلك في اعقاب اكتشاف كريستوفر كولمبوس لامريكا سنة ١٤٩٢ • ولقد أسس البرتغاليون نفوذهم في الخليج العربي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي. وبقوا كذلك دون منازع أوروبي حتى القرن السابع عشر حينما أخذت قلاعهم تتهاوى واحدة تلو أخرى ، اذ فقد البرتغاليون سيطرتهم على البحرين سنة ١٦٠٢ وعلى هرمز سنة ١٦٢٢ • واستطاع عرب مسقط وعمان طرد البرتغاليين من مدينة مسقط الحصينة حوالي عام ١٦٥١ • لقد كان الخليج العربي ميدانا للصراع بين البرتغاليين والعثمانيين في تلك الحقبة • وكان البرتغاليون قد اشتبكوا مع العثمانيين في معارك بحرية في البحر الاحمر ، ويذهب بعض المؤرخين الى أن من اهم اسباب محاولة العثمانيين الاحتفاظ بميناء البصرة بعد أن احتلوا العراق حوالي ١٥٣٤ ، هو الوقوف ضد الغزو البرتغالي لاراضي الدولة العثمانية • غير أن هذا ليس مقام مناقشة المنافسة البرتغالية العثمانية على السيادة البحرية في الخليج العربي والبحر الاحمر ، فهي حقبة تسبق الحقبة التي ظهرت فيها الكويت الى حيز الوجود كمدينة تجارية كبرى في الخليج •

---

(١) انظر دائرة Encyclopaedia of Islam,(first edition) تحت مادة شهاب الدين أحمد بن ماجد.

ان الوجود السياسي البرتغالي في مياه وشواطىء الخليج والذي زال في منتصف القرن السابع عشر ، لا يعني أن الوجود التجاري البرتغالي قد زال ايضا ، فان سفن البرتغاليين قد بقيت تؤم موانىء الخليج بعد ذلك بقصد التجارة ، وكانت تتردد على وكالتهم التجارية في جزيرة كنج في القرن الثامن عشر • وكذلك كانت تتردد على نفس الوكالة التجارية البرتغالية في كنج ايضا ، سفن التجار الهنود من مسلمين وهندوس (١) •

ولقد عملت قوتان اوروبيتان متضامنتين على طرد البرتغاليين من الخليج العربي ، واقصاء نفوذهم التجاري وكذلك السياسي عنه ، وهما الانجليز والهولنديون ، ممثلين في شركة الهند الانجليزية وشركة الهند الهولندية ، وذلك منذ مطلع القرن السابع عشر • وقد شن الفريقان معركة مشتركة على البرتغاليين حتى نجحا في اقتلاع جذور النفوذ البرتغالي من الخليج (٢) •

أما الفرنسيون ، فيبدو أن وجودهم في الخليج كان سياسيا اكثر منه تجاريا ، ولقد كان للفرنسيين ايضا شركة تسمى شركة الهند الشرقية الفرنسية ، وهي شركة بدأت في العمل منذ بداية القرن السابع عشر ، غير انها كانت تضعف ويزول نشاطها بين فترة واخرى •

ولم ترس قواعدها ثانية الا عام ١٦٦٤ ، يوم أن دعم الاقتصادي والوزير الفرنسي الشهير كولبير هذه الشركة • وقد سارت هذه الشركة على نفس النظام الانجليزي لشركة الهند الانجليزية المؤسسة في ٣١ ديسمبر عام ١٦٠٠ ، وفي الهند حذت حذو الانجليز في محاولة امتلاك الاراضي وتأسيس وكالات تجارية تستند على من يدافع عنها من النزلاء المستعمرين الفرنسيين • ثم أخذت تمد تجارتها الى منطقة الخليج العربي حيث صار لها وكالات تجارية في بعض بلدانه • غير أنه في بداية القرن الثامن عشر كادت الشركة الفرنسية تغلق وكالتها في بندر عباس (جمبرون) ، ولم يعد الفرنسيون لمزاولة نشاطهم التجاري في الخليج ، على ما يبدو ، على نطاق واسع سوى عام ١٧٧٥ ، عندما أعادوا المقيم الفرنسي

---

(١) **Lorimer**, I, i, 836

(٢) Wilson, **The Persian Gulf**, 161

الى البصرة . ولقد كان شأن الفرنسيين كشأن البرتغاليين من حيث التجارة . اذ ان اغلاق وكالاتهم التجارية لم يكن معناه انقطاع السفن الفرنسية عن ارتياد الخليج بقصد التجارة مع البصرة وغيرها من موانيء الخليج ، فان وثائق شركة الهند الشرقية الصادرة عن وكالتها في البصرة تتحدث عن مثل تلك التجارة . وهذا يعني ان النفوذ الفرنسي في الخليج في النصف الاول من القرن الثامن عشر يمكن ان نغفله ، ففرنسا لم تلعب دورا خطيرا لا في سياسة ولا في تجارة الخليج آنذاك .

أما الامتان الاوروبيتان اللتان احتلتا مركز الصدارة في تجارة الخليج في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، فهما الهولنديون والانجليز .

وكان التجار الهولنديون بدورهم قد اسسوا عام ١٦٠٢ شركة الهند الشرقية الهولندية . وقد لعب الهولنديون دورا رئيسيا في طرد البرتغاليين من الخليج متضافرين مع الانجليز (١) . غير أن الانجليز كانوا موقنين بأن خطر الهولنديين التجاري والسياسي لا يقل عن الخطر البرتغالي ، ومن هنا بدا وكأن كلا من الامتين تحاول ان تحتكر تجارة الخليج العربي في القرن السابع عشر ، وقد وقعت عدة اشتباكات بين حليفي الامس ، في ذلك القرن .

على ان العلاقات الهولندية الانجليزية خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر لا تبدو سيئة كالقرن السابع عشر ، بل العكس هو الصحيح ، اذ تتحدث وثائق وكالة جمبرون (٢) (بندر عباس) الانجليزية عن ان سفنا هولندية كانت تنقل رسائل تلك الوكالة وكذلك بعض السلع الخاصة بها من ذلك الميناء الى البصرة . على ان هذه الصداقة سرعان ما تبدلت بعداوة منذ الشطر الاول من القرن الثامن عشر ، اي عندما احتل الانجليز المركز الاول في تجارة الخليج العربي ، وتفوقوا على جميع البلدان الاوروبية المتاجرة مع الخليج ، وكانوا بالطبع يعملون على احتكار جميع تجارة الخليج .

---

(١) كان لكل من الشركتين وكالة تجارية خاصة بها في كل من بندر عباس والبصرة.

(٢) انظر تقريرًا من مجلس وكالة جمبرون الانجليزية الى مجلس المديرين بلندن في رسالة رقم ٢٣٨٤ مجلد رقم ١٤ مؤرخة في ٢٥ مارس ١٧٢٧ .

ولعلنا الآن قد بلغنا المرحلة التي لا بد من ان نتحدث فيها عن النشاط الانجليزي في الخليج ، حتى تتضح معالم الصورة التي نحاول أن نرسمها للمحيط الذي بدأت فيه الكويت في الظهور على مسرح الحوادث في الخليج .

النشاط الانجليزي في الخليج

أما النشاط الانجليزي في الخليج ، فتبينه رسائل الوكالات التجارية الانجليزية التي انتشرت في اطراف الخليج في هذه الحقبة المبكرة من تاريخ الكويت ، فلقد كان للانجليز وكالات تجارية في جمبرون واصفهان والبصرة وغيرها من مدن فارس والعراق . ان تلك الرسائل تعكس أمام قارئها أمرين قام ، على ما يبدو ، من اجلهما سبب تأسيس تلك الوكالات التجارية الانجليزية في منطقة الخليج . أما أول هذين الامرين فهو أن الشركة كانت تهدف الى توزيع البضائع التي كانت تتاجر فيها سواء أكانت انجليزية أم غير انجليزية ، متجهة لحسابها في الخليج العربي ، وسواء حملتها سفن الشركة ام غيرها من السفن التي تنقل البضاعة في الخليج . اما الامر الثاني الذي كان يكمن وراء انشاء هذه الوكالات في الخليج فهو محاولة تأمين البريد الذي كان ينقل من لندن الى الهند وبالعكس (١) .

ولقد كان هذا هو الهدف الرئيسي من وراء العناية بوكالة الشركة في البصرة بصورة خاصة . وقد وجدت الشركة آنذاك انها في وضع يحتم عليها ان تعتمد من أجل البريد على احد طريقتين ، كان بمقدور كل منهما ان يضمن لها سرعة ايصاله ، اولهما فهو طريق البحر الاحمر وثانيهما طريق الخليج العربي ، وكان البريد يسافر بحرا من الهند عبر البحر الاحمر فالاسكندرية ثم البحر المتوسط فانجلترا بطريق القارة الاوروبية ، وبحرا من الهند عبر الخليج العربي الى

---

(١) انظر من أجل الهدف الذي من اجله اسست هذه الوكالات التجارية رسالة من لاتوش بالبصرة الى السيد مانيستي وهو خلفه في رئاسة الوكالة ، مؤرخة البصرة في ١١/٦ / ١٧٨٤ ورقمها ١٢٩٩ في Factory Records, ,VoL. 18

الكويت او البصرة ثم برا « بالطريق الصحراوي السريع » الى مدينة حلب بسوريا ومن هناك يستمر برا عبر آسيا الصغرى فأوروبا أو الى اللاذقية ثم بحرا الى اليونان او ايطاليا ثم عبر القارة الى انجلترا • ولقد اثبت هذا الطريق الثاني تفوقه على الطريق الاول من وجهة عملية أولا ثم من حيث درجة الامان التي كان يتمتع بها الطريق الصحراوي آنذاك • وكان وجه الخطر الوحيد الذي يتعرض له ذلك البريد عبر الصحراء هو الخوف من القبائل العربية النازلة حول الطريق الذي يمر فيه البريد • وقد أمنت الشركة شر ذلك الخوف بأن اشترت رضاءها بالهدايا النقدية أو العينية من مختلف البضائع • ومجمل القول في اهمية طريق الصحراء هذا انه اثبت مع مرور الزمن وتعاقب سنوات القرن الثامن عشر انه شريان حيوي بالنسبة للشركة الانجليزية ليس فيما تعلق من شئون أخبارها في الخليج العربي فحسب ، وانما بالنسبة لما كان يجري من احداث في شتى بقاع الهند ، وايصال ذلك الى مكتب الشركة الرئيسي بلندن ، اذ المعروف أن بناء الامبراطورية البريطانية في الهند كان على يد شركة الهند الشرقية هذه ، وكانت السنوات الاولى من القرن الثامن عشر هامة في احداثها من حيث تأسيس النفوذ الانجليزي في الهند ، وتتضح اهمية هذا الطريق بل تزداد ، ابان النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وقبل حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) بين فرنسا وانجلترا (١) وبعد تلك الحرب ، ولا يخفى ان كلا من الانجليز والفرنسيين كانوا حريصين على نقل اخبار فرنسا وانجلترا الى مستعمراتهم الجديدة في الهند وعلى طريقها ، وكذلك الى وكالاتهم التجارية المختلفة •

على ان هذا لا يعني ان رجال الشركة الانجليزية قد حرصوا على السياسة اكثر من حرصهم على التجارة • اذ الواقع ان التجارة كانت بالنسبة لهم ، طوال القرن الثامن عشر في المرتبة الاولى ، وبعدها تاتي السياسة (٢) • غير أنه من غير المعقول ان يفصل بين الامرين ، فان ممثل الشركة كان يجد نفسه متفاعلا بالاحداث الجارية من حوله ، اي في الاقطار التي تتاجر الشركة فيها ، ثم كذلك

---

(١) انظر الفصل التاسع من هذا الكتاب.

(٢) Wilson, 169

متفاعلا بالاحداث التي تجري في وطنه الاصلي ، وكان من الصعب على وكيل الشركة او ممثلها ان ينأى بنفسه عن تلك الاحداث ٠ على ان اقدام نابليون على غزو مصر عسكريا ، لا تجاريا ، عام ١٧٩٨ ، قد قلب الاوضاع وصارت السياسة تأتي في المقام الاول قبل التجارة ، والواقع ان رجال الشركة او ممثليها في وكالاتها المختلفة ، قد اكتسبوا صفة ديبلوماسية بعد فترة تقل عن نصف قرن منذ صدور براءة تأسيسها في ٣١ ديسمبر عام ١٦٠٠ ، ففي عام ١٧٠٨ تم اتحاد الشركتين الانجليزيتين المتنافستين على تجارة الهند ، وهما الشركة القديمة وشركة جديدة أسست لتنافسها ، وصار اسم الشركة المنبثقة عن ذلك الاتحاد هو : الشركة الانجليزية المتحدة للتجار الانجليز المتاجرين مع الهند الشرقية ، ومنذ ذلك الاندماج اصبح ممثلو الشركة يتمتعون بما يتمتع به رجال السلك القنصلي (١) ٠

ان اضفاء صفة القنصل على ممثل الشركة كان عملا له خطورته ، ذلك لان ممثلي الشركة كانوا ممثلين وتجارا في آن واحد ، اي انهم في الوقت الذي يصرفون فيه شئون الشركة وتجارتها ، كانوا ايضا يصرفون شئون تجارتهم الخاصة بهم في تلك الديار التي يعملون فيها ٠ وبالطبع كانت علاقات الشركة مع الدول التي تعمل في اراضيها تتعرض للتحسن والسوء اذا تحسنت او ساءت علاقة ممثلها بالحكومة المحلية ، تلك العلاقة التي كانت تتأثر بعوامل قد تكون شخصية الى حد كبير ٠ ولقد قامت امثلة عديدة على مثل هذه المشاكل ، وكان يعمل على حلها سفير الحكومة البريطانية في اسطمبول من ناحية وحاكم مدينة بومباي الانجليزي (٢) ، وهو ممثل الشركة بالطبع هناك من ناحية اخرى ، واذا اخذنا بعين

---

(١) المصدر السابق، ١٧٠

(٢) لعل مثل المستر صموئيل مانيستي Manesty هو أوضح مثل لمثل ذلك الخلاف، فقد نشأ بينه وبين متسلم البصرة ووالي بغداد خلاف عام ١٧٩٢ ادى الى نقل نشاط الوكالة الانجليزية من البصرة الى الكويت ، حيث ظلت تعمل هناك حتى عام ١٧٩٥ ٠ ولم تكن الكويت في وضع تجاري يماثل وضع البصرة آنذاك ، ومع ذلك اصر مانيستي وزميله هارفورد جونز على ذلك النقل رغم ما فيه من مضار لعلاقات الشركة مع والي بغداد ومتسلم البصرة ٠

الاعتبار ايضا ان الشركة الانجليزية كانت تعمل على الارض الفارسية والارض العثمانية في الخليج العربي ، رأينا المشاكل التي كانت ستواجهها حين تتأزم العلاقات بين الفرس والعثمانيين ، لا سيما حين يطلب كل فريق منهما العون البحري من سفن الشركة في عملياته ضد عدوه ، لا ريب ان موقف الشركة في مثل تلك الظروف كان حرجا للغاية ، اذا انها لم تكن لتستطيع ان تتخلى كلية عن امداد اي من الطرفين المتنازعين بالسفن المطلوبة في التو ٠ هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى حرص كل من الفرس والعثمانيين على ان يطلبوا من ادارة الشركة في بومباي بالهند ، بناء سفن حربية لاستخدامها في تلك الظروف ، وكانوا يدفعون ثمن السفن عادة بالنقد ٠ ان بناء اسطول عثماني في الخليج على يد الانجليز في الهند لم يكن ليرتاح اليه شاه فارس ٠ وكذلك كان حال والي بغداد عندما كانت الشركة تقوم ببناء اسطول فارسي يستخدمه الشاه ضد العثمانيين وغيرهم من القوى العربية في الخليج ٠ من هنا كانت الشركة تتعرض لضغط سياسي من ناحيتين ، ولذلك كانت تجد نفسها مضطرة لاغلاق وكالتها في احد المكانين (١) ، والانتقال بنشاطها التجاري الى الآخر ، وهذا ما قامت به شركة الهند الشرقية في العقد الثالث من القرن الثامن عشر حين وجدت ان البصرة مكان يفضل جمبرون (بندر عباس) لمزاولة نشاطها ، وفعلا اغلقت ابواب وكالة جمبرون وانتقلت لمزاولة نشاطها التجاري في البصرة ٠ لم ينظر الفرس بعين الرضا الى هذا التصرف من جانب الشركة ، على الرغم من ان الشركة قد بررت تصرفها هذا بأن مرده يرجع الى اضطراب الاحوال في فارس بعد ان تعرضت لغزو الافغان ٠ لقد فسر الفرس هذا الانتقال على انه عمل عدائي موجه

---

(١) لم تكد وكالة البصرة تباشر عملها حتى اقام متسلم البصرة العقبات في سبيلها. وقد تحدث المستر هسي Houssaye عن ذلك في رسالته الموجهة من البصرة الى مجلس المديرين بلندن، اذ يقول المستر هسي في تلك الرسالة ان الباشا أراد أن يفرض ويقبض الجمارك على البضائع قبل أن تبيعها الشركة (رسالة من المجلد ١٤ صادرة عن البصرة في ١٠ ابريل ١٧٢٦)، وكذلك تتحدث رسالة برقم ٢٣٨٤ من المجلد ١٥ صادرة عن جمبرون بتاريخ ٢٥ مارس ١٧٢٧ عن صعوبات مماثلة تلقاها بضائع الشركة من سلطات جمبرون الفارسية.

ضدهم ، تتخذه الشركة في ظروف سيئة للغاية ٠

اما نحن فنستطيع ان نفسر انتقال ، او بالاحرى تنقل نشاط الشركة بين الاراضي الفارسية والعثمانية بأحد أمرين : أولهما ان الشركة كانت حريصة على ان تظهر للجانب الذي يبدى لها العداء لاي سبب كان ، ان بامكانها ان تمارس نشاطها التجاري في منطقة الخليج العربي من ارض غير ارضه واقعة على الخليج نفسه ، اما الامر الثاني الذي كان يفرض على الشركة نقل نشاطها من مدينة ما الى اخرى فهو تعسف الحكام المحليين مع ممثلي الشركة ومحاولة فرض شروط مجحفة على تجارة الشركة في المدن الخاضعة لنفوذ اولئك الحكام ، سواء منهم الاتراك في المدن الخاضعة للباب العالي ، او الحكام العرب الذين كانوا يسيطرون سيطرة تامة على الموانىء الفارسية الواقعة على الخليج العربي ، او الحكام الفرس في المدن الداخلية بفارس ، حيث قامت للشركة بعض الوكالات لتصريف بضائعها في فارس ، ثم لشراء بضائع فارسية لبيعها في الهند وآوروبا وغيرها من البلدان ، التي كانت واقعة ضمن منطقة احتكار الشركة ٠

غير أن الامور لم تسر دائما وفقا لمخططات او آمال ممثلي الشركة فمتسلم البصرة مثلا ، الذي ظن رجال الشركة انه اقل جشعا من حكام بوشهر وجمبرون ، لم يكن يقل عنهم تسلطا ٠ غير انه ، من ناحية اخرى كان من المتعذر على رجال الشركة ان يرضوا بتصرفاتهم كلا من الفرس والاتراك ، ومع ذلك فانصافا لهؤلاء الرجال لا بد من القول بانهم قد عملوا جهدهم على الابقاء على رواج تجارة الشركة في وكالاتهم والبلدان التي تقوم فيها تلك الوكالات حول الخليج العربي ٠

غير أن الحروب والاوضاع المضطربة في منطقة الخليج العربي قد عملت ضد مصالح الشركة التجارية مما جعل المستر مارتن فرنش Martin French من وكالة البصرة يكتب الى رؤسائه بلندن عام ١٧٣٢ قائلا :

« إن الحرب مع بلاد فارس قد وضعت حدا لنشاط الشركة التجاري في هذه الوكالة ، وقد مضت علينا عدة أشهر لم نبع فيها أية

بالة من البضائع . وعلى هذا فاننا نرى أنه من غير المستحب أن تفرغ السفن أية بضائع في البصرة في الوقت الحاضر إلى أن ينجلي الموقف » (١)

وانه لمن الواجب علينا ايضا ان ننصف الحكومتين الفارسية والعثمانية من حيث ما كانتا تقدمانه رسميا من تسهيلات لشركة الهند الشرقية للاتجار في البلدان الواقعة تحت سلطانها . فقد منحت الحكومة الفارسية تلك الشركة امتيازات او « رقم » مماثلة . ومن تلك الامتيازات على سبيل المثال السماح للشركة ان تجبي ضرائب قنصلية من السفن الانجليزية التي كانت تحمل بضائع لتفريغها في ميناء البصرة وميناء جمبرون (٢) . وكانت هذه الضريبة القنصلية تدر على الشركة ارباحا طائلة في اوقات السلم لا في الحروب . غير انها كانت تعجز عن جمعها احيانا حتى في اوقات السلم بسبب تدخل الحكام المحليين من فرس واتراك .

ولم يكن خطر تدخل هؤلاء الحكام المحليين هو الخطر الوحيد الذي كانت تتعرض له تجارة الشركة ، اذ كانت القرصنة في مياه الخليج امرا يهدد تجارة الشركة ، كما كان يهدد تجارة الخليج عامة ، وعلى ذلك فقد حرص وكلاء الشركة على مطالبة حكومة بومباي ، حيث مراكز الشركة في الهند ، بامدادهم بعدد كاف من السفن المزودة بالمدفعية اللازمة لحراسة دور الوكالة بالخليج ، ثم كذلك حرصوا على ان يكون لكل وكالة حرسها الخاص بها والذي كان ينتقل مع الوكالة

---

(١) رسالة من مارتن فرنش الى مجلس المديرين بلندن في المجلد ١٥ صادرة عن البصرة بتاريخ ١٩ مارس ١٧٣٢/ ٣٣ ، وانظر كذلك رسالة أخرى منه بتاريخ ٢٥ يونية ١٧٣٢ في نفس العدد.

(٢) كانت نسبة هذه الضريبة القنصلية تصل الى مبلغ ٢٪ وكانت حصيلتها في البصرة عام ١٧٢٥ قد بلغت ١٧٩٥ شاهيا ، انظر مجلد ١٤ رسالة ٥٥٩ . كانت حسابات الوكالات الانجليزية في الخليج العربي تقدم بالروبية الهندية أو العملة المحمودية أو الشاهية الفارسية. وعلى الرغم من أن قيمة هذه العملة كانت تتعرض للهبوط والصعود ، فانه بمقدورنا أن نعطي فكرة عن قيمتها من واقع سجلات الشركة ، فالرسالة رقم ٦٤٩ في مجلد ١٥ الصادرة عن البصرة بتاريخ ٢٢ فبراير ١٧٣٦ تقول ان الروبية الهندية يقابلها خمس قطع فارسية من النوع المحمودية. وفي الرسالة ٢٥٧٨ في مجلد ١٥ أيضا بيان بأن في الجنيه الاسترليني الواحد ثمانين شاهيا.

في تنقلاتها بين موانىء الخليج ، ان دعت الضرورة لمثل ذلك الانتقال • كان وجود مثل تلك السفن الحربية راسية غير بعيد عنها ، امرا مزعجا للوكالة بقدر ما كان امرا نافعا ، اما الازعاج فمصدره هو الحكام المحليون الذين كانوا يطلبون دوما ان تساهم تلك السفن في حروبهم ضد غارات سفن عرب الخليج على موانئهم في فارس والعراق ، وكان من العسير بالطبع على رجال الوكالات ان يرفضوا مثل تلك الطلبات • وهكذا عملت وكالات الشركة بشتى الطرق على استمرار النشاط التجاري في الخليج ، ذلك النشاط الذي كان بلا ريب يدر على الشركة الارباح ثم انه قد كان عاملا اساسيا في تقدم واطراد نمو موانىء الخليج العربي • ان تقارير وكالات الشركة الانجليزية في النصف الاول من القرن الثامن عشر الذي هو قيد بحثنا الآن ، لا تذكر الكويت في قليل او كثير ، والحال كذلك مع غيرها من مدن الشاطىء العربي بالخليج ، غير ان هذا لا يعني بحال من الاحوال ان مدنا تجارية لم تنتعش بسبب تجارة الشركة المشار اليها آنفا ، وانما كان الازدهار يزداد هنا ويقل هناك ، وكانت التقارير بالطبع تتناول المناطق المتاجر معها دون سواها ، وتتناول الاحداث المحيطة بمراكز نشاط الشركة دون غيرها ، تلك المناطق والاحداث التي ستتحرك الى غربي الخليج في النصف الثاني من القرن الثامن عشر • ومما لا ريب فيه ان ذلك النشاط التجاري الذي شهدته مياه الخليج العربي نتيجة لتجارة شركة الهند الشرقية الانجليزية والشركات الاوروبية الاخرى ، ثم لحركة سفن مسقط والسفن الهندية في مياهه ، كل ذلك ساهم في حركة غير عادية كانت تقوم في مدن صغيرة في غربي الخليج ، ما لبثت ان نمت وازدهرت مع حلول النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وعلى رأسها مدينة الكويت على ما سنفصله في الفصل التالي •

الفصل الثالث

الكويت في النصف الثاني
من القرن الثامن عشر
النمو السياسي والاقتصادي

الكويت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر النمو السياسي والاقتصادي

يتميز النصف الثاني من القرن الثامن عشر في تاريخ شرقي الجزيرة العربية بقيام دول جديدة ، تسلمت مقاليد الامور من دول سابقة ، ففي اقصى الجنوب من هذه المنطقة تأسست دولة آل سعيد في عمان ، وفي منطقة العدان (ما بين قطر والكويت) تأسست دول العتوب - آل خليفة في البحرين وآل صباح في الشمال وهذه قامت في ديار بني خالد ، التي مر الحديث عنها في الفصلين السابقين ٠ وكذلك تأسست دولة الوهابية أو الموحدين في نجد ٠ وكان قيام كل من الدول المذكورة في فترة تقارب الاخريات ، وهي الفترة ما بين ١٧٤٣ و ١٧٦٦ ٠ ولقد أعقب فترة التأسيس هذه فترة ازدهار للبعض وفترة انهيار لآخرين قبل أن ينتهي القرن الثامن عشر ٠ كذلك بدأ النشاط البريطاني يزداد عما قبل ٠ ولعل أوثق القوى علاقة بعتوب الكويت ، وهم عتوب الشمال ، عتوب الجنوب ، الذين أسسوا في هذه الفترة دولتهم في الزبارة بقطر ثم مدوا سلطتهم على البحرين ، ثم بني خالد ، والوهابيين ٠ والى هؤلاء جميعا سنوجه الاهتمام ، وذلك على الصعيد المحلي في شرقي شبه الجزيرة ، ثم الى الانجليز أيضا ، نظرا لتوسع نفوذهم التجاري في منطقة الخليج العربي في هذه الفترة ٠ والذي يستشفه المؤرخ من تاريخ هذه الفترة ، فيما يتعلق بنمو الكويت ، اولا أن الخمسينات كانت سنوات حسم ، وأن بداية الربع الأخير من القرن ، شهدت فترة نمو سريع في تاريخ عتوب الكويت ٠

الكويت ما بين ١٧٥٠ و ١٧٧٥

لعل عام ١٧٥٢ هو العام الذي يمكننا ان نتخذه بداية لحكم الشيخ صباح بن جابر في الكويت ، وفيها صار شيخا لجميع العتوب النازلين بأرض الكويت ، ولعل ربع القرن المذكور ايضا كان نقطة البداية لتأسيس البحرية الكويتية ، التي علا شأنها بين دول الخليج في الربع الاخير من نفس القرن ، كما سنرى فيما بعد • وكذلك شهدت فترة الربع الثالث من القرن الثامن عشر ، خروج عتوب الجنوب بزعامة آل خليفة من الكويت ، ونزولهم في الزبارة بقطر ، فهذه حادثة هامة في تاريخ الكويت ، لا بد لنا من تناولها في هذا الفصل ، كما أن نمو القوة الوهابية في نجد خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، تحتم علينا معالجة تاريخ الحركة الوهابية في ايجاز ، وذلك بالنظر لما احدثته الحركة الوهابية الاصلاحية من رد فعل في بلدان الجزيرة العربية والبلاد المجاورة •

ان النمو السريع الذي شهدته الكويت في هذه الحقبة ، قد استرعى انتباه القوى الاخرى في الخليج ، فوقف بعض هذه القوى منها موقف المعاداة بينما وقف الآخر موقف اللامبالاة ، ولقد اشرنا من قبل الى القوى التي كان يمكن ان تؤثر في نمو الكويت ، وهي الفرس والاتراك والشركة الانجليزية ، ثم الآن ، وقد بزغ نجم الحركة الوهابية صار لا بد من ضمها الى تلك القوى بالاضافة الى بعض القوى البحرية العربية ، وقوة بني خالد البرية •

أما القوى الثلاث الاولى فلم يكن لها اثر معاكس لذلك النمو ، فالفرس كما بينا لم تكن لديهم القوة البحرية ، ولم يتمتعوا بالسلم الداخلي في بلادهم حتى يفكروا في مهاجمة الكويت • والاتراك العثمانيون لم يكونوا أحسن حالا من الفرس ، فحال باشا بغداد ومتسلم البصرة كان شبيها بحال الفرس ، ويبدو انهم لم يفكروا في اثارة عداء بني خالد بمعاودة الهجوم على الاحساء في هذه الفترة ، ولو أن مثل ذلك الهجوم قد تم في وقت متأخر ، وكان هدفه القضاء على نفوذ الوهابيين في الاحساء • واما شركة الهند الشرقية فكان يهمها أن يبقى الخليج العربي منطقة امان لسفنها تؤمه اني شاءت وحيث شاءت ، ولم تشر وثائق

الشركة الى ان الكويت قد اتخذت سبيل غيرها من القوى العربية البحرية في الخليج ، وكان سبيلها الاغارة والاعتداء على السفن عابرة الخليج من مختلف الجنسيات ، مثل القواسم ، أهل رأس الخيمة ، وحتى القواسم لم يكونوا قد بلغوا مرحلة الخطورة في هذه الفترة من تاريخ الخليج ، فالتعرض لسفن الشركة لم يكن اذن ليشغل بالها في هذه المرحلة ، مثلما شغله في فترة لاحقة ، كما سنراه في حينه ٠

اما الوهابيون فكانت مراكزهم في الدرعية وغيرها من بلاد نجد بعيدة عن الكويت ولم تكن هجماتهم شمالا وشرقا قد استعرت نيرانها بعد ٠ غير ان العتوب ، كان لا بد وان يتأثروا بالهجوم الوهابي على الاحساء في وقت لاحق ، عندما انشأوا مدينة الزبارة بقطر ، غير بعيد عنها وذلك في عام ١٧٦٦ ٠ ٠ اما وجه الخطر الحقيقي الذي كان يمكن ان يهدد الكويت في هذه المرحلة من تاريخها ، ويهدد معها الزبارة فقد جاء من عرب بني كعب ، الذين كانت مدينة الدروق مركز قوتهم وسلطتهم ٠ ثم عرب بندر ريق وبوشهر ٠

وفي هذه الفترة اعتاد عرب بني كعب مهاجمة السفن الناقلة للتجارة ، والمتجهة الى البصرة ايا كانت هذه السفن ، ولا نشك في ان الرواية المحلية الكويتية التي تتحدث عن عداء بني كعب للكويت صادقة وان اختلفنا في سبب العداء اذ مما لا ريب فيه ان ازدهار الكويت ، وعمل سفنها بنقل التجارة في الخليج ، وتأسيس العتوب للزبارة التي سرعان ما ازداد ثراؤها ، كل ذلك يمكن أن يجعل نهب الكويت أمرا مرغوبا فيه لدى بني كعب ، ولقد هدد بنو كعب تجارة الكويت دون ريب ، وهم لم يخشوا بأس اسطولها لانهم كانوا قادرين على الوقوف في وجه اساطيل الشركة الانجليزية ، ومحاربة كريم خان زند ، شاه فارس عندما ضم قواه الى قوى الشركة وحاول عام ١٧٥٩ دون طائل أن يخضع الشيخ سليمان ، شيخ بني كعب (١) ٠ ولقد فشلت حملة تركية انجليزية مشتركة في القضاء على بني كعب والاستيلاء على مدينتهم ، الدروق ، فيما بعد عام ١٧٦٥ ٠

---

(١) Wilson, The Persian Gulf, 184.

وكذلك فان الوهابيين لم يكونوا قد اصبحوا في وضع يسمح لهم بالتحرك نحو شرقي الجزيرة في هذه الفترة ما بين ١٧٦٠ – ١٧٧٥ ، غير انه لا بد من أن نشير الى اوضاع نجد في هذه الفترة حتى نستطيع على ضوء ذلك ان ننهم التحركات الوهابية اللاحقة لهذا التاريخ • كان الوهابيون طوال هذه الفترة منهمكين في توسيع دائرة نفوذهم في نجد ، محاولين في نفس الوقت التوسع شرقا في الاراضي الخاضعة لحكم شيخ بني خالد • غير أن حوادث الفترة ما بين ١٧٥٠ وحتى ١٧٧٠ تبين ان الوهابيين لم يكونوا قد بلغوا مبلغ بني خالد من القوة والمنعة • وقد اشار الى ذلك المؤ رخان النجديان ، ابن غنام وابن بشر ، بكل وضوح عندما ارخا احداث عامي ١١٧١ هـ/ ١٧٥٧ م و١١٧٢ هـ/ ١٧٥٨ م (١) • وعلى الرغم من ذلك فان عبد العزيز بن محمد ، قام بغزوة وهابية على الاحساء عام ١١٧٦ هـ/ ١٧٦٢ م • وكان رد الفعل الخالدي على ذلك هجوما قاده عرعر بن دجين بن سعدون ، شيخ بني خالد على الدرعية ، عاصمة الوهابيين عام ١١٧٨ هـ/ ١٧٦٤ م ، حاول به في مرتين متتاليتين الاستيلاء على الدرعية • ويضيف مؤ لف كتاب لمع الشهاب معلقا على هذا الهجوم ان عرعر لم يتعرض من قبلها للهجوم على الوهابيين طيلة سبع سنوات انتهت عام ١٧٦٤ ، وذلك لان الوهابيين كانوا قد طلبوا السلام ويبدو أن الوهابيين وبني خالد كانوا حريصين على نوع من المصالحة يستمر اطول فترة ممكنة ، غير أن عرعر هاجم الدرعية بعد ان علم بأنها تتعرض لهجوم من قبل دهام بن دواس ، صاحب الرياض وهجوم آخر ، كان يشن على الوهابيين في نفس الوقت وتقوم به قبائل العجمان من اليمن •

ولا ريب أن هذه الحالة المضطربة في العراق وفارس والجزيرة العربية قد مهدت السبيل ، او جعلت من الميسور على فريق من العتوب ان يغادروا الكويت صوب الجنوب لتأسيس مدينة الزبارة ونعني بذلك آل خليفة ومن انضم لهم من عتوب الكويت • وما كنا لنطيل الوقوف عند هجرة آل خليفة هذه لولا انهم

---

(١) ابن غنام ٢ : ٦٤ وابن بشر ١ : ٤٢

عتوب اولا من اهل الكويت ، ولولا انهم لم يرحلوا عن الكويت بمفردهم ، بل صحبتهم فئات أخرى من اهل بلدة الكويت • ولننظر الآن في الاسباب التي ادت الى هذه الهجرة ، ولم اختار المهاجرون الاقامة في الزبارة بقطر •

هجرة آل خليفة من الكويت الى الزبارة

تعزو الرواية المحلية تلك الهجرة الى ما سبق أن أشرنا اليه من خلافات بين بني كعب وبين شيخ الكويت • ذلك أن الخلاف تطور الى مرحلة حدت ببني كعب ان يفرضوا على شيخ الكويت شروطا رآها آل صباح مقبولة وشايعهم بعض العتوب في ذلك ، ورآها آخرون ومن جملتهم آل خليفة غير مقبولة ومن هنا جاءتهم فكرة الهجرة ومغادرة الكويت ، ونحن على الرغم من عدم قدرتنا على الاقتناع بهذا السبب وعلى ما يبدو فيه من وجاهة فاننا نميل الى الاعتقاد بأن هناك اسبابا اخرى حفزتهم الى تلك الهجرة • فالمستر فرانسيس واردن في استعراضه لنشأة العتوب - يقرر ان الكويت بعد ان بلغت درجة عظيمة من التقدم في الخمسين سنة الاولى من عمرها (١٧١٦ - ١٧٦٦) بدا ان سكانها لا بد وان يتشاحنوا فيما بينهم بسبب ذلك التقدم والثراء ، ويمضي الى القول :

« بأن تكدس الثروة جعل الجماعة المسئولة عن التجارة (آل خليفة) فيها (الكويت) يبدون رغبة في الانفصال عن الآخرين لينفردوا بذلك الثراء الناجم عن التجارة »

ويضيف بأن آل خليفة ، كانوا آنذاك تحت رئاسة خليفة بن محمد ، الذي ينتسب اليه آل خليفة اليوم ، وقد اخذ على عاتقه القيام بهذا الدور • فبين لآل صباح والجلاهمة (١) القدر الكبير من الثراء الذي يمكن أن يحصلوا عليه جميعا فيما لو نزل هو وجماعة من العتوب بالمنطقة الغنية باللؤلؤ والواقعة على ساحل الخليج بالقرب من البحرين وقطر ، وفيما لو أنشأوا فيها مركزا للتجارة والغوص

---

(١) يعيش عدد كبير من الجلاهمة الآن في كل من الكويت والبحرين ومنهم النصف •

على اللؤلؤ ومباشرة ذلك بأنفسهم ٠ وقد وافق آل صباح على خطة قريبهم هذا ، ومن ثم ارتحل مع عدد كبير من اسرته الى الجنوب (١) ٠ هذه اذن هي الاسباب التي جعلت خليفة يغادر الكويت ولا ريب أن رواية ا المستر واردن وهو الذي عاش في فترة غير بعيدة عن تلك الهجرة جديرة بأن تنال من الباحث كل تدبر وعناية ٠

ومهما يكن من أمر فإن خليفة وصحبه وجدوا انهم لا بد من ان يغادروا الكويت ويتجهوا في النهاية جنوبا الى قطر ٠
وقع اختيار المهاجرين على الزبارة واتخذوها كموطن لهم ٠ وقبل المضي في وصف المكان ، لنقف قليلا عند القوى التي كانت تحيط به ، والتي كان يمكن ان تؤثر في طبيعة استقرار مهاجري العتوب به ٠ فعلى الرغم من ان المعلومات التي لدينا عن الزيارة نفسها نادرة ، فان الحال تختلف فيما يتعلق بجيرانها ٠ فقد كان يحكم شبه جزيرة قطر آنذاك قبيلة عربية قوية هي قبيلة آل مسلم ٠ ولقد كان آل مسلم المشار اليهم آنفا مقيمين بقطر حين هجرة العتوب منها لاول مرة اثناء ترحالهم في مطلع القرن الثامن عشر ٠ وكان هؤلاء يدينون بالولاء لبني خالد الذين كانـوا ، كما سبق القول ، يسيطرون على شرقي الجزيرة العربية من قطر جنوبـا الى البصرة شمالا ٠ اما العلاقات بين العتوب وبني خالد فكانت لا تزال طيبة وودية عتـد هجرةآل خليفة هذه الى الجنوب ، ولذا لم يلاق العتوب اية صعوبات تذكر عندما نزلوا على ساحل قطر الغربي ٠ والى الشمال من الزبارة تقع جزر البحرين المسماة احيانا آنذاك وقبل ذاك اوال وكانت البحرين تخضع خضوعا مباشرا لحكم عرب بوشهر ٠ اما سكان تلك الجزر فكانوا في معظمهم من أصـل عربـي من عرب الهولة وكانت النفوس الطامحة في الخليج تتطلع الى احتلال تلك الجزر دوما نظرا لغناها باللؤلؤ اولا ثم ببساتين النخيل التي كانت تدر دخلا سنويا قدره مائة الف روبية هندية وكان معظم هذا الدخل يصرف على حامية أوال ٠

---

(١) Bombay Selection, XXIV, 362 - 363.

العلاقات بين الكويت والقوى العاملة في الخليج
(١٧٦٦ - ١٧٧٠)

ولعله من المفيد لدارس تاريخ هذه الفترة أن يتوقف قليلا لكي يتبين الاوضاع السائدة في البلدان المحيطة بالخليج ، حتى يتبين له كيف ساهمت تلك الاوضاع في تسهيل مهمة عتوب الكويت وعتوب الزبارة في الاعـلاء من شأن مدينتيهـم الناشئتين ٠

ففي جزيرة العرب نفسها كان العقد الثامن من القرن الثامن عشر فترة جس نبض بين الوهابيين الذين يدعمون مراكزهم في نجـد وبـين بنـي خالـد حكام الاحساء ٠ ولا ريب أن أي تدهور في اوضاع بني خالد كان لا بد أن يؤدي الى تعرض العتوب في الزبارة والكويت الى خطر محقق يتأتى عن هجوم الوهابيين ٠ لقد سبق أن أشرنا الى أن عريعر او عرعر شيخ بني خالد ، قد هاجم الدرعية العاصمة الوهابية عام ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م ، بعد أن نقض الهدنة القائمة بينه وبين الوهابيين ، مغتنما فرصـة تعـرض الـدرعية لهجوم دهـام بن دواس شيخ الرياض ، ثم لهجوم العجمان من اليمن ولقد بينت هذه الواقعة للوهابيين ان بني خالد سوف يغتنمون أية فرصـة للقضـاء عليهـم ، مهما قام بـين الطرفـين من مواثيق ٠ فكانت اوضاع الوهابيين وبني خالد في هذه الفتـرة ، ما بـين ١٧٦٦ و ١٧٧٠ ، أوضاع المتربص المنتظر الفرصة السانحة للاجهاز على عدوه ، غير أن كلا من الطرفين لم يجد في نفسه انذاك المقدرة على القيام بهجوم مباشر على عدوه ، وعلى ذلك بقي نفوذ بني خالد قويا في شرقي الجزيرة ، واستمر عهدهم الذي كان خير عهد لازدهار التجارة قائما ، وكان لذلك أثر كبير في استمرار فترة ازدهـار العتوب التجارية ، وبالتالي نمو قوتهم البحرية ، اذ لم تتعرض مدينة الكويت لهجوم وهابي مباشر ، الا بعد أن تمكن الوهابيون من القضاء على قوة بني خالد ، في أواخر القرن الثامن عشر .

الحالة في بلاد فارس (١٧٥٠ ـ ١٧٧٥)

سبق أن قلنا في الفصل الثاني ، أن العلاقات كانت قائمة باستمرار بين ساحل فارس الجنوبي ، على الخليج الفارسي وشرقي الجزيرة العربية ، نظرا لان ذلك الساحل كان مأهولا بالعرب الذين كانوا على اتصال دائم بعرب شرقي الجزيرة الذين كانوا بدورهم في حركة مستمرة في اتجاه الساحل الشرقي من الخليج ، حيث كانت هجرتهم الى ذويهم هناك • ولما اراد نادر شاه ان يوطد اقدامه على ساحل الخليج الشرقي ، اعتمد على مشاته الفرس ، ثم لما اراد أن يبسط نفوذه خارج حدود فارس عبر الخليج العربي ، اعتمد على ضباط من الفرس لقيادة سفنه التي كان يسيرها ملاحون من العرب • وهو بهذا قد عمل على ابعاد العنصر العربي من جيشه البري ، واسند اليه اعمالا غير رئيسية في بحريته ، وهذه سياسة كان مآلها الفشل الذريع ، اذ انه لم يستطع أن يفرض تفوقه في مياه الخليج (١) • على أن الفوضى كانت تعم فارس عام ١٧٤٧ عند وفاة نادر حتى عام ١٧٥٧ عند استلام كريم خان زند أعنة الامور في فارس • ان تسلم كريم خان لاعنة الامور • وبسط نفوذه على فارس وتركيز السلطات في يده تركيزا كاملا ، كل هذا جعل أفق علاقاته مع العرب القاطنين في سواحل الخليج من مملكته صافيا ، وقد استمر ذلك الصفاء حتى وفاته عام ١٧٧٩ ، ولقد كانت سياسة كريم خان مع العرب النازلين بفارس ، بخلاف سياسة نادر ، ودية للغاية ، فهو قد طلب منهم العون في كفاحه لتوطيد نفوذه في منطقة الخليج العربي على أن هذا يجب أن لا يعني أن العرب قد تعاونوا مع كريم خان بمحض ارادتهم فهم في الواقع قد سببوا له الكثير من المشاكل • غير اننا قبل أن نخوض في علاقات العرب مع كريم خان ، نرى لزاما علينا في هذا المقام ، ان ندرس اوضاع كبرى القبائل العربية على الساحل العربي من الخليج •

---

(١) علق نيبور على عمله هذا بقوله : ان الجنود العرب من أهل السنة ، وهم بحارة نادر ، فتكوا برؤسائهم الفرس وسلموا الاسطول الى اخوانهم العرب.

قارن **Description de L Arabie, 273**

كريم خان والعرب

ثلاث قبائل عربية هي التي كانت ترسم الخريطة السياسية للجزء الجنوبي من بلاد الفرس في العقد السابع من القرن الثامن عشر • وهؤلاء هم عرب بوشهر ، وحاكمهم آنذاك الشيخ نصر آل مذكور ، وهم عرب المطاريش العمانيين ، ثم عرب بندر ريق ، النازلون الى الشمال من بوشهر والجماعة الثالثة هم بنو كعب ومركزهم الدروق • وبالاضافة الى تلك القوى القبلية الثلاث الكبيرة كان هنالك عرب الهولة النازلون على الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي من الخليج والمنتشرون كذلك في جزائر قشم وقيس وهرمز وغيرها من الجزر الصغيرة المنتشرة في جنوبي الخليج • وعرب الهولة هؤلاء لم يلعبوا دورا كبيرا في الحوادث التي وقعت في العقد السابع من القرن الثامن عشر ، وانما الذي اخذ دورهم هم جماعة القواسم ولما كانت هذه الحوادث لا علاقة مباشرة لها بتاريخ الكويت والعتوب عامة ، فلن نتعرض لها في هذا الموضع من الكتاب •

الشيخ نصر ، شيخ بوشهر

اما عن عرب بوشهر ، فقد احتلوا البحرين عام ١٧٥٣ وكانوا حكام تلك الجزر عندما قدم العتوب الى الزبارة عام ١٧٦٦ • وعندما عبر نيبور الخليج في طريقه من الهند الى أوروبا عام ١٧٦٥ مر ببوشهر وقال ، في معرض حديثه عن الامارات العربية المستقلة على الساحل الشرقي من الخليج ، ان هذه المدينة هي ميناء شيراز ، عاصمة كريم خان زند ، حاكم بلاد فارس وفي عام ١٧٦٣ اقامت شركة الهند الشرقية الانجليزية وكالتها التجارية في بوشهر عوضا عن وكالتها في جمبرون (بندر عباس) ، بعد ان هاجمها الفرنسيون ونهبوها عام ١٧٥٩ • اما عن اصل عرب بوشهر فيقول نيبور :

« ان العرب النازلين في منطقة بوشهر ليسوا من الهولة ، وقد امتازت بينهم ثلاث اسر ، اثنتان منهما كانتا تنزلان ببوشهر منذ أمد بعيد

جدا ، اما الثالثة والمسماة بالمطاريش فقد جاءت مؤخرا من عمان ، حيث كانت تعمل في صيد السمك وسرعان ما تضافرت الاسر الثلاث واستطاعت ان تستولي على زمام الامور في بوشهر». وهو الامر الحاصل حاليا ، وهو لا شك قد تم قبل عام ١٧٦٥ بكثير »

ولم يكن الشيخ نصر يحكم تلك المدينة وجزر البحرين فحسب بل انه كان يمتلك ممتلكات واسعة في « خرم شهر » التي كان يحكمها باسم كريم خان ، الذي لم يكن ليطمئن الى الشيخ نصر إلا بعد ان ترك اولاده رهينة لديه ، ولقد كان من دواعي الغبطة بالنسبة لشيراز ، ان يكون الشيخ نصر حليفهم في مقابل تلك الممتلكات في « خرم شهر » •

ولقد كان للشيخ نصر اسطول تمكن بواسطته من المحافظة على بقاء البحرين خاضعة لنفوذه ، حتى كان احتلال العتوب لها عام ١٧٨٢ •

بندر ريق

والى الشمال من بوشهر قامت مشيخة بندر ريق ، حيث كان شيخها يتمتع بنفوذ يمتد الى ابعد من حدود مدينة بندر ريق والمدن المجاورة لها ، اذ كان يصل حتى اماكن اخرى في « خرم شهر » ولقد عاون شيخ بندر ريق ، عام ١٧٥٣ ، شيخ بوشهر في احتلال البحرين ، وربما كان السبب في ذلك ، انهما ينتميان الى قبائل عمانية ، فأولهما من بني صعب وثانيهما من المطاريش ، اما حاكم بندر ريق ، في العقد السابع من القرن الثامن عشر ، فقد كان مير مهنا ، نجل مير ناصر ، اما من حيث المذهب الديني ، فكان عرب بني صعب من أهل السنة ، وقد كان هذا مذهب جد مير مهنا ، الذي وضع حجر الاساس في نفوذ اسرته ببندر ريق • غير ان مير مهنا نظرا لعلاقاته مع شاه ايران ، رأى انه من الخير له ان يتحول الى مذهب الشيعة وان يتزوج من ايرانية شيعية ، وكانت النتيجة الحتمية لهذا ان اصبح العرب ينظرون الى اسرة مير مهنا على انها فقدت عراقتها وقد لعب ناصر وولده مير مهنا ، دورا بارزا في احداث الخليج العربي ، في الفترة ما بين ١٧٥٣ ، عندما سمح مير ناصر للهولنديين باقامة وكالة تجارية لهم في جزيرة خارج ، وعام ١٧٦٩ ، عندما فر مير مهنا من بندر ريق لاجئا الى

الكويت ، بعد ان اشتد الحصار على جزيرة خارج • وفي خلال هذه المدة ، كان على شيخ بندر ريق ، ان يحارب ضد الهولنديين ، والفرس والانجليز على التوالي ، فبعد ان اقام الهولنديين بخارج مدة قصيرة ، وقع الخلاف بين رئيسهم البارون كنبهاوزن (KNIPHAUSEN) ومير ناصر ، بعد ان رفض الاول ان يدفع للثاني اكثر مما نصت عليه اتفاقية تأجير الجزيرة كوكالة هولندية •

ولقد استمرت تلك العداوة قائمة بين الهولنديين وشيخ بندر ريق حينما تولى مير مهنا مشيخة بندر ريق ، بعد ان قتل والده عام ١٧٥٨ ، ولقد كانت علاقة مير مهنا مع الفرس لا تقل سوءا عنها مع الهولنديين ، غير انه احتفظ بعلاقات ودية مع باشا بغداد العثماني ومع متسلم البصرة • اما علاقة مير مهنا بشركة الهند الشرقية الانجليزية فسنعرض لها فيما بعد •

بنو كعب

والقوة الثالثة التي كان لها شأن كبير فيما يتعلق بتجارة وسياسة الخليج هي بنو كعب ، ان اهمية بني كعب ، بالنسبة لدارس تاريخ الكويت في هذه الآونة تفوق اهمية بني صعب والمطاريش ، وذلك لما كان لهم من علاقات مع العتوب وبني خالد •

أصلهم

سبقت الاشارة الى ان بني كعب يرجعون في اصلهم الى نجد ، ومنها توجهوا في القرن السابع عشر ، على حد قول نيبور ، الى اقصى بقعة تقع في شمال الخليج العربي ، حيث كانت تلك البقعة تخضع لحكم الاتراك الافشار ، وقد بلغت قوتهم شأنا عظيما في منتصف القرن الثامن عشر ، وكان شيخهم آنذاك سليمان ، الذي بلغت شهرته اوروبا ، نتيجه لصراعه مع الانجليز واسره لبعض سفنهم • وقد بقي الشيخ سليمان يحكم في بني كعب حتى عام ١٧٦٦ ، وتمكن اثناء حكمه

من الاستيلاء على مينائي الدورق والفلاحية من الافشار ، ولما كانت الرقعة التي كان ينزل فيها بنو كعب في منطقة كان يتنازعها العثمانيون والفرس ، فقد كان على الحكام من بني كعب أن يراوغوا الطرفين للاحتفاظ باستقلالهم ، وهذا ما فعله الشيخ سليمان ، الذي نجح في الحفاظ علي استقلال بني كعب دون ان يدفع جزية لاي من الدولتين ٠

علاقة العتوب بالقوى الاخرى
في الخليج العربي حتى ١٧٧٥

(أ)الوهابيون :

وهكذا كان على العتوب في الكويت والزبارة ، ان يقيموا علاقاتهم على هذه الصورة او تلك ، مع القوى المشار اليها آنفا ، ففي الجزيرة العربية ، بقي ميزان القوى بين خالد والوهابيين غير مختل ، على الرغم من ان الوهابيين قد حققوا هدفهم الاساسي الرامي الى بسط نفوذهم على نجد ، بعد ان فتحوا الرياض عاصمة دهام بن دواس في سنة ١١٨٧ هـ / ١٧٧٢ م (١) ، مما مكن الوهابيين ان يتوجهوا الى شرقي الجزيرة ، كان بنو خالد لا يزالون متحدين ولديهم القوة لمواجهة أي هجوم وهابي على ديارهم ٠ غير انه بعد موت رئيسهم عريعر سنة ١٧٧٤ نشبت الحرب بين ولديه بطين وسعدون اللذين اختلفا على رئاسة القبيلة ، وانتهت تلك الحروب بمقتل بطين سنة ١٧٧٧ ٠

بقي بنو خالد حتى هذا الوقت على جانب كبير من القوة بحيث كان بمقدورهم أن ينقلوا المعركة دائما الى نجد ، وعلى هذا بقيت الكويت والزبارة ، اي ممتلكات العتوب تنعمان بالسلام والطمأنينة ، غير خاشيتين خطر التدخل الوهابي في شئونها مما جعل تجارتهما تستمر في ازدهارها ٠

---

(١) انظر ابن غنام : ٩٤ - ١٠٠ في هذه الصفحات يبدو الاثر الكبير الذي احدثه فتح الرياض في الوهابيين عامة وابن غنام خاصة حتى أنه خلده بقصيدة طويلة. وانظر كذلك ابن بشر، ١ : ٦٠ - ٦١.

(ب) عرب جنوب فارس :

على أن الخطر الاكبر على المدن العتبية الناشئة ، انما كان مصدره بحريا. فمير مهنا كان قد استولى على جزيرة خارج من الهولنديين عام ١٧٦٥ واستمر يقوم بالقرصنة البحرية في الخليج العربي ، ناهبا السفن المختلفة دون تمييز (١) ، وكذلك كان هناك الخطر القادم من البحرين وكانت البحرين خاضعة لحكم آل مذكور، شيخ بوشهر. ولقد كانت البحرين من اغنى بقاع الخليج ثراء في اللآلىء وتجارتها، ولا شك ان مكان البحرين وحكامها بدأوا يشعرون بخطر المنافس التجاري الجديد أي العتوب، الذين بدأوا يحتكرون، مع عرب مسقط، تجارة الخليج ، لاسيا ما كان منها متجها نحو شرقي الجزيرة العربية ووسطها وكذلك كان لا بد لمدينتي الزبارة والكويت العتبيتين ان تواجها تهديدا خطيرا من عرب بني كعب، على ما سنراه بعد حين.

(جـ) مير مهنا في الكويت، ١٧٦٩ :

كان العتوب قد اقاموا علاقات حسنة مع جزيرة خارج منذ ان احتلها الهولنديون عام ١٧٥٣ ، ولا بد ان هذه العلاقات الطيبة قد استمرت قائمة بعد ان استولى مير مهنا على جزيرة خارج وطرد الهولنديين منها، ولعل هذا يفسر لنا لماذا لجأ مير مهنا الى الكويت بعد ان اشتد عليه حصار كريم خان، ويصف لنا هذه الحادثة الرحالة الانجليزي المعاصر بارسونز فيقول :

« جمع مير مهنا بعض المقربين لديه ، ومعهم عدد من الرجال كافين للابحار بسفينة سريعة، وتم ذلك في ظلام الليل (ولم ينس مير مهنا ان يحمل معه بعض كنوزه) وفي الليلة التالية وصلوا القرين (الكويت) في بلاد العرب ، ومنها

---

(١) انظر الخطاب الموجه من بنجامين جرفيز (وكالة بوشهر التجارية الانجليزية) الى تشارلز كروملن Charles Crommelin ورئيس الشركة في بومباي، والمؤرخ ٥ يناير ١٧٦٥ في الرسالة ٩٠١ مجلد (١٦) من سجلات الوكالات.

توجهوا الى البصرة حيث ظن انه سيكون هناك بمأمن من كل خطر ولا سيما وهو قد كان محافظا على المعاهدة القائمة بينه وبين والي بغداد، الخاصة بعدم تعرضه لأية سفينة متجهة الي البصرة او عائدة منها. وقد أحسن المتسلم استقباله وأكرم وفادته بأعتبار أنه صديق لسيده باشا بغداد (١)

ونحن نميل الى الاعتقاد بأن العلاقات القائمة بين متسلم البصرة وشيخ الكويت آنذاك كانت ودية للغاية، ولقد كان من سياسة رؤ ساء العتوب ان يقيموا علاقات ودية مع مختلف القوى التي تجاورهم، غير ان هذه الصداقة يجب ان لاتعني بحال الخضوع لحكم اجنبي. أما السبب الذي أقام هذه العلاقات الودية بين الكويت والبصرة فهي الزيادة المطردة في قوة بني كعب من ناحية، ثم قوة عرب بوشهر من ناحية أخرى.

(د) بنو كعب :

سبق أن بينا خطر بني كعب المتزايد، وكيف انهم كاوا يشكلون خطرا على نفوذ متسلم البصرة، وعلى تجارة شركة الهند الشرقية الانجليزية فيها، وكيف أن كريم خان، القائم بالحكم في فارس، قد تدخل لحمايتهم عندما بدا أن المتسلم والشركة في طريق اخضاعهم محتجا بأنهم من أتباعه ٠ وكذلك كان الحال مع الشيخ نصر آل مذكور، شيخ بوشهر، اذ كان يتمتع بحماية كريم خان الذي عينه قائدا للاسطول الفارسي في الخليج العربي (٢) ٠ وكما يستطيع العتوب

---

(١) Parsons, op. cit. 196 - 198 يمضي بارسونز في اتمام قصة مير مهنا ورفاقه، فيقول بأن متسلم البصرة قد ارسل بخبر مير مهنا الى باشا بغداد وأفاده بأن مير مهنا يطلب منه الحماية، ويرجو أن يسمح له بالمثول بين يديه في بغداد ولثم اليدين. ولما كان الباشا على علم سابق بجرائم مير مهنا غير الطبيعية، رأى أنه لا يستحق الحياة، فأرسل الى متسلم البصرة يأمره بقتله حال وصول رسالته اليه . . . وبالفعل قام المتسلم بقتل مير مهنا، وعفا عن رفاقه.

(٢) لما لم يكن للفرس اسطول بحري فانهم اعتمدوا في هذا المضمار اعتمادا كليا على اساطيل بني كعب وشيخ بوشهر - وكان ذلك طوال مدة حكم كريم خان - قارن Malcolm, Vol. II., p.141.

درء خطر بني كعب وشيخ بوشهر ، عملوا على كسب صداقة رجال شركة الهند الانجليزية ومتسلم البصرة العثماني ٠ ولما كانت قوة العتوب البحرية لم تكتمل بعد ، فانهم كذلك قد ابقوا على علاقات الود مع عرب بني خالد ، حكام شرقي الجزيرة العربية ٠ غير أن قوة بني خالد لم تحل دون هجوم بني كعب على ميناء القطيف ، وتدميره ونهبه ، وقد كان ميناء هاما من موانيء بني خالد ٠ « وقد عادت سفن بني كعب الى الدورق حاملة غنائم القطيف التي يقال انها كانت وفيرة »[1] ٠ لقد قام بنو كعب بمفردهم بهذا الهجوم على الرغم من انهم كانوا يعملون في تحالف مع شيخ بوشهر منذ عام ١٧٧٠ ، وقد عملوا جميعا كأداة في يد كريم خان ، يحركها حيث وأنى اراد ضد العثمانيين وغيرهم من القوى المتنافسة في منطقة الخليج العربي ، ولعل اوضح مثل على ذلك هو حصار البصرة سنة ١٧٧٥ ٠

طاعون البصرة عام ١٧٧٣

ان ذلك الهجوم على القطيف قد تم في وقت كانت فيه تلك المدينة في دور النقاهة من وباء الطاعون الذي حل بها عام ١٧٧٣ ، منتقلا اليها من البصرة ٠ هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، فان الهجوم تم في اعقاب وفاة عريعر ، امير بني خالد وكان عريعر قوي الشكيمة يخشاه الاعداء ، ولما كان ذلك الوباء قد اثر في الاحداث الجارية في منطقة الخليج تأثيرا غير قليل ، فلا نرى بأسا في الحديث عنه بايجاز ٠

بدأ الطاعون يتفشى في البصرة اولا في مطلع عام ١٧٧٣ بعد ان انتقلت الاصابات به من بغداد ، ولقد كان طاعون بغداد شديد الوطأة على حياة المدينة التجارية ، بحيث أثر فيها تأثيرا بالغا (٢) ٠ ولقد شل الوباء الحركة في البصرة

---

(١) أنظر خطابا موجها من رجال الوكالة الانجليزية بالبصرة مور Moore ولاتوش Latouche وابراهام Abraham الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ١٣ مايو ١٧٧٤ في الرسالة ١٠٧٤ مجلد (١٧) في سجلات الوكالات.

(٢) انظر رسالة من المستر مور والمستر لاتوش والمستر ابراهام بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ اول ابريل ١٧٧٣ رقمها ١٠٥٦ مجلد (١٧) في سجلات الوكالات .

في شهري ابريل ومايو من نفس العام ، ونتيجة لذلك فقد هرب من البصرة من استطاع ، ومن بينهم رجال وكالة شركة الهند الشرقية الانجليزية ، الذين غادروا البصرة الى بومباي تاركين في الوكالة الطبيب رايلي Reilly وقد سبب هرب الكثيرين من البصرة انتشار الوباء في الكويت والقطيف والبحرين ، وكثير من المدن الساحلية في شرقي جزيرة العرب • وعلى الرغم من ان الوفيات في المنطقة الاخيرة كانت اقل من البصرة الا أن عدد الضحايا بلغ نحو مليونين (١) •
ولعله من الجدير بالملاحظة أن خسائر بني كعب والشاطىء الشرقي من الخليج ، كانت ضئيلة للغاية ، والسبب في ذلك انهم قد اتخذوا الاحتياطات الكافية لمنع انتقال اي شخص من المناطق الموبوءة الى بلادهم ، اما وفيات البصرة ، والقرى المجاورة لها ، فقدرت بمائتي الف نفس ، وقد كتب المستر مور ورفاقه بعد عودتهم الى البصرة في تقريرهم الذي ذكروا فيه هذه الوفيات ، كتبوا يقولون :

« لن يبدو في تقريرنا هذا أي شيء من المبالغة ، اذا تذكرنا ان الوفيات اليومية في شهر واحد بالبصرة وحدها ، كانت تتراوح بين الفين وسبعة الاف واخيرا عندما زال المرض في الخامس والعشرين من مايو أصبحت البصرة تكاد تكون خالية من السكان » .

الآثار الناجمة عن الطاعون

ان النتيجة المباشرة لهذا الطاعون كانت تدمير تجارة البصرة تدميرا يكاد يكون كاملا ، وقد افادت من ذلك الموانىء الناشئة على شاطىء الخليج العربي ، والتي تنافس البصرة • غير ان الشاطىء الغربي كان اكبر من نصيب الشاطىء الشرقي فبوشهر على الساحل الشرقي ، كانت تضاءلت في الاهمية التجارية قبل ذلك ، عندما اوقفت شركة الهند الشرقية الانجليزية نشاط وكالتها التجارية بها ونقلته الى البصرة ولكنها كانت تطمع في عودة الانجليز اليها •

---

(١) أنظر رسالة من المستر مور ورفاقه بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ١٦ يناير ١٧٧٤ رقمها ١٠٦١ مجلد (١٧)•

وعلى الرغم من علاقات الود القائمة بين البصرة من ناحية ، والكويت والزبارة من ناحية أخرى ، فان المدينتين العتبيتين قد جذبتا اليهما جزءا كبير من تجارة البصرة. وكذلك استمرت العلاقات الطيبة بينهما وبين الوكالة الانجليزية بالبصرة في نمو مطرد ، وأخذت الوكالة تستأجر سفنها ، وسفنا عربية اخرى لنقل رسائلها الى مسقط ، تلك الرسائل التى كانت في طريقها الى بومباي. غير أن انتقال مركز التجارة الانجليزية من بوشهر الى البصرة بعد عام ١٧٧٠ لم يمر دون مقاومة فارسية شديدة ، فقد بدأ كريم خان يعد الخطط للاستيلاء على البصرة من العثمانيين ٠ لما ادرك متسلم البصرة اهداف كريم خان ، بدأ يعد العدة لتحصين مدينته واعدادها للقاء هجوم فارسي ، وكان يدرك تماما ان أي هجوم فارسي لن يفلح في الاستيلاء على البصرة دون ان يعززه اسطول قوي ، ومن هنا اخذ يقوي اسطوله ليقابل الاسطول الفارسي ففي مطلع عام ١٧٧٤ ، وصل ميناء البصرة سفينتان حربيتان كل منهما مسلحة بأربعة عشر مدفعا ، وكان الباشا قد طلب من الشركة الانجليزية بناءها لحسابه في بومباي ، وقام بتسديد ثمنها الى خزانة حكومتها ٠ اما كريم خان ، فقد جاءه العون البحري من بني كعب وعرب بوشهر ٠ ولقد انهى كريم خان استعداده بحصار البصرة الشهير عام ١٧٧٥ ، ذلك الحصار الذي وجد العتوب انفسهم مشتركين فيه ، ذلك انه كان يصعب على قوى الخليج ان تقف موقفا محايدا في اي صراع يقع في المنطقة بين قوتين او اكثر منهما ، وهذا الصراع قد نشب بين الفرس والعثمانيين ٠ اما عن الاوضاع في الخليج عام ١٧٧٥ ، اي اثناء حصار البصرة فتلك امور سنتناولها بالبحث في وقت لاحق ٠

ومجمل القول أن تأسيس مدينة الزبارة العتبية ، والنمو السريع الذي احرزته تجارة العتوب في الكويت والزبارة ، قد اثار غيرة القوى البحرية الاخرى في الخليج ، لا سيما ما كان منها قائما على الساحل الشرقي ونعني بذلك عرب بندر ريق وبني كعب وعرب بوشهر ٠ اما اقرب هؤلاء الى ارض العتوب في الزبارة فكانوا عرب بوشهر ، ذلك ان البحرين كانت تخضع لنفوذ هؤلاء ٠ ولعل الصراع العثماني الفارسي المتمثل في حصار البصرة عام ١٧٧٥ ، قد جعل العتوب

يزيدون من ثرائهم بعد ان اصبحت موانيهم التجارية آمنة بحكم كونها خارجة عن نطاق ذلك الصراع • ثم ان حرية التجارة في موانىء العتوب كانت عاملا آخر جذب اليها رأس المال التجاري في الخليج • ولقد بدا أنه ليس من اليسير على بوشهر ان تسلم للزبارة والكويت بقصب السبق في ميدان الشراء من تلك التجارة ، وعلى هذا تأزمت العلاقات العتبية مع بوشهر ، وكانت النتيجة حربا خرج منها العتوب منتصرين وضموا الى ممتلكاتهم جزيرة البحرين التي تم لهم فتحها عام ١٧٨٢ •

استمرار ازدهار الكويت وبناء اسطولها ١٧٧٥ - ١٨٠٠

ولعل من ابرز حوادث فترة الربع الاخير من الثامن عشر في تاريخ منطقة الخليج عامة والكويت خاصة، اولا حصار الفرس للبصرة عام ١٧٧٥ واستلاؤهم عليها عام ١٧٧٦ ، ثم ثانيا قيام عتوب الزبارة بمساعدة عتوب الكويت بمهاجمة جزيرة البحرين عام ١٧٨٢ والاستيلاء عليها، وثالثا حركة التوسع الوهابي في شرقي الجزيرة مما ادى الى سقوط دولة بني خالد وتعرض الكويت وغيرها لخطر ذلك التوسع .

حصار الفرس للبصرة :

لكي ندرك أثر حصار البصرة والاستيلاء عليها في تاريخ الكويت خاصة، وتاريخ شرقي الجزيرة عامة، لا بد لنا من تناول ذلك الحدث الهام بايجاز، فهو حدث قد اشتركت فيه القوى العثمانية والفارسية، وكذلك القوى العربية في الخليج بأسره والذي لم يستطع الانجليزا ان يقفوا فيه موقفا محايدا على ما جرت به عاداتهم في أحداث الخليج حتى ذلك الحين، وانما انحازوا الى جانب العثمانيين.

حصار البصرة ، ١٦ مارس ١٧٧٥ - ١٥ ابريل ١٧٧٦

لم تكد البصرة تستيقظ من بلاء الطاعون الذي حل بها عام ١٧٧٣ وفتك بمعظم سكانها ، حتى بدأت الشائعات تروج بأن هجوما فارسيا في طريقه اليها ، وفي بداية ١٧٧٥ بدا أن الخطر يقترب فبدأت المؤتمرات والندوات تعقد في المدينة التي كانت تعيش في حمى جديدة ، فاجتمع سليمان أغا متسلمها مع قبودان باشا وأعيان البصرة والوكيل الانجليزي لكي يتدبروا امر الهجوم الفارسي المبيت •

« ففي اليوم الخامس عشر من يناير عام ١٧٧٥ - كما يقول بارسونز وصلت الانباء من بوشهر ، في فارس ، بأن الجيش الفارسي قد غادر شيراز (عاصمة فارس ، الحالية) ويبلغ في تعداده نحو خمسين الف رجل ويقوده صادق خان (شقيق كريم خان ، حاكم فارس الحالي) وانه يتقدم صوب البصرة وقد عقد العزم على الاستيلاء عليها . وقد أثار هذا النبأ فزع الاهلين بالمدينة » .(١)

اسباب هجوم الفرس على البصرة

اما اسباب الهجوم الفارسي ، فليس هنا محل تقصيها ، غير انه لا بد من الاشارة الى ان من اهم اسبابه انما كان ذلك النجاح التجاري الذي احرزته البصرة ، بعد انتقال نشاط شركة الهند الشرقية الانجليزية اليها ، في العقد السابع من القرن الثامن عشر ، وبالتالي كان انهيار تجارة بوشهر محتوما ، وكان هذا من اهم أسباب « توتر العلاقات بين الباشا والحاكم » •

وخلاصة القول في هذا الصراع ان كريم خان ، بعد ان واجه صعوبات داخلية في بلاده ، وبعد ان نقم على البصرة ذلك التقدم التجاري ، رأى ان يقوم

---

(١) كان بارسونز شاهد عيان للحصار وقد شارك بالفعل في درء الهجوم الفارسي مع رجال وكالة شركة الهند الانجليزية بالبصرة.

بحملة ضدها ، محتجا بأن والي بغداد قد فرض ضرائب على حجاج كربلاء من الفرس ، ولذا طالب برأسه ٠

وصول الفرس البصرة (١٦ مارس ١٧٧٥)

في السادس عشر من شهر مارس عام ١٧٧٥ وصل الجيش الفارسي بقيادة صادق خان ، شقيق كريم خان « الى خور حويزة حيث تقع مدينة سويب » ٠ ولقد استمر الحصار مدى ثلاثة عشر شهرا ، سلمت بعدها المدينة لصادق خان في منتصف ابريل ١٧٧٦ ٠

حلفاء طرفي النزاع

وفي هذا الصراع وجد طرفا النزاع الحلفاء من نزلاء منطقة الخليج ، فالى جانب الفرس ، انحاز العرب النازلون بشاطىء الخليج الشرقي ٠ ويبدو ان عرب بوشهر بزعامة الشيخ نصر قد امدوا جيش الفرس بما يحتاجه من مؤ ن وذخائر ، ولولا ذلك لما كانت لديه القدرة على الحصار ٠ ثم ان شيخ بند ريق ، قد مد يد العون للجيش المحاصر ، وهذا يدل على ان علاقاته انذاك كانت طيبة مع الفرس ٠

وكذلك انحاز الى صف الفرس بنو كعب ، ولا شك ان سفنهم كان بمقدورها ان تلعب دورا هاما في ذلك الحصار سواء انضمت الى الفرس او الى العثمانيين ٠ ويبدو أن كريم خان كان قد عقد اتفاقا مع بني كعب لكي يقفوا بجانبه في ذلك الحصار ، ذلك أن صادق خان قد عبر الى البصرة من اراضي بني كعب ، وقد عسكر كذلك في سويب وهي من ممتلكاتهم ٠ وخلاصة القول ان العرب النازلين بالساحل الشرقي من الخليج قد وضعوا كل قواتهم في خدمة الفرس في هذه المعركة ٠

حلفاء العثمانيين

واما في الجانب العثماني ، او بلغة ادق بجانب سليمان أغا ، متسلم البصرة فقد وقف شيخا عرب المنتفق وهما ثامر وعبدالله ، يردان المهاجمين ٠ وقد ظهر منذ البداية ان تعاون المنتفق مع سليمان أغا أمر ضروري للغاية لدرء او وقف خطر الحصار الفارسي ٠ وقد عمل المنتفق جنبا الى جنب اثناء الحصار مع بني خالد ،

في تمكين قوافل المؤ ن من الوصول الى المدينة المحاصرة • وكذلك هب لنجدة المدينة المحاصرة في شهر اغسطس ١٧٧٥ أسطول مسقط ، وكان ذلك بناء على طلب من المتسلم ، بلغ ذلك الاسطول البصرة ، بعد ان شق طريقه عبر شط العرب يوم ١٤ اكتوبر ١٧٧٥ ، وورد في التقارير بانه كان عونا كبيرا للمدينة المحصورة • وبالاضافة الى هؤ لاء الحلفاء من العرب استطاع سليمان أغا أن يكسب الى جانبه وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية بالبصرة • وقد عملت الوكالة جاهدة في سبيل رد الهجوم الفارسي •

« وقد صادف عند هجوم الفرس على البصرة ، ان كان يرابط في شط العرب قطع من السفن الحربية التابعة لحكومة بومباي الانجليزية غير بعيد عن ميناء البصرة ذاته وكانت هذه القطع تشمل السفينة الحربية « الانتقام » المسلحة بثمانية وعشرين مدفعا ، وكذلك « النسر »، ستة عشر مدفعا ، والنجاح ١٤ مدفعا ، هذا بالاضافة الى سفينتين حربيتين اخريين ، كل منهما مسلحة باربعة عشر مدفعا ، وكانتا قد بنيتا في بومباي لحساب باشا بغداد ، وكان يقودهما انجليزيان يعملان في خدمه شركة الهند الشرقية الانجليزية ، وعليهما بعض البحارة الانجليز وبحارة اخرون عثمانيون ، وكانتا ترفعان الاعلام الانجليزية • وهكذا فان رجال الوكالة التجارية الانجليزية والسفن الحربية الانجليزية ، قد تعاونوا مخلصين مع المتسلم طوال الفترة التي عملوا فيها الى جانبه ضد الفرس ، وحتى انسحابهم اخر الامر من ميدان المعركة (١) •

موقف الكويت

أما عن موقف عتوب الكويت من حصار البصرة ، فذلك أمر يصعب الجزم به ، فبارسونز أورد اسم الكويت مرتين عند ذكر حصار البصرة ، اولاهما عندما طلب الى سفينتين حربيتين تابعتين لباشا بغداد التوجه نحو مينائها بعد ظهر اليوم الثالث عشر من ابريل والثانية عندما شاهد ، وهو برفقة السفينة الحربية ، « النسر » ومركبين حربيين للباشا ، وكان الركب في طريقه الى بوشهر ، عندما

---

(١) أنظر Parsons, 181

شاهدوا قاربين قادمين من بوشهر ، ومتوجهين الى الكويت ذلك ان جميع الاتراك والعرب ممن كانوا على ظهر سفينتي الباشا والبالغ تعدادهم مائتين وثلاثين رجلا ، قد غادروهما الى الجلبوتين قاصدين الكويت • ويستدل من رسالة بعث بها وكلاء شركة الهند الشرقية الانجليزية بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن ، أن شيخ الكويت قد سلم ذينك المركبين العثمانيين الى شيخ بني كعب ، بناء على طلب من الاخير • وتضيف نفس الرسالة ان الشيخ قد ارسل جماعة قوامها مائتا رجل ، لمساعدة صادق خان ولم يكن ذلك الارسال عن طيب خاطر •

وعلى الرغم من هذا الموقف الغامض الذي وقفه عتوب الكويت تجاه مشكلة البصرة ، فانه لا يصعب علينا ان نفسر العلاقات الودية تجاه المتسلم ، والتي كان يكنها له شيخ الكويت ثم كذلك المساعدة التي ارسلها الشيخ نفسه لتأخذ جانب صادق خان في المعركة فعتوب الكويت ، على ما يبدو ، أرادوا أن يخطبوا ود الجانبين المتصارعين في بداية المرحلة ، عندما لم يكن بمقدورهم ان يتبينوا من سيكون الظافر في القتال • غير انهم سرعان ما اتخذوا موقفا عدائيا من انصار الفرس ، وذلك للعداوة التقليدية بينهم وبين بني كعب ، ثم للعداوة المستجدة بينهم وبين شيخ بوشهر ، على ما سنراه مفصلا فيما بعد •

أثر حصار واحتلال البصرة على الكويت والزبارة (١٧٧٥ - ١٧٧٩)

ان الظروف التي احاطت بحصار البصرة واحتلالها من لدن فارس ، قد كان لها اثر بعيد في الاحوال الجارية بالكويت والزبارة • ففي المقام الاول ، قامت العلاقات المباشرة بين ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية في الخليج والكويت • ثم اصبحت الكويت كذلك محطة رئيسية للقوافل الناقلة للبضائع من البصرة الى حلب طوال فترة الحصار والاحتلال اي ما بين ١٧٧٥ و ١٧٧٩ • ونظرا لسوء العلاقات بين الفرس والانجليز في هذا الوقت فان البضائع المشحونة لحساب شركة الهند الشرقية من الهند الى حلب ، والتي كان من الممكن ان تنقل الى بوشهر فالبصرة ، أصبحت تفرغ في الزبارة او في الكويت ومنها تحملها القوافل الى

حلب متجنبة البصرة • ولقد ادى ذلك الى تكدس ثروات طائلة في المدن العتبية ، وهذا ادى بدوره الى اثارة غيرة القوى العربية في الخليج ، ولا سيما بني كعب وعرب بوشهر ، وهي غيرة قديمه في اصولها ، لكن الوضع الجديد زادها حدة ، عما كانت عليه من قبل • غير انه لم يكن باستطاعة هؤلاء ايقاف تأسيس العلاقات البريطانية الكويتية •

بداية العلاقات البريطانية الكويتية عام ١٧٧٥

يقول لورمر (١) « ان التاريخ المدون للعلاقات البريطانية الكويتية يبدأ عام ١٧٧٥ ، عندما بدأ البريد الانجليزي القادم من الخليج الى حلب ، نتيجة لهجوم الفرس على البصرة ، يرسل من الكويت بدلا من الزبير » •

وعلى الرغم من ان الفرس لم يحتلوا الزبير الا عام ١٧٧٨ ، أي بعد ان وقعت البصرة في ايديهم بنحو عامين ، الا ان بريد الصحراء الانجليزي ، التابع لشركة الهند الشرقية الانجليزية ، كان يرسل من الكويت منذ منتصف عام ١٧٧٥ •

الطريق الصحراوي

كان لهذا الطريق الصحراوي مقام خاص في نظر شركة الهند الشرقية الانجليزية ، فاهميته لم تنحصر في انه سبيل البريد الذاهب الى الهند والقادم منها ، بل انه كان يخدم ايضا اغراضا تجارية • ولقد كان السبب الاول هو الذي اكسب الكويت اهمية من وجهة نظر الوكالة الانجليزية بالبصرة ، ولم تمض اربعة اشهر على بدء حصار الفرس للبصرة عام ١٧٧٥ ، حتى كانت الرسائل الانجليزية ، القادمة مع البريد الصحراوي تسلم في الكويت • ولقد جرت العادة عند الوكالة الانجليزية بالبصرة ان تؤجر رجال بريد الصحراء السريع في الزبير ، ولكن حين وقع الاختيار على الكويت للقيام بتلك المهمة بعد الحصار الفارسي ، اصبح اولئك الرجال يختارون فيها • غير ان البريد في الكويت لم ينتظم في البداية ، وربما كان مرد ذلك الى ان الشركة لم يكن لها ممثلون في الكويت ومن هنا نبع الاقتراح الرامي الى تعيين ممثل يقيم بالكويت ، للقيام بهذه

---

(١) أنظر LOORIMER, Gazetteer of the Persian Gulf, I,i,p.1002

المهمة ، وهي تسلم الرسائل الواردة الى ذلك الميناء والصادرة منه • هذا ولما لم يتواجد بالبصرة الشخص الذي يمكن ان يوكل اليه القيام بهذه المهمة في يولية سنة ١٧٧٦ ، كلف المستر لاتوش ، الوكيل بالبصرة ، كلف الليفتنانت توبس قبطان السفينة « المخيفة » القيام بهذه المهمة واتخاذ الاجراءات الكافية في الكويت • ولقد بقى ارسال البريد الصحراوي عن هذا الطريق مستمرا طوال فترة احتلال الفرس للبصرة •

اما فيما يتعلق بالمسائل التجارية ، فالظاهر ان الكويت قد حلت المشكلة التي واجهتها الشركة الانجليزية ، فيما يتعلق بتصريف بضائع الهند في بلدان الشرق الاوسط بعد احتلال البصرة • وقد كشف عن هذه الحقائق التجارية والحالة في الكويت خطاب وجهه القنصل البريطاني في حلب بتاريخ ١١ يونية ١٧٧٦ الى المستر لاتوش بالبصرة ، وقد ضمنه الاخير خطابا وجهه الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٤ يولية ١٧٧٦ •

يقول لاتوش في خطابه :

« ان القنصل بحلب ، في خطاب وجهه الينا بتاريخ ١١ يونيه ، قد دون الفقرة التالية :

« ان بضائع الهند وسورت لا تزال تلقى رواجا في هذه المدينة • علمت أن سفينتين قادمتين من تلك الجهات قد وصلتا الى بوشهر - اذا كان بالامكان بقاء القرين (الكويت) محايدة فانه يمكن للقوافل ان تسافر اليها وان تحمل البضائع منها الى هذا المكان (حلب) ، ذلك انه ما دامت الحرب في البصرة ستطول فانه لابد للتجار من ان يهجروها ، الا اذا استطاعوا ان يجدوا مكانا قريبا منها ، يستطيعون ان يمارسوا نشاطهم فيه • يبدو ان القرين ذات موقع جيد يمكنها ان تكون خلفا للزبير ، غير ان هذا سوف لن يتأتى من دون بقائها مستقلة ، لانها اذا وقعت في حوزة الفرس ، فان التجار سيتعرضون للمخاطر لو ارادوا نقل البضائع منها ، ذلك ان الباب العالي لن يسمح بمثل ذلك النقل حتى للاوروبيين ، ولذا فانه من مصلحة التجار ، الذين يعملون معكم ،

ان تبقى القرين تحت سلطات حكامها الحاليين من بني خالد مستقلة عن الفرس ٠

هذا واضاف المستر لاتوش الى خطاب القنصل ما يلي :

« اننا ندرك تماما ان بدء اتصال بري مع حلب وبغداد على هذه الشاكلة من القرين ان كان ذلك عمليا ، لهو حدث نتطلع اليه بكل شوق ، ذلك انه سيمدنا بمخرج لبضائع البنغال وسورت المكدسة حاليا في بومباي ، التي تنتظر الشحن الى تجار البصرة ٠ ان القرين ما زالت بعيدة عن عبث الفرس ٠ نحن لا نعتقد بأن التجار « سيرسلون بضائع عبر الصحراء ما دامت الاحوال غير مستقرة في هذه المنطقة في الوقت الحاضر (١) ٠»

لم تمض مدة قصيرة حتى تحقق ما كان يتوقعه القنصل البريطاني في حلب ، فالكويت بقيت بعيدة عن عبث الفرس اولا ، ثم سارت القوافل ناقلة التجارة بينها وبين حلب ٠ ولقد كانت هذه القوافل غير آمنة في عبورها الصحراء ، فالفرس الذين كانوا قد احتلوا البصرة اخذوا يحرضون بدو الصحراء على مهاجمتها ، ففي ابريل ١٧٧٧ هاجم عرب المنتفق وكان شيخهم هو ثامر ، هاجموا قافلة متجهة من الكويت الى بغداد ٠ وكان ثامر هذا قد اعترف بسلطة الفرس على البصرة ، وبالتالي عمل على كسب مرضاتهم في الهجوم على تلك القافلة ، غير ان بني خالد ردوا المهاجمين ، واستمرت القافلة في طريقها الى بغداد ٠ وامام ذلك الخطر من بدو الصحراء ، كانت القوافل تلجأ احيانا الى تغيير خط السير المعتاد ، حتى تتجنب الهجوم المفاجيء عليها ، وتسافر الى الكويت وبغداد في أمان ٠ وقد كانت تلك القوافل احيانا تنقل كميات كبيرة من البضائع ، وكانت

---

(١) من لاتوش بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن في الرسالة رقم ١١٢٧ مجلد (١٧) بتاريخ ٢٤ يولية ١٧٧٦ في سجلات الوكالات. يجب أن لا يفهم من رسالة لاتوش أن القوافل لم تكن تسافر قبل سنة ١٧٧٥ ما بين الكويت وحلب. ففي سنة ١٧٥٨ تحدث الرحالة آيفز Ives عن قافلة من خمسة آلاف جمل، كان ينوي السفر برفقتها من الكويت الى حلب.

البضائع تتكدس في الكويت ، بعد ان تصلها من مسقط وبوشهر ٠

ولقد كانت التجارة الانجليزية مع العراق والبصرة تئن من ثقل الاعباء التي القاها حكام بوشهر والبصرة عليها ٠ وتقول احدى رسائل لاتوش وزميله ابراهام :

اننا في بوشهر نتعرض لنفس الضغط الذي نتعرض له في البصرة ٠ فالشيوخ في بوشهر يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة من شئون التجارة بالميناء ، حتى ان التجار المقيمين بها يرون ان لا طائل من وراء تجارتنا في تلك المدينة ، ومع ان تجارتنا في البصرة الان بائسة حقا ، غير انها تفوق بكثير تجارتنا في بوشهر» ٠

وعلى هذا فكر موظفو الوكالة التجارية الانجليزية في اختيار مكان يخلف البصرة وبوشهر كمركز لوكالتهم ٠ وبدا ان الكويت مكان مناسب ٠ غير انهم خشوا «ان يلقوا فيها نفس المعاملة» التي كانوا يلقونها في بوشهر والبصرة ، ثم هم بالاضافة الى ذلك ، كانوا يخشون انهم هناك سيكونون عرضة للفرس ، الذين بدون شك سينظرون الى اقامتنا بالكويت بعدم الرضا وسيلقون في وجهنا بكل العراقيل الممكنة ٠ وعلى هذا لم يكن هناك امامهم سوى جزيرة خارج ، حيث بدا لهم انهم قد يتجنبون فيها تلك العراقيل (١) ٠

ومهما يكن من امر ، فانه في الحادي عشر من شهر نوفمبر سنة ١٧٧٧ ، قامت السفينة (النسر) التابعة للشركة الانجليزية بزيارة للكويت ، وذلك بقصد كتابة تقرير عن المكان ٠ وقد جاء في ذلك التقرير ان الميناء صالح لرسو السفن ، وان المدينة مسورة ، وانها تستقبل القوافل وتتمتع فيها نوع من الامان وان يد الفرس الجشعة لم تصلها ٠ ومضى المستر لاتوش وابراهام ليقولا :

« في المستقبل يمكن لسفن الشركة المتجهة الى البصرة ان تأخذ مرشديها في النهر (شط العرب) منها (اي من الكويت) ، وذلك في

---

(١) أنظر الرسالة ١١٤٤ المجلد (١٧) والصادرة عن البصرة من لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين بتاريخ ١٠ يوليه ١٧٧٧ في سجلات الوكالات.

حالة ما اذا اغلق ميناء بوشهر في وجهها ، او اذا استمر شيوخه سادرين في ما هم عليه من تعنت بخصوص مرشدي سفنكم او كما اعلمنا الرئيس الموقر والمجلس في رسالتنا المؤرخة ٢٤ ديسمبر ، والمرسلة مع (السفينة) النسر ـ اذا ارادوا في اي وقت بعد الآن ان يرسلوا لجنابكم عن طريقنا طردا خاصا يستلزم ارساله السرعة ، اذ عندها يتوجه المركب الى الكويت مباشرة ومن هناك يصلنا في بضعة ايام مبكرا بطريق البر ، لا سيا اذا كانت الريح البحرية غير ملائمة» (١) ٠

ولقد كانت المسافة بين الكويت والبصرة تقطع في ثلاثة ايام ، بينما كانت المراكب تحتاج احيانا الى ٢٠ يوما او يزيد ، في قطع المسافة ما بين مصب شط العرب والبصرة وذلك عندما تكون الريح شمالية غربية ، وعلى هذا فقد كانت الكويت ذات فائدة كبرى للبريد الصحراوي ، وكذلك ساعدت مساعدة كبيرة في نقل بضائع الهند الى اسواق سوريا واقطار الشرق الادنى الاخرى واوروبا ٠ ومع ذلك فأن تأسيس وكالة تجارية بريطانية هناك ، لم يتم الا بعد خمس عشرة سنة بعد هذا التاريخ ، اي عام ١٧٩٣ ، عندما انتقلت الوكالة التجارية البريطانية من البصرة الى الكويت ، لاسباب سنعالجها فيما بعد ٠

وهكذا فانه نتيجة للكوارث التي حلت بالبصرة والزبير ، وكنتيجة للسياسة الحكيمة التي انتهجها الشيخ عبدالله الصباح ، وهي المحافظة على حياد مدينة الكويت ، فان الكويت قد استمرت في الانتعاش ، ثم ان علاقته الطيبة بكبرى القوى التجارية الاوروبية في الخليج ، الا وهي شركة الهند الانجليزية قد استمرت ودية ٠ والواقع ان الشيخ كان أحد الرؤساء العرب في المنطقة الذين

(١) انظر الرسالة ١١٥٢ المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة بتاريخ ١٤ يناير ١٧٧٨ من لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين بلندن في سجلات الوكالة ٠

اعتادت الشركة الانجليزية ان تقدم لهم الهدايا (١) • ومهما يكن من امر فان تلك العلاقات قد اعترضتها صعوبات كادت ان تقضي عليهـا ، لولا الحكمـة السياسية التي امتاز بها رجال الوكالة التجارية الانجليزية بالبصرة •

الانجليز يلقون القبض على ضابط فرنسي في الكويت (١٧٧٨)

فقد حدث عام ١٧٧٨ ، ان بلغ مسامـع رجـال الشركة بالبصرة ، وصـول ضـــابط فرنسي الى الكويت ، فتوجـــه المستـر ابراهـام احـد رجـال الوكالـة التجارية بالبصرة ، من بوشهر الى الكويت ، على ظهر الطراد « النسر » فوصلها بعد ٢٠ ساعة • اما الكابتـن دي بورج ، الضابـط الفـرنسي ، فقـد كان يقيـم بالمدينة ضيفا على الشيخ عبدالله آل صباح • كان ذلك الضابط الفرنسي يحمـل رسائل سرية الى الفرنسيين في كل من بوند شيري وجـزر الموريشياس • وكان قادما من حلب الى الخليج عندما اعترضته في الصحراء ، وعلى مسيرة خمسة عشر يوما من البصرة ، جماعة من البدو وهددته بالقتل فاضطر الى اطلاق النار دفاعا عن النفس ، وقتل احد افراد الجماعة • وعندما هجموا عليه بالسيف واصابوه بجرح بالغ في الرأس ، طلب الحماية من اكبر المهاجمين ، ووعده بان يدفع له مائة جنيـه استرلينـي ، شريطـة ان يوصلـه الى الـكويت سالما • وعندمـا وصـل الكويت ، استطاع ان يقترض المبلغ المطلوب من تاجر ارمني كان يسكن ذلك البلد ، بعد هذا كتب الكابتن دي بورج الى المسيو روسـو **Rousseau** القنصـل الفرنسي بالبصرة ، يطلب منه ان يمده بوسيلة لاكمال رحلته الى بوند شيري وأن يدفع للتاجر الارمني المبلغ الذي وعده به • رفض القنصل الفـرنسي ان يدفـع المبلغ ، وعندها اخذ حامل الرسالة العربي تلك الرسالة الى الوكالـة التجـارية

---

(١) اعتاد وكلاء الشركة ان يحلوا مشاكلهم في هذه الانحاء عن طريق علاقاتهم الشخصية بالحكام • وقد حدث في سنة ١٧٨٩ ان طلب الى المقيم البريطاني بالبصرة ان يتدخل لحل المشكلة الناجمة عن لجوء الشيخ ثويني رئيس المنتفق الى الكويت ، هربا من متسلم البصرة ، ولا شك ان هذا الطلب قد وجه الى المقيم البريطاني نظرا لما كان له علاقات طيبة مع شيخ الكويت •

البريطانية بالبصرة ، وهكذا عرف رجالها بخبر المسيو دي بورج (١) ٠

وهكذا فان مشكلة صعبة قد برزت للعيان لان تقريرا كان قد وصل البصرة يفيد بان الحرب قد اعلنت بين فرنسا وبريطانيا ، وعلى هذا فان رجال الوكالة البريطانية كانوا يعتقدون بان واجبهم كموظفين بريطانيين يعملون في الخارج ان يلقوا القبض على المبعوثين الفرنسيين (٢) ، ولكنهم من ناحية اخرى شعروا بان النتائج تكون وخيمة العواقب بالنسبة للمقيم البريطاني المستر لاتوش اذا اتخذ اجراء للقبض على دي بورج معتمدا على معلومات قد لا تكون صحيحة ، وقد كانت العقبة الرئيسية التي تقف في وجه تنفيذ اوامر المقيم البريطاني الى المستر ابراهام هي معارضة شيخ الكويت ، الذي كان يعارض بشدة القاء القبض على شخص بضيافته ، هذا على الرغم من صداقة الشيخ للبريطانيين ٠ ومهما يكن من امر فان اعتراضات الشيخ قد تغلب عليها ، في الغالب نتيجة لاقتناعه بان المسيو دي بورج كان شخصا محتالا ، يريد ان يتخلص من دينه ٠ وقد سيق المسيو دي بورج والرسائل التي كان يحملها الى الطراد « النسر » فوصل البصرة ومنها ارسل سجينا الى بومباي (٣) ٠

---

(١) يصف بريد جز Brydges في كتابه Wahauby ص ١٧١ ـ ١٧٤ ، هذه الحادثة بتفصيل ٠ وهو في تفصيله ذاك يتفق مع ما اورده الكابتن Capper ٠ اما الاخير فقد قابل دي بورج في ميناء مسقط ، عندما كان دي بورج عائدا من الهند الى فرنسا عن طريق البصرة ٠

انظر . Capper's Observations, pp. 99 - 104

وقد قص نفس القصة بنوع من التفصيل ، المستر ابراهام نفسه انظر : الرسالة ١١٦١ المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة من ابراهام الى مجلس المديرين بتاريخ ٧ نوفمبر ١٧٧٨ ٠

(٢) انظر : Brydges, 175

(٣) ان الرسائل التي كان يحملها المسيودي بورج قد ظلت دون حل لرموزها ، ذلك انه قد نجح في اتلاف مفتاح الشيفرة ٠ على ان دفتر يومياته ، وبعض الرسائل الاخرى التي كان يحملها ، قد كشفت كثيرا من الخطط الفرنسية ٠

لقد شعر المستر لاتوش بان اعماله تلك ، تحتاج الى ما يبررها امام رؤسائه فكتب بعد وقوع الحادث ببضعة ايام الى مجلس المديرين بلندن يقول ، (١) :

« لقد كنا على علم تام بما تنطوي عليه مغامرتنا في محاولة اعتراض سبيل (المراسلات الفرنسية) ولكننا اعتقدنا ان واجبنا تجاه بلادنا في مثل ذلك الظرف الحرج ، يملي علينا ما قمنا به • نحن لا نشك بان ما قمنا به هو على جانب كبير من الاهمية ، بالنسبة لشئون الهند ، لا سيما وانه لم يسبق لرؤسائنا هناك ان قد بلغهم نبأ اعلان الحرب • بل ربما وضعنا امامهم بعملنا هذا ، نوايا الحكومة الفرنسية فيما يتعلق بالهند •• (٢) •

وبينما كان الكولونيل جيمس كبر **Capper** (٣) متوجهاً الى الهند عن طريق

---

(١) لعله من الطريف ان نورد رأي السير هارفورد جونز بريدجز في الشيخ عبدالله آل صباح ، وذلك بعد ان رفض الشيخ تسليم ضيفه دي بورج الى المستر ابراهام ، وبعد ان رفض تقبل الهدايا والرشاوى التي قدمت له من الوكالة البريطانية.(The Wahauby , pp. 175 — 176)

يعلق بريد جز على مسلك الشيخ قائلا : « وهكذا فان حب الشيخ للعدالة لا جشعه هو الذي دفعه لسلوك السبيل الذي سلكه »• انظر المرجع السابق ص ١٧٦ •

(٢) وفي نفس الرسالة أضاف ابرهام ولاتوش ما يلي :

«« لايسعنا الا أن نهنيء انفسنا على حسن الحظ الذي رافق المستر ابراهام عند استيلائه على الطرود فلو أنه لم يقم بهذه الرحلة الفريدة، لاستطاع المسيو دي بورج الهرب فقد كان قد قرر مغادرة الكويت في الصباح التالي للمساء الذي وصل فيه المستر ابراهام، وكذلك لو أن المستر ابراهام لم يأخذ شيخ الكويت على حين غرة، لما تيسر له عمله، فلو أنه أعطى الشيخ أقل وقت للتفكير، لمنعه من القاء القبض على دي بورج بحجة واجبات الضيافة العربية، دون ريب. « انظر رسالة صادرةبتاريخ نوفمبر ١٧٧٨ من لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين في سجلات الوكالات، المجلد رقم (١٧).

(٣) Capper, **Observation**, pp 99—101 وصل الكابتن دي بورج البصرة قادما من بومباي على ظهر السفينة « النجاح Success بعد أن وعد السلطات هناك بان لا يعود الى الهند. انظر الرسالة ١٦٥ في المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة عن لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٣ فبراير ١٧٧٩ في سجلات الوكالات.

الخليج العربي قابل الكابتن دي بورج وهو في طريقه الى اوروبا في مسقط في ٢٤ يناير ١٧٧٩ م ، وكان حاكم بومباي قد اطلق صراح دي بورج ، وسمح له بالرجوع الى فرنسا متبعا الطريق الصحراوي ٠ ولقد اورد كبر قصة دي بورج مع رجال الوكالة في البصرة في كتابه ٠

قوة العتوب البحرية ١٧٨٠ - ١٧٩٠

ان الحرب بين فرنسا وانجلترا قد اكسبت الكويت والزبارة اهمية خاصة ، ذلك ان الفرنسيين قد ارسلوا اسطولا قويا الى الخليج العربي ليعترضوا بريد شركة الهند الشرقية الانجليزية ، وليهاجموا السفن الانجليزية ايضا ٠ والواقع ان الفرنسيين لم يكتفوا بمهاجمة السفن الانجليزية من اجل هدفهم ذاك ، بل تعدوها الى السفن الاخرى ٠

وعلى هذا فقد رأت الشركة الانجليزية انه من الاسلم لبريدها ان يسافر مع المراكب العربية ٠ وقد افادت الكويت والزبارة من ذلك النقل الذي شمل الى جانب البريد الرجال وكانت طريق البريد تمر عبر الخليج العربي ، وكذلك عبر الطريق الصحراوي من مسقط الى حلب (١) ٠ ويبدو ان الكويت والبصرة قد اتخذتا من قبل حملة البريد ، وكذلك من قبل المسافرين ، كمحطتين ٠

العداوة بين العتوب وبني كعب وعرب بوشهر وبندر ريق

ان تحول النشاط التجاري الى ساحل الخليج العربي ، من بعد ان كان في الساحل الشرقي لم يكن ليسر المراكز التجارية على الساحل الاخير ٠ لقد سبق ان بينا القول انه كان من بين الاسباب التي جعلت الفرس يهاجمون البصرة ، تحول نشاط شركة الهند الشرقية الانجليزية الى وكالتها في البصرة ، مفضلة تلك

---

(١) انظر الرسالة ١١٦١ المجلد (١٧) من لاتوش وأبراهام إلى مجلس المديرين الصادرة عن البصرة بتاريخ ٢١ أكتوبر ١٧٧٨ في سجلات الوكالات. في نهاية شهر سبتمبر ١٧٧٨ وصل الكويت قادما من حلب المركيز كلرن Calern الفرنسي مع احدى القوافل الصحراوية. كان المركيز ينوي السفر من الكويت الى الزبارة بنية أن يركب البحر من الاخيرة الى مسقط. ويبدو انه كان ضابطا فرنسيا من بوند شيري. (المصدر السابق).

المدينة على بندر ريق وبوشهر وبندر عباس وكذلك سبق ان بينا ايضا ان الفرس كانوا يعتمدون في عملياتهم البحرية على العرب النازلين على الساحل الشرقي للخليج .

ولقد كان لوفاة كريم خان سنة ١٧٧٩ ، ثم لعدم وجود اية قوة سياسية كبرى تفرض نفوذها على الخليج ، كان لكل هذا اثر كبير في اعطاء عرب الخليج الفرصة المناسبة للتمتع باستقلالهم . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا انه منذ هذا الوقت يمكننا ان نؤرخ سقوط النفوذ الفارسي في الخليج (١) وحوالي هذا الوقت اخذت اهمية الخليج تزداد ، ذلك لان الباب العالي ، قد اصدر فرمانا يحرم بمقتضاه على السفن المسيحية ان تتجر مع السويس (٢) . ولقد اكسب هذا الفرمان موانىء الخليج العربي اهمية فائقة اذ جعلها المراكز التي تصدر منها بضائع الهند والشرق الى حلب واسطمبول . ولا بد ان الكويت قد استفادت من هذا الفرمان وكذلك قل عن الزبارة .

اسباب ظهور قوة عتوب الكويت البحرية

ان هذا الظهور لقوة عتوب الكويت البحرية يرجع الى عدة عوامل ويأتي في المقام الاول ان العتوب كانوا تجارا ، وعلى هذا فانهم كانوا يزيدون من سفنهم التجارية كلما نمت تجارتهم ، وانه لا مجال للشك في ان هذه التجارة على الرغم من اننا لا نعرف كميتها بالضبط ، قد نمت بعد حصار الفرس للبصرة ، ذلك الحصار والفتح الذي دام منذ عام ١٧٧٥ حتى ١٧٧٩ . ان هذه الزيادة في السفن التجارية العتبية ، لا بد وان يكون قد صحبها زيادة في السفن الحربية ، وذلك عن طريق الشراء او عن طريق صنعها محليا والتي كان الهدف من ورائها حماية الاسطول التجاري . ولقد اصبحت هذه الحماية ا امرا لازما لا مفر منه ، بعد موت كريم خان في سنة ١٧٧٩ « ذلك لان كريم خان كان بمقدوره ان يوقف اي حملات للنهب او السلب قد يقوم بها عرب رأس الخيمة او مسقط او على الاقل كان

---

(١) انظر ملحوظة هامشية Low, History of the Indian office Navy, , i, 171

(٢) Danvers, Report on the Indian office Records , 44

كريم خان يتمتع بهيبة لدى هؤلاء العرب جعلتهم يتوقفون عن القيام باعمال السلب والنهب في الخليج • وسرعان ما شهدت منطقة الخليج صراعا بين القواسم وعرب مسقط بعد وفاة كريم خان وقد بدأت الهجمات تترى على السفن العربية التي كانت تنقل التجارة في الخليج ، وبدأت الدول البحرية العربية في الخليج تتشاجر فيما بينها (١) وهكذا فان :

« الشيخ عبدالله ، شيخ هرمز ، كان على خلاف مع شيخ جزيرة خارج ، وشيخ الحرم مع اهل جميعة ، وعتوب الزبارة والكويت مع الكعب (٢) » •

وعلى نفس الشاكلة ادى عدم قوة كبرى مسيطرة على الخليج بالقوة البحرية العربية المقيمة على كل من شاطىء الخليج ، الشرقي والغربي ، الى منح هؤلاء فرصة ليحارب بعضهم بعضا نظرا لاحقاد قديمة كانت بينهم واحيانا نظرا لوجود اسباب جديدة للنزاع •

وتأتي عداوة العتوب مع بني كعب في قائمة العداوات التقليدية ولكن لما صار الاخيرون حلفاء العرب النازلين ببوشهر وبندر ريق اثناء حصار البصرة في سنة ١٧٧٥ ، فان الصراع من اجل السلطة في المنطقة بين العتوب واولئك العرب النازلين بالساحل الشرقي من الخليج والذي وضحت معالمه بعد سنة ١٧٧٩ (٣) قد ظهر جليا فيما بعد في مشكلة البحرين التي انتهت باحتلال العتوب

---

(١) يقول واردن Warden عن نشاط القواسم بعد وفاة كريم خان :
ان اسطول رأس الخيمة بسبب تدهور النفوذ الفارسي في الخليج وبحكم كون ذلك الاسطول لا يعرف الا الحركة الدائمة ، فانه قد دفع جميع زعماء سواحل الخليج الى أن يجهزوا مراكب مسلحة يسيرها بحارة لا يعترفون بحكم أي قانون ، ولا تخضع مراكبهم لاية سلطات ، يعتمدون على النهب فحسب - من أجل معاشهم الذي كانوا يمارسونه دون تمييز ان هذا الوضع قد نجم عن الحرب بين رأس الخيمة ومسقط.
انظر منتخبات حكومة بومباي (٢٤) : ٣٠١

(٢) منتخبات حكومة بومباي (٢٤) : ٣٠١

(٣) انظر : Lorimer, Vol. I, i, 839 يقول لوريمر ان كريم خان زند قد وكل الشيخ نصر حاكم بوشهر باخضاع الزبارة في تلك السنة.

لجزرها وتقلص نفوذ عرب بوشهر عنها •

علق مستر لاتوش على هذه الاحداث بقوله :

« مهما يكن من امر فانه على الرغم من مظهر الحماس هذا • فانه يقال ان (شيخ نصر) قد ارسل منذ مدة قريبة الى القرين بطلب الصلح ، غير ان شيخها قد رفض ان يجيب طلبه الا اذا دفع الشيخ نصر نصف دخله من البحرين وقدرا كبيرا من الجزية سنويا عن بوشهر (١) » •

ويمضي المستر لاتوش في خطابه قائلا :

« منذ سنوات قريبة كانت القرين قد وجدت نفسها مضطرة الى ان تدفع جزية (لبني كعب) واما اسم الزبارة فندر ان كان يعرفه احد • وعندما هاجم الفرس البصرة لجأ احد شيوخ الكويت مع نفر كبير من سكانها المرموقين الى الزبارة وكذلك لجأ الى نفس المكان بعض تجار البصرة ، وبسبب حصار البصرة وما نجم عنه تحول الكثير من لؤلؤ الهند وتجارتها الى ذلك المكان (الزبارة) وكذلك الى القرين وذلك ابان الفترة التي كان فيها الفرس يحتلون البصرة ازدادت اهمية ذينك المكانين وكذلك مناعتهما بدرجة انهما استطاعاان يتحديا (بني كعب بل وفاقوهم في مزايا كثيرة وهم الآن لا يخشون بحال تهديد القوة التي يجمعها الشيخ نصر للهجوم عليهم (٢) »

دور الكويت في النزاع

ويبدو ان عتوب الكويت ظلوا بعيدين عن هذه المعركة الاولى وذلك يرجع في الغالب الى انهم كانوا ينتظرون ان ينزل بهم هجوم بوشهر قبل الزبارة نظرا لقرب مدينتهم من منازل بني كعب وبوشهر • ويبدو كذلك ان انباء الهجوم على الزبارة قد وصلتهم متأخرة جدا لانهم القوا القبض على مركب تابع لبوشهر يحمل انباء هزيمة جيوش بوشهر في الزبارة وكذلك فيه اوامر تطلب من ابن الشيخ نصر

---

(١) انظر الرسالة ١٢٣٠ مجلد (١٧) من لاتوش بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٤ نوفمبر ١٧٨٢ في سجلات الوكالات.

(٢) المصدر السابق.

المتصرف بشئون البحرين ان يبذل كل ما في وسعه للدفاع عن الجزيرة ، حتى يتيسر لوالده ان يمده بالعون . لقد اعترض الاسطول الكويتي (١) سبيل ذلك المركب التابع لبوشهر وبذلك تسنى للعتوب معرفة الامور الجارية في الزبارة والبحرين ·

الهجوم على البحرين

ويبدو أن أسطول الكويت كان يتألف من مراكب كبيرة وبعض المراكب الصغيرة التي كانت مبحرة في طريقها الى الزبارة لنجدتها (٢).

كما ويبدو ان المعلومات التي حصل عليها اسطول الكويت من القارب التابع لبوشهر كانت على جانب من الاهمية مما جعل عتوب الكويت يتخذون «اجراء سريعا وحاسما » فقد ابحروا في الحال الى البحرين واستولوا على قلاعها الرئيسية وقطعوا خط الرجعة على اسطول الشيخ نصر المهزوم (٣) ·

ولا تعرف على وجه الدقة هل شارك عتوب الزبارة اخوانهم عتوب الكويت في هجوم الاخيرين الاول على المنامة في البحرين اذ انه على الرغم من ان الرواية المحلية لال خليفة تعزو فتح البحرين الى احمد بن محمد بن خليفة والقبائل العربية النازلة بقطر وهي تنفي ان يكون لعتوب الكويت اي دور في الفتح فان التقارير الاقدم عن هذا الحادث وهي التي كتبها المستر واردن **WARDEN** والكابتن **Taylor** تشير بوضوح الى ان دور الكويت كان هاما وحاسما (٤) ·

غير ان هذا النجاح التجاري والسياسي قد جلب معه منافسات للعتوب لم يكن لها وجود قبل عام ١٧٨٢ · فانه بالاضافة الى اعداء العتوب الثلاثة وهم بنو

---

(١) Lorimer, I, 1, 840

(٢) انظر Lorimer, op. cit., I,i, P.839

(٣) انظر مختارات حكومة بومباي : ٣٦٥ ان لورمر 839, I,i عند وصفه لهذا الفتح ، يقول ان الحملة الكويتية أسرعت الى المنامة عاصمة البحرين ، واستولت على المدينة وأشعلت فيها النيران وعزلت « الحامية الفارسية » في القلعة . ان لورمر يتحدث عن « الحامية الفارسية » التي يجب ان نذكر انها حامية الشيخ نصر وهم في الغالب عرب لا فرس .

(٤) انظر تقريرهما في منتخبات حكومة بومباي (٢٤) : ١٨ - ٢٩ وكذلك : ٣٦٤ - ٣٦٥.

كعب وعرب بندر ريق وعرب بوشهر قد ضم الفتح الى قائمة اعداء الكويت بالذات الشيخ راشد شيخ رأس الخيمة وابنه • والشيخ عبدالله شيخ هرمز الذين صاروا أعداء للقوة العتبية النامية ، ثم ان خطرا أعظم من هذا تعرض له عتوب البحرين قد تمثل في سلطان مسقط الذي كان قد ادعى منذ وقت مبكر السيادة على البحرين (١) • غير ان السلطان لم يصبح خطرا يهدد العتوب في البحرين حتى نهاية القرن الثامن عشر كما سنبينه في الفصل التالي من كتابنا والذي نعالج فيه مطلع القرن التاسع عشر ، غير انه قد ورد ما يفيد بانه « قد احتفظ بموقف محايد تماما » تجاه الصراع الذي نشب بين العتوب وبين اعدائهم اثناء وبعد الفتح (٢) • ان هذا السلوك من قبل السلطان يمكن ان نعلله بمقتضى الاسباب الاتية ، ان اولئك الذين كانوا يتصارعون من اجل السيادة على البحرين كانوا هم العتوب الذين لم يكن حتى الان قد قام بينهم وبين السلطان عداوة ثم العرب النازلون على الساحل الشرقي للخليج ثم القواسم الاعداء التقليديون لمسقط فاذا انضم السلطان الى العتوب فانه بهذا يتنازل عن ادعائه بأن البحرين كانت ولاية تابعة لمسقط في السابق وهو لن ينضم الى الاخرين لانهم في الاصل اعداؤه • اضف الى ذلك بان الامام احمد بن سعيد سلطان مسقط كان عام ١٧٨٠ قد بلغ من العمر قدرا لا يستطيع معه ان يبادر باعلان حرب وقد اعقب وفاته في ١٥ ديسمبر سنة ١٧٨٣ ، صراع على العرش بين ابنائه الثلاثة (٣) وهكذا فان مسقط لم تكن في موقف يسمح لها بالتدخل في البحرين •

ومهما يكن من امر فان امتناع سلطان مسقط عن التدخل لم يوقف عرب الساحل الشرقي من الخليج عن وضع الخطط لاعادة الاستيلاء على البحرين وديار العتوب الاخرى في الكويت وقطر غير انه يبدو ان العتوب كانوا يمتلكون في العقد

---

(١) انظر ماسبق على الصفحة ٦٦

(٢) انظر مختارات حكومة بومباي (٢٤) : ١٧١

(٣) انظر الفتح المبين : ١٧٣ ثم ما يليها •

وكذلك Miles Countries and Tribes etc. II 281

التاسع من القرن الثامن عشر قوة بحرية كبيرة كان بمقدورها ان تصمد امام اي هجوم يقع على ديارهم ٠ وتتحدث المصادر المعاصرة عن أنه :

« خلال الشطر الاخير من عام ١٧٨١ كانت الاستعدادات جارية للقيام بحملة على نطاق واسع ازمع تنفيذها شيوخ بوشهر وهرمز تساعدهم القوات الفارسية وكذلك شيخ القواسم ضد الزبارة والكويت غير ان سفنهم لم تتحرك في تلك الحملة » ٠ (١)

ومهما يكن من امر فان الاستعدادات لتحقيق هذا الهدف قد تجددت في نهاية العام التالي ، وفي ١٢ فبراير عام ١٧٨٥ تقدم الشيخ نصر عن طريق البر الى كونكون وابحرت سفن بوشهر وبندر ريق الى ذلك المكان يوم ٢١ فبراير حيث كان سينضم اليها شيوخ هرمز وشيخ رأس الخيمة وكذلك كانت قد وصلت قوة عسكرية من شيراز الى كونكون لتنضم الى هذه الحملة (٢) ٠

« غير ان وفاة علي مراد خان صاحب شيراز ازالت الخطر الذي كان يتهدد آل خليفة في البحرين خلال السنوات القليلة التالية وهكذا بقي شيوخ البحرين لا يتعرضون لاذى طالما كانت حكومة شيراز تتعرض لصعوبات داخلية (٣) ٠

ان هذا يمكن ايضا ان يعزى الى وفاة الشيخ نصر في ١١ ابريل ١٧٨٩ (٤) ٠

---

(١) انظر منتخبات حكومة بومباي ٢٤ : ٣٦٥ ولوريمر في المصدر السابق : ٨٤٠ ٠ وفي رسالة وجهها من البصرة المستر لاتوش الى اللجنة السرية لشركة الهند الشرقية بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٧٨٣ يتحدث لاتوش عن استعدادات بني كعب للهجوم على الكويت والبصرة ٠ وكذلك يتحدث عن الشيخ نصر شيخ بوشهر كحليف لبني كعب (الرسالة ١٢٦٢ مجلد (١٧) في سجلات الوكالات ٠

(٢) انظر منتخبات حكومة بومباي ٢٤ : ٣٦٥ - ٣٦٦

(٣) Lorimer I,1, 840

(٤) ورد ذكر وفاة الشيخ نصر في رسالة من المستر مانيستي والمستر جونز الى اللجنة السرية صادرة من البصرة بتاريخ ٢٩ يونية ١٧٨٩ ٠ انظر الرسالة ١٥٢٠ مجلد (١٨) في سجلات الوكالات ٠

التجاء مصطفى أغا متسلم البصرة
وثويني شيخ قبيلة المنتفق الى الكويت

غير ان عتوب الكويت من ناحية اخرى كانوا يتعرضون لبعض الصعوبات في علاقاتهم مع سليمان باشا والي بغداد فقد فرض سليمان باشا سلطانه على مدينة البصرة عام ١٧٨٧ ، عندما قرر متسلمها مصطفى اغا ان يحكمها حكما مستقلا عن ولاية بغداد . ان سليمان باشا الذي كان متسلما للبصرة قبل احتلال الفرس لها في عام ١٧٧٦ كان لا يزال يطمع في ادارة شئون تلك المدينة بعد ان صار يشغل منصب باشا بغداد في عام ١٧٨٠ وهكذا قام سليمان باشا بحملة عسكرية لاخضاع البصرة في الوقت الذي انضم فيه ثويني شيخ اقوى قبيلة عربية تنزل في نواحي البصرة الى المتسلم ، وفي سنة ١٧٨٧ نصب ثويني نفسه حاكما على المدينة وارسل مفتيها الى القسطنطينية ليقنع السلطات بتنصيبه حاكما على البصرة والمنطقة المجاورة لها .

وكانت نتيجة حملة سليمان باشا ان هرب مصطفى اغا واخوه معروف أغا وثويني وكثيرون آخرون ممن اشتركوا في الثورة على باشا بغداد الى مدينة الكويت لاجئين الى شيخها عبدالله بن صباح وعندها طلب الباشا والكخيا من الشيخ ان يسلم اللاجئين اليه غير انه رفض طلبهم ، ولما رأى الباشا ان الشيخ مصر على رفضه طلب من المقيم الانجليزي في الوكالة التجارية الانجليزية في البصرة ان يتدخل غيرا ان المقيم رفض ان يساهم في الحملة التي كان الباشا يزمع القيام بها ضد الكويت (١) .

وفي رسالة الى الشيخ عبدالله بن صباح بتاريخ ١٧ ابريل ١٧٨٩ اخبر المستر مانيستي الشيخ بان الباشا يزمع هجوما على الكويت اذا رفض الشيخ ان يسلم

---

(١) انظر خطابامن المستر مانيستي Manesty ، ووكيله المستر جونز Jones الى اللجنة السياسية بلندن بتاريخ ٢٩ يونية ١٧٨٩ . الرسالة ١٥٣٢ مجلد (١٨) . من الطريف ان نلاحظ ان المستر مانيستي والمستر جونز يلاحظان ان الكخيا لم يكن متحمسا بالفعل في طلبه من الشيخ ان يسلم مصطفى اغا ، لانه كان يعتبر الاخير منافسا خطيرا له ، اذا اصدر الباشا عفوا عنه وسمح له بالبقاء في بغداد .

اللاجئين (١) • اما الشيخ عبدالله فقد قال في جوابه الموجه الى المستر مانيستي بانه على استعداد لقتال الباشا في سبيل حماية ضيوفه اذا لم يكن هنالك سبيل آخر غير الحرب (٢) • وفي نفس الوقت اكد الشيخ عبدالله للباشا وللمقيم الانجليزي بانه لا داعي لخوفهما من ان يشن اللاجئون هجوما على البصرة ما داموا في الكويت يتمتعون بحمايته (٣) •

غير ان مخاوف الباشا كان لها ما يبررها فانه :

« في بداية شهر يولية جمع ثويني قوة بالقرب من قرية الجهرة وهو مكان يقع بالقرب من مدينة القرين حيث انضم له مصطفى اغا المتسلم السابق ونحو مائة وخمسين خيالا تركيا » وقد تقدم جيشهما الصغير نحو البصرة وفي « اليوم العاشر من شهر يولية عسكروا في سفوان وهو موقع على بعد ثلاثين ميلا من البصرة في الطريق الى الكويت ، وهنالك التقى بهم حمود بن ثامر شيخ قبيلة المنتفق الجديد والمتسلم لمدينة البصرة،انهزم ثويني ومصطفى اغا ولجأ اولهما الى شيخ مدينة كتيبان من بني كعب بينما هرب الثاني يصحبه اخوه وبعض الاتراك الى مدينة الكويت « وهناك باعوا خيولهم وذهبوا الى مدينة مسقط بقصد الاتجاه الى مكة » (٤)

ان عزم شيخ الكويت المشار اليه آنفا يدل دلالة واضحة على انه كان بمقدوره ان يجمع قوة تكفي لردع اي معتد على اراضيه • لقد سبق ان بينا كيف انه تحدى

---

(١) الرسالة ١٥٣٢ مجلد (١٨) ، من مانيستي الى الشيخ عبدالله بن صباح في سجلات الوكالات •

(٢) الرسالة ١٥٣٢ المجلد (١٨) بتاريخ ٣٠ ابريل ١٧٨٩ من الشيخ عبدالله بن صباح الى المستر مانيستي في سجلات الوكالات •

(٣) رسالة من الشيخ عبدالله الى مانيستي ، سجلات الوكالات ، مجلد (١٨)• رقم ١٥٣٢ •

(٤) انظر رسالة من مانيستي وجونز الى السير روبرت اينسلي Sir robert ainsley السفير البريطاني في اسطمبول صادرة عن البصرة بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٧٨٩ في سجلات الوكالات المجلد (١٨)• ولقد اورد عثمان بن سند قصة عصيان ثويني بتفصيل في مخطوطه مطالع السعود ، الاوراق ١٢١ ـ ١٢٥ •

بني كعب والشيخ نصر شيخ بوشهر في سنة ١٧٨٢ وكيف ان اسطوله قاد الهجوم على البحرين في تلك السنة نفسها • ان سلطة الشيخ عبدالله بن صباح الراسخة (وخلفه الممتاز) قد اكسباه احترام الوكالة التجارية الانجليزية بالبصرة ، وعلى هذا فعندما قامت الصعوبات بين متسلم تلك المدينة وسليمان باشا من جهة ورجال الوكالة (١) من جهة اخرى رأوا ان الكويت يمكن ان تخلف البصرة كمركز لنشاط الوكالة التجارية الانجليزية والواقع ان الصداقة كانت قائمة بين الوكالة الانجليزية والشيخ « منذ امد بعيد » (٢) •

علاقات الشيخ عبدالله بالانجليز

لقد سبق ان بينا ان الشيخ عبدالله كان على علاقات طيبة للغاية مع ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية ففي سنة ١٧٧٨ ، سمح لرجال الوكالة بالبصرة ان يلقوا القبض على الضابط الفرنسي دي بورج • ولقد استمرت هذه العلاقات الطيبة طوال العقد التاسع من القرن الثامن عشر ولا غرابة في هذا ، لان المنفعة كانت متبادلة عند الطرفين • فالشركة من ناحيتها كانت قد اعتمدت خلال فترة قد مضت على الكويت في ارسال واستلام مراسلاتها ، اما الشيخ فقد افاد فائدة كبيرة من النقل التجاري • ولقد تعرضت هذه العلاقات الى خطر التصدع بسبب المشكلة التي نجمت عن عادة « حماية الضيف » عندما لجأ المسيودي بورج الى الكويت وكذلك عندما حاول المستر مانيستي ان يتدخل في مشكلة الشيخ ثويني ومصطفى اغا ، ومهما يكن من امر فان العلاقات الودية قد استمرت قائمة رغم كل هذا ، وفي سنة ١٧٩٠ ذهب المستر هارفورد جونز (وهو الذي صار السير هارفرد جونز بريدجز Brydges فيما بعد) الى الكويت طلبا

---

(١) انظر الرسائل ١٥٢٠ ، ١٥٣٥ ، المجلد ( ) والصادرة عن البصرة من المستر مانيستي وجونز الى اللجنة السرية للشركة بلندن بتاريخ ٢٩ يونية ١٧٨٩ في سجلات الوكالات •

(٢) المرجع السابق •

للاستجمام بعد ان ساءت صحته في البصرة (١) . وهكذا فانه كلما كانت المنازعات تشتد حدتها بين وكالة البصرة وباشا بغداد ، كل يرد اسم الكويت على لسان رجال الوكالة الانجليزية كبديل للبصرة ومستقر للوكالة ، ان هذه المنازعات قد تطورت تطورا بطيئا منذ ١٧٨٠ ، عندما عين سليمان باشا واليا على بغداد حتى عام ١٧٩٢ يوم اتخذت الخطوة النهائية الحاسمة من قبل مانيستي وجونز لنقل الوكالة من البصرة الى الكويت (٢) .

وفي هذا الوقت اصبح الخطر الذي يتعرض له العتوب في كل من الكويت والزبارة والبحرين من بعد ذلك لا يصدر عن عرب الشاطيء الشرقي للخليج العربي ، ولا عن باشا بغداد ، وانما عن قلب جزيرة العرب حيث كانت قوة جديدة عارمة تقتحم طريقها الى الشاطيء الغربي للخليج ، وهذه القوة تتمثل في الوهابيين الذين بدأوا يشددون هجماتهم على شرقي الجزيرة العربية في السنوات الاولى من العقد التاسع من القرن الثامن عشر . وسنعالج أمر هؤلاء في الفصل التالي .

---

(١) تمتاز الكويت بين مدن الساحل الشرقي لجزيرة العرب بهوائها الجاف . ولقد كانت قياسا مع البصرة اصح نظرا لخلوها من البعوض وقلة الرطوبة بها نسبيا .

(٢) وصل المستر جونز الكويت بقصد « تغيير الهواء » في ٧ مارس ١٧٩٠ انظر خطابا من مانيستي وجونز الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٧ يونية ١٧٩٠ . الرسالة ١٥٥١ مجلد (١٨) . لقد فضلت الكويت على غيرها من المراكز في الخليج لتخلف البصرة ، حتى عندما ظهر اسم جزيرة خارج كمنافس لها . انظر رسالة مانيستي وجونز الى اللجنة السرية صادرة عن البصرة بتاريخ ٢٩ يونية ١٧٨٩ . الرسالة ١٥٢٠ مجلد (١٨) .

الفصل الرابع

المد الوهابي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والعلاقات بين الكويت والوهابيين

المد الوهابي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والعلاقات بين الكويت والوهابيين

وردت أكثر من اشارة في الفصول الماضية الى الوهابية ٠ وهي الحركة الاصلاحية السنية الدينية ، التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والتي كان لها اثر كبير في الاوضاع السياسية ، ليس في الكويت فحسب ، وانما ايضا في شرقي الجزيرة العربية باكملها ، خلال الفترة ما بين ١٧٦٥ و ١٨٠٠ ميلادية ٠ اننا لن ندخل في تفاصيل أهم صراع دار في شرقي الجزيرة العربية ، بين بني خالد والوهابيين ، ولكننا سنوجزه ، بقدر المستطاع ٠ وقبل ان نقوم بذلك العرض التاريخي ، لا بد لنا من ان نعرف بالوهابية ، وموجز تعاليمها ٠ ولسوف نتبع ذلك بالصراع الخالدي الوهابي ، ثم بالهجمات الوهابية على الكويت ٠

(أ) الوهابية - العقائد الاساسية (١)

ان الحركة الوهابية التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب تقوم على الوحدانية ، وعدم الشرك بالله ، باية صورة كانت ٠ والواقع ان الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يفكر ، حين دعا دعوته هذه ، في ابتداع أي شيء جديد ولذا فليس في دعوته أي جديد غير موجود في تعاليم الاسلام (٢) ٠ والواقع أن

---

(١) يتحدث الكتاب الوهابيون عن جماعتهم باسم الموحدين اما اطلاق اسم الوهابيين عليهم فالأصل فيه اعداؤ هم الذين اطلقوه عليهم عند بدء الدعوة . انظر مقالة « الوهابية » التي كتبها المستشرق مارجوليوث Margoliouth في دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الاولى .

(٢) ان الكتابات التي دونها المعاصرون للشيخ من اوروبيين ومسلمين مضللة الى حد بعيد ، ولقد انتقد اقوالهم الخاطئة هذه كتاب اوروبيون كتبوا من بعدهم مثل بركهاردت Burckhardt في كتابه : Notes on the Bedouins and Wahabys في الصفحة ٢٧٧ . ونجد مثلا واضحا على تلك الاخطاء في كتاب الشيخ منصور ، الطبيب الايطالي وقائد قوات السيد سعيد سلطان مسقط في كتابه : History of Seyd Said , P. . 36 .

الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد هدف من حركته الاصلاحية الى ان يخلص جماعته من الآثام التي وقعوا فيها عندما تركوا العمل بالشريعة السماوية المنزلة في القرآن الكريم ، وحين عاشوا حياة أبعد عن طبيعة الاسلام في عصوره الاولى • وهو على ذلك أراد منهم أن يعودوا الى كلمة الله في القرآن ، وأن ينفذوا أقوال الرسول والصحابة • لقد كان هذا في جوهره هو أساس ، وهدف تعاليم الشيخ محمد (١) • والدارس لحياة الشيخ محمد يستطيع أن يتبين فيها ثلاثة أدوار متمايزة ، اولها يتمثل في تعليمه الديني المبكر الذي تلقاه عن والده الشيخ عبدالوهاب (٢) ، قاضي العيينه بنجد ، وعن علماء آخرين بنجد ، والثاني فترة الترحال (٣) ، والثالث يبدأ بعودته الى العيينة (٤) حيث ابتدأ ينشر الدعوة الوهابية ،

---

(١) انظر بخصوص سرد موجز لتعاليم الشيخ محمد كتاب لمع الشهاب (الاوراق ٢٦٣ - ٢٧٧) . وعلى الرغم من أن مؤلف هذا الكتاب لم يكن وهابيا ، فيبدو أنه قد فهم تعاليم الشيخ فهما تاما ، ولا يختلف ما أورده عما كتبه ابن غنام في كتابه « روضة الافكار » . لقد كان الوهابيون يقاومون دون هوادة أمرين : الشرك والبدع ، وكانوا يرون ان المسلمين يجب ان يحذوا حذو الرسول وصحابته ، لان البدع كانت في رأي الوهابية وليدة الجهل . ولقد آمن الشيخ محمد واتباعه بانهم اذا استطاعوا أن يستأصلوا الشرك والبدع واعادوا الناس الى الاعتقاد بالوحدانية وساروا على الصراط المستقيم فان المسلمين سيصبحون دون شك اخوانا ، وان الامن سيعم البلاد وتتحسن أحوالها .
انظر بحثا في عقائد الوهابية في : Rentz : Muhammad b . Abd Aluwahab, 40U41

(٢) يطلق بريدجز Brydges خطأ اسم عبدالوهاب على الشيخ محمد ولا يخفى ان عبدالوهاب هو والده : انظر ص ٧ من كتابه The Wahauby

(٣) بدأ الشيخ محمد رحلاته عندما كان عمره نحو عشرين سنة فارتحل من نجد الى الاحساء ومن هناك الى البصرة فبغداد ، فكردستان فهمدان فاصفهان فقم فحلب فدمشق فقدس الخليل (بيت المقدس) فالقاهرة فالسويس فينبع فمكة فبريدة • ومن بريدة عاد الى العيينة بعد غياب دام نحو عشرين سنة • ولا بد ان تكون رحلاته هذه قد جعلته يكون رأيا واضحا عن أوضاع العالم الاسلامي المنحلة • ولا شك ان الشيخ قد استفاد من الاقامة في دمشق بدراسة مؤلفات المصلح الحنبلي الكبير ابن تيميه • ولم يذكر ابن غنام وابن بشر هذه الرحلات تفصيلا في تاريخهما ، غير ان لمع الشهاب قد فصلها •

(٤) يقول آخرون بانها كانت اليمامة في نجد • اما لمع الشهاب فانه يورد الروايتين اي العيينة واليمامة (انظر ورقة ١٧) • اما ابن غنام وابن بشر فيحددانها على أنها العيينة • انظر كتاب الغزوات البيانية : ٣٠ وكتاب عنوان المجد ١ : ٦

التي أدت الى طرده من هناك ، واقامته نهائيا في الدرعية ٠ أما الرجل الذي تقع عليه مسئولية طرده فهو سليمان بن محمد آل حميد ، شيخ بني خالد ٠

بنو خالد في نجد

لم تكن هذه هي اول حادثة يتدخل فيها بنو خالد في شؤ ون نجد ، فلقد كان سكان نجد يعترفون بأن شيخ بني خالد هو أقوى جيرانهم ، وسعوا الى ارضائه بالهدايا وتقديم فروض الطاعة (١) ٠ وكان ذلك هو الوضع في نجد في القرن السابع عشر ٠ واذا امتنع زعماء القبائل العربية عن تقديم الهدايا الى بني خالد ، كان شيخهم يقوم بغزو المدن النجدية ويعود محملا بالغنائم (٢) ٠

النزاع على السلطان بين شيوخ بني خالد

اما طرفا النزاع فكانا عليا وسليمان شقيقي سعدون ، وكانت حركتهما موجهة ضد ولاية دجين ومنيع ٠ وقد انتصر الاخوان في بادىء الامر على ولدي سعدون اللذين طلبا عون الظفير والمنتفق (٣) ان هذا النزاع الداخلي بين شيوخ بني خالد قد عاد من جديد عند وفاة علي في سنة ١٧٣٦ ٠ ومهما يكن من من امر فان حكم سليمان في بني خالد قد استمر من عام ١٧٣٦ الى عام ١٧٥٢ ٠

---

(١) كان ابن معمر صاحب العيينة قبل قيام الوهابيين في الدرعية حوالي منتصف القرن الثامن عشر أقوى شيخ في نجد (لمع الشهاب ورقة٤) ٠

(٢) تمدنا «سوابق» ابن بشر بمعلومات فيما يتعلق بغزوات بن خالد هذه في عدة سنين من النصف الاول من القرن الثامن عشر ٠ ففي سنة ١١٢٦هـ / ١٧١٤م غزا سعدون بن محمد بن عرير اليمامة ، وكان يصاحبه عبدالله بن معمر شيخ العيينة ٠ انظر ابن بشر : ١ : ١٨٣ ٠ وفي سنة ١١٣٢هـ / ١٧١٩م هجم على الدرعية ٠ وكانت تصاحبه مدفعيته (انظر المصدر السابق : ٢١٢ : ٢١٣) ٠ وفي سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م هاجم شريف مكة قبائل الظفير في الخرج وكان يساعده علي بن محمد بن غرير شيخ بني خالد ٠ وفي السنة التالية قام علي ، بعد ان اصبح له حلفاء بعضهم من قبيلة عنزة ، قام باعلان الحرب على الظفير واجبر شيخهم ابن سويط على الهرب الى الرياض ٠

(٣) المصدر السابق ص٢٣٠ ٠ كانت قبيلة الظفير تسكن الخرج في غربي الاحساء وذلك ابان النصف الاول من القرن الثامن عشر على حد قول ابن بشر وفي اواخر القرن كان الظفير والمنتفق ينزلون المنطقة القريبة من البصرة ٠

سليمان بن محمد

وقد وقع الاصطدام الاول بين الوهابيين وبني خالد خلال حكم سليمان بن محمد (١) • ذلك انه على أثر حادثة رجم امرأة زانية بالعيينة حتى الموت ، قام بها اتباع الشيخ محمد ، اراد اعداء الحركة الوهابية ان يقمعوها قبل أن يعم أمرها سائر بقاع نجد • غير أنه لما كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب يتمتع بحماية عثمان ابن معمر رئيس العيينة (٢) فان الشيوخ الضعاف في المدن المجاورة ، تلفتوا الى شيخ بني خالد الذي كان بمقدوره ان يأمر ابن معمر بتنفيذ ما يريده هؤلاء الشيوخ • لقد كان الشيخ سليمان ذا قوة عظيمة ، ونفوذ واسع ، مما اضطر ابن معمر ان يوافق في الحال على طلباته (٣) وهكذا غادر الشيخ محمد بن عبدالوهاب مدينة العيينة قاصدا مدينة الدرعية ، حيث تحالف مع رئيسها محمد بن سعود سنة ١١٥٨هـ ك ١٧٤٥م (٤) ان هذا الاتحاد الجديد بين الشيخ محمد ابن عبدالوهاب وبين محمد بن سعود ، كان لا بد ان ينجم عنه صراع مع بني خالد •

---

(١) اننا نتحدث عن الوهابية كحركة مستمرة واحدة اي انها بدأت بالدعاية التي قام بهاالشيخ محمد بن عبدالوهاب في العيينة سنة ١٧٤٥ قبل ان يطرد الى الدرعية •

(٢) كان ابن معمر بحكم كونه رئيس العيينة اقوى شيوخ نجد وعلى هذا لم يكن بمقدور احد منهم ان يهاجم محمد بن عبدالوهاب • انظر لمع الشهاب ورقة (٣٢) •

(٣) انظر المصدر السابق الورقة ٣٣ • كان الشيخ سليمان يتمتع بنفوذ واسع ، على حسب قول صاحب كتاب لمع الشهاب ، ليس في الاحساء والمنطقة المجاورة لها فحسب ، بل كذلك في شبه جزيرة العرب لا سيما النواحي الواقعة على حدود العراق وفي نجد نفسها وكذلك في ضواحي الشام •

(٤) يرى ابن بشر ان هجرة الشيخ قد تمت في هذه السنة (ابن بشر ١ : ١٥) لقد اتفق محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب على ان يكون الاول الزعيم السياسي للموحدين وان يكون الثاني زعيمهم الديني • قارن لمع الشهاب الاوراق ٣٤ ـ ٣٦ ، وانظر ايضا ابن غنام ٢ : ٤ ، وابن بشر ١ : ١٢ ويبدو مما كتبه صاحب لمع الشهاب ان دور الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان هو الدور الرئيسي في جميع شئون الوهابيين السياسية والدينية طوال ايام حياته •

ومهما يكن من امر ، فلقد تميز تاريخ بني خالد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بالصراع الداخلي بين زعمائهم ، وهو صراع لن ندخل في تفاصيله لانه يخرج عن نطاق بحثنا في تاريخ الكويت ، غير ان النتيجة الحتمية لذلك الصراع كانت اضعاف الجبهة الداخلية الى درجة لم تمكن بني خالد من الصمود امام الهجمات الوهابية التي ازدادت حدة منذ عام ١٧٨٩ ، وعلى مدى ستة اعوام من ذلك التاريخ ، استطاع الوهابيون ان يقوضوا حكم بني خالد ، وان ينصبوا اول وال لهم على الاحساء عام ١٧٩٥ ، ولم يكن بالطبع من بني خالد .

النتائج المترتبة على سقوط بني خالد :

ان الوهابيين احرزوا بانتصاراتهم على بني خالد مكاسب لم تقتصر على النصر بل تعدته الى مغانم سياسية ودينية واقتصادية . غير انه من الواضح كذلك ان توسعهم هذا حمل في طياته ايضا اسباب القضاء على الوهابيين ، لا في شرقي جزيرة العرب فحسب ، بل في نجد نفسها ، وذلك عندما اثاروا مخاوف الاتراك العثمانيين الذين سيروا عليهم الحملات الحربية فيما بعد (١) .

فمن الناحية السياسية تأسس النفوذ الوهابي في شرقي الجزيرة العربية بطريقة جعلت القوى الاخرى التي لها مصالح في هذه المنطقة تشعر بالسيطرة الوهابية ، وتحاول بالتالي اما ان ترضيهم واما ان تفكر في طريقة للخلاص منهم . والى الجماعة الاولى تنتمي شركة الهند الشرقية الانجليزية ، التي كانت مصالحها في هذه المنطقة ، حتى ذلك التاريخ ، تجارية محضة . وقد عملت الشركة بالتالي على تجنب اي اصطدام مع الوهابيين ، فالانجليز لم يكن يهمهم الاحداث السياسية

---

(١) كانت أول حملة وجهت ضد الوهابيين بناء على تحريض من العثمانيين هي حملة ثويني في سنة ١٧٨٧ . ولقد انتهت حملة ثويني الثانية التي وقعت بعد هذه بنحو عشرة اعوام باغتياله على يد طعيس ، وهو عبد وهابي متطرف في مذهبه وكان عبدا لبراك بن محسن الخالدي . وقد خلد ابن غنام : (٢ : ٢٦٦ ـ ٢٧١) هذه الحادثة في قصيدة قالها ابتهاجا بمقتل ثويني .

الجارية في هذه المنطقة ، ما دام بريدهم الصحراوي يسير فيها بامان قد ضمنوا هذا بتخصيصهم هدايا خاصة لزعيم الوهابيين ، على حد قولهم (١) .

اما باقي القوى العربية في الجزيرة ، فانها كانت تتوقع نفس مصير بني خالد ان لم تخضع للتعاليم الوهابية وتطبقها ، ولما كنا غير معنيين في هذا الكتاب بدراسة جميع القوى العاملة في شرقي الجزيرة العربية فاننا سنقصر الحديث على القواسم ، الذين آمنوا بالقضية الوهابية ، وعلى عتوب الكويت واقربائهم في الزبارة والبحرين ، الذين لم يؤمنوا بها . اما العثمانيون ، الذين كانوا يحتلون الاحساء قبل بني خالد ، والذين كانت تربطهم بجزيرة العرب مصالح دينية ، فانهم قد روعوا بسبب انتشار النفوذ الوهابي حتى حدود البصرة واطراف الشام .

واما عن النصر الديني المذهبي الذي احرزه الوهابيون ، فانهم قد طبقوا مذهبهم في شرقي الجزيرة ، وانهم عملا بسياستهم الرامية الى استئصال الشرك ، فانهم قد ازالوا ما رأوا فيه علامة عليه من مدن الاحساء وأقاموا فيها مطاوعتهم الذين اخذوا يعظون في مساجدها (٢) . لقد واجه الوهابيون صعوبة في نشر مذهبهم في شرقي الجزيرة العربية بالاحساء لسبب هام ، وهو ان معظم سكان مدنها ولا سيما في القطيف كانوا من الشيعة . ولقد كانت هذه نقطة ضعف بالنسبة للسيادة والتسلط الوهابي في الاحساء . وقد سببت لهم متاعب كبيرة كما رأينا بعد احتلالهم لاجزاء من الاحساء في سنة ١٧٩٢ والسنوات التي تلتها (٣) .

اما من حيث المكاسب الاقتصادية ، فلا بد ان الوهابيين قد استفادوا استفادة كبيرة من ضمهم مناطق أغنى من منطقتهم ولربما كان ميوزل Musil مصيبا في رأيه

---

(١) قارن : Brydges, Whe Wahauby, 15

(٢) انظر ابن غنام (٢ : ص ١٩٧ - ١٠٩) وابن بشر (١ : ٩٨ ، ١٠٦) يتحدث ابن بشر (١ : ٨٨) عن الدمار الذي حل بالمساجد التي يسميها الكنائس وكذلك عن حرق الكتب الدينية الشيعية .

(٣) انظر ما سبق .

عندما قال بأن الوهابيين في اندفاعهم نحو الشرق انما كانوا يهدفون الى الاستيلاء على نافذة تطل على البحر (١) ٠ غير أن هذا لم يكن هو النتيجة الاقتصادية الوحيدة لاستيلاء الوهابيين على الاحساء ٠ ذلك أن الحكام الوهابيين قد استحوذوا على ثروة طائلة نتيجة لفتحهم اقليما اغنى من اقليمهم واستيلائهم على جانب كبير من ثروة وممتلكات بني خالد ، وابقائهم لانفسهم مع توزيع بعض الغنائم على المقاتلين من الوهابيين ، ولقد عرفت مزارع الاحساء منذ أمد بعيد بانتاجها الوفير وعرفت موانئها كذلك بأنها هي التي كانت تمون نجدا وداخل الجزيرة العربية ببضائع الهند واوروبا (٢) ٠

أما الاماكن الوحيدة ذات الاهمية ، والتي قاومت الهجمات الوهابية فكانت مدن العتوب وممتلكاتهم في شمال وجنوب الاحساء أي في الكويت والزبارة ٠ غير أنه لا بد قبل أن ندرس العلاقات بين الكويت وسائر العتوب والوهابيين من أن نعرج على التطورات التي تمت في مشيخات العتوب ٠

(ب) الكويت وبلدان العتوب الاخرى (١٧٩٠ - ١٨٠٠)

أما في الكويت فان حكم الشيخ عبدالله آل صباح بقي قائما طوال هذه الفترة ، وهو حكم امتاز بما صاحبه من تطور في احوال الكويت الاقتصادية ، ولا سيما ما كان قائما على التجارة البحرية ، وكان عهدا كله كله سلم ، على ما يبدو ، لم تبدأ الكويت خلاله أحدا بالعداء ، على انها ردت الاعداء حين تصدوا لها قبل عام ١٧٩٠ وبعده ، وكان ردها على المعتدين من البحر امثال بني كعب يتولاه اسطول الكويت ، وأما في البر ، فكان ، كما سنرى ، يتولاه شيخها عبدالله ومعه باقي ابنائها من العتوب ٠ ويجب ان لا نغفل بالطبع ، ونحن ندرس هذه الفترة من تاريخ الكويت ، عما كان يدور في ديار عتوب الجنوب في الزبارة والبحرين ، اذ انهم تعرضوا في هذه الحقبة لنفس الاخطار التي تعرض لها عتوب الكويت في الشمال ، وكانت الضربات الموجهة اليهم تهدف الى اخضاعهم لحكم

(١) انظر Northern Najd, جزء ٦٢ .

(٢) انظر ما سبق ص ٧٦ من اجل ثروة الاحساء الزراعية ٠
انظر ما يلي ص ٢٧٨ لتجارة القطيف والعقير ٠

الوهابيين ، شأنهم في ذلك شأن حلفائهم ، الذين كانوا ذات يوم حماة شرقي الجزيرة العربية ، أعني بني خالد ٠ ولقد بقي الشيخ أحمد آل خليفة يحكم في الزبارة والبحرين حتى وفاته سنة ١٧٩٦ حين خلفه نجله سلمان الذي استمر حكمه حتى عام ١٨٢٥ (١) ٠

ولقد استمر نجم الكويت في الشمال في صعود طوال العشر سنوات الاخيرة ٠ فعتوبها قد استمروا مستقلين ، دون أن يخضعوا للوهابيين ، الذين كانوا يشكلون الخطر الحقيقي على جميع قوى شرقي الجزيرة العربية ٠ والواقع انه على الرغم من تسلط الوهابيين على شرقي الجزيرة وتأثر الكويت بذلك الى حد بعيد ، الا ان عوامل عديدة قد ساهمت في ابعاد الخطر الوهابي عنها ٠

الانتقال المؤقت للوكالة الانجليزية من البصرة الى الكويت (١٧٩٣ - ١٧٩٥)

لقد سبق أن بينا كيف استفاد العتوب من النكبات التي حلت بموانيء اخرى ودول اخرى في منطقة الخليج (٢) ولا سيما اثناء حصار الفرس واحتلالهم للبصرة في الفترة ما بين ١٧٧٥ الى ١٧٧٩ ٠ وقد حدث في الاعوام الاولى من العقد العاشر من القرن الثامن عشر ان انسحب رجال الوكالة التجارية

---

(١) ان اهم مصدر عن تطور دول العتوب في العشر سنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر والذي يلقي ضوءا ايضا على تاريخهم هو سجلات وكالة الهند الشرقية الانجليزية (Factory Records) اما المصادر العربية المعاصرة فليس فيها عن العتوب سوى النزر اليسير ولا سيما كتابات الوهابيين ٠ فابن غنام وابن بشر يدونان الهجمات الوهابية على الكويت والزبارة دون اعطاء اية تفضيلات عن نشاط العتوب ٠ على ان كتاب لمع الشهاب لا غنى عنه لدراسة حصار الوهابيين للزبارة في سنة ١٧٩٨ ، غير ان هذا المصدر ايضا لا يمدنا بأية معلومات اخرى عن تطور المدن العتبية ٠ وكذلك فانه حتى سجلات الشركة الانجليزية لا تمدنا بالكثير من المعلومات عن احوال العتوب بقطر والبحرين ٠

(٢) انظر ما سبق ص ١٧٠ - ١٧٨ ٠

الانجليزية من البصرة ، نتيجة لصعوبات (١) نشأت بينهم وبين الموظفين العثمانيين (٢) ، في ٣٠ ابريل ١٩٧٣ (٣) ، وأقاموا بالكويت حتى اغسطس ١٧٩٥ (٤) • وكان رئيس الوكالة التجارية آنذاك هو صموئيل مانيستي وكان يعاونه هارفورد جونز وجون لويس رينود • ان اختيار مدينة الكويت (٥) كمستقر للوكالة يدل دلالة قاطعة على انها لم تكن بحال من الاحوال خاضعة لاية سيطرة عثمانية (٦) • ولقد أملت هذا الاختيار أسباب عديدة • ويأتي في المقام

---

(١) ان سردا مفصلا لهذه الصعوبات يمكن الرجوع اليه في الرسالة المتبادلة بين مانيستي وجونز من ناحية ومجلس مديري الشركة بلندن وكذلك السفير البريطاني السير روبرت نيسيلي بالقسطنطينية من ناحية اخرى • انظر رسائل متعددة ترجع الى سنة ١٧٩٢ في سجلات الوكالات •

(٢) غادر مانيستي وجونز البصرة في وقت مبكر من عام ١٧٩٢ ليقيما بالمعقل ، وهو مكان على بعد نحو خمسة اميال الى الشمال من البصرة ، وكانت الشركة قد بنت فيه دارا استخدمت كاستراحة لرجال الوكالة ، ومن هناك ارسلت معظم رسائل الوكالة ومنها ايضا اتجه مانيستي وجونز الى الكويت • اما اقامتهم بالمعقل فكان هدفها الاساسي تهديد باشا بغداد بان في نيتهم مغادرة البصرة والمعقل الى الكويت او جزيرة خارج اذا لم تصف الصعوبات القائمة بينهم وبين موظفيه •

(٣) غادر هؤلاء المعقل في مراكبهم في ٣٠ ابريل ووصلوا الكويت في ٥ مايو : انظر الرسالة ١٦٥٢ المجلد ١٩ الصادرة عن الكويت (القرين) من مانيستي وجونز الى اللجنة السرية بمقر الشركة بلندن بتاريخ ١٨ يوليه ١٧٩٣ في سجلات الوكالات •

(٤) غادر مانيستي ورفاقه في طريقهم الى الكويت على ظهر مركب عثماني : انظر الرسالة ١٧٦٢ المجلد ١٩ الصادرة عن البصرة من مانيستي الى المستر روبرت لستون (السفير البريطاني باسطمبول) بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٧٩٥ •

(٥) تحدث المستر مانيستي في رسالة الى مجلس المدرين ارسلها من المعقل بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٧٩٢ (الرسالة رقم ١٦٣٦ مجلد ١٨) عن مكانين يمكن ان تنقل اليهما الشركة وكالتها من البصرة أولهما الكويت وثانيهما جزيرة خارج •

(٦) قارن : Lorimer, op. cit. I,i, 1004

كتب بكنجهام Buckingham عام ١٨١٦ في كتابه Travels in Assyria, etc. (٢٦٢ - ٢٦٣) عن الكويت فقال « ان الميناء الذي يلي القطيف على هذا الساحل والذي له اهميته هو القرين ، كما يسميها واضعو الخرائط من الانجليز على الرغم من انها تعرف لدى العرب باسم الكويت فقط •• ويبدو انها كانت دائما قد احتفظت باستقلالها ايضا •• ولا يزال اهلوها يعرفون بين اهل الخليج بانهم اكثرهم حرية وشجاعة » •

الاول ان الكويت كانت قد استخدمت بنجاح كمركز لرسائل شركة الهند الشرقية خلال الفترة التي احتل فيها الفرس البصرة ما بين ١٧٧٥ الى ١٧٧٩ ٠ وبهذا كان في مقدور الكويت ان تحقق أحد الهدفين الرئيسيين اللذين من أجلهما حافظت الشركة على ابقاء وكالتها التجارية بالبصرة ٠ وعلى هذا فان نشاط الشركة من هذه الناحية لن يتأثر بنقل مركزها الى الكويت ٠ أضف الى ذلك أن المستر مانيستي قد أكد « بأن نفقات اقامة الوكالة في القرين ستكون أكثر اعتدالا من نفقات وكالة الشركة الموقرة هنا » (في البصرة) (١) ولقد كانت علاقات الشيخ عبد الله آل صباح بالانجليز طيبة للغاية ، وأفادت التقارير بأنه أكرم وفادتهم عندما وصلوا مدينة الكويت (٢) ٠ أما هارفورد جونز فكان على معرفة بمدينة الكويت قبل ذلك ، اذ انه كان قد قصدها بغرض الاستشفاء سنة ١٧٩٠ ، عندما ساءت صحته نتيجة لجو البصرة الرديء (٣) ، ولربما كان مانيستي في اختياره للكويت قد أخذ بعين الاعتبار أن ميناء الكويت كان صالحا لرسو سفن الشركة ، وأنه بالتالي يمكن لهذه السفن أن تفرغ شحناتها هناك (على الرغم من أن هذا الاعتقاد ، ان كان قد قام في مخيلته قد ثبت أنه كان مخيبا للآمال) ٠ وفضلا عن هذه الميزات فان مانيستي لم يكن أمامه حل آخر عندما فشلت تهديداته لباشا بغداد ، ولم يكن بمقدوره أن يتراجع ، اذ كان بين أمرين ، اما أن يغادر البصرة أو أن يسحب تهديداته (٤) ، فاختار المغادرة ٠

كان مانيستي قبل ان يتوجه الى الكويت قد أعلن عن نواياه هذه لحكومة بومباي والسفير البريطاني في اسطمبول ولرئاسة الشركة في لندن ٠ وهكذا فان

---

(١) الرسالة ١٦٣٦ مجلد ١٨ من مانيستي الى اللجنة السرية والصادرة عن المعقل بالقرب من البصرة بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٧٩٢ في سجلات الوكالات ٠

(٢) الرسالة ١٦٥٢ المجلد ١٨ من مانيستي الى اللجنة السرية والصادرة عن القرين بتاريخ ١٨ يوليه ١٧٩٣ ٠

(٣) انظر ما سبق ٠

(٤) الرسالة ١٦٣٦ المجلد ١٨ من مانيستي الى اللجنة السرية والصادرة عن المعقل بقرب البصرة بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٧٩٢ ٠

بريد الشركة القادم من الهند كان قد ارسل الى الكويت بتاريخ ١٩ مارس ١٧٩٣ ، أي قبل انتقال رجال الوكالة الى الكويت ووصلها قبل وصولهم اليها (١) • ان انسحاب مانيستي ورجال الوكالة الانجليزية من البصرة لم يكن معناه اغلاق الوكالة هناك ، لانه عهد الى وكيل برعاية مصالح الشركة التجارية في البصرة • وكان مانيستي في نفس الوقت حريصا على أن يحيط ربابنة السفن الانجليزية علما بأنه يستحسن أن يفرغوا بضائعهم في الكويت بدلا من البصرة كلما كان ذلك ممكنا • وقد ارسلت رسائل بهذا الخصوص الى كل من متسلم البصرة والمستر نيقولاس هانكي سمث N.H. Smith المقيم البريطاني في بوشهر (٢) ولكن نظرا لأن ميناء الكويت لم يكن مألوفا لدى ربابنة سفن الشركة ، فانهم عزفوا في بادىء الامر عن المغامرة بارساء سفنهم هناك (٣) غير أن بعض السفن قد أنزلت بالفعل بعد ذلك حمولتها في الكويت (٤) على أن المفاوضات بين الباشا ومانيستي بخصوص عودة الوكالة الى البصرة قد بقيت مستمرة ، ويبدو

---

(١) وصلوا الكويت يوم ٥ مايو ١٧٩٣ كما يتضح من خطاب ارسله مانيستي من الكويت الى اللجنة السرية بلندن بتاريخ ١٨ يونيو ١٧٩٣ برقم ١٦٥٢ • اما أول رسالة صدرت من الكويت فكانت موجهة الى هارفورد جونز وتاريخها ٧ مايو ١٧٩٣ برقم ١٦٥٤ • وفي هذه الرسالة كلف المستر مانيستي مساعده المستر جونز بالذهاب الى بوشهر وحمله رسائل هامة وصلت الكويت من السفير البريطاني في اسطمبول وكانت مرسلة الى حكومة بومباي •

(٢) انظر رسالة موجهة من مانيستي الى المتسلم واخرى الى المستر سميث صادرة من الكويت بتاريخ ٦ ديسمبر ١٧٩٣ (الرسالة رقم ١٦٨٣ المجلد ١٩) •

(٣) رفض الكابتن هاملتون G.Hamilton ربان السفينة « بيجوم شاه » الانصياع لتعليمات المستر مانيستي بحجة مسئوليته في المحافظة على سفينته وحمولتها وارواح المسافرين لانه كان لا يعرف عن ميناء الكويت شيئا • انظر الرسالة التي وجهها هذا الكابتن الى المستر مانيستي من على ظهر سفينته بتاريخ ٢٧ مايو ١٧٩٨ ، وكان راسيا في فم شط العرب ، في الرسالة ١٦٥٨ المجلد ١٩ •

(٤) ان اول مثل لذلك هي السفينة لوريل Laurel التي كان يقودها الكابتن الكسندر فوجو A.Foggo التي وصلت جزيرة فيلكة واتصلت بالمستر مانيستي تطلب تعليمات اضافية • انظر الرسالة المؤرخة ١٨ يوليه ١٧٩٣ في (الرسالة ١٦٥٩ مجلد ١٩) •

ان مانيستي لم يصر على أوامره للسفن الانجليزية بخصوص تفريغ حمولتها في الكويت طوال فترة اقامة الوكالة فيها ٠

ومهما يكن من أمر فانه يبدو أن المستر مانيستي قد أدرك بعد مضي سنة على انشاء الوكالة الجديدة ، بأن ما توقعه من حيث التسهيلات التي قد يجدها في اختيار الكويت بديلا عن البصرة لم تكن جميعها صحيحة ٠ فلقد كانت الكويت في المقام الاول معرضة لتهديدات الوهابيين الذين هاجموا أكثر من مرة خلال فترة قيام الوكالة الانجليزية بها من سنة ١٧٩٣ حتى ١٧٩٥ ٠ ثم ان الشيخ عبدالله على حد زعم مانيستي ، كان قد بلغ من العمر قدرا لم يعد يستطيع معه أن يتحمل مسئوليات وظيفته كاملة (١) ٠

الآثار المترتبة على اقامة الانجليز المؤقتة بالكويت

اتضح بمرور الزمن لدى مانيستي ٠ ان الكويت لا يمكن أن تخلف البصرة كمركز للوكالة الانجليزية وبدأت المفاوضات مع باشا بغداد وهي التي انتهت بعودة الوكالة الى البصرة في أغسطس ١٧٩٥ بعد أن مكثت في الكويت سنتين واربعة أشهر ٠ ولقد عبر المستر مانيستي في رسالة أرسلها من القرين (الكويت) الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٨ يوليو ١٧٩٥ عن اغتباطه بعودة الوكالة الى البصرة « بأشرف طريق » (٢) ٠ وفي يوم ٢٧ أغسطس ١٧٩٥ غادر مانيستي الكويت على ظهر مركب عثماني صاحبته مراكب عثمانية أخرى وسفينة الفايبر VIPER في طريقه الى البصرة ٠ وصلت المراكب ميناء البصرة يوم ٢ سبتمبر ، وفي

---

(١) انظر رسالة من المستر مانيستي الى مجلس المديرين صادرة عن الكويت بتاريخ ١٥ يوليو ١٧٩٤ في (الرسالة ١٧٠٠ المجلد ١٩) ٠

(٢) الرسالة ١٧٥٣ المجلد ١٩ ٠ هذه الرسالة هي نسخة ثانية من رسالة ارسلت من قبلها بتاريخ ٢٣ اغسطس وهذه بدورها نسخة ثالثة عن رسالة ارسلت بتاريخ ٨ يوليه من نفس السنة ٠ ولم يكن بمقدوري ان اعثر على الرسالتين الاخيرتين اللتين يمكن ان تكونا في عداد الرسائل المفقودة ٠

يوم ٤ سبتمبر دخل مانيستي بموكبه البصرة (١) • ولقد رأى مانيستي أن اقامته بالكويت قد اثمرت من حيث انها جعلت الباشا ينزل عند طلبات الانجليز • أما من وجهة نظر شيخ الكويت ، فان الوكالة الانجليزية كانت ذات اهمية كبرى بالنسبة لازدياد نفوذ الكويت ونمو اقتصادها • وعلى الرغم من أن الرواية المحلية بالكويت لا تورد شيئا عن الوكالة الانجليزية هناك ، وعلى الرغم من أن المؤرخين العرب لا يشيرون البته الى تلك الاقامة ، فان أهمية تلك الاقامة يمكن أن نصل اليها من استقراء الحوادث الواردة في رسائل الشركة الانجليزية الصادرة عن الكويت ، ومن المعلومات التي دونها بريدجز والدكتور سيتزن SEETZEN أولهما في كتابه WAHAUBY وثانيهما في MONATLLCHE CORRESPONDENTZ (٢) • ولقد استفادت مدينة الكويت فائدة كبيرة من البضائع التي كانت تفرغها السفن فيها • وعلى الرغم من أنه ليس بمقدورنا أن نعطي احصاءات دقيقة عن كمية تلك البضائع فانه يمكننا القول انه مهما قلت هذه الكمية ، فانها لا بد

---

(١) توضح رسالتان من الرسائل التي بعث بها مانيستي مدى غروره ، وهما صادرتان عن البصرة بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٧٩٥ (الرسالتان ٧٥٢ ، ١٧٦٢ المجلد ١٩) ، والاولى موجهة الى مجلس المديرين والثانية الى مستر روبرت ليستون القنصل البريطاني في اسطمبول •

(٢) يتحدث بركهاردت في رسالة بعث بها الى السير جوزيف بانكس Banks سكرتير جمعية تحسين اكتشاف الاجزاء الداخلية للقارة الافريقية والصادرة عن مالطة بتاريخ ٢٢ ابريل ١٨٠٩ يتحدث عن الدكتور سيتزن فيقول : « الدكتور سيتزن هو طبيب الماني ارسله منذ خمس او ست سنوات دوق ساكسا جوتا Saxe Gotha الى بلاد الشرق لكي يجمع مخطوطات وتحفا شرقية • وقد اقام ردحا طويلا من الزمن في اسطمبول واقام خلال الثمانية عشر شهرا الاخيرة في القاهرة حيث ارسل رسالة الى المستر باركر (أخ القنصل البريطاني في مالطة) بتاريخ ٩ فبراير الماضي • وبعد ان ارسل من القاهرة الى جوتا مجموعة من الف وخمسمائة مخطوطة وثلاثة آلاف قطعة اثرية مختلفة ، قرر ان يسافر الى السويس وان يتوغل في افريقيا ليكتشف داخلها » • انظر :

Burckhardt **Travels in Nubia, london , 1822, p.vi** وكذلك يتحدث بركهارت ايضا عن سيتزن في كتابه

Travels in Syria and the Holy land (London, 1822) p.v.

الكويت كذلك تستفيد من بريد الشركة الذي كان يحمله في الغالب « بريد الصحراء العربي السريع » ، الذي كان قوامه الهجانة الذين كانوا يختارون من العرب النازلين بالمدينة او الذين كان يتحتم عليهم سكناها بسبب طبيعة عملهم هذا (٢) ٠ثم ان علاقات مانيستي الشخصية بشيخ الكويت لا بد وأن تكون وأن تكون اكبر بكثير مما اعتادت أن تشهده المدينة من قبل (١) ٠وكانت قد ازدادت قوة ، ولربما كانت هذه العلاقة قد تعدت الشيخ الى تجار كويتيين آخرين ، كانت الوكالة التجارية بالبصرة تستخدم مراكبهم في بعض الاحيان لحمل مكاتبات الشركة الى الهند لكي تتجنب الاسطول الفرنسي الذي كان يعترض السفن البريطانية ابان العقد الاخير من القرن الثامن عشر ٠ ثم ان شيخ الكويت قد سمح ايضا لرجال الوكالة الانجليز بأن يعترضوا سبيل المبعوثين الفرنسيين والرسائل الفرنسية التي كانت تحمل على المراكب الكويتية (٣) ٠

اعتراض سبيل المراسلات الفرنسية وحاملها

ومهما يكن من أمر فقد شهد العقد الاخير من القرن الثامن عشر نشاطا فرنسيا ملحوظا في منطقة الخليج العربي ٠ ذلك انه بعد اعلان الحرب بين فرنسا وانجلترا عام ١٧٧٣ ، زاد الفرنسيون نشاطهم في الهند وفي المحيط الهندي واكثروا من استعمال الطريق البري عبر الصحراء السورية والخليج العربي الى الهند وكانت الرسائل الفرنسية وكذلك كان حاملها عرضة لتحرش رجال الوكالات الانجليزية في الخليج ٠

ان دراسة تفصيلية للنزاع والمنافسة الانجليزية الفرنسية في منطقة الخليج العربي لا تقع ضمن نطاق بحثنا هذا ٠ غير ان تلك المنافسة كان لها بعض الآثار

---

(١) انظر الفصل التالي بخصوص بعض الاحصاءات ٠

(٢) فيما يتعلق بالبريد الصحراوي كذلك الفصل التاسع من هذا الكتاب ٠

(٣) بمكننا ان نذكر امثلة عديدة على اعتراض الانجليز سبيل النشاط الفرنسي وهذه الامثلة محفوظة في الرسائل المرسلة من الوكالة الانجليزية بالبصرة في الاعوام التالية : ١٧٩٤ ، ١٧٩٥ ، ١٧٩٦ ، ١٧٩٧ ، ١٧٩٨ ٠ ولقد كانت هنالك احوال اسبق للنشاط الفرنسي بمنطقة الخليج كبعثة المسيو دي بورج في عام ١٧٧٨ ٠

في شرقي الجزيرة العربية وكذلك قد شاركت الكويت فيها مما يبرر التعرض لها بايجاز • لقد حاول الفرنسيون اثناء صراعهم مع الانجليز في الهند ان يجعلوا من الخليج العربي طريقا غير صالحة لاستخدام الانجليز ، هذا في الوقت الذي حاولوا فيه الاستفادة منه في نقل رسائلهم الخاصة الى بلاد الهند •

ولكي يتوصل الفرنسيون الى هدفهم هذا ارسلت بعثات فرنسية الى مختلف الدول المشرفة على الخليج (١) في محاولة لكسبها الى جانبهم (٢) ، وارسل اسطول فرنسي لكي يقوم بالاعمال البوليسية في بحر الهند والخليج (٣) ، وفي نفس الوقت ارسل الفرنسيون عدة رسائل عن طريق الصحراء الى البصرة ، وحاولوا ان ينقلوا غيرها الى الهند في مراكب عربية •

اما اشتراك العتوب في النشاط الفرنسي المشار اليه في منطقة الخليج ، فقد كان مقتصرا على عتوب الكويت في ميدان نقل الرسائل الفرنسية عبر الخليج ، اي في الشطر الثاني من النشاط الفرنسي في المنطقة • ولقد استفاد المستر مانيستي من الصداقة التي توطدت بينه وبين الشيخ عبدالله آل صباح في القضاء على الخطط الفرنسية الرامية الى استخدام السفن الكويتية كوسيلة لحمل مبعوثيها ورسائلهم • ولعل السبب الاساسي في استخدام المراكب العربية من اجل تلك الاهداف الانجليزية والفرنسية يكمن في ان احدا من الطرفين ، الانجليز او

---

(١) انظر رسالة من وليم ويكهام Wickham ، الوزير البريطاني فوق العادة لدى الاتحاد السويسري ، وصادرة عن بيرن بتاريخ ٣٠ يونية ١٧٩٦ رقمها ١٨٠٢ في المجلد ١٩ من سجلات الوكالات •

(٢) انظر رسالة من السير ريتشارد ورسلي Worsley ، الوزير المقيم في البندقية ، الى رئيس الوكالة او نائبه بالبصرة مؤرخة ١٥ مارس ١٧٩٦ وصادرة عن البندقية تحت رقم ١٨٠٣ ، المجلد ١٩ في سجلات الوكالات •

(٣) انظر رسالتين بهذا الخصوص ارسلها مانيستي الى اللجنة السرية الاولى مؤرخة ٢٣ اغسطس ١٧٩٥ وصادرة عن الكويت برقم ١٧٦٣ المجلد ١٩ • والرسالة الثانية صادرة عن البصرة بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٧٩٦ ورقمها ١٧٩٨ • وانظر كذلك رسالة اخرى من مانيستي الى ويكهام صادرة عن البصرة في ٢٥ نوفمبر ١٧٩٦ ، برقم ١٨٠٣ ، المجلد ١٩ من سجلات الوكالات •

الفرنسيين ، لم يكن لديه خدمات بريدية منتظمة في الخليج ، وانه كان يتحتم عليهم ان يحتفظوا بسرية الانباء الهامة بقدر المستطاع • ان مثل هذه السرية كان يمكن المحافظة عليها باستخدام المراكب العربية التي كان ربابنتها يتميزون على ما يبدو بقدر ملحوظ من الامانة (١) وهذا هو الذي جعل الانجليز والفرنسيين في بعض الاحيان يعمدون الى استخدام المراكب العربية ، حتى يتجنب كل فريق منهم الآخر• لقد بينا من قبل ان النفوذ الانجليزي في الخليج كان يفوق اي نفوذ اجنبي في المنطقة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، غير ان هذا يجب ان لا يعني ان ارسال الرسائل كان مقصورا على هذا الطريق دون سواه • وعلى اية حال فقد كان معظم البريد الانجليزي يسافر الى الهند عن طريق الخليج ، وقد كان طريق المحيط الهندي دائما معرضا للخطر بسبب وجود المراكب الفرنسية اثناء اية ازمة تقع مع البريطانيين سواء في اوروبا او في اي مكان اخر (٢) • ولربما ظن البعض ان كلا من الفرنسيين والانجليز كانوا سيتعرضون للمراكب العربية بدورهم ، غير ان مثل هذا التعرض لم يحدث ، على ما يبدو ، الا في حالتين اثنتين عرف فيهما ان مبعوثين ورسائل كانت محمولة على ظهر مركب بعينه ، ثم انه كان من العسير جدا بل من غير العملي على اي من الاسطولين ان يوقف كل مركب عربي في الخليج او المحيط الهندي بقصد تفتيشه • ثم لا شك انه لو قام

---

(١) مثال ذلك المركب الكويتي المملوك للشيخ ابراهيم بن غانم والذي كان مسافرا على ظهره من مسقط الى البصرة رجلان فرنسيان • لقد رفض الشيخ ابراهيم ان يسمح للانجليز بالقاء القبض على هذين الفرنسيين على الرغم من انهم عرضوا عليه قدرا كبيرا من النقود على سبيل الرشوة • غير أنه وافق في النهاية على طلبهم بعد ان اطلعوه على رسالة بتوقيع شيخ الكويت يطلب منه فيها ان يسلم الفرنسيين الى الانجليز • انظر تفاصيل هذا الحادث في خطاب وجهه مانيستي الى رينود Reinaud صادر عن الكويت بتاريخ ١٠ يولية ١٧٩٥ (الرسالة ١٧٥٤ المجلد ١٩ في سجل الوكالات) •

(٢) ورد ما يفيد وصول سفن فرنسية حربية الى ميناء الخليج في شهر يوليو ١٧٩٣ • وقيل انها كانت بمثابة خطر عظيم يتهدد مراسلات الانجليز • انظر خطابا موجها من مانيستي الى اللجنة السرية صادرا عن الكويت بتاريخ ١٨ يوليو ١٧٩٣ (الرسالة ١٦٥٢ المجلد ١٩ من سجلات الوكالات) •

اسطول بذلك لعرض جماعته انفسهم لصعوبات مع مشايخ العرب الـذين لن يسمحوا لهم بمثل ذلك التفتيش في يسر • اضف الى ذلك ان السفن العربية ، في ذلك الوقت ، كانت مسلحة بقدر يصعب معه اعتراض سبيلها (١) •

موقف الكويت من هذه المشكلة

اما موقف الكويت بالنسبة لمشكلة اعتراض السفن هذه ، فكان موقفا لم يكن من السهل على شيخها ان يتصرف فيه • فعلى الرغم من ان الوكالة الانجليزية قد قدمت للكويت خدمات ممتازة اثناء وجودها فيها منذ عام ١٧٩٣ ، وعلى الرغم من ان الشيخ كان صديقا للانجليز كما ادعوا ، فانه لم يرض عن سلوكهم تجاه السفن الكويتية التي كانت تنقل الرسائل والمواطنين الفرنسيين • وقد كانت هذه هي الاوضاع في يناير عام ١٧٩٥ ، عندما اصدر مانيستي أوامره الى رينود بالقاء القبض على السنيور فيزيتيGulielmo Vicenz Visette ، نجل وكيل القنصل البندقي في حلب ، وكان فيزيتي مسافرا في سفينة كويتية ، وكانت راسية بالكويت (٢) ، ومما تجدر ملاحظته أن مانيستي الذي لم يكن واثقا من انه يستطيع اعتراض سبيل فيزيتي في الكويت ، قد زود رينود برسائل الى شيخ البحرين والى ابن خلفان ، حاكم مسقط (٣) لتسهيل مهمة رينود • ولا

---

(١) يتحدث المستر مانيستي عن التسليح القوي للسفن العربية عموما في رسالة بعث بها من الكويت الى اللجنة السياسية بلندن ، بتاريخ ٢٣ اغسطس ١٧٩٥ (الرسالة ١٧٦٣ مجلد ١٩ من سجلات الشركات) • وهو يعتقد ان تلك السفن ستشكل خطرا كبيرا على التجارة البريطانية في الخليج • وفي رسالة اخرى بعث بها من الكويت بتاريخ ١٧ يناير ١٧٩٥ الى اللجنة السرية ايضا يتحدث عن السفن الكويتية المعدة اعدادا ممتازا للقتال (الرسالة ٧١٢٣ المجلد ١٩ من سجلات الشركات) •

(٢) الرسالة ١٧٢٣ المجلد ١٩ الصادرة عن القرين من مانيستي الى رينود في تاريخ ١٧ يناير ١٧٩٥ • اما الاشارة الى غضب الشيخ عبدالله آل صباح فترد في رسالة اخرى بعث بها مانيستي الى اللجنة السرية بتاريخ ١٨ يناير ١٧٩٥ (الرسالة ١٧٢٢ المجلد ١٩) اما السنيور فيزتي المذكور اعلاه فقد اتضح انه لا يحمل اية مراسلات فرنسية واستمر في رحلته الى بلاد الهند •

(٣) الرسالة ١٧٢٣ المجلد ١٩ الصادرة عن القرين (الكويت) من مانيستي الى رينود بتاريخ ١٧ يناير ١٧٩٥ في سجلات الوكالات •

نستطيع ان نجزم برد الفعل على مثل هذه الرسائل لدى هذين الحاكمين وذلك بالنظر الى انه قد ألقي القبض على فيزيتي في الكويت قبل سفره منها ، غير ان مجرد كتابة مانيستي الى الشيخ احمد آل خليفة ، شيخ البحرين ، تبين انه ربما كان بدوره يكن للبريطانيين ودا غير قليل .

ومهما يكن من امر ، فانه بعد مضي وقت قصير ، وفي أواخر نفس السنة ، تبدل سلوك الشيخ عبدالله فيما يتعلق بمسألة اعتراض الانجليز للمراسلات الفرنسية بعض التبدل ، ذلك انه في العاشر من شهر يوليو ، وردت انباء سرية الى الوكالة التجارية الانجليزية بالكويت ، بأنه مركبا كويتيا مسافرا من مسقط الى البصرة ، كان يحمل على ظهره رجلين فرنسيين يظن انهما يحملان مراسلات فرنسية من جزيرة موريشياس MAURITIUS طلب مانيستي من الشيخ عبدالله ان يكتب رسالة الى النوخذة (الربان) الكويتي يطلب منه ان يسمح لرينود بمصادرة تلك المراسلات الفرنسية . وعلى الرغم من ان هذا الامر لم ينفذ ، نظرا لمرض رينود بعد مغادرته الكويت مباشرة ، الا انه من الجدير بالملاحظة ان شيخ الكويت كتب هذه الرسالة دون رغبة منه (١) .

غير انه بعد ثلاثة اشهر من هذا التاريخ . وفي ظروف مماثلة ، قد تغير سلوك الشيخ تغيرا كبيرا . اما الاسباب التي ادت الى هذا التغيير فلا نستطيع ان نحددها . ذلك انه في ١٥ اكتوبر اصدر مانيستي تعليماته الى رينود بمصادرة المراسلات الفرنسية التي كان يحملها فرنسي يقال له جيرارد GUIRARD وذلك بعد ان وصلته اشارة تفيد بانه قد غادر البصرة في طريقه الى سورت Surat بالهند في مركب كويتي يملكه ابراهيم بن غانم . زود مانيستي رينود برسالة الى الشيخ عبدالله يطلب منه فيها ان يكتب خطابا الى ابراهيم كي يسمح لرينود بمصادرة المراسلات الفرنسية . لقد كتب الشيخ عبدالله ذلك الخطاب ، ولكن السؤال الذي بقي دون جواب هو: هل يسمح النوخذة ابراهيم بتلك العملية ؟ ولكي

---

(١) انظر الرسالة ١٧٥٤ المجلد ١٩ الصادرة عن القرين (الكويت) من مانيستي الى رينود بتاريخ ١٠ يوليه ١٧٩٥ في سجلات الوكالات .

يضمن رينود تنفيذ خطته حمل معه ٤٫٠٠٠ قرش (اربعة الآف) لتقديمها على سبيل المكافأة الى ابراهيم ، اذا وافق بدوره على اتمام العملية (١) ٠ لم يعارض ابراهيم في مسألة استيلاء رينود على المراسلات بعد ان اراه رينود رسالة الشيخ عبدالله (٢) ٠

ولم يأت ١٣ نوفمبر من نفس السنة حتى كان الشيخ عبدالله قد منح المقيم الانجليزي بالبصرة حق تفتيش سفينة كويتية في ذلك الميناء بقصد البحث عن المراسلات المبعوثين الاجانب (٣) ومما تجدر ملاحظته انه في الحادثتين الاخيرتين كانت السفينتان تخصان الشيخ ابراهيم بن غانم (٤) ان منح البريطانيين هذا الحق من لدن الشيخ عبدالله كان دون ريب على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لهم ، لانه صار من الايسر عليهم ان يتعرضوا سبيل المراسلات والمبعوثين في

---

(١) الرسالة ١٧٧٣ مجلد ١٩ من مانيستي الى رينود ـ البصرة ١٥ اكتوبر ١٧٩٥ في سجلات الوكالات ٠ علينا ان نتذكر ان الوكالة التجارية الانجليزية قد عادت الى البصرة في ٢٧ اغسطس ١٧٩٥ ٠ اما فيما يتعلق بالعملة المحلية والاجنبية في الخليج في القرن الثامن عشر فان خير وادق معلومات يمكن الرجوع اليها موجودة في كتيب وضعه مؤلف مجهول ، وهو محفوظ في المتحف البريطاني واسمه An Account of the Monies , Weights and Measures, etc. وقد صدر هذا الكتيب بلندن سنة ١٧٨٩ ٠ انظر السطر الثاني من هذا الكتاب ٠

(٢) لا بد ان ابراهيم كان يعرف رينود معرفة شخصية من خلال اقامة الوكالة الانجليزية بالكويت ٠

(٣) ان هذه المنحة اعطيت للانجليز بناء على طلب تقدم به مانيستي الى شيخ الكويت وكان قد حمله معه رينود اثناء مهمته الاخيرة هناك ٠ انظر رسالة موجهة من رينود الى مانيستي بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٧٩٥ وصادرة عن البصرة (رسالة ١٧٧٣ مجلد ١٩) في سجلات الوكالات ويتحدث رينود في هذه الرسالة حديثا به تفاصيل طريقة تتعلق بمهمته تلك وكيف ان ابراهيم تردد في بادىء الامر ثم مد يد العون بعد ذلك واقنع الفرنسي بتسليم المراسلات ٠

(٤) يرد اسمان اخران في رسالة أخرى بعث بها مانيستي إلى رينود من الكويت بتاريخ ١٧ يناير ١٧٩٥ ورقمها ١٧٢٣ لشخصين من الكويت هما النوخذة محمد بن بكر الدوسري ، ثم علي بن سليمان وقد وصفت سفينتاهما بانهما كانتا معدتين للقتال ٠ (المصدر السابق) ٠

عرض البحر قبل ان ترسو السفن بالبصرة ويتصل من فيها بالقنصل الفرنسي ٠ لقد سهل عليهم هذا الامر مهمتهم ، لانه كان من العسير عليهم ، ان لم يوافق الشيخ ، ان يمارسوا نشاطهم هذا في مناطق خاضعة للعثمانيين كالبصرة مثلا ٠

ويبدو ان الفرنسيين قد تنبهوا الى هذا النشاط الانجليزي الهادف الى الاستيلاء على مراسلاتهم ، وعلى هذا فاننا لم نسمع عن مراكب كويتية تحمل عملاء ومبعوثين فرنسيين او مراسلات فرنسية في السنوات الاربع الاخيرة من القرن الثامن عشر ٠ ولعل سببا اخر لقلة حمل السفن الكويتية لعملاء ومراسلات الفرنسيين ، يكمن في ذلك الاتفاق الذي تم بين رينود وحملة البريد من الاتراك (١) والذي تعهدوا بمقتضاه بأن يسلموه جميع المراسلات الفرنسية الموجهة الى المسيو روسو، القنصل الفرنسي ببغداد (٢) ٠ ويجب علينا ان نذكر في هذا المقام ان المناورات الديبلوماسية الفرنسية في اسطنبول وبغداد وبلاد الفرس ومسقط ، خلال الفترة ما بين ١٧٩٣ و١٧٩٨ ، لم تتناول مشيخات العتوب في الكويت والجنوب ٠ وعلى هذا يمكننا ان نستنتج انه نتيجة لاقامة الوكالة الانجليزية بالكويت من ١٧٩٣ الى ١٧٩٥ ، ونظرا للسياسة الودية التي ابداها شيخ الكويت تجاه الانجليز، كما سبق بيانه ، فان الفرنسيين وجدوا انه ليس في مقدورهم الاتصال بشيخ الكويت لكي يكسبوه الى جانبهم (٣) ٠

---

(١) كان يحمل البريد من الكويت والبصرة الى حلب البريد العربي المستعجل ، بينما كان يحمل القادم من اسطمبول التتر ، وكان التتر هم حملة البريد العثماني الامبراطوري ويشار اليهم غالبا بكلمة الاك Uiak ٠

(٢) كان بمقدور رينود بمقتضى هذا الاتفاق ان يرسل من بغداد الى مانيستي بالبصرة المراسلات الفرنسية وهي مختومة بالشمع ٠ انظر الرسالة ١٩٠٦ المجلد ١٩ الموجهة من رينود الى مانيستي بالبصرة بتاريخ ٢٥ اغسطس ١٧٩٨ في سجلات الوكالات ٠

(٣) عندما وصل المسيو بوشامب Beauchamp ومبعوثون فرنسيون آخرون الى حلب قادمين من تركيا في طريقهم الى مسقط ، كتب روبرت ابوت R. ABBOT الوكيل الانجليزي في حلب ، الى مانيستي بالبصرة يخبره بأن هؤلاء قد يسافرون عبر بلاد فارس الى مسقط ، وليس عن طريق الكويت فالاحساء فالزبارة ٠

انظر الرسالة ١٨٧١ المجلد ١٩ من أبوت Abbot الى مانيستي الصادرة عن حلب بتاريخ ٢٧ يناير ١٧٩٨ وأول فبراير ١٧٩٨ أيضا في سجلات الوكالات ٠

ومهما يكن من امر، فانه باستيلاء الفرنسيين على مصر سنة ١٧٩٨ ، وبنجاح الدبلوماسية الانجليزية في مسقط وفي بلاد فارس في نفس السنة ، فانه لم يعد للفرنسيين مكان في الخليج العربي ، وبالتالي اختفت مراسلاتهم واختفى مبعوثوهم ردحا من الزمن ، وسنعود الى نشاطهم من جديد في الفصل القادم·

والى جانب مساهمة الكويت والزبارة في هذا النشاط الاوروبي في الخليج ، فان هنالك جانبا اخر من تاريخ العتوب بقي حتى هذه الساعة ، بعيدا عن متناول يد المؤ رخين ونعني بذلك علاقات العتوب مع الوهابيين·

(ج) العلاقات العتبية الوهابية (١٧٩٣ - ١٨٠٠) :

اما وقد رأينا سير الامور عامة في شرقي الجزيرة العربية ، وكذلك في الكويت وباقي مدن العتوب ، في القسمين أ ، ب من الفصل الحالي ، فباستطاعتنا والحالة هذه ان نمضي قدما لندرس العلاقات العتبية الوهابية · يمكننا ان نقسم هذه الدراسة الى ثلاثة اجزاء ، الاول يبحث الوضع في دويلات العتوب وكيف شجع ذلك الوضع الوهابيين على القيام بأعمال عدوانية ضدها ، والثاني سيعالج العمليات الحربية التي وقعت بالفعل بين العتوب والوهابيين ، والثالث سنبين فيه كيف ولم كان بمقدور العتوب ان يحتفظوا باستقلالهم دون ان يخضعوا لسلطان الوهابيين حتى نهاية القرن الثامن عشر ·

يجب علينا ان نتذكر في هذا المقام ان دويلات العتوب التي كانت تكون جزءا من شرقي الجزيرة العربية ، بدأت كمدن صغيرة في ظل حماية شيوخ بني خالد (١) وان هذه المدن عندما نمت وازدادت اهميتها ، ولما ضمت اليها اراضي جديدة بفتح البحرين ، فانه لم يرد ما يفيد تغير مسلك شيوخ بني خالد تجاه زعماء العتوب في كل من الكويت والزبارة والبحرين · فلقد استمرت العلاقات الودية قائمة بين بني خالد والعتوب بل ان العتوب قد قدموا مساعدتهم لبني خالد في اللحظات الحرجة من تاريخ الاخيرين · ونضرب مثلا على ذلك الاقامة المؤ قتة لزيد بن عريعر في الكويت في سنة ١٧٩٣ ، عندما لم يكن بمقدوره ان يقف امام

---

(١) انظر ظهور الكويت ، ثم تأسيس الزبارة ·

هجـوم الوهــابيين على اراضيه في منطقــة الاحســاء (١) وكذلك براك بن عبدالمحسن في سنة ١٧٩٥ عندما هرب من الاحساء لنفس السبـب (٢) وفي الواقع ان الكثيرين من سكان الاحساء الذين هربوا اتقاء لخطر الوهابيين قد لجأوا الى مدينة الزبارة الحصينة (٣) ويبدو ان قبائل بني خالد البدوية كانت تتجـه صوب اراضي الكويت شمالا كلما هزمها الوهابيون • اما الحضر من بني خالد فكانوا يتجهون بمراكبهم الى الزبارة والاماكن الساحلية المشابهة لها ، والواقعـة على الجزر الساحلية التي لم يكن الوهابيون قد فتحوها بعد (٤) أما العتوب فكانوا يتصرفون في هذه الحالة وفق القاعدة العـربية القـاضية بحماية المستجـير وكانوا في نفس الوقت يزيدون من قوتهم المقاتلة نظرا لان هؤلاء اللاجئين قد افهموهـم في الغالب ان دورهم لا شك قادم • وبقبول العتوب لهؤلاء اللاجئين ، اظهروا للوهابيين بكل وضوح ان لا سبيل امام الاخيرين الا اخضاع الدويلات العتبية لسلطانهم •

غير اننا يجب ان لا نظن ان مسألة معاونة العتوب للقوم الفارين من الحكم الوهابي هي السبب الوحيد للصراع العتبي الوهابي • فالوهابيون في تعاليمهـم الأساسية قد ذكروا بأنهم سيحملون الحرب الى اية بقعة فيها شرك وبدع • وان دويلات العتوب بالتالي لا يمكن ان تستثني من ذلك لانه لا ريب في ان العتوب

---

(١) انظر ما سبق •

(٢) انظر ما سبق •

(٣) يقول ابن غنام (٢ : ٢٠٥) ان الكثير من سكان مدن الاحساء قد سمح لهم بان يغادروا قلاعهم في امــان شريطــة ان يهاجروا من البلاد وهو امر قد فعلوه.فهم بعد ان ركبوا السفن في ميناء العقير لجأوا الى اهالي الزبارة وحدثوهم باحوال الاحساء •

(٤) كان الوهابيون يتميزون بمقدرة فائقة على القتال في البر لا في البحر والدليل على ذلك انهم لم يجرؤ وا على مهاجمة الجزر التابعة لبني خالد • وحتى في حالة جزيرة العماثر ، وهي اولى الجزائر التي فتحوها ، كانت هذه الجزيرة قريبـة جدا من الشاطـيء وكان باستطاعة الناس ان يصلوها سباحة او ان يخوضوا المياه اليها • وحتى في هذه الحالة لم يكن الوهابيون بمفردهم اذ عاونهم المهاشير من بني خالد • انظر ابن غنام ٢ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ • من المعروف ان الصحابى العلاء الحضرمي قد خاضها في صدر الاسلام •

كان شأنهم شأن غيرهم من المسلمين الاخرين من غير الوهابيين ٠ اضف الى ذلك ان البحرين كانت احدى المناطق التي ذكرها الوهابيون كمثال على انها ارض الشرك والرفضة ، اي الشيعة (١) وان اخضاع مثل هذه البلدان كان امرا اساسيا بالنسبة لنشر المذهب الوهابي ٠

وكذلك يبدو ايضا ان الوهابيين قد لفت انظارهم الغنى الوفير في المدن العتبية ، والذي تكدس فيها نتيجة لتجارة العتوب الرائجة ٠ ومهما يكن من امر الدوافع التي ادت الى هجوم الوهابيين على شرقي الجزيرة العربية ، فانه لن يضير القضية الوهابية استيلاؤهم على اموال العتوب الذين لم يكونوا بحال من الاحوال وهابيين (٢) ٠

العمليات الحربية

اما اول صرع مسلح بين العتوب والوهابيين فقد حدث عام ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م ، عندما كان الوهابيون قد تمكنوا من القضاء قضاء يكاد يكون مبرما على نفوذ بني خالد نتيجة لعدد كبير من الغارات شنوها على مختلف مدن الاحساء ٠ ولا يبدو ان العتوب قد شكلوا جبهة متحدة في قتالهم مع المغيرين الوهابيين ، ذلك انه بينما كان آل صباح في الكويت مضطرين لملاقاة الغارات الوهابية المتكررة عليهم في سنة ١٧٩٣م ، لم يتعرض آل خليفة الى هجمات وهابية مباشرة على الزبارة والمنطقة المجاورة لها الا في سنة ١٧٩٥ ٠ وحتى لو فرضنا ان آل خليفة او ابناء عمومتهم آل صباح ، كانوا يعلمون بهجوم وهابي مبيت عليهم ، فان المسافة الشاسعة بين الكويت من جهة والبحرين والزبارة من جهة اخرى ، جعلت ذهاب قوات عتيبة للنجدة امرا غير عملي ، سواء عن طريق البر او في البحر ٠ وبالاضافة الى هذا ، فان طبيعة القتال الوهابي ، القائمة على الغارات السريعة

---

(١) قارن ابن غنام ١ : ص١٥ ٠

(٢) عندما ذكر (لمع الشهاب) الهجمات الوهابية على الزبارة قال عن المدينة انها من اغنى الموانىء وكان يقيم فيها اغنى تجار العرب كابن رزق وبكر لولو وآخرين من آل خليفة (ورقة ٩٥) ٠

والكر والفر ، هي عامل آخر • فالوهابيون قد اعتادوا في هجماتهم ان يعتمدوا على قدرتهم في تجميع قواهم وتفريقها في سرعة فائقة (١) ويذكر المؤرخان الوهابيان ابن غنام وابن بشر غارتين وهابيتين وجهتا ضد الكويت (٢) اما الاولى فوقعت في سنة ١٢٠٨هـ-١٧٩٣م ، وكان يقود الوهابيين ابراهيم بن عفيصان ، الذي كان قد كسب منذ امد غير بعيد ، معارك ضد بني خالد في الاحساء (٣) • اما جيش ابن عفيصان فكان قوامه عرب من نجد من الخرج ومن العارض ومن سدير ، ولم يرد ذكر لعرب من الاحساء في هذه الغارات بين من دونهم ابن غنام وابن بشر من المشتركين فيها (٤) اما الغارة التالية فقد حدثت في سنة ١٢١٢هـ - ١٧٩٧م ، واشترك فيها بخلاف السابقة بعض اهل الاحساء في جانب الوهابيين • ومن الاهمية بمكان ان نلاحظ ان المؤرخين الوهابيين عندما يتحدثان عن الهجوم الوهابي الاول يذكران بان اهل الكويت قد خرجوا لملاقاة الوهابيين خارج اسوار مدينتهم ، وانه كان من بين الغنائم التي كسبها الوهابيون اسلحة شهيرة وثمينة (٥) • عاد ابن عفيصان ورجاله بغنائمهم الى بلدانهم في نجد بعد ان قتلوا ثلاثين من اهل الكويت (٦) •

اما الغارة الوهابية الثانية على الكويت فقد وقعت طبقا لرواية المؤرخين الوهابيين في سنة ١٢١٢هـ - ١٧٩٧م (٧) غير اننا نستطيع ان نستنتج من رسالة صادرة عن الوكالة الانكليزية بالبصرة (٨) ومن كتاب بريد جز عن الوهابيين

---

(١) انظر صفحات ٢١١ - ٣٣٢ من كتاب Notes on the Bedouins ثم ص١٠ - ١١ من The Wahauby

(٢) ابن غنام ٢ : ١٩١ ، ٢٧٣ • وابن بشر ١ :١٠٢ ، ١١١ •

(٣) انظر ما سبق في هذا الكتاب ص ١٢٣ •

(٤) قارن ابن غنام ٢ : ١٩١ ، وابن بشر ١ :١٠٢ •

(٥) ابن غنام ٢ : ١٩١

(٦) المصدر السابق

(٧) انظر ابن غنام ٢ : ٢٧٣ وابن بشر ١ : ١١١ •

(٨) الرسالة ١٧٠٠ مجلد ١٩ من مانيستي وجونز بالكويت الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ١٥ يوليه ١٧٩٤ •

(١) ان الهجمات الوهابية على الكويت لم تنقطع بعد عام ١٧٩٣ ، وانما كانت متكررة طوال فترة اقامة الوكالة الانجليزية بالكويت ولقد وصف يريد جز في تفصيل دقيق احدى الغارات الوهابية الخطيرة على الكويت وبين كيف استطاع الشيخ عبدالله آل صباح « ورجال بلدته الشجعان » ان يصدوا ذلك الهجوم (٢) ولا بد ان هذا الهجوم قد وقع على الكويت قبل سفره الى بغداد عام ١٧٩٤ ، ومنها الى اسطمبول فبلاد الانجليز ٠ ويصعب علينا نحن ان نقرر ان عتوب الكويت اتخذوا موقف المهاجم لا المدافع في اية هجمة ، اذ ان هذا ما لا توحي به المصادر الوهابية والمصادر الانجليزية ٠ والاشارة الوحيدة الى هجوم كويتي على الوهابيين يمكن تتبعها في ابن غنام (٣) ، الذي يقول عندما يسجل حوادث عام ١٢١٢هـ - ١٧٩٧م ، ان مشارى بن عبدالله الحسين ، وهو من اهل الكويت ، قد هاجم جماعة الوهابيين على مقربة من الكويت ٠ وكانت جماعة مشاري تتألف من عشرين محاربا يمتطون ظهور الجمال ، وعدد آخر من فرسان العتوب ٠ وكانت نتيجة هذه الموقعة مقتل مشاري (٤) ٠ وفي وقت مبكر من نفس السنو هاجم الوهابيون ، وكانوا بقيادة مناع ابي رجلين الكويت ، وخرج العتوب للقائهم خارج مدينتهم غير انهم انسحبوا من ميدان المعركة مخلفين وراءهم كمية من الاسلحة وعشرين قتيلا (٥) ٠

ولعل الوهابيين بهجماتهم هذه على الكويت قد ارادوا ان يبينوا للعتوب ان اي جماعة تقف مع بني خالد او اعداء الوهابيين الاخرين ، على اية شاكلة ،

---

(١) انظر Brydges, **The Wahauby**, pp. 11—12

(٢) المصدر السابق: ١٣ - ١٥ ٠

(٣) لا يشير ابن بشر الى هذا الهجوم في تاريخه ٠

(٤) ابن غنام ٢ : ٢٧٤

(٥) يقول ابن بشر (١ : ١١١) ان هذا الهجوم على الكويت قد شن بناء على امر عبدالعزيز بن محمد آل سعود ، وان كون المهاجمين كانوا من الاحساء قد يدل على ان عبدالعزيز كان يريد ان يمتحن وفاء اهل الاحساء بعد مضي عامين على اخضاعهم لحكم الوهابيين في عام ١٧٩٥ ٠

ستعرض نفسها لانتقام الوهابيين • اما استطاعة عتوب الكويت الافلات من تسلط الوهابيين ، فربما كان سببها انشغال الوهابيين السابق في جبهات اخرى ، لا سيما عن طريق غير مباشر مع العثمانيين في شخص ثويني امير المنتفق ، او بطريق مباشر معهم في شخص علي باشا ، كيخيا بغداد • ويبدو ان العتوب قد ساعدوا العثمانيين ايضا في حروبهم ضد الوهابيين • ففي سنة ١٢١١هـ - ١٧٩٦م امضت قوات ثويني ، قبل وبعد اغتياله على يد الوهابيين في الاحساء ، واثناء انسحابهم الى العراق ، نحو ثلاثة اشهر في قرية الجهرة بجوار الكويت ، ثم انه في اواخر عام ١٧٩٥ بعد فشل ما يسميه المؤ رخان الوهابيان بالمؤ امرة على الوهابيين في الاحساء ، فر كثير ن من اهل الاحساء الى البصرة وبغداد ، حيث زينوا لسليمان باشا ارسال ثويني لقتال الوهابيين ، الذين كانوا يتأهبون للزحف على البصرة • وعلى الرغم من ان دور عتوب الكويت في حملة ثويني غير واضح المعالم ، لان الاشارات تذكر دائما بني خالد واعوانهم ، فان عتوب الكويت الكويت لا بد وان يكونوا قد انحازوا الى جانب ثويني ، لانهم بدورهم كانوا يقاسون من خطر التهديدات الوهابية المستمرة من ناحية ، ثم لانهم كانوا اعوانا لبني خالد من ناحية اخرى •

حملة علي باشا في سنة ١٧٩٨

اخذ الوهابيون في الاستيلاء على شبه جزيرة قطر بعد ان ثبتوا اقدامهم في الاحساء • غير ان ذلك لم يكن معناه ان العثمانيين في العراق غفلوا عن تزايد النفوذ الوهابي في تلك الديار • فبعد فشل حملة ثويني بقليل ، قاد سعود جماعات الوهابيين مغيرا على الشمال وهاجم ضواحي العراق (١) • ولما رأى سليمان باشا ، والي بغداد الخطر الوهابي يقف على عتبة بيته ، رأى ان لا مندوحة عن اعداد حملة ضد الوهابيين • عهد سليمان باشا بقيادة هذه الحملة الى كيخياه علي باشا ، وكان مملوكا كرجيا • تقدم فرسان الحملة عن طريق البر قاصدين الاحساء ، أما المشاة والمدفعية والذخائر فقد حملتهاالسفن الى البحرين والى

---

(١) كان الهجوم موجها على السماوة وسوق الشيوخ • انظر ابن بشر ١ : ١١٢ •

موانىء الاحساء الاخرى ، حيث استقبلت بكل ترحاب (١) ، ولما كان تفصيل هذه الحملة يخرج عن نطاق بحثنا هذا اذ انها تتعلق بالعلاقات العثمانية الوهابية ، فاننا سنعالجها بالقدر الذي تلقيه من ضوء على تاريخ الكويت وسائر العتوب • يحدثنا صاحب لمع الشهاب بان المدفعية والمواد الغذائية والاسلحة التابعة لحملة علي باشا الكرجي قد نقلت في السفن الى البحرين وفرغت شحناتها في موانىء الاحساء ايضا ، ويضيف بان الحملة قد استأجرت مائتي مركب من الكويت لاستخدامها في هذه العملية (٢) • ان انزال هذه المنقولات في البحرين يدل دلالة واضحة على ان آل خليفة كانوا بدورهم منحازين الى جانب العثمانيين (٣) •

دور الوكالة الانجليزية في الدفاع عن الكويت

ليس لدينا دليل من سجلات وكالة البصرة يبين ان الوكالة قد ساندت اهل الكويت في موقفهم من غارات الوهابيين . **والواقع ان عكس هذا** قد اورده بريدجز ، الشخص الثاني بالوكالة في الكويت ، في كتابه

---

(١) يمكن تتبع تفاصيل وافية عن اعداد هذه الحملة وطريق زحفها على الوهابيين عبر الاحساء بدلا من الدرعية وبيان اسباب فشلها في كتابات معاصرة لثلاثة مؤلفين هم بريدجز Brydges في كتابه Wahauby ١٩ـ٢٤ ، صاحب لمع الشهاب (الاوراق ١٧٣ ـ ١٨٤) ، وكتاب ابن سند المسمى (مطالع السعود) (الاوراق ١٧٠ ـ ١٧٥) •

(٢) انظر « لمع الشهاب » (ورقة ١٧٦) • أما الرجل الذي نظم هذه المسألة فهو عبدالله أغا ، متسلم البصرة ، الذي كان على ما يبدو على علاقات طيبة مع العتوب ، ذلك انه عندما علم بمقدم علي باشا الى البصرة ، سارع الى الهرب في سفينة متوجها الى الكويت نظرا لعداوة سابقة له مع علي باشا ، غير ان علي باشا سرعان ما طيب خاطره واستدعاه صافحا عن كل ما مضى (المصدر السابق ، ورقة ١٧٥) •

(٣) ورد في صفحة ٤٢٩ من مختارات بومباي ان العتوب كانوا ينوون المشاركة في هذه الحملة بالاضافة الى عرب المنتفق وقبائل البصرة • غير انه لا توجد تفاصيل عن ماهية هذه المشاركة • ويبدو ان العون الذي قدموه كان عونا بحريا •

Wahauby (١) ، اذ يبين ان الكويت دافع عنها أهلها فقط ، وأن الذي حماها هو شجاعتهم وثقتهم الكاملة في شيخهم عبدالله بن صباح ، الشيخ الوقور ، المهيب الطلعة الذي كانوا ينظرون اليه نظرتهم الى والد لا الى حاكم (٢) ، وان الوكالة لم تتدخل في الصراع (٣) الناشيء بين الخصمين لان هذه كانت هي اوامر الشركة ثم لان الوكالة كانت لا تريد ان يعطل الوهابيون بريدها الصحراوي ٠ غير انه يصعب علينا ان نوفق بين قول بريد جز ورواية شخصية اخرى من رجال الوكالة الانجليزية بالبصرة ، وهو رينود حسب ما كتب الى الدكتور سيتزن Seetzen من حلب بتاريخ ١٨٠٥ (٤) ٠ ففي الوقت الذي بين فيه بريدجز ان الهجوم الذي قام به الوهابيون على الكويت كان قوامه خمسمائة شخص ، انهزموا على اثر طلقة واحدة من مدفع قديم كان الشيخ قد انزله من احدى سفنه الى البر (٥) ، فان المستر رينود من ناحية اخرى يقول بان قوام الجيش الوهابي المهاجم كان ٢٠٠٠ جمل يحمل كل منها رجلين ، اولهما مسلح ببندقية والثاني بحربة يحمي زميله وهو يحشو بندقيته ، ويدعى ايضا انه بناء على أوامر مانيستي انزل مدفعان من طراد بريطاني الى بر الكويت ، وكانت تستعملها الوكالة بقصد الدفاع وان حرس الوكالة ايضا قد ساهموا في رد الهجوم الوهابي وان الوهابيين قد تكبدوا خسائر فادحة اثناء هربهم على شاطيء البحر امام نيران الطراد الانجليزي نفسه (٦) ٠ ويضيف رينود الى ذلك ان غضب الهابيين من هذا التصرف قد جعلهم يقومون بغارات على بريد الشركة وهذا كان هو السبب الذي جعله يسافر

---

(١) انظر صفحات ١٢ ـ ١٦ ٠

(٢) المصدر السابق (ص ١٢) ٠

(٣) تعهد امير الوهابيين ، وفقا لما اورده كورانسيز Corancez (ص ٥٠) بان يحمي البريد الانجليزي طالما كان هو في صلح مع باشا بغداد وقد قتل شخصا ذات مرة لتعرضه لذلك البريد ٠

(٤) انظر Montaliche Correspondentz, 234-235

(٥) انظر The Wahauby, P.12

(٦) Montaliche Correspondentz, pp. 234- 235

بأمر من مانيستي الى الدرعية لاعادة العلاقات الطيبة مع الوهابيين (١) ، وكان رينود بذلك اول اوروبي يزور الدرعية في عهدها الزاهر الجديد ، عهد تأسيس دولة الوهابيين الاولى ٠

وعلى الرغم من اننا لا نجد تاريخا محددا لذلك الهجوم على الكويت في اي من المصدرين السابقين ، سوى ما ذكر من انه حدث اثناء اقامة الوكالة الانجليزية بالكويت ، فيبدو من المحتمل ان رواية رينود عن دور الوكالة لا يمكن ان تكون خيالية ، فهنالك ادلة كثيرة يمكن ان تؤ يدها ويأتي في المقام الاول ان الوكالة كانت مسؤ ولة عن بضائع الشركة ، التي كانت في الكويت كميات كبيرة منها ٠ ولا شك ان الوهابيين لا يمكن ، لو احتلوا الكويت الا ان يستولوا على هذه البضائع ، على انها اموال للكفار ٠ وبالاضافة الى هذا ، فانه يبدو من غير المحتمل ان ينكر مانيستي جميل شيخ الكويت واهلها ، الذين رحبوا بمقدمه واكرموا وفادته قبل هذا الهجوم الوهابي بقليل ٠ غير ان مانيستي في نفس الوقت لم يكن قادرا على ان يشرح لرؤ سائه في لندن ، في رسائله ، الدور الذي لعبه ضد الوهابيين ، نظرا لان سياسة الشركة كانت حتى ذلك التاريخ سياسة حياد بين قوى الخليج ٠ ومما تجدر ملاحظته ان الرسائل الصادرة من الكويت لم تورد اي تفصيلات عن اي هجمة وهابية عليها على الرغم من انه ليس هنالك اي مجال للشك بأن هذه الهجمات قد حدثت بالفعل ٠

ومما هو جدير بالذكر كذلك ، ان الكويت قد احتفظت باستقلالها وبقيت خارج منطقة النفوذ الوهابي بعد اخضاع الوهابيين للزبارة ٠ اما تفسير هذا فنستطيع ان نقدمه على اساس ان الوهابيين ، بعد سنة ١٧٩٦ ، كانوا منهمكين في رد الهجمات التي كان يشنها عليهم شرفاء مكة من ناحية وثويني شيخ المنتفق في

---

(١) انظر Lorimer, **Gazetteer,** I,i,1004

سنة ١٧٩٧ ، وعلي باشـا ، كيخيا بغـداد ، في سنـة ١٧٩٨ ، من نـاحية اخرى ٠ اضف الى ذلك ان العتوب لم يكن لديهم جيش يرى فيه الوهـابيون خطرا قويا على نفوذهم القائم في شرقي الجزيرة العربية ، لا سيا وانه كان بمقدور الوهابيين ان يقذفوا الى ميدان المعركة بعدد من الرجال يبلغ ٥٠٠٠٠ راكب جمل (١) ٠ وهكذا بدا ان اخضاع العتوب لحكم الوهابيين قد اجل الى حين ٠

ومهما يكن من امر فإن حاكم مسقط شن هجوما في عام ١٧٩٩ على البحرين بحجة ان السفن العتبية التي كانت تعبر مضيق هرمز رفضت ان تدفع الاتـاوة المستحقة على السفن التي تعبر ذلك المضيق ، غير انه فشـل في الاستيلاء على المنامة ، عاصمة البحرين ، وعاد الى مسقط (٢) ٠ ولكن حملة الامام التي شنها على البحرين ، في سنة ١٨٠٠ نجحت في الاستيلاء على البحرين ، واخذت ستا وعشرين اسرة عتبية الى مسقط كرهائن ، بينما فر الكثيرون من اهل البحرين الى مدينتهم المهجورة الزبارة ، ومن هناك طلبوا العون الوهابي ٠ وكانت هذه هي الفرصة التي ينتظرها الوهابيون فسارعوا بتقديمها (٣) ٠ عاد العتوب واحتلوا البحرين من جديد في سنة ١٨٠١ غير ا انهم حملوا معهـم النفـوذ الوهابي الى جزيرتهم ٠ اننا لا نعرف على وجه الضبط المدى الذي بلغه النفـوذ الوهابـي في الكويت آنذاك ، ووفقـا لما اورده كمبـل Kemball مساعـد المقيم البريطانـي في الخليج ، كان النفوذ الوهابي قائما في جميع الساحل الشرقـي للجـزيرة العـربية الممتد على الخليج العربي من البصرة شمالا الى اراضي القواسـم في الجنـوب ، وذلك في الفترة ما بين ١٨٠٠ ـ ١٨٠٢ (٤) ٠ وان هذا يعني بالتالي ان عتوب

---

(١) انظر صورة عن رسالة صادرة عن بغداد بتاريخ اول ديسمبر ١٧٩٨ (المجلد ٢١ ارسلها Brydges الى يعقوب بوسانجه Jacob Bosanguet رئيس مجلس المديرين بلندن ٠

(٢) انظر السيرة الجلية ورقة ٥١ وكذلك الفتح المبين ، الاوراق ١٩٣ ـ ١٩٤ ٠

(٣) انظر ابن بشر ١ : ١٢١

(٤) انظر منتخبات حكومة بومباي (٢٤) : ١٥٢ ٠

الكويت كانوا قد اعترفوا بسيادة الوهابيين ان صح قوله (١) ، وسوف نعرض لتفصيل هذا الموضوع في الفصل التالي من هذا الكتاب

---

(١) يقول المستر واردن Warden في مقالته التاريخية عن ظهور مسقط في منتخبات حكومة بومباي : ١٧٤ ، ان سلطان مسقط بعد ان فتح البحرين في سنة ١٨٠١ طلب من شيخ الكويت ان يأتي بشخصه ويقدم له فروض الطاعة وهو امر ؛ في رأي واردن Warden لا بد وان يكون شيخ الكويت قد نفذه ، نظرا لان السلطان بعد هذا بقليل قد سحب جيوشه ٠ ومهما يكن من امر فليس هنالك اشارة الى الكويت في تاريخي ابن غنام وابن بشر فهما يشيران الى البحرين دون الكويت ، ويقرنان اسم الشيخ سلمان آل خليفة بالعبارة التالية « امير عبدالعزيز على البحرين والزبارة » ٠ (ابن بشر ١ : ١٢٩) ٠

الفصل الخامس

اتضاح الطريق السياسي للكويت السنوات الأخيرة للشيخ عبدالله بن صباح

انتضاح الطريق السياسي للكويت السنوات الأخيرة للشيخ عبدالله بن صباح

لقد بينا في بداية تاريخنا هذا كيف ان الاوضاع السياسية في الخليج في النصف الاول من القرن الثامن عشر قد كانت عاملا هاما في قيام مشيخة الكويت ، ورأينا فيما اعقبه من فصول كيف عملت عوامل عديدة على استمرار تقدم الكويت وازدهارها طوال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وكذلك اوضحنا مواقف القوى المختلفة العاملة في الخليج العربي سواء منها الاوروبية والمحلية من عربية وفارسية وتركية ، ورأينا كذلك كيف كانت الاوضاع العامة في الخليج تسير او تسير من لدن الكويت في سبيل نجاح المدينة وتقدمها • وفي الفصل الحالي سنتناول ما جد من اوضاع في منطقة الخليج العربي بحيث يتضح موقف الكويت منها وفيها •

ولعله من المفيد ايضا ان نقرر ان الكويت في هذه الحقبة كانت ترتبط سياستها بممتلكات العتوب عامة ، في الزبارة بقطر وفي البحرين ، وان الاحداث في ذينك المكانين ، كان لها دائما صدى بعيد في مواقف الكويت المتعددة خلال هذه الفترة الوجيزة من تاريخها •

ولقد سبق ان بينا كذلك ان احداث الخليج العربي تكاد تكون مترابطة متداخلة ولا تكاد مشيخة او امارة او دولة لها مصالح في الخليج ان تقف بمنأى عن اي حدث هام يقع في مياهه او من حوله •

وعلى هذا سننظر اولا في القوى العاملة في منطقة الخليج في هذه الحقبة ، ثم سنتناول من بينها الاحداث الهامة المرتبطة بها وبالكويت بالدراسة والبحث •

ولعله من الجدير بالذكر ان نثبت في هذا المقام ان التاريخ المدون بهذه الحقبة ، سواء في المراجع العربية او وثائق شركة الهند الشرقية ، او المراجع الاوروبية لتاريخ احداث الخليج او من الحقبة الماضية ، وان كان المتعلق منه بتاريخ الكويت نزرا يسيرا حتى لقد ذهب لورمر الى القول بأن الكويت لم يرد لها ذكر في سجلات الشركة بعد ان رحلت منها الوكالة التجارية الانجليزية عام ١٧٩٥ الا نادرا (١) ٠ ومع ذلك فأن ذكر الكويت يرد في مصادر اخرى اوروبية وعربية وحتى في سجلات الشركة كما سيتبين من سياق بحثنا الحالي في تاريخ الكويت في هذه الحقبة ٠

اما القوى التي كان لا بد من ان يحسب حسابها في تاريخ هذه الحقبة فهي اولا : القوة الوهابية على ارض الجزيرة العربية ، ثم ثانيا : قوة القواسم في مياه الخليج ، ثم ثالثا : قوة سلطان مسقط وعمان ورابعا : قوة شركة الهند الانجليزيه الشرقية ، ولا شك ان متتبع الحوادث في الحقبة السابقة من تاريخنا هذا ، سيدهش لاهمالنا ذكر قوة فارس وقوة الاتراك ، ولكن الدهشة تزول حين يعلم ان فارس كانت تشكو من اضطراب مزمن لم يمكنها من القيام بأية مغامرة ذات شأن في الخليج في هذه الحقبة ، واما تركيا فكانت منهمكة في مشاكلها الاوروبية لا سيا حروبها مع روسيا التي كانت شبه مستديمة ، ثم حربها مع فرنسا التي نشأت عن احتلال بونابرت لمصر عام ١٧٩٨ وما اعقب تلك الحروب من صراع مع محمد علي باشا الذي آلت اليه ولاية مصر عام ١٨٠٥ ، ولم تنعم ممتلكاتها في العراق بوال قوى يملك القدرة على تدخل حاسم في شئون الخليج بعد مقتل سليمان باشا والي بغداد عام ١٨٠٢ (٢) ٠

ان تاريخ الكويت وسائر مدن العتوب في الفترة ما بين ١٨٠٠ وحتى ١٨١٥ ، وهي سنة وفاة الشيخ عبدالله بن صباح ، الحاكم الثاني لامارة الكويت ، لا يمكن ان يتضح اذن الا بعد ان تتضح الصورة التي كانت عليها اوضاع الخليج في نفس الفترة ٠

---

(١) Gazetteer, I, i, 1006

(٢) انظر لمقتل سليمان باشا ابن بشر ١ : ١٢٢

أولا - القوة الوهابية :

اما الوهابيون ، وقد تقدمت الاشارة الى اهمية الدور الذي لعبوه في نجد ، فانهم في عشر السنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر ، قد اتموا تحطيم قوة بني خالد في الاحساء ، وخضعت لهم بالتالي المناطق التي كانت تخضع لبني خالد فيها . وعلى هذا لا بد من النظر في تاريخ الوهابيين في الفترة ما بين ١٨٠٠ ، ١٨١٥ بدقة ، ولو ان الايجاز سيكون طريقنا ، وذلك بالنظر الى ان هذه الحقبة في رأينا هي فترة المد الوهابي ، بل اوج الحكم الوهابي في الجزيرة ، وهي تلك الفترة التي بدات فيها الدولة العثمانية بنوع خاص ، وكذلك شركة الهند الانجليزية ، من بين القوى ذات المصالح في الجزيرة العربية ، بدأت فيها مرحلة التيقن من ان الخطر الوهابي لا بد وان يدهم مصالحها في الخليج والجزيرة عامة .

لقد سبق ان بينا كيف ان الدولة العثمانية تحركت لقتال الوهابيين عام ١٧٨٧ حين سار ثويني أمير المنتفق لقتالهم ، ثم عام ١٧٩٦ في حملته الثانية التي لقي فيها مصرعه (١) ، ثم ما كان من قيام علي باشا كيخيا بغداد بحملته الفاشلة عليهم عام ١٧٩٨ (٢) . لقد اشتدت الهجمات الوهابية على العراق في الفترة ما بين ١٨٠١ ، ١٨١٠ (٣) ، وقام الوهابيون باعمال التدمير والسلب في مدن كربلاء والنجف والسماوة وبغداد والبصرة ، مما لا داعي لتفصيله في هذا المقام ، وذلك لاسباب عدة ، كان من بينها ، للحملات التي شنوها بعد عام ١٨٠٣ ، اغتيال الامير عبد العزيز على يد شيعي او كردي من العراق (٤) .

---

(١) انظر ص١٢٨

(٢) انظر ص ١٢٨ ، وكتاب لمع الشهاب : ١٧٣ - ١٨٧ لتفاصيل الحملة ، ثم Brydges, 23-27

(٣) انظر ابن بشر ١ : ١٢٣ - ١٣٢ Musil, Northern Negd,26ff, Longrigg, 229

(٤) انظر ابن بشر ١ : ١٢١ - ١٢٩ ، حيث يورد ذلك الحدث الهام ويدون تفاصيله ، وكذلك قارن Longrigg, 229, Lorimer, I, i, 1054

ولا ريب ان فترة تولي سعود بعد ابيه عبد العزيز من ١٨٠٣ وحتى عام ١٨١٥ اي حين وفاته ، هي الفترة الذهبية للحكم الوهابي في الجزيرة (١) وفي نفس الفترة المشار اليها اي في السنوات العشر الاولى من القرن التاسع عشر بسط الوهابيون نفوذهم على الحجاز ، وصار شريف مكة بمثابة وال لسعود على مدن الحجاز المقدسة ، وتعرض الحج الشامي لفترة من التوقف اعتبارا من عام ١٨٠٨ (٢) وحتى وصلت قوات محمد علي باشا والي مصر ، بقيادة ابنه طوسون باشا الى الحجاز عام ١٨١١ واستولت على مكة بعد ذلك مما لا داعي لتفصيله الا بقدر القول ان الحملة المصرية قد كسرت شوكة الوهابيين فيما بعد في نجد ذاتها ، وهدمت الدرعية عام ١٨١٨ وازالت حكمهم عن نجد وشرقي الجزيرة وسائر

---

(١) يقول صاحب لمع الشهاب تحت « فرع في بيان محصول المال لآل سعود لما تم لهم الامر وذلك ايام دولة سعود : اعلم ان آل سعود يأخذون من الرعايا اموالا من نقود وغيرها ويسمون ذلك زكاة فزكاة البوادي الذين هم سكنة نجد محصولهم كل عام اربعماية ألف ريال والذين تحت حكمهم من البداة (الذين) ينزلون اطراف الشام واليمن وتهامة وعمان قدر خمسماية الف ريال كل سنة يؤخذ منهم واما الاحصاء (اي اهل الاحساء) فمدخولهم منها غير التقارير التي رتبوها لبعض الناس اربعماية الف ريال ومن القطيف يدخل عليهم في العام مائتا الف ريال ومن البحرين اربعون الف ريال ومن بلاد اليمن كل سنة ثلاثماية ألف ريال ،ومن اعراب الحجاز وبعض البلاد منها كل سنة محصولهم مائتا الف ريال ويدخل عليهم من رأس الخيمة خاصة في العام مائة وعشرون ألف ريال من جهة الغنائم غير التحف واما زكاة بلدان عمان من التي استولوا عليها من البداة والحضر مقدار مائة وخمسين الف ريال غير الرواتب التي رتبوا لها للعسكر والمرصدين ولآل سعود ايضا مداخيل لا تنضبط من هدايا الملوك لهم وكذلك من الغنايم شيء كثير لا يحصى ولهم محاصيل من الاملاك في نجد وفي الاحصاء يبلغ عددها كل عام ثلاثماية الف ». (انظر لمع الشهاب : ٢٣٦ - ٢٣٧) ثم يتحدث صاحب لمع الشهاب عن الترف والثراء الذي يتجلى في ملابس سعود وعبد العزيز والده ثم في نسائهم وجواريهم) انظر لمع الشهاب : ٢٣٨ - ٢٤٦)

(٢) انظر ابن بشر ١ : ١٣٧ وما يليها، حيث يتحدث عن سبب ذلك التوقف.

انحاء الجزيرة التي كانت تدفع الزكاة للوهابيين (١)

والذي يهمنا من هذا التوسع الوهابي بالذات ، ما كان من احتلال الوهابيين لشرقي الجزيرة والقضاء على نفوذ بني خالد ، ثم ما اعقب ذلك من دخول القواسم ، اصحاب راس الخيمة وغيرها من بلدان عمان الصير ، ضمن اطار النفوذ الوهابي طوال الحقبة التي نتعرض لها بالدراسة في هذا الفصل ، ثم ما كان من تأثر عتوب الزبارة والبحرين بالمد الوهابي وخضوعهم له منذ عام ١٨٠٠ تقريبا ، وما كان من اثر لذلك في الكويت التي كانت هي راس العتوب (٢) ٠

وكان لا بد من أن تصطدم الكويت بالمد الوهابي بطريق مباشر او غير مباشر وهو ما كان فعلا على ما سنبينه في حينه ايضا ٠

ثانيا - القواسم :

اما القواسم ، وقد لعبوا دورا هاما في تاريخ الخليج في هذه الحقبة ، فقد كانوا متأثرين في معظم اعمالهم واتجاه سياستهم بسلطان الوهابيين عليهم ٠ وتنحصر اهميتهم بالنسبة لبحثنا في انهم كانوا عونا بحريا للوهابيين الذين كانوا اقوى قوة ضاربة في البر في الجزيرة بل وفي المنطقة باسرها اي في الجزيرة واطرافها ، لكنه كان من العسير على تلك القوة ان تتحرك في الخليج دون عون الاسطول القاسمي ، فما هو دور القواسم في تاريخ هذه الفترة ؟ وكيف كان لذلك اثره في الكويت وعلاقاتها بقوى الخليج ، هذا ما سنحاول التعرض له في حينه ايضا ٠

لقد وصف القواسم بالقرصنة واتهموا بانهم كانوا يعرقلون سير التجارة في الخليج فهل كان القواسم قراصنة ؟ هذه مسألة اخرى سنتعرض لها بالقدر الذي

---

(١) انظر لتفاصيل القتال واحتلال الجزيرة مؤلف الدكتور عبد الحميد البطريق المشار اليه آنفا وهو ' Turkish and Egyption Rule in Arabia ' وهوالبحث الذي تقدم فيه لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن، وفيه اعتمد على المصادر الاصلية المصرية المحفوظة بوثائق قصر عابدين بالقاهرة ووثائق الحكومة الرسمية في دار الوثائق البريطانية Public Record Office بلندن.

(٢) حتى لقد ذهب مالكوم في تقريره عام ١٨٠٠ الى القول بأن جميع العتوب في الزبارة =

نراه كافيا من حيث علاقة القرصنة بتجارة الكويت وعتوب البحرين والزبارة في الخليج وخارج مياهه (١) .

ثالثا - مسقط وعمان :

اما القوة البحرية التي كانت تضارع قوة القواسم فكانت قوة مسقط وعمان . ولقد تعرضت عمان بدورها لهجمات وهابية متكررة عليها اعتبارا من مطلع القرن التاسع عشر وحتى عام ١٨١٤ اي طوال الفترة التي تناولها هذا الفصل من تاريخنا . ولقد استطاع الوهابيون ان يتدخلوا في شئون عمان الداخلية وان يجبروا حكامها على دفع الاتاوة طوال هذه الفترة تقريبا نظرا لانقسام الاسرة الحاكمة ، اسرة البوسعيديين ، على نفسها وتنازع افرادها على السلطان منذ وفاة مؤسس الاسرة احمد بن سعيد في ١٥ ديسمبر ١٧٨٣ . ولقد اعقبه في الحكم ابنه سعيد الذي حكم حتى عام ١٧٩٣ واعقبه اخوه سلطان (١٧٩٢ - ١٨٠٤) الذي تولى من بعده ابن اخيه بدر بن سيف بن احمد بن سعيد الى ان قتل عام ١٨٠٧ ، حين تولى الحكم سالم وسعيد ، ولدا سلطان بن احمد بن سعيد ، وشمل حكمهما باقي الفترة التي نحن بصددها (٢) ولقد كان لسلاطين مسقط علاقات مباشرة بالكويت والزبارة والبحرين وهي علاقات عدائية ، وقد سبقت الاشارة الى شيء منها في ختام الفصل الرابع من هذا الكتاب (٣) . غير ان هذه العلاقات مع الكويت كانت وهابية قواسمية مسقطية في آن واحد ، يصعب افراد حوادثها بعضها عن بعض ، ومن هنا سوف نأتي عليها مجتمعة لا منفردة .

= والبحرين والكويت يخضعون لسلطان شيخ الكويت. انظر تقرير مالكوم في مختارات سلدنها : ٤٤٤ ، الفقرة ٢٦ .

(١) انظر من اجل دراسة مستفيضة لنشأة القواسم في مطلع القرن التاسع عشر

Buckingham, **Travels in Assyria** etc. 204 — 27

Low, **History of the Indian Navy**, I, 315 — 366

(٢) انظر لتفصيل حكم آل بو سعيد الفصل الخامس عشر من مايلز (Miles)

Countries and Tribes of the Persian Gulf, pp. 265-373

(٣) مرجعها في الاصل خلاف على اتاوة وكانت مسقط تطلبها من سفن العتوب عند عبورها منطقة رأس مسندم.

رابعا - شركة الهند الشرقية الانجليزية وحكومة بومباي البريطانية :

اما القوة الرابعة فهي القوة البريطانية الممثلة في شركة الهند الشرقية الانجليزية وحكومة بومباي البريطانية ، وقد سبق ان اسهبنا في الحديث عن النشاط الانجليزي التجاري في الخليج ، وقررنا ان النشاط الساسي البريطاني في الخليج لم يتبلور الا بعد الفترة النابليونية او بعبارة اخرى بعد ان غزا بونابرت (نابليون فيما بعد) مصر عام ١٧٩٨ ، واقتطعها من جسم الدولة العلية العثمانية (١) اذ حينذاك شعرت انجلترا بأن فرنسا بدأت تشكل خطرا على مستعمراتها في الهند ، وعلى تجارتها في الخليج العربي وجنوب شرقي آسيا . وكذلك سبقت الاشارة الى ان الخليج ، قبيل ذلك قد شهد فترة من النشاط الفرنسي على الصعيد البشري ، حين حاول كثير من الفرنسيين السفر الى المستعمرات الفرنسية في الهند ، خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، عن طريق الخليج العربي (٢) وذلك بعد ان تفوقت شركة الهند الانجليزية على فرنسا تجاريا في الخليج ، وبعد ان اضطر الفرنسيون الى اغلاق وكالتهم التجارية في بندر عباس (٣) غير ان فرنسا ، على الرغم من انها خسرت حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) ضد بريطانيا في منتصف القرن الثامن عشر ، وعلى الرغم من تفوق بريطانيا عليها في مياه المحيط الهندي والبحر العربي ، الا انها ظلت كابوسا يقلق بال بريطانيا في منطقة الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر ، اذ استمرت في محاولتها الرامية الى عقد معاهدات مع مسقط ، هدفها محاربة النفوذ الانجليزي في عمان والخليج ، وكذلك بقى نشاطها قائما في العراق وفارس ، والى نشاطها في مسقط ، وهو ما يهمنا في هذا المقام ، سترد الاشارات حين عرض الصراع الانجليزي الفرنسي واثره في السياسة البريطانية في الخليج جنوبا وشمالا لم تكن لفرنسا بالطبع علاقات مباشرة مع الكويت او البحرين ، غير ان علاقاتها بمسقط وعمان ،

---

(١) عندها سارعت بريطانيا بعقد معاهدة ١٧٨٩ مع مسقط.

(٢) انظر فيما سبق ص ٨٦

(٣) انظر Wilson, 189

جعلت نشاطها هناك يرتبط بالاوضاع السياسية العامة في الخليج ·

بعد هذا السرد الموجز للقوى العاملة في الخليج في مطلع القرن التاسع عشر ننتقل للحديث عن اثر حركاتها في الكويت ثم ما ارتبط بعتوبها من اهل البحرين والزبارة ·

الكويت في مطلع القرن التاسع عشر

شهد تاريخ الخليج العربي من مطلع القرن التاسع عشر مدينة الكويت ،وهي تتمتع بمركز رفيع بين مدنه ، كما يظهر تقرير المستر مالكولم المدون في نهاية القرن السابق (١) ، كما ان احداث السنة الاخيرة من القرن الثامن عشر والاولى من التاسع عشر تشير الى صحة ما ذهبنا اليه · فلقد تعرض عتوب البحرين عام ١٧٩٩ لغزو السيد سلطان ، صاحب مسقط لجزيرتهم ·

مسقط والكويت والبحرين

اما السبب الذي تذرع به سلطان بن احمد لغزو البحرين ، فهو امتناع عتوبها عن دفع ضريبة اعتاد حاكم مسقط ان ياخذها من كل سفينه تعبر الخليج عند رأس مسندم متجهة الى البصرة (٢) والواقع ان السبب انما يرجع الى جشع سلطان وطمعه في الاستيلاء على البحرين وذلك لثرائها النسبي بالنسبة لبلدان الخليج العربي (٣) · وقد تم لسلطان الاستيلاء على البحرين في اوائل عام ١٨٠٠ ، بعد ان قام بحملته البحرية عليها في اواخر عام ١٧٩٩ (٤) · وكان من نتيجة هذه الغزوة ان هرب بعض عتوب البحرين ولجأوا الى الزبارة ، وهي

---

(١) انظر تقرير المستر مالكوم في مختارات سلدنها : ٤٤٤ ، فقرة ٢٦ .

(٢) يقول مايلز Miles أن عمر هذه الضريبة كان آنذاك نحو مائة وخمسين سنة .
(**Countries and Tribes** II, 292)

(٣) قارن Lorimer, I,i, 841 وكذلك Miles, II,292

(٤) وصل جون ماكولم مسقط في ٨ يناير عام ١٨٠٠ في طريقه في مهمته الرسمية الى فارس =

مدينتهم التي هجروها قبيل ذلك ، حينما تسلط عليها الوهابيون (١) ، ثم لجأ نفر آخر منهم عند اقربائهم ، عتوب الكويت ، وهنا غادر سلطان البحرين ، متوجها الى الكويت مهددا عتوبها بالقتال ، ان لم يدفعوا له اتاوة بدورهم ، وهنا تختلف المصادر التي بين ايدينا في هذا الامر ، فالبعض يرى ان سلطان بن احمد ، قد اخذ اتاوة من الكويت وغادرها (٢) ، وبعضها يرى انه لم يأخذ شيئا بل عاد ادراجه فاشلا (٣) • واغلب الظن ان سلطان بن احمد لم يحقق هدفه الذي كان يصبو اليه وهو اعتراف العتوب له بنوع من السيادة عليهم ، وهو امر حرص حكام عمان ، وكذلك الفرس على انتزاعه من العتوب في مناسبات شتى ، وكانوا يفلحون في ذلك احيانا نتيجة لخطر داهم على عتوب البحرين والذي نذهب اليه ان توجه سلطان بن احمد الى الكويت لم يكن هدفه هو طلب تسليم عتوب البحرين الذين لجأوا اليها ، بقدر ما كان مناورة سياسية اراد بها سلطان بن احمد ان ينتزع من شيخ مشايخ العتوب ، عبدالله بن صباح ، اعترافا بسلطان مسقط على البحرين ، وهو قد فشل في طلبه هذا على ما يبدو اما لماذا يذهب سلطان بن احمد الى الكويت ليطلب مثل ذلك الاعتراف فأمره واضح بين ، اذ ان حاكم الكويت كان زعيما للعتوب في الشمال والجنوب ، وذلك بحكم عاملين اولهما انه لم يخضع لاكبر قوة كانت قد اتمت اخضاع شرقي الجزيرة ، واعني بها قوة الوهابيين ، ثم لان الكويت كانت في هذا الوقت بالذات منتعشة اقتصاديا بسبب اضطراب احوال القطيف والعقير عام ١٨٠٠ ، حين كان الوهابيون يشنون على القطيف بالذات هجومهم الذي شل حركتها التجارية •وكانت القطيف والعقير

= والعراق ، وكان يود أن يقابل سلطان بن أحمد حتى يوقع معاهدة مع الانجليز بخلاف المعاهدة التي وقعها عام ١٧٩٨ معهم ، ولما سأل عن سلطان قيل له انه سعيد بن سلطان هو الذي كان يقوم بغزو البحرين (قارن Gazetteer I,i, 1007)

(١) قارن منتخبات من سجلات حكومة بومباي : ٣٦٦ ، ثم Gazetteer, I, i, 1007

(٢) يتشكك لورمر في هذا الامر ويقول ان ذلك قد يكون من الجائز. انظر المصدر السابق.

(٣) قارن Countries and Tribes II, 292

هما منفذ تجارة الخليج الى نجد ، وقد تعطل نقل التجارة منهما وحلت الكويت والبصرة محلهما في هذا المضمار (١) • « لقد ترك سلطان بن احمد واليا على البحرين سيف بن علي بن محمد البوسعيدي » ثم عزله وولى عليها ولده سالم بن سالم بن سلطان ، وكان سالم يومئذ صغير السن « فجعل معه الشيخ محمد بن خلف الشيعي بالبحرين ، وامره ونهيه عليهم على ما بين العتوب والشيعه من العداوة والمنافرة (٢) » ثم انتهى الامر بعودة العتوب الى الجزيرة وطردهم سالما وجماعته منها (٣) ، غير ان هذه لم تكن هي المحاولة الاخيرة لسلطان لاحتلال البحرين ، فقد عاد ليحتل الجزيرة من جديد بعد ذلك عام ١٨٠٢ ، غير انه فشل فيما رمى اليه نظرا لمساعدة الوهابيين الفعالة للعتوب في الاحتفاظ بجزيرتهم ثم نظرا لان الخطر الوهابي كان يدق ابواب مسقط نفسها (٤) • لقد كانت نتيجة تطلع سلطان بن احمد الى احتلال البحرين ، وتطلع العتوب من حكامها الى الجماعة الوهابية ، ويبدو ان النفوذ الوهابي في البحرين بقى مستمرا حتى عام ١٨١١ ، كما سنبينه فيما بعد ، اي حتى زوال الخطر الوهابي عن شرقي الجزيرة العربية ، بعد ان وصلت طلائع قوات محمد علي باشا الى ميناء ينبع ، في طريقها لاحتلال المدينة ومكة وتحطيم القوة الوهابية •

الكويت والوهابية في مطلع القرن

واذا كان هذا هو موقف عتوب البحرين من الوهابيين فأين وقفت الكويت

---

(١) انظر Lorimer, Gazetteer, I,i, 948

(٢) الفتح المبين، ورقة ١٩٣ .

(٣) يمضي ابن رزيق في كتابه الفتح المبين فيقول : فنبذ العتوب العهد ونقضوا الميثاق الذي سبق بينهم وبين سلطان فاحتشدوا على سالم . . . ومقامه يومئذ بقلعة عراد فضيقوا عليه وعلى اصحابه الحصرة ثم وقع بينهم الصلح على خروج الشيعى ومن معه من البحرين الخ، ورقة ١٩٣ .

(٤) انظر لمساعدة الوهابيين لآل خليفة بالبحرين ابن بشر ١ : ١٢٢ قارن كذلك Gazetteer, I, ı, 842 وايضا نفس المصدر 7 — 1056 وانظر للخطر الوهابي على عمان نفسها **Countries and Tribes, II, 297**

منهم ؟ هل كانت الكويت تدفع اتاوة للوهابيين في هذه الفتـرة ؟ ام هل بقيت محافظة على استقلالها حتى بعد ان عم النفوذ الوهابي معظم انحاء الجزيرة خلال هذه الفترة ؟ يخيل لنا ان الاجابة عن اسئلة كهذه ليست بالامر اليسـير ٠ اذ لو اجبنا باثبات خضوع عتوب الكويت للوهابيين لما آزرتنا المصادر المتوفرة ، حتى ولا الوهابية منها كتاريخ ابن بشر ، ولو جاءت الاجابة بنفي ذلك لكانت مثارا للدهشة اذ كيف امكن للكويت ان تحتفظ باستقلالها في وقت خضع من هم اقوى منها لنفوذ الوهابيين ؟ واذا كانت علاقة القربى بين آل سعود وآل صباح وغيرهم من عرب نجد من سكان الكويت هي التي منعت الوهابيين من احتلال الكويت كما احتلوا غيرها ، فلماذا الزبارة وهي ملك آل خليفة وغيرهم من العتوب ؟

لقد بينا حين تناولنا العلاقات الوهابية الكويتية بالـدرس في الفتـرة ما بـين ١٧٩٠ الى ١٨٠٠ ، ان الكويت صمدت للهجمات الوهابية المتلاحقـة عليهـا لاكثر من سبب واستطاعت بالتالي ان تصون استقلالها آنذاك (١) ، اذ ان شوكة بني خالد مثلا ، لم تكن انقصمت نهائيا بعد ، ثم ان اقامة الوكالـة التجـارية الانجليزية بالكويت ما بين ١٧٩٢ -١٧٩٥م ومصالحهـا آنـذاك ، وبعـد ذاك المرتبطة بالكويت ، قد كانت سببا وجيها من اسباب استطاعة الكويت الاحتفاظ باستقلالها ان هذه الأسباب كانت قد انتفت بمطلع القرن التاسع عشر. قد يتبادر الى الذهن ان الكويت ربما كانت تحتمي بسلطان حاكم البصرة او شيخ المنتفق او والي بغداد ، ولكن الوقائع اثبتت انه لا هذا ولا ذاك كان بمقدوره ان يصمد في مدينته امام هجمات الوهابيين المتلاحقة عليهم ما بين ١٨٠١ الى ١٨١١ ، فلم يكن اذن ليغني عن الكويت شيء أنها كانت مجاورة للبصرة او العراق عامة والذي نذهب اليه هو ان الكويت كانت لا تزال قوية في مطلع القرن التاسـع عشر ، وكان بمقدورها ان ترد اي خطر بحري عليها ، ولم يكن للوهابيين قوة بحرية سوى قوة القواسم وهذه لم يكن بمقدورها ان تدحـر اسطـول الـكويت ، ثم كذلك لم يكن بمقدور الوهابيين ان يحتلوها عنوة برا لنفس الاسباب التي اوردناها

---

(١) انظر ماسبق ص ١٢٩ وما يليها.

من قبل ، اذ لا ريب ان الكويت كانت بها وسائل دفاعية ، تستطيع بها رد اي معتد عليها ، اذ كان بمقدور الكويت ان تجند للدفاع عن النفس ما بين ٥٠٠٠ و٧٠٠٠ مقاتل (١) ٠ هذا عن الموقف العسكري برا وبحرا ، غير انه يمكننا ان نجد سببا آخر لا يقل عن هذه الاسباب قوة ، الا وهو ما اعترفت به المصادر المعاصرة للشيخ عبدالله بن صباح ، من حكمة وسداد في الرأي وحسن سياسة وتدبير فلا نستبعد ان يكون لذلك اثره في عدم تعرض الكويت للعنف الوهابي ، فلقد ساير عبدالله بن صباح وعتوب الكويت امير الوهابيين ، حين طلب منهم ان تتوجه سفنهم مع سفن عتوب البحرين والقواسم ، في مظاهرة بحرية الى مسقط عام ١٨٠٣ لارهاب حاكمها ، وقد فعلت الكويت ذلك على كره منها ، وكذلك كان حال عتوب البحرين لان ذلك الطلب جاء في موسم الغوص على اللؤلؤ وهو موسم يهم عتوب الكويت كما يهم عتوب البحرين والزبارة (٢) ٠

وعلى ذلك عندما أرخ ابن بشر حوادث عام ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م وهو العام الذي اغتيل فيه الامام عبدالعزيز امير الوهابيين في اواخر ذي الحجة ١٢١٨ هـ واوائل نوفمبر ١٨٠٣ ، ادرج ابن بشر امراء عبدالعزيز فقال « ذكر امراء عبدالعزيز رحمه الله ٠٠٠٠ وكان اميره على تهامه وما يليها من اليمن عبدالوهاب المعروف بكنيته أبو نقطة ، وعلى الحجاز وما يليه من النواحي عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ، وعلى عمان صقر بن راشد رئيس رأس الخيمة ، وعلى الاحساء ونواحيه سليمان بن محمد بن ماجد ، وعلى القطيف ونواحيه احمد بن غانم ، وعلى الزبارة والبحرين سلمان بن خليفة ، وعلى وادي الدواسر ربيع ابن زيد الدوسري ، وعلى ناحية الخرج ابراهيم بن سليمان بن عفيصان وعلى المحمل ساري بن يحيى بن سويلم ، وعلى ناحية الوشم عبدالله بن احمد بن غيهب ، في

---

(١) انظر Gazetteer, I, i, 1006 كان بمقدور الكويت ان تجند ذلك القدر حوالي عام ١٨٠٠ نظرا لنجاحها وتقدمها في ميدان التجارة آنذاك. ثم انظر ما تقدم شرحه من استطاعة الكويت الدفاع عن نفسها امام الهجمات الوهابية المتلاحقة عليها بعد ١٧٩٣ ، أي بعد أن اصبح سلطان الوهابيين هو الاعلى في شرقي الجزيرة العربية.

(٢) انظر Gazetteer, I, i, 2842, 1057 وانظر كذلك Miles, II, 297

بلد شقراء وعلى ناحية سدير عبدالله بن جلاجل ، وناحية القصيم حجيلان بن حمد في بريده ، وعلى جبل شمر محمد بن عبدالمحسن بن فايز بن علي في بلد حايل (١) « فلو أن الكويت كانت ولاية تتبع الوهابيين أو تدفع لهم الاتاوة لما فات ابن بشر أن يدرجها بالطبع • ولا يبقى بعد هذا مجال للشك في ان الكويت أنما كانت متمتعة باستقلالها عن سائر القوى العاملة في منطقة الخليج العربي حتى هذا التاريخ ، فهل اختلف الحال بعد ذلك اي بعد ١٨٠٣ ؟ هذا ما سنتناوله في الاحداث اللاحقة •

ان حادث اغتيال عبدالعزيز عام ١٨٠٣ ، قد جعل سعود بن عبدالعزيز يصب جام غضبه على العراق لأن اليد المغتالة جاءت من هناك (٢) ، ولم يتراخ الوهابيون في فرض سيطرتهم الفعلية بعدها على عمان ومدن الحجاز او مدن شرقي الجزيرة ، وبقيت سلطتهم على عتوب الجنوب في الزبارة والبحرين قائمة ، وان مال هؤلاء الى محاولة الاستقلال عن الحكم الوهابي ، في وقت متأخر عن هذا ، غير ان امرهم ما لبث ان افتضح عند سعود وجازاهم بقدر اساءتهم الى حكمه ، كما سنبينه في حينه (٣) • ولا ريب أن التدخل الوهابي في شئون عتوب البحرين لم يكن ليرضى عنه اولئك العتوب ، ولكن امتداد النفوذ الوهابي الى الزبارة كان أمرا محتما نظرا لارتباط قطر ارتباطا مباشرا مع الاحساء ، ثم نظرا لما قد ينشأ عن بقاء العتوب فيها مستلقين من تدخل خارجي ، قد ياتي عن طريق الخليج بحرا في شئون الوهابيين ، اذ لم تكن آثار حملة علي باشا ، كيخيا بغداد ، قد انمحت بعد ، وقد نقل علي باشا ذخائره وعددا كبيرا من الجند عن طريق البحر حين عودة الاتراك في محاولة انتزاع الاحساء من الوهابيين عام ١٧٩٨/ ١٧٩٩

---

(١) ابن بشر ١ : ١٢٩

(٢) انظر ابن بشر ١ : ١٢٣

(٣) انظر ابن بشر ١ :١٤٦ و١٤٧ و١٤٨ و ١٥٤ - ١٥٥ وانظر كذلك للنشاط الوهابي في عمان ابن رزيق - الفتح المبين ١٩٦ و١٩٧ وما يليهما .

(١) ولذلك فان أية محاولة من جانب عتوب الجنوب للاستقلال عن الحكم الوهابي كان من المتوقع أن تقمع بشدة وصرامة وبالطبع كان هم الوهابيين ينصب على خضوع الزبارة لهم اكثر من البحرين وكان يهم عتوب الكويت والبحرين معا ان تبقى الزبارة ميناء مزدهرا لأن سفنهم كانت تأتي اليها بالبضائع من الهند وغيرها من بلدان الخليج لتوزع منها الى البلدان الغربية في نجد عن طريق الاحساء من هنا كان اهتمام الكويت بأمر الزبارة والبحرين ولقد سبق ان بينا كيف أن اضطراب الاحوال عام ١٨٠٠ في القطيف والعقير ، قد ادى الى انتقال طرق نقل البضائع المتجهة من الخليج الى نجد ، الى مدينتي البصرة والكويت في الشمال ٠

ولعلنا نقف قليلا عند خضوع الزبارة للوهابيين لنحاول تفسير هجرة كثير من كبار تجار المدينة من العتوب الى البصرة ، وربما الكويت ايضا ، خلال الفترة ما بين ١٨٠٠ و ١٨٠٤ أي حين تبادل سلطان بن احمد صاحب مسقط والوهابيين امر السيادة على الزبارة والبحرين قيل ببساطة (٢) في ذلك ان كثيرا من عتوب الزبارة والبحرين لجأوا الى الكويت فارين من وجه المعتدين ، والواقع أن سبب فرارهم لا يرجع الى المعتدين من حيث انهم معتدون ، بل لأن الممثل الجديد سواء أكان حاكم مسقط او امير نجد كان يهمه أن تدفع له الزبارة والبحرين اتاوة ، ومعنى ذلك ان التجار سيجدون انفسهم ملزمين بدفع ضرائب على بضائعهم ، أي أن الميزة الكبرى التي كان يتميز بها ميناء الزبارة وميناء

---

(١) لقد أخطأ كثير من المؤرخين الاوروبيين حين ظنوا ان ثويني زعيم المنتفق قد قاد حملة على الوهابيين في الاحساء عام ١٨٠٢ ، وسار على نهجهم لورمر Lorimer, رغم احتياطه وتشككه في أمر تلك الحملة . قارن Gazetteer, I, i, 1061

والمعروف أن ثويني قد لقى حتفه عام ١٧٩٧ على يد طعيس ، العبد الوهابي حين اغتاله في موضع قريب من الشباك عام ١٧٩٧ ، مما كان سببا لقيام حملة على باشا ضد الوهابيين في عام لاحق لعام ١٧٩٧ كما سبق أن بينا .

(٢) انظر Gazetteer, I, i, 841ff — 1075 ومختارات حكومة بومباي : ٣٦٦ ، ٤٢٨ - ٤٣٢ لاحتلال آل بوسعيد للبحرين ، ثم لاحتلال الوهابيين للزبارة والبحرين .

البحـــرين كذلك هي عدم وجـود جمــارك (١) فيها ، ومعنــى ذلك أن يخف اقبال التجار الاجانب على تفريغ بضائعهم فيها ، وبالتالي تقـل الحـركة التجارية وتضعف وهو امر لم يكن ليرضى عنه عتوب البحرين والزبارة ٠ ولعل هذا يفسر الى حد ما سبب استقرار احمـد بن رزق ، التاجـر الكويتـي الشهـير (٢) ، بالبصرة عام ١٨٠٤ (٣) ، حيث صار ايضا من كبار تجارها ، وتدخل في النزاع القائم في نفس العام بين متسلمها وحاكم مسقط سلطان بن احمد ، حين قدم الاخير في حملة بحرية الى البصرة ، ليجبر متسلمها على دفع اتاوة له ، نظير اشتراك سلطـان من قبـل ، في الدفـاع عنهـا ضد الوهـابيين ، على حد تعبـير كورانسيز CORANCEZ (٤) وكان سلطان بن احمد يطلب مائة الف قرش رومي (عشرة آلاف جنيه استرليني او خمسمائة الف فرنك فرنسي) أتاوة سنوية ولا يخفى ما كان من أمر سلطان حين عاد الى مسقط واعترضه في طريق العودة جماعة من القواسم نشبت بينه وبينهم مناوشة قتل فيها وأغلب الظن ان سلطان بن احمد كان يطلب الاتاوة التي كانت البصرة تدفعها لوالده ، نظير مساهمة احمد بن سعيد في القتال ضد الفرس ، حين حاصروا البصرة عام ١٧٧٥ ، كما تقدم بيانه (٥) ٠

---

(١) انظر الفصل التاسع عند حديثنا عن التجارة .

(٢) سبق الحديث عن احمد بن رزق ، حين تحدثنا عن تأسيس الزبارة ، وعن ان والده كان قدأم ذلك المكان مع آل خليفة منذ البداية عام ١٧٦٦ ، وكان معه ابنه احمد وهو التاجر الذي الف عنه ابن سند كتابه سبائك العسجد .

(٣) انظر Corancez , 57—59

(٤) المصدر السابق وانظر ايضا من نفس المصدر صفحة ١٩٠ الملحوظة رقم ٢٣ .

(٥) يقرر ماذهبنا اليه حميد بن محمد رزيق في كتاب الفتح المبين حين يقول : وفي سنة التسع عشر (كذا في الاصل) ومائتين والف (أي ١٨٠٤ م) عزم سلطان على المسير الى البصرة بنفسه لاخذ القانون الجاري من أهل البصرة الى حاكم عمان من عهد الامام احمد بن سعيد ٠٠٠ (انظر ورقة ١٩٨ من ذلك الكتاب) ٠٠٠ ويمضي ابن رزيق الى القول بأنه عندما وصل سلطان البصرة سلم له الاعيان والتجار القانون الجاري وبقى بضعة أيام ثم عاد الى مسقط وفي طريق عودته بالقرب من جزيرة لنجه هاجمه طائفة من أهل جلفار (رأس الخيمة) وقتل برصاصهم .

مما لا ريب فيه أن التجارة كانت دوما امرا حساسا لدى عتوب البحرين والزبارة ، وكسادها لا بد وأن يدعو للرحيل ان لزم الامر ٠ ولعله مما يفيد نقاشنا التاريخي بخصوص عدم خضوع الكويت للوهابيين في هذه الفترة ، ويعزز ما ذهبنا اليه من اهمية سفن العتوب كوسيلة للدفاع عن مدنهم ثم حرصهم على ان تبقى اسرار تجارتهم وارباحهم مطوية عن الوهابيين ، ما ذهب اليه صاحب كتاب لمع الشهاب (١) من أن سعودا لما ولي بعد وفاة والده وأراد الاستيلاء على البحرين أنه احتال في ذلك الاستيلاء بأن طلب من آل خليفة أن يقبلوا المطاوعة او المعلمين الوهابيين ليدرسوا تعاليم الوهابية ، فرفض عتوب البحرين طلبه مبدئيا « لأن غرضه كان الاطلاع على دخل البحرين وحكم العتوب لأهلها » كما يقول صاحب لمع الشهاب ٠ غير ان خطر سلطان مسقط من جهة والخطر الفارسي من جهة اخرى ، فرضا على عتوب البحرين قبول المطاوعة الوهابيين وهكذا قام النفوذ الوهابي في البحرين (٢) ٠ وعلى ذلك كان امتداد النفوذ الوهابي الى البحرين ، ناجما عن زحف سلمي اكثر منه فتحا عسكريا اذ ان الجند الوهابيين الذين نزلوا بالبحرين عام ١٨٠٣ وبعد ذلك ، كان هدفهم هو القتال الى جانب العتوب ضد سلطان بن احمد صاحب مسقط ٠

وعلى الرغم من تزايد النفوذ الوهابي في مدن العتوب الجنوبية اي في الزبارة ومدن البحرين ، وعلى الرغم من استجابة العتوب في الكويت والبحرين لطلب سعود منهم بأن تتجه سفنهم مع سفن القواسم الى مسقط عام ١٨٠٣ ، فان ذلك لم يمنعهم من التقدم عام ١٨٠٥ الى حكومة بومباي الانجليزية بطلب للاشتراك بسفنهم للهجوم على رأس الخيمة وملاحقة سفن القواسم حين صار في نية الانجليز القيام بمثل ذلك الهجوم (٣) ٠ وكانت الكويت تهدف من وراء هذا

---

(١) انظر الاوراق ١٠٧ - ١٠٩

(٢) لمع الشهاب : ١٠٦ - ١٠٧ ، ويمضي لمع الشهاب في ايراد تفاصيل اخرى عن طريقة تسلط الوهابيين على البحرين في نفس الاوراق المشار اليها . وانظر كذلك ابن بشر ١ : ١٢٢ .

(٣) انظر Gazetteer , I , i , 1007 وانظر كذلك منتخبات حكومة بومباي : ٣٦٧ - ٣٦٨ .

العرض اثبات أنها لم تتخذ القرصنة حرفة لبحارتها وأن أية اعتداءات قامت بها سفنها أو سفن البحرين على التجارة الانجليزية في الخليج ، كان سببها ايعاز الوهابيين للقيام بمثل ذلك الامر ٠ وقد طلبت الكويت والبحرين معا لقاء ذلك ، أن تضمن حكومة بومباي لسفن العتوب العودة للبحرين وحمايتها من التدخل الوهابي (١) ، وبالطبع لم يتم شيء من هذا الاشتراك لأن حكومة بومباي لم توافق على ذلك الطلب ٠

ان هذا الاتجاه لسياسة الكويت نحو حكومة بومباي الانجليزية ، يجعلنا نورد بايجاز أحداث ١٨٠٤ و ١٨٠٥ في مياه الخليج حتى نرى مبررات التدخل البريطاني ضد رأس الخيمة ، كذلك لا بد لنا من ايجاز الاتجاهات السياسية البريطانية في الخليج في نفس الحقبة ٠

السياسة البريطانية في الخليج العربي
منذ عام ١٨٠٠ الى ١٨٠٦

لقد ذكرنا اكثر من مرة أن السياسة البريطانية في الخليج لم تتبلور تماما وتتخذ طابعا ايجابيا تجاه الخليج العربي الا في الفترة النابليونية (١٧٩٨ ـ ١٨١٠) أي حين صار الخطر الفرنسي واضحا على طريق الهند وعلى الهند ذاتها ، وكان لهذه السياسة شقان ، اولهما حرب لا هوادة فيها مع سفن القرصنة الفرنسية التي كانت تعمل في أعالي البحار في طريق الهند وثانيهما محاربة فرنسا على الصعيد السياسي في منطقة الخليج ذاتها وذلك بعقد اتفاقيات او سلسلة من المعاهدات مع بلدان الخليج العربي نفسها والقوى المحلية العاملة فيه وقد ظهر هذا الامر بجلاء ووضوح في المعاهدات المعقودة بعد عام ١٨١٤ مع الساحل المهادن او عمان الصير والتي اخذت تنضم اليها سائر الامارات العربية في الخليج والى هذين الشقين من السياسة البريطانية يمكن ان نضيف امرا آخر وهو اتخاذ بريطانيا سياسة ايجابية تجاه بعض القوى العاملة في الخليج ، وتجريدها حملة عسكرية بريطانية عليها

(١) انظر Gazetteer , I , 1007 and 842

تتفضلوا بارسال الرسالة المرفقة طيه الى تيبو صاحب (١) في أول فرصة تسنح لذلك (٢) » .

ويورد مايلز ايضا نص رسالة بونابرت الى تيبو صاحب وهي كالآتي :

« القاهرة في ٢٥ يناير ١٧٩٩ (كذا في مايلز أما دانفرز فيؤ رخها ١٧ يناير ١٧٩٩) الى تيبو صاحب .

لقد سبق أن وصلتك الاخبار بوصولي الى شواطىء البحر الاحمر في جيش عديد لا يقهر وهد في تخليصك من النير البريطاني وانني اكتب لكم على جناح السرعة راجيا ان يصلني منك ما يبين الوضع السياسي الذي انت فيه الآن ، وانني لأرغب كذلك في ان اراك ترسل الى السويس شخصا ممن تثق فيه حتى يمكن ان اعقد معه المحادثات .

(التوقيع) بونابرت

وبالطبع لم تصل رسائل بونابرت الى سلطان بن احمد ولا الى تيبو صاحب لأن المستر ولسن ، الوكيل البريطاني في مخا باليمن ، قد اعترض سبيلها واستولى عليها . (٣) غير أن الفرنسيين كانوا قد نجحوا في اقامة علاقة وثيقة مع سلطان مسقط منذ عام ١٧٩٥ ، وقبل أن يرسل نابليون رسائله المشار اليها ، أي أن الوجود الفرنسي في مسقط كان قائما . ومن هنا حرص الانجليز على المبادرة بعقد

---

(١) تيبو صاحب او تيبو سلطان هو ملك ميسور بالهند منذ ١٧٨٣ وحتى ١٧٩٩ . كان هو ووالده حيدر علي ملك ميسور على عداوة دائمة مع الانجليز الذين كانوا يبنون آنذاك امبراطوريتهم في الهند . وقد كان تيبو على صلة طيبة بالفرنسيين ببوند شيري بالهند ، حتى ان حكومة فرنسا منحته لقب مواطن بالجمهورية الفرنسية عام ١٧٩٨ . وفي سنة ١٧٩٩ واجه جيوش الانجليز ومات في ميدان القتال مدافعا عن عاصمة ملكه . انظر ملخصا لتاريخ حياته في Encyclopaedia of Islam

(٢) انظر Danvers , **Report on the India Office Records** , P . 46 وكذلك انظر Miles , **Countries and Tribes** , II , 290

(٣) Miles , II , 290 و Danvers , 46

اتفاق مع سلطان بن أحمد ، والواقع أن مثل هذا الاتفاق قد سبق اعتراض سبيل رسائل بونابرت المشار اليها اذ وقع الانجليز ذلك الاتفاق مع سلطان في ١٢ اكتوبر ١٧٩٨ ، وكان الاتفاق يتألف من سبع مواد نصت بوضوح على وجوب تخلي مسقط عن أي اتصال بالفرنسيين ؛ أو السماح لهم أو لسفنهم بالنزول فيها في حالة نشوب الحرب بين فرنسا والانجليز ، وكذلك على السماح للانجليز بانشاء وكالة تجارية لهم في بندر عباس ، وكانت تابعة لحاكم مسقط ، يحتفظون فيها بجيش يتراوح عدد أفراده ما بين ٥٠٠ و ٧٠٠ مقاتل . (١) ويبدو أن سلطان بن أحمد قد طلب من الانجليز ، على حد زعمهم ، (٢) أن يرسلوا مقيما لهم الى مسقط ليتخذ منه سلطان مستشارا . وعلى هذا يكون سلطان بن احمد أول أمير عربي يدخل في معاهدة مع الانجليز . الا أن هذه المعاهدة لم تمنع سلطان من معاودة الاتصال بالفرنسيين ، بعد أن بهرته أعمال بونابرت وبعد أن سمع بنتائج الثورة الفرنسية ، على الرغم من التسهيلات التجارية التي منحتها المعاهدة المذكورة لسلطان في أرض الهند . وعلى ذلك اتجه جون مالكولم ، موفدا من قبل حكومة الهند ، من بومباي الى مسقط ، وبلغها في ٨ يناير عام ١٨٠٠ ، ولا يخفى ما كان من أثر لاتصاله بسلطان بن أحمد حينذاك في عرض البحر ، وكان سلطان عائدا من غزو البحرين ، وتوقيعه معه اتفاقية جديدة ، جددت شروط معاهدة ١٧٩٩ ، وأضاف اليها شرطا آخر وهو سماح سلطان بن احمد للانجليز بارسال وكيل سياسي لهم في مسقط . وكان توقيع هذه المعاهدة في ١٢ يناير ١٨٠٠ . (٣)

---

(١) Countries and Tribes , II , 261

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر من اجل مفاوضات مالكولم مع سلطان مسقط الرسالة الموجهة من مالكولم Malcolm الى ايرل مورننجتون Earal Mornington الحاكم العام في فورت وليم Fort William ببومباي والصادرة عن بوشهر في اول فبراير عام ١٨٠٠ من يوميات دائرة الشئون السرية والسياسية لشركة الهند الشرقية رقم ٨٩ / ١٨٨٠ والمنشورة في مختارات سلدنها : ٣٧٦ - ٣٧٧ . وكذلك انظر رسالة اخرى من مالكولم الى الحاكم العام مؤرخة ٤ فبراير ١٨٠٠ في نفس المصدر . انظر كذلك Miles , II , 293

لقد اظهرت هاتان المعاهدتان مع حاكم مسقط نوايا السياسة البريطانية الجديدة في الخليج ، الرامية الى تدعيم النفوذ البريطاني السياسي فيه ، بعد أن احتكرت بريطانيا التجارة من قبل ، وصارت الدولة الاروبية الاولى المتاجرة في الخليج . (١) لم يخف بالطبع على شيخ الكويت هذا الاتجاه البريطاني نحو تركيز نفوذ الانجليز السياسي في الميدان الجديد ، ومن هنا كان عرضه المساهمة في الحملة البريطانية ضد القواسم في عام لاحق هو عام ١٨٠٥ . غير أن الحملة على القواسم لا تتضح صورتها دون الاشارة الى وضع الوهابيين في المخطط السياسي البريطاني الجديد للخليج .

لقد حرص الانجليز دوما حتى قيام هذه الحملة عام ١٨٠٥ على الابتعاد رسميا عن كل ما من شأنه أن يثير غضب الوهابيين في الخليج ، حتى لا يتأثر البريد البريطاني المنقول بين حلب والبصرة لخطرهم ، على الرغم من الاعتقاد السائد في بومباي أن اعتداءات القواسم البحرية على سفنهم المقلة للتجارة في الخليج ، انما كانت تصدر بتحريض من أسيادهم الوهابيين (٢) .

ومهما يكن من أمر، فلقد شهدت مياه الخليج العربي بعد مقتل سلطان بن أحمد عام ١٨٠٤ على يد جماعة من القواسم (٣) سلسلة متتالية من هجمات

---

(١) انظر رسالة من الدكتور بوجلي Bogle (المعين من قبل الشركة طبيبا لامام مسقط) الى الحاكم العام تفيد بأنه قد طلب منه مالكولم ان يصبح ممثلا للشركة لدى الامام . الرسالة صادرة عن مسقط بتاريخ ٢٩ فبراير ١٨٠٠ ومنشورة في مختارات سلدنها : ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٢) انظر Gazetteer , I , i , 636 . ويبدو ان حكومة الهند كانت مخطئة في ظنها هذا لان القواسم كانوا يعتدون على السفن الانجليزية وغير الانجليزية في مياه الخليج لان النهب كان من طبيعتهم . هذا ما يقول به لورمر في نفس المصدر السابق وعلى نفس الصفحة .

(٣) انظر كتاب الفتح المبين : ١٩٨ - ٢٠٠ ، حيث يشرح المؤرخ العماني ابن رزيق كيفية مقتل سلطان بن احمد على يد القواسم ، وهو عائد من البصرة ، بعد أن غادر مركبه البدري الى قارب صغير .

شنها هؤلاء على السفن الانجليزية العاملة في الخليج العربي ومياه بحر العرب بين الهند ومسقط، ويبدو أن مقتل سلطان بن أحمد كان له أثر بالغ في ذلك النشاط القواسمي، اذ كان بمقدور سفن سلطان أن تقف أمام هجمات القواسم. أما سلسة الاعتداءات هذه فقد قام بها القواسم في عامي ١٨٠٤ و ١٨٠٥، اذ استولوا على السفينتين SHANNON / TRIMMER المملوكتين للمستر مانيستي، ممثل الشركة الانجليزية في البصرة، وقد قادهما القواسم الى جلفار (رأس الخيمة)، ثم السفينة الحربية MORNINGTION التي افلحت في صد هجوم عليها قام به نحو اربعين داوا، ثم اخذ القواسم السفينة HECTOR وهي مملوكة للشركة الانجليزية، وشنوا هجوما على السفينة الحربية QUEEN قرب مسقط في ٣٠ ابريل ١٨٠٥، ونجحت هذه في صد السفن المهاجمة لها (١) . وهنا وجدت حكومة الهند أن لا مناص من ارسال حملة بحرية ضد القواسم واصدرت لها التعليمات بأن تكون لطيفة في معاملتها لهم، وأغلب الظن أن ذلك كان خشية من اغضاب الوهابيين، وأن تحرص على ان يوافقوا على معاهدة تقضي بعدم تعرضهم للسفن الانجليزية وسفن حاكم مسقط (وكان آنذاك بدر بن سيف) أما قائد الحملة فكان الكابتن سكنر SKINNER الذي عمل بالتعاون مع سيتون ,Seton المقيم الانجليزي في مسقط . وموجز القول في مهمة سيتون وسكنر أنهما نجحا في اجبار القواسم على التوقيع على مهاهدة ٦ فبراير ١٨٠٦ والتي صادق عليها الحاكم البريطاني العام في الهند في ٢٩ ابريل من نفس العام. وقد قضت شروط هذه المعاهدة بأن يدفع القواسم تعويضا عن السفن المنهوبة قدره ٣٠ الف دولار وأن يعيدوا السفن الانجليزية التي في حوزتهم وأن يقدموا مواد العون للسفن الانجليزية التي تحتاجه على شواطئهم، وأن يخطروا حكومة الهند في موعد لا يقل عن ثلاثة أشهر قبل قيامهم بعمل من أعمال القرصنة يجبرهم عليه الحاكم

---

(١) انظر Low , History of the Indian Navy , I , 316—318 وكذلك Gazetteer , I , i , 667 ثم Countries and Tribes , II , 303—607

الوهابي (١) . هذا وقد حفظت لهم هذه المعاهدة حق الاتجار مع المراكز التجارية في الهند (٢) .

ان المتدبر والفاحص لشروط هذا الاتفاق، يرى أن الانجليز كانوا حريصين على أن تحفظ سفنهم قبل غيرها، من اي خطر تتعرض له من قبل القواسم، مع انهم احتاطوا أيضا، ورأوا أن يعم السلام مياه الخليج بعد ذلك. ثم يرى كذلك أن روح الاتفاق تبين أن الوهابيين كانوا من وراء حوادث اعتداء القواسم على السفن في الخليج، مع ذلك حرصوا على ان لا يتعرضوا للوهابيين بوضوح، فما هو موقف الوهابيين الحقيقي من القرصنة في مياه الخليج؟ في الوقت الذي تضاربت فيه آراء ممثلي الشركة الانجليزية في موقف الوهابيين من تشجيع القواسم أو عدم تشجيعهم، نرى مؤلفا معاصرا، هو لمع الشهاب، يشير بكل وضوح الى ان الوهابيين قد شجعوا القواسم على نهب السفن في الخليج إذ يقول أن مطلق، قائد الوهابيين في عمان عامة، قد شجعهم على ذلك، وان فكرة الجهاد الجديدة التي نادى بها الوهابيون، ضد من لم يتبع تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هونت عليهم امر القرصنة، وانه لما توفى صقر بن راشد، زعيم رأس الخيمة، وصار ولده سلطان بن صقر شيخا على القواسم «أخذ ينهب في البحر ويركب بنفسه، فنهب ذلك العام الذي تولى فيه ٣٧ سفينة من داو وبغلة» (٣)

لاريب أن أقوال لمع الشهاب هذه لا تدع مجالا للشك في مسئولية الوهابيين عن القرصنة القواسمية في مياه الخليج، غير أن اتجاهات حكومة الهند الانجليزية

---

(١) انظر Gazetteer , I , ı , 639—40 ثم History of Indian Navy , I , 318

(٢) انظر من اجل حرب القواسم هذه والسياسة البريطانية في الخليج عامة بالاضافة الى Lorimer و Low كتاب سلدنها :

Precis of Correspondence on International Rivalry and Brititish Policy in the Persian Gulf , (Calcutta 1906) , PP , 25—57

حيث توجد ملخصات وافية للمراسلات الخاصة بتلك الحرب مع القواسم في سجلات الشركة بومباي .

(٣) لمع الشهاب ٩٨-٩٩ .

وسياستها المبنية على أن الوهابيين لم يكونوا مسئولين عن قرصنة القواسم ، وهي صاحبة مصلحة كبرى في معرفة من المسئول عن القرصنة تجعلنا نتردد في اصدار الحكم بادانة الوهابيين بتحمل المسئولية كاملة في كل عمل قام به القواسم في هذا السبيل.

ومجمل القول في معاهدة ١٨٠٦ مع القواسم ، أن الانجليز قد بدأوا يتخذون موقفا عمليا من أي نشاط قد يهدد تجارتهم في الخليج بأنفسهم ، دون التستر وراء أية قوة عاملة في الخليج ، من تركية أو فارسية أو عربية وهو أمر ستبينه أحداث عام ١٨٠٩ والحملة البريطانية التي هدفت الى تدمير رأس الخيمة ، والقضاء كليا على نشاط القواسم في مياه الخليج.

ويبدو أن هذه الاتفاقية قد اوقفت اعتداءات القواسم على سفن الانجليز مدى عامين متتالين (١) . ولعل وجود قوة بحرية تتألف من سبع سفن حربية خلال عام ١٨٠٦ في مياه الخليج ، كان عاملا حاسما لتنفيذ شروط معاهدة ١٨٠٦ (٢) ، أي أن ذلك التوقف في نشاط القواسم لم يستمر أكثر من ذينك العامين ، بل ازدادت جرأتهم على سفن الشركة الانجليزية وغيرها من السفن في مياه الخليج ازديادا فاق عنفه نشاطهم في عامي ١٨٠٤ و ١٨٠٥ ، وكانت نتيجة ذلك الحملة الانجليزية البحرية على رأس الخيمة وهي التي أدت الى احراق المدينة ، واتلاف سفن القواسم بها وفي غيرها من الموانىء التابعة لهم على الشاطىء الغربي من الخليج وعلى الشاطىء الشرقي كذلك ، ثم في ميناء شناص غير بعيد عن مسقط (٣) ، مما لا داعي لتفصيله في هذا المقام.

---

(١) انظر Danvers, 47 ff

(٢) انظر Danvers , 47—48 ثم Gazetteer , I , i , 640

(٣) انظر لتفاصيل هذه الحملة :

Loriimer , I , i , 643—648 ثم Low , I, 317 ff

وكذلك Bridges , The Wahauby , 35—38 and 211

ومن المصادر العربية ابن بشر ١ : ١٤٦ ، ولمع الشهاب ١٩٤-١٩٦ و ١٩٧-١٩٨ .

النشاط الوهابي في الخليج
وموقف الكويت منهم ١٨٠٦- ١٨١٥

ولا ريب ان النشاط الذي ابداه القواسم في هذه الفترة كان يستند الى قوة الوهابيين المتزايدة وامتداد نفوذهم الذي شمل جميع اطراف عمان حينما انحاز الى جانبهم بدر بن سيف حاكم مسقط عام ١٨٠٧ قبيل مقتله في ذلك العام وحينما افلح القائد الوهابي مطلق المطيري في تدويخ عمان، بعد ان اتخذ من واحة البريمي قاعدة لعملياته الحربية ضدها (١) ، وحين ازداد عنف الغارات الوهابية في اتجاه الشمال اي على بلاد العراق غير ان الذي يلفت النظر في هذه الفترة أن الكويت كانت لا تزال خارج دائرة النفوذ الوهابي، بخلاف البحرين التي كان خضوعها للوهابيين على ما يبدو تاما فعند تدوين حوادث ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م ذكر ابن بشر ان « سعودا حج حجته الخامسة بالمسلمين من جميع رعيته من نواحي نجد والجنوب والاحساء والقطيف وعمان والبحرين ووادي الدواسر وتهامه والطور واليمن وبيشه ورنيه وجميع الحجاز ونواحيها الى المدينة النبوية والينبع والفرع وغير ذلك (٢) »، وهنا لانجد اسم الكويت يدرج بين رعية سعود. بل ان احداث عام ١٨٠٨ كما دونها معاصروها قد بينت أن العلاقات الوهابية الكويتية كانت متوترة الى درجة كبيرة. اذ انه حدث في ذلك العام أن تقدم الوهابيون لشن غارة على بغداد، وطلب سعود من شيخ الكويت ان تدفع الكويت اتاوة للوهابيين، فما كان من شيخ الكويت الا ان رفض الدفع، فسير عليه سعود جيشا يتألف من أربعة آلاف مقاتل بقصد ارغامه على الدفع، وقد فشل هذا الجيش في الاستيلاء على الكويت، وكان ذلك في شهر يونيه عام ١٨٠٨ (٣) .

---

(١) انظر ابن بشر ١ : ١٤٦ ، ١٥٣ وتحفة العيان ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ ولمع الشهاب ١٠٤-١٠٩ .

(٢) ابن بشر ١ : ١٤١ .

(٣) Corancez , 139—140 . ويمضي المؤلف للقول بأن سليمان باشا والى بغداد قد ارسل الهدايا لشيخ الكويت في نظير موقفه الصلب من الوهابيين وكذلك انظر Gazetteer , I, i , 1007

ولقد حاول سعود بعد ذلك أن يدفع سعيد بن سلطان حاكم مسقط وسلطان بن صقر شيخ القواسم ليرسلا اسطوليهما لقتال الكويت في العام التالي (١٨٠٩) غير ان الطرفين رفضا القيام بتلك المهمة. أما سبب الرفض فلا نستطيع ان نجد له مبررا سوى خوف سعيد وسلطان من سفن الكويت ولذلك فضلا عدم الاستجابة لطلب سعود على الهزيمة. وتتحدث سجلات حكومة بومباي في حوادث عام ١٨٠٩ على ان شيخ الكويت قد ابدى رغبته في مشاركة سفن الشركة في حملتها على رأس الخيمة، وهي الحملة التي انتهت بتدمير تلك المدينة (١) ، ولعل شيخ الكويت قد هدف من وراء ذلك أن لا تقف الكويت معزولة عن الحوادث الجارية في الخليج، لا سيا بعد ان وضح له تماما المدى الكبير الذي اخذت السياسة الانجليزية توليه الخليج العربي منذ مطلع القرن ثم لعل شيخ الكويت اراد أن يقتص للكويت من اعداء القواسم على سفنها، فقد كان القواسم يعتدون على السفن العاملة في الخليج دون تمييز بين العربي والاجنبي منها ، ولعله من الطريف ان نذكر أن قائد الحملة البريطانية وهو قائد الاسطول البحري، الكابتن وينرايت، كما تقول سجلات الشركة قد ندم اذ لم يشترك اسطول الكويت في القتال ،ذلك أنه عندما وصلت الحملة مسقط وزودها سعيد بن سلطان بالمرشدين البحريين لارشادهم الى الطرق البحرية المؤدية الى مخابيء سفن القواسم اثبت هؤلاء المرشدون جهلهم بها، ومن هنا كان ندم الكابتن وينرايت على عدم استجابته لطلب شيخ الكويت، الذي كان قد عرض عليه ان يشترك بجميع سفنه في قتال القواسم، وان يزود الحملة بالمرشدين (٢) ، ولا شك ان عرض شيخ الكويت هذا يجب أن تكون له دلالته ايضا من ناحية قدرة الكويتيين على معرفة طرق الملاحة المأمونة العواقب في الخليج وتفوقهم على مرشدي مسقط في هذا المضمار.

ولا بد للمرء اذن من أن يتساءل عن السبب الذي امتنع من اجله الانجليز عن

---

(١) انظر Gazetteer , p . 1008

(٢) كانت الحملة تحت القيادة المشتركة لقائد القوات البرية وهو الكولونيل سميث Smith وقائد الاسطول البحري وهو الكابتن وينرايت انظر 645 , Gazetteer , I , i

تلبية رغبة الكويت في الاشتراك في الحملة. لقد ذكرنا منذ قليل ان الوهابيين قد قاموا بهجوم فاشل على الكويت عام ١٨٠٨، ثم أنهم حرضوا القواسم بعد ذلك وحاكم مسقط على تسيير اساطيلهم لقتال الكويت، وبلغ بهم الحد أنهم حاولوا إجبار عتوب البحرين والزبارة على الاشتراك في تلك الحملة البحرية على الكويت ولكنهم فشلوا في هذه الخطة (١) ، افلا يجوز اذن ان يكون الرفض الانجليزي للعرض الكويتي راجعا للعداء القائم بين الوهابيين والكويت، والى ان تعليمات حكومة الهند الانجليزية لقائدي الحملة كانت واضحة صريحة، من حيث طلبها منهما ان يتجنبا الاشتراك في صدام مسلح مع القوة الوهابية او القوات المناصرة للوهابيين ؟ فلقد كانت التعليمات تحظر على الحملة القيام « بأي نوع من انواع العمليات الحربية البرية ولا سيما القوى العاملة في صفوف الوهابيين » (٢) وان لا تظهر الحملة باية حال أي نوع من العداء للوهابيين، وأن على تلك الحملة أن تتجاهل الصلات القائمة بين القواسم والوهابيين، وأن يعامل القواسم كما قضت التعليمات الخاصة الى الكابتن سيتون Seton المقيم البريطاني في مسقط بأن يعامل هؤلاء على أنهم قوة مستقلة بذاتها ، وليست جزءا من القوة الوهابية .

بل لقد ذهبت التعليمات الخاصة بهذه الحملة ، والموجهة الى الكابتن سيتون قبل قيامها بتكليف سيتون بالاتصال بالسلطات الوهابية ، وافهامها بنية حكومة الهند تجاه القيام بعمل حربي ضد القواسم (٣) . لعل في كل هذا ما يدلل على صحة ما ذهبنا اليه من تفسير رفض الكابتن وينرايت لهذا العرض الكويتي. بل قد بلغ من حرص حكومة الهند على عدم التعرض للوهابيين او حلفائهم ان عدلت الحملة عن القيام بهجوم تأديبي على مواقع رحمة بن جابر، حليف الوهابيين والذي كان قد ارتكب بدوره عدة حوادث متشابهة للحوادث التي قام بها القواسم ضد السفن العاملة في الخليج، هذا على الرغم من أن المستر

(١) منتخبات حكومة بومباي : ٣٧١ ثم انظر Gazetteer, I, i, 645

(٢) قارن Gazetteer, I, i, 842—3

(٣) انظر Gazetteer, I, i, 644

هانكي سميث H . Smith المقيم البريطاني في بوشهر قد طالب في اصرار بتأديبه ولقد قيل في تبرير عدم الاصغاء الى نصائح المستر هانكي سمث، أن رحمة كان يسلك دوما سلوكا وديا تجاه الانجليز ولا يعتدي على سفنهم كالقواسم بل يعتدي على سفن العرب (١) ، ثم انه كان ايضا حليفا جديدا للوهابيين، ولعمري أن هذا المسلك عجيب من حملة قامت زاعمة انها تهدف الى ايقاف أعمال القرصنة والنهب في الخليج العربي، دون تمييز في المقام الاول، ثم تدمير موانىء القواسم في المقام الثاني، لانهم يقومون بما يعكر صفو السلم البحري في الخليج (٢) .

ولعل في سلوك رحمة بن جابر هذا سبيل الاعتداء على سفن الكويت العاملة في الخليج بين مسقط ومدن العتوب، ولعل في هذا تفسير لطلب الكويت الانضمام للحملة الانجليزية التي قصد من ورائها القضاء على القرصنة في الخليج، فلربما ظن شيخ الكويت، أن يكون بمقدوره عندئذ المساهمة في قتال رحمة بن جابر، الذي كان قد اعترض قبيل قدوم الحملة وفي نفس العام اي ١٨٠٩ سبيل سفن العتوب المسافرة الى مسقط، واستولى على عشرين منها بعد معركة طاحنة، ويبدو أن الميدان قد خلا لرحمة بعد عدم تعرض الانجليز له (٣) .

ولعل الوهابيين قد ارادوا الانتقام من الكويت بعد فشل حملتهم عليها عام ١٨٠٨ وفشلهم في اقناع عتوب البحرين والقواسم وسعيد بن سلطان بمهاجمتها بحرا ومن هنا اغتنم الوهابيون فرصة انضواء رحمة بن جابر تحت لوائهم عام ١٨٠٩ ومساهمته في اكمال سيطرتهم على قطر، اغتنموا تلك الفرصة وحرضوه على اعتراض سفن الكويت العابرة في الخليج، وشجعوه حتى على مهاجمة سفن عتوب البحرين، ان هم انضموا الى ابناء عمومتهم من اهل الكويت، وكانت سلطة الوهابيين على البحرين قد احكمت نهائيا في ختام عام ١٨١٠ بل عين سعود

---

(١) المصدر السابق : ٦٤٩ ، ٧٨٩-٧٩٠

(٢) لاعمال رحمة بن جابر شرح مطول عند رحالة معاصر هو بكنجهام
انظر Buckingham, Travels in Assyria etc. 356 ff

(٣) انظر Gazetteer , I , i , 790 ثم انظر كذلك منتخبات حكومة بومباي (٢٤) : ٣٠٥

بن عبد العزيز اميرا على البحرين وقطر والاحساء عام ١٨٠٩ محمد بن معيقل بدلا من سلمان آل خليفة ثم اتبعه بعبد الله بن عفيصان وأجبر جماعة كبيرة منهم على الاقامة في الدرعية وفي الزبارة (١) . وعلى الرغم من اعادة آل خليفة الى البحرين عام ١٨١٠ وعودتهم لتولي إمارتها في ظل الوهابيين، الا ان الوهابيين اجبروهم على دفع الأتاوة واقاموا بها وكيلا عنهم، وكذلك سيروا اليها المطاوعة من الوهابيين غير أن هذا لم يمنع آل خليفة من الاتصال بسعيد بن سلطان في مسقط وطلب العون منه وكذلك بعتوب الكويت وقد قدموا الزبارة ذات مساء وحملوا بقية رجالهم منها ودمروا ما فيها من المتاع والمال (٢) ، ثم نازلوا حاكم البحرين الوهابي، فهد بن عفيصان وجماعته المرابطين في قلعة المنامة، واعتقلوه ونحو ستة عشر رجلا معه واطلقوا سراح الباقين من الوهابيين، وكان هدف آل خليفة من ذلك الاعتقال اجبار الوهابيين على اطلاق سراح ذويهم من الذين فرضوا عليهم الاقامة في الدرعية (٣) .

لم تكن هذه هي آخر مواقف العداوة من الوهابيين تجاه الكويت وعتوب البحرين، اذ يبدو أن الوهابيين قد قاموا بتحريض رحمة بن جابر وابي حسين امير الحويلة بقطر وغيرهم من اتباعهم على قتال آل خليفة ومن يساندهم من عتوب الكويت، فوقعت معركة هائلة بين المتحاربين راح ضحيتها العديد من السفن والانفس ، وقد قدر ابن بشر وهو معاصر للاحداث عدد الخسائر التي منى بها آل صباح وآل خليفة وحلفاؤهم بسبع سفن ونحو الف من القتلى ولعل ذلك قد نجم عن انفجار (جبخانات السفن) (٤) فمات الكثير قتلا وحرقا وغرقا وكان بين الضحايا دعيج نجل عبد الله بن صباح وكذلك راشد بن عبد الله بن خليفة وغيرهم من اعيان العتوب، اما خسائر الجانب الوهابي فبلغت سبعة مراكب ومن

---

(١) ابن بشر ١ : ١٤٦ .
(٢) ابن بشر ١ : ١٤٧-١٤٨ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) مخازن الذخيرة .

القتلى مائتان من بينهم ابو حسين امير الحويله (١) ويبدو من نتيجة هذا القتال انه دار لمصلحة البحرين وعتوبها.

ومهما يكن من أمر فان السنوات الثلاث التي اعقبت هذه الحوادث قد شهدت تقلص النفوذ الوهابي في شرقي الجزيرة نظراً لهجوم قوات محمد علي باشا عليها من الغرب واضطرار سعود لسحب معظم قواته من الاحساء لمواجهة الخطر القادم من تلك الجهة.

ويبدوا أنه لم تقع حوادث ذات بال في الكويت خلال العامين التاليين للهجوم المصري على الحجاز ونجد، وفي عام ١٨١٥ توفى سعود بن عبد العزيز، والخطر يهدد دولة الوهابيين في نجد، وبعده بثلاثة ايام كانت وفاة عبد الله بن صباح حاكم الكويت واميرها بعد ان قضى في حكمها نيفا وخمسين سنة (٢).

---

(١) ابن بشر ١ : ١٥٤ - ١٥٥

(٢) المصدر السابق ١٦٥، ١٧٦.

الفصل السادس

جابر بن عبد الله آل صباح
وصباح بن جابر
١٨١٥-١٨٦٦م

الفصل السادس
جابر بن عبد الله آل صباح وصباح بن جابر
١٨١٥ - ١٨٦٦

جابر بن عبد الله آل صبَاح
وصبَاح بن جابـر
١٨١٥-١٨٦٦م

تولى الشيخ جابر عبد الله آل صباح حكم الكويت اثر وفاة والده الشيخ عبدالله، وقد شاركه في العشرين عاما الاخيرة من حكمه ولده صباح، وكانت فترة حكميهما معا نيفا وخمسين عاما. وعلى هذا رأينا أن نتتبع تاريخ الكويت خلال هذه الحقبة على انه - الى حد ما - تطور في خط سير متصل، اذ تابع الابن سياسة والده في ادارة شئون البلاد.

وفي عهد جابر (١٨١٥ - ١٨٥٩) نلاحظ أن ظروفا جديدة قد طرأت على احوال الخليج العربي السياسية، جعلته يتحرك قدما الى الصدارة بالنسبة لدولتين كبيرتين اخذتا تزيدان من اهتمامهما بالمنطقة في القرن التاسع عشر وهما الاتراك والانجليز.

الكويت والسياسة الدولية في منطقة الخليج (١٨١٥ - ١٨٣٦)

ان التحرك السياسي للكويت خلال العشرين سنة الاولى من حكم الشيخ جابر، كان يقرره امران، اولهما طاقات الكويت البحرية والبشرية، وثانيهما العوامل الخارجية الضاغطة او المؤثرة، وفي هذه الفترة كانت العوامل تتأثر في المقام الاول بالوجود الانجليزي في مياه وعلى شواطىء الخليج، ثم بالتواجد التركي في العراق، والتركي والمصري في نجد وشرقي الجزيرة العربية.

اما عن الانجليز ومدى اثرهم في وضع الكويت، فقد قرر لورمر، وهو حجة في تاريخ علاقات الانجليز بالخليج، ان الكويت لم يرد ذكرها الا ما ندر في

سجلات الشركة خلال الاربعين عاما التي اعقبت مغادرة الانجليز للكويت عام ١٧٩٥، أي حين عادت الوكالات التجارية الانجليزية للبصرة (١) ولقد يبدو هذا الامر مستغربا لاول وهلة، ذلك انه قد يخيل للمرء أن الكويت قد بدأت تفقد اهميتها التجارية التي تمتعت بها خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر من تاريخها، كما قد يخيل للبعض ان الكويت قد اندمجت في رقعة اكبر من الارض المحيطة بها، او انها لم تعد تتمتع بالاستقلال الذي تحدثنا عنه فيما سبق من تاريخها حتى عام ١٨١٥ م.

أغلب الظن أن الذي أوحى الى لورمر بذلك القول، هو أن الحقبة ما بين ١٨١٥ - ١٨٣٦، كانت حقبة مليئة في وثائق الشركة بالمراسلات القادمة من الخليج، والتي تتحدث عن القتال ضد القواسم، او محاربة «القرصنة» (٢). ثم مقاومة تجارة الرقيق في منطقة الخليج، وبالطبع لما كانت الكويت لم تساهم بدور مباشر في تلك العمليات، اي «القرصنة» و«تجارة الرقيق» فان اسمها لم يتردد في تقارير ممثلي الشركة في الخليج وهذا امر طبيعي، ثم ان هنالك امر اخر لا بد من الالتفات اليه، عند تقييم هذه العبارة، الا وهو ان الانجليز خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، كانوا يتحدثون عن العتوب عامة (٣) من نزل الكويت ثم قطر والبحرين، ولم تكن هناك فوارق ملحوظة بين تلك الفئات حتى نهاية القرن الثامن عشر، بل لقد ذهب مالكولم MALCOLM (٤) في احد تقاريره، وهو المدون في اول القرن التاسع عشر، الى حد القول بأن العتوب يخضعون لزعامة سياسة واحدة يرأسها شيخ الكويت غير أن احداث الربع الاول من القرن التاسع عشر بكاملها، فيما جاء منها متعلقا بتاريخ العتوب، قد ملأتها شخصية رحمة بن جابر، زعيم الجلاهمة، اذ طبقت شهرته الافاق من حيث

---

(١) انظر Lorimer,I,i, 1006

(٢) انظر على وجه الخصوص المجلد ٢٤ من مراسلات الشركة، وكذلك الرسائل الخاصة R/15/10 دفتر ٢٢ وكذلك دفتر ٢٤ لعام ١٨٢٠ وعام ١٨٢٢.

(٣) انظر تقاريرهم المنشورة في Bombay Selections رقم ٢٤ صفحات ٣٦٢ - ٤٢٥.

(٤) See Malcolms Report

اعماله الجريئة، وحركـاته السريعة في ميـاه الخليـج، ثم ما ساهم به عتوب البحرين، اي آل خليفة من تعاون في تصريف البضـائع التي كان القواسـم يستولون عليها ويسـوقونها في البحرين (١)، لعل ذلك هو ما حدا بممثلي الانجليز في الخليج الى توجههم بابصارهم نحو الشطر الجنوبي من دويلات العتوب، في قطر والدمام والبحرين، دون الشطر الشمالي في الكويت.

اما فيلبي (٢) فقد ذكر الكويت عرضا حين عالج موقف الانجليز عام ١٨١٩، من الاحتلال التركي - المصري لنجد وشرقي الجزيرة العربية. ولعل فيما قاله فيلبي، ما يقدم تفسيرا آخر، لعدم اهتمام السلطات الانجليزية بالكويت مباشرة حتى عام ١٨١٩، ففيلبي رأى في الاحتلال التركـي - المصري لشرقي الجزيرة العربية، خطرا كان يهدد الانجليز في تلك الانحاء وعجب من أمرهم، حين كان لهم اسطول كبير يقف أمام القطيف كيف انهم لم يقدموا على اخضاع ذلك الساحل من اقصى عمان جنوبا الى الكويت شمالا لنفوذهم، ولا ريب « ان تلك كانت فرصة سانحة اضاعها الانجليز، وهذا حدث غامض لا نستطيع ان نجد له تفسيرا»، ونحن لا نعلم ما هي تلك القوى البحرية الانجليزية التي رابطت امام القطيف في ذلك العام، وهي قوة كما يقول فيلبي نفسه، لم يرد لها ذكر في سجلات الشركة او المصادر الرسمية الانجليزية ولسنا ندري بالطبع من أين جاء بذلك الخبر، اللهم الا اذا كان يهدف الى الاشارة الى قطع الاسطول التي تواجدت، بعد توقيع معاهدة عام ١٨٢٠، امام القطيف للمحافظة على الامن وتطبيق بنود المعاهدة، ولعلها هي التي حالت بوجودها دون قتال رحمة وآل خليفة، ومع ذلك فان فيلبي يمضي الى الاستنتاج بأن الانجليز فيما يبدو قد ارتضوا اعادة حكم بني خالد على الاحساء وشرقي الجزيرة بعد انسحاب جيش ابراهيم باشا

---

(١) انظر تقرير بروس عن ذلك في رسائل سرية، مجلد ٣٤، ص ٢٢٩ وما يليها.

(٢) قارن Philby , Saudi Arabia ص ١٢٩ .

منها ١٨١٩ ، وكان ارتضاء الانجليز بحكم بني خالد امرا مؤ قتا ، قبلوه حتى يروا ما قد يجد من احداث (١) .

وفي معرض حديثه هذا، يشير فيلبي الى الكويت اشارة عابرة حيث يقول، وهو يحدد الرقعة التي كان يجب ان يمتد اليها النفوذ البريطاني من عمان جنوبا الى « الكويت التي كانت على جانب غير كبير من الاهمية آنداك (٢) »، واغلب الظن أن فيلبي نفسه لم يكن ليرى أن الكويت كان لها اهمية تذكر اذا قاسها بالممتلكات الوهابية في شرقي الجزيرة - بما في ذلك ساحل عمان - والتي وقعت بيد المصريين، الذين كانوا في نظره ايضا، الورثة الشرعيين للتركة الوهابية في شرقي الجزيرة، والكويت بالطبع، لم تكن جزءا من تلك التركة ، بدليل انها لا ترد ضمن ولايات الوهابيين في تاريخ ابن بشر المتعلق بهذه الفترة (٣) .

الانجليز والكويت (١٨٢١ - ١٨٢٢)

الا ان لورمر يعود فيقرر في صفحة لاحقة من تاريخه، أن العلاقات الانجليزية مع الشيخ جابر كانت دوما طيبة « فقد كان ينظر اليه على أنه صديق للحكومة البريطانية ، اذ انه كان دوما مجاملا دمثا في رسائله معها. ونحن بالطبع لا نعلم الى أية رسائل يشير لورمر في هذا الموضع من كتابه غير ان هذه العلاقات لا بد وانها كانت قد استمرت طيبة ، حتى بعد عودة الوكالة التجارية الانجليزية من الكويت الى البصرة عام ١٧٩٥ . وفي السنوات الاولى من حكم الشيخ جابر، ترد ظاهرتان جديرتان بالتعليق ، والتوقف عندهما قليلا ، في العلاقات الانجليزية الكويتية، اولاهما ما كان من اشارة الى مساهمة السفن الكويتية في نقل وتوزيع ما كان ينهبه القواسم في البحار ثم يودعونه البحرين، وثانيهما ما ترد اليه الاشارة من عودة انتقال الممثلين الانجليز أي المقيم البريطاني ورفاقه، الى الكويت في الفترة مابين ١٥ ديسمبر ١٨٢١ و ١٩ ابريل ١٨٢٢ .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) Lorimer , I , i , 1009

أما عن الظاهرة الاولى، فترد الاشارة اليها حين يتحدث الانجليز عن مقاومة « القرصنة » البحرية، ليس بمهاجمة سفن القواسم فحسب، وانما بمهاجمة الموانىء الاخرى، التي تتعامل في بيع السلع المنهوبة. وبالطبع كانت اكبر تلك الاسواق رواجا تقع في البحرين، والى موانيها كانت تأتي السفن العاملة في الخليج لنقل البضائع، وتوزيعها في اسواق بوشهر والبصرة، وغيرها من الموانىء الواقعة على اطراف الخليج، ويبدو أن سفن الكويت كانت تساهم بنصيب كبير في هذه التجارة (١) غير انه لما كانت الكويت لم تشترك اشتراكا فعليا في عمليات السطو على السفن واعتراض سبيلها في الخليج فانها لم تكن لتتوقع معاهدة يناير ١٨٢٠ التي وقعها كل شيخ كانت سفنه تشترك في اعمال القرصنة البحرية، سواء بطريق مباشر ام غير مباشر.

اما الظاهرة الثانية والاهم فهي ما كان من انتقال الوكالة الانجليزية بكاملها من البصرة واقامتها في الكويت، في الفترة ما بين ١٥ ديسمبر عام ١٨٢١ و ١٩ ابريل عام ١٨٢٢ وبالطبع فان مثل هذه الظاهرة ليست غريبة في تاريخ الكويت فهنالك حادث مشابه، وقع في اواخر القرن الثامن عشر، واشرنا اليه مفصلا في تاريخنا هذا. غير ان الذي يلفت النظر حقا، هو حدوث مثل هذا الامر في الربع الاول من القرن التاسع عشر، حين زعم البعض ان الكويت كانت تخضع للنفوذ السياسي العثماني في هذه الحقبة من تاريخها (٢) . ولكي يدرك القارىء مغزى هذا الانتقال ثم لكي يستبين ما كانت عليه العلاقات الانجليزية الكويتية في هذه الفترة لا بد من أن يتتبع واياه الظروف السياسية والتجارية في باشوية بغداد او ولاية بغداد العثمانية في الفترة الوجيزة السابقة لانتقال الوكالة الانجليزية المشار اليه آنفا. وذلك خلال بداية عهد داود باشا في ولاية بغداد.

---

(١) انظر تقارير دار الاقامة البريطانية في بوشهر .

(٢) المقصود ببعض المؤلفين الدكتور بيلي وايندر في كتابه، **Saudi Arabia in the 19 th Century**
81

ولاية سعيد باشا في بغداد ١٨١٣ - ١٨١٦

بعد مقتل عبدالله باشا ، صارت ولاية بغداد الى سعيد باشا الذي ظل يتربع على كرسيها حتى صدرت اوامر الاستانة بعزله وتولية داود افندي (داود باشا فيما بعد) بدلا منه ، وكان الصراع على ولاية بغداد ، يدور عادة بين مماليك العراق بمنأى عن الاستانة التي لم تكن لتحرص على اكثر من ان يرسل والي بغداد استحقاقات الخزانة بطرفه عن ولايته · غير أن الاستيلاء على مقعد الحكم كان مسألة مريرة ، تنتهي عادة بقطع رأس الوالي المخلوع ، وفي دوامة الصراع من أجل الباشوية ، كان الباشا الجديد ينظر من حوله الى الاصدقاء ، ثم الى الاعداء ، وحتى من وقف على الحياد في ذلك الصراع ، نظرة تختلف جفاء وقسوة ومحبة ، ولعل في هذا الذي نشير اليه تكمن العداوة التي آلت اليها العلاقات الانجليزية ، ممثلة مع شخص المستر جيمس كلاوديوس ريش J.C. RICH ، الممثل السياسي بدار الاعتماد ببغداد ، وداود باشا ، الذي آلت اليه الولاية ، بدخوله بغداد منتصرا على سعيد باشا في ٢١ فبراير ١٨١٧ · لقد كان ذلك الدخول المظفر بمثابة نقطة النهاية للصراع الدامي بين سعيد وداود ، ذلك الصراع الذي وقف فيه المستر ريش ، موقفا محايدا بين الخصمين ، بناء على تعليمات حكومة بومباي ، وحكومة الهند اليه (١) · ولعل من ابرز نقاط الخلاف ايضا ما كان من موقف الكابتن تيلور ، وكيل الممثل السياسي الانجليزي ، والمسئول عن الوكالة التجارية الانجليزية بالبصرة ، ذلك ان كابتن تيلور ، وكانت لديه قوة مسلحة لحماية الوكالة ، لم يتدخل الى جانب متسلم البصرة ، حين طلب اليه ان يعاونه في صد اعتداء بعض القبائل النجدية ، التي هاجمت البصرة من ناحية ، ثم حين طلب اليه ان يسلمه بضائع لتجار نجد ، كانت تحملها سفينة انجليزية ترسو في ميناء البصرة ، تعويضا عما احدثته القبائل النجدية المشار اليها من دمار في البصرة ·

---

(١) Lorimer , I , i , 1324

لقد كانت التعليمات المرسلة الى كابتن تيلور من حكومة بومباي ، وحكومة الهند ، تقضي عليه بأن يحاول المحافظة على من يرتبط بحماية انجليزية في البصرة ، وأن يحافظ على مصالح التجار المتعاملين مع الشركة الانجليزية وانه اذا تعرض لضغط قاهر من السلطات العثمانية ، فعليه ان ينسحب بمؤسسته من البصرة الى بوشهر ، او الى جزيرة قشم ، وكان الانجليز قد أقاموا في الجزيرة الاخيرة قاعدة انجليزية عسكرية ، على أثر حربهم مع القواسم المشار اليها آنفا (١) ٠

هكذا اذن كان الجو السياسي في بغداد والبصرة ؛ مهيئا لعداء سافر بين داود باشا والانجليز ، وكان أول ما فعله أن اهمل نصوص الفرمانات والمعاهدات ، التي كانت تتعلق بالتسهيلات التجارية التي تمنح للرعايا الانجليز والاوروبيين ، المتاجرين في ممتلكات الدولة العثمانية ، ولما ضاعف داود باشا مثلا الضرائب او المكوس التي كانت تجبى منهم ، وتعرض لتلك الزيادة التجار الاوربيون المحتمون بدار الاعتماد البريطانية ، اصدر المستر ريش اوامره للكابتن تيلور بمغادرة البصرة بعد ان يغلق الوكالة التجارية فيها وكان ذلك في شهر نوفمبر ١٨٢٠ ولعله من الطريف ان نلاحظ هنا ان المستر تيلور لم ينسحب الى بوشهر ، أو قشم ، بل ذهب قريبا الى المحمرة ، وهي مدينة حديثة لم يكن قد مضى على انشائها سوى بضع سنوات (٢) ٠ ولعله كان يهدف من وراء ذلك ، ان يبقى غير بعيد عن البصرة ، يرقب تطور الاحداث ٠

كان هذا التحدي من قبل المستر ريش لداود باشا امرا مثيرا للغاية مما ترتب عليه اقدام قوات داود باشا على حصار دار الاعتماد الانجليزية في بغداد ، وذلك في ٢٥ مارس ١٨٢١ ـ وكانت نتيجة هذا الحصار ان أعلن مستر ريش انه سوف يغادر بغداد ، وأن دار الاعتماد سوف تغلق ٠ فما كان من داود باشا الا ان ارسل بعض جنوده لاعتقال مستر ريش ٠ ولن نزيد هذا الصراع تفصيلا في هذا

---

(١) المصدر السابق .

(٢) أسست المحمرة عام ١٨١٢ . انظر Longrigg , 248

المقام ، بل يكفي أن نشير الى أنه يبين بوضوح مدى اهمية التجارة الانجليزية مع العراق عامة ، ومدى اهمية قيام تمثيل سياسي انجليزي في بغداد لحماية المصالح الانجليزية التجارية في العراق والمناطق المجاورة • أما نتيجة ذلك الاشكال بين داود باشا ومستر ريش ، فقد كانت مغادرة مستر ريش بغداد ، ومنها توجه للبصرة فبوشهر ، التي وصلها يوم ١٥ مايو ١٨٢١• ولما كانت صحة مستر ريش قد اعتلت قبل هذا ، فقد توجه الى شيراز حيث وافته المنية بعد ذلك بقليل ، حين أصابه وباء الكوليرا ، في ٥ اكتوبر ١٨٢١ •

انتقال الوكالة الانجليزية الى الكويت ١٥ ديسمبر ١٨٢١

كنا نتوقع ان ينتقل الكابتن تيلور بمؤسسته التجارية الى المحمرة ، كما فعل منذ وقت قريب او الى بوشهر او الى قشم ، غير انه لم يفعل ذلك ، وانما انتقل الى الكويت ، أو حسب ما تقوله تقارير الشركة انتقل الى جزيرة بالكويت وان لم تحدد الجزيرة ، التي أظن أنها جزيرة فيلكا ، وفيلكة بالطبع كانت معروفة لسفن الشركة منذ الربع الثالث من القرن الثامن عشر ، ولعل في متابعة تطور هذا الحدث الهام في تاريخ الكويت ما يميط اللثام عن وضع الكويت السياسي في هذه الفترة المبكرة من تاريخها •

كان حاكم الهند الفنستون Elphinstone قد ارسل الى السفير البريطاني في الاستانة ، اللورد سترانجفورد Strangford يطلب منه التدخل لدى الباب العالي لتسوية المشكلة وشرح الظلم الواقع على مستر ريش من قبل باشا بغداد ، غير أن المسألة قد حلت بمجرد وصول رسالة بومباي الى داود باشا الذي ظهر انه قد شعر بمدى الخسارة التي كانت ستصاب بها باشوية بغداد لو أصر على عناده • ثم انه لا ريب قد اذعن لمطالب الانجليز ، بعد ان رأى وكالتهم التجارية تتحول عن البصرة الى الكويت ، اي ان ذلك كان امرا ستستفيد منه الكويت بالتالي ، على حساب البصرة وبغداد اما عن طبيعة المطالب الانجليزية الجديدة فقد جاءت في

اثني عشر بندا (١) ، وطالبت في وضوح بالعودة الى المعاهدات المتفق عليها بين الباب العالي وبريطانيا ووضحت الشروط التجارية التي كان على داود باشا ان يلتزم بها بما في ذلك اعادة ما اخذ من رعايا الانجليز من رسوم او ما صودر من اموال ، ثم ايضاح وتفسير وضع من تشملهم الحماية الانجليزية من التجار بالعراق٠

وهكذا فان الكابتن تيلور قد قرر العودة بمؤسسته الى البصرة حيث غادر الاراضي الكويتية في طريقه الى البصرة في ١٩ ابريل عام ١٨٢٢ ووصل البصرة « ودخلها معززا مكرما ، يوم أول مايو ١٨٢٢ بعد ان قبل بالتنازل عن شرط واحد أصر عليه داود باشا وهو عدم الاعتذار كتابة او مشافهة للانجليزي ولقد استقبله فيها المتسلم ، الذى اهدى اليه حصانا أصيلا كامل العدة كان داود باشا قد ارسله ليقدم اليه عند وصوله (٢) ، وهكذا عادت الامور الى حالتها السابقة قبل التوتر - ولعلنا نشير هنا الى ان فبول داود باشا رسميا بمطالب حكومة بومباي ، لم يتم الا عام ١٨٢٣ ، بعد عام تقريبا من عودة الكابتن تيلور الى البصرة ٠

ان هذه الحادثة في تاريخ الكويت تلفت النظر الى ثلاثة امور ، اولها انه لا بد وأن تكون علاقات الكويت الجيدة بالاطراف المتاجرة في الخليج ، ولا سيما الانجليز ، والتي بدأت ثمارها تؤتي اكلها في عهد الشيخ عبدالله بن صباح ، والد الشيخ جابر ، خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، قد استمرت على سابق عهدها من الجودة ، وأما الامر الثاني فهو ان اختيار الكويت مرة ثانية من قبل الوكالة التجارية الانجليزية لممارسة نشاطها التجاري منها ، بدلا من البصرة ، تم كنتيجة مباشرة لصراع سياسي اقتصادي مع والي بغداد ٠

وان كان لنا ان نستنتج شيئا عن طبيعة العلاقات السياسية بين الكويت وباشا بغداد في هذه الفترة ، فلعل ابسط ما يقال هنا ان الكويت لم تكن خاضعة لنفوذ

---

(١) انظر تفاصيل تلك البنود في Lorimer , I , i , 1329 - 1330

(٢) المصدر السابق. 1329

الباشا او متسلم البصرة في تلك الفترة ، والا لكان بمقدور الباشا ان يضيق الخناق من جديد على الوكيل التجاري الانجليزي هناك • كذلك فانه لا يعقل ان يلجأ للكويت من أجل الاشراف على التجارة الانجليزية في شمالي الخليج العربي ، اذا لم تكن الكويت نفسها عاملا نشيطا في تلك التجارة ولا بد انه كان لها اسطولها التجاري والحربي ايضا ، وهو أمر سنعود اليه بعد قليل اذ ظهر اثره بعد عشرة اعوام من هذه الحادثة في مسألة او أزمة جديدة ظهرت بوادرها في منطقة البصرة ايضا •

اما الامر الثالث ، فهو عدم مقدرة أحد من الكتاب الذين تناولوا هذه الفترة على تحديد المكان الذي اقامت به الوكالة من ارض الكويت (١) • فهل كانت فيلكة هي المستقر أم مدينة الكويت نفسها؟ او جزيرة اخرى من جزر الكويت؟ ان هذه المشكلة قد خطرت ببالنا كتساؤ ل منذ فترة طويلة ، ولم تجد حتى الان ابحاثنا في سجلات شركة الهند الشرقية المحفوظة بمكتبة وزارة الكومنولث (الهند سابقا) ، ولا ابحاثنا في دار المحفوظات البريطانية في العثـور على تحـديد ذلك الوضع •

ومهما يكن من أمر فان الكويت هي التي وقع عليها الاختيار مرة اخرى من اجل ان تمارس منها شركة الهند الشرقية تجارتها في البلدان المحيطة بعنق الخليج الشمالي • وان دل ذلك على شيء فهو يدل على ان الكويت كانت لا تزال تتمتع بسمعة طيبة في المجال التجاري في المنطقة ثم كذلك في حسن التأتي في المجال السياسي ايضا ، والى هذين الامرين سترد الاشارات في الفصول التالية ، من هذا السفر من تاريخنا ولعل اهمية اختيار الانجليز للكويت في هذه الفترة بالذات من تاريخهم السياسي والتجاري في الخليج ، تتضح حين نرى انها تأتي في اعقاب عقد معاهدة ٨ يناير ١٨٢٠ مع القواسم •

ان قيمة تلك المعاهدة تتركز حول اهميتها في ايقاف التعرض للنشاط التجاري في

---

(١) لم نجد ذكرا لذلك في ولسون Wilson الذي ذكر اللجوء لعام ١٧٩٣ ، وأما لوريمر Gazetteer , I , i , 1008 فهو بدوره في حيرة من امره .

الخليج بعامة وللنشاط التجاري للانجليز في الخليج خاصة ، وهكذا فانه اذا كان الانجليز قد جردوا حملة عسكرية على القواسم في ساحل عمان وقاتلوهم حتى اخضعوهم فانه ، اي الانجليز لجأوا بتجارتهم جميعا في المنطقة الشمالية من الخليج الى الكويت ، وبذلك الالتجاء الى الكويت عادت شركة الهند الشرقية ، صاحبة اليد الطولى في التجارة بالخليج ، عادت لتبرهن من جديد على ان الكويت كانت بعيدة عن العمل « بالقرصنة » البحرية وانما كانت مشيخة صديقة آمنة ٠ هذه في نظرنا هي الحقائق التي يمكن استخلاصها من حركة الاحداث في العقدين الثاني والثالث من تاريخ العلاقات السياسية والتجارية بين الكويت وشركة الهند الشرقية الانجليزية ٠

بعد عام ١٨٢٢ وبعد عودة الوكالة للبصرة وحتى عام ١٨٣٥ اي عام المعاهدة البحرية في الخليج يبدو أن العلاقات الانجليزية ـ الكويتية قد قد استمرت على رتابتها الانفة الذكر ، ولم يحدث ما يكدر صفو هذه العلاقات الا عام ١٨٣٩ ، وكان ذلك بين الشيخ جابر والملازم ادموندزEdmunds ولسوف يأتي شرح ذلك وتوضيحه فيما يلي اذ انه جزء من الحرب غير المعلنة التي كانت تشنها حكومة الهند الانجليزية على الوجود التركي المصري الجديد في شرقي الجزيرة العربية ، ذلك الوجود الذي تمثل في عودة الاتراك المصريين بزعامة وقيادة محمد خورشيد باشا ، الى احتلال شرقي الجزيرة من جديد والكشف عن نواياهم تجاهها وتجاه العراق ٠

الكويت والاوضاع السياسية في شرقي الجزيرة (١٨٣٥ ١٨٤٠)

ان الذي يتابع سير الاحداث في شرقي الجزيرة العربية منذ العقد الثاني من القرن التاسع عشر وحتى عام ١٨٣٥ يرى الدور الاساسي الذي اخذت تلعبه السياسة البريطانية في تاريخ الخليج عامة ، وتاريخ البلدان العربية على شواطئه خاصة ، وذلك ابتداء من سلطنة مسقطوعمان جنوبا ، حتى البصرة شمالا . ويبدو أن الانجليز لم يعودوا ليكتفوا بالتطلع الى ما يجري في بلدان شرقي الجزيرة العربية فحسب بل أنهم نظروا الى ما أخذ يجري في شمالها وغربها ايضا ، ونعني بذلك الاحداث في سورية وفي مصر ، والمعروف ان شريانين تجاريين هامين كانا

يتنافسان على الطريق التجاري بين الهند واوروبا، خلال هذه الفترة، ونعني بذلك الخليج العربي والبحر الاحمر. ولعل الذي شغل بال السياسة الانجليزية خلال هذه الفترة هو ما كان من استيلاء جيوش محمد علي باشا العثمانية المصرية على املاك الوهابيين في الجزيرة العربية بشقيها الغربي والشرقي، ثم ما كان من استيلاء تلك الجيوش بقيادة ابراهيم باشا نجل محمد علي باشا، على الاراضي السورية كافة خلال العقد الرابع من القرن التاسع عشر ايضا، ونعني بذلك حملة ابراهيم باشا على الاراضي الشامية عام ١٨٣١ وما اعقبها من خضوع البلاد السورية باكملها واجزاء كبيرة من آسيا الصغرى ، للحكم التركي المصري حتى عام ١٨٤٠ ٠

لقد حرص الانجليز منذ ان رسخت اقدامهم في منطقة الخليج العربي كأكبر امة اوروبية متاجرة مع موانيه في القرن الثامن عشر على امرين يرتبط احدهما بالآخر ارتباطا عضويا وهما اولا ، انتظام سيل التجارة مع البلدان المجاورة للخليج ، وثانيا ، انتظام خطوط مواصلاتهم مع مركز شركة الهند الشرقية الانجليزية في عاصمة ملكهم اي لندن ٠ وكان هذان الامران يتطلبان قدرا كبيرا من القدرة على الحركة في سرعة وذكاء يضمنان للشركة ولحكومة الهند الانجليزية معا الحفاظ على الامرين السابقين ٠ ونحن لسنا هنا في مجال مقارنة اي الطريقين افضل وانسب ، الخليج العربي ام البحر الاحمر ، ولسنا كذلك في مجال المقارنة بين هذين الطريقين وطريق رأس الرجاء الصالح ، فهذان امران يخصان دارس التجارة الدولية اكثر من دارس التجارة والاوضاع المحلية السياسية في منطقة الخليج ، ثم بالتالي نصيب الكويت ، في خضم تلك التجارة وتلك السياسة ولكن الذي يعنينا في هذا المقام هو ما كان من احتلال الاتراك والمصريين شرقي الجزيرة من جديد ، وما ترتب على ذلك الاحتلال من اوضاع جديدة ٠ وكذلك احتلالهم بلاد الشام وما ترتب على كل ذلك من أحداث أثرت بدورها على ما جرى في الكويت والمناطق المجاورة من مناورات سياسية من ناحية ، ثم على الحركة الاقتصادية التجارية من ناحية اخرى ٠

ولعله من المفيد أن نذكر هنا أن دارس تاريخ هذه الحقبة في تاريخ الكويت، لم يعد يكفيه ما ورد في روايات محلية تناقلتها افواه الناس، وسجلتها بعض الكتب المطبوعة والمخطوطة - المدون فيها وصف ما وقع من احداث، ذلك أن تفسير هذه الاحداث تفسيرا تاريخيا، يجب ان يصبح هدف المؤرخ الواعي فحركة التاريخ ليست تلقائية بل هي ناجمة عن افعال وردود افعال أو هي ناجمة عن مسببات ونتائج ومن هنا صار علينا ان نلقي اكبر قدر من الضوء على الآثار المترتبة على عودة محمد خورشيد باشا القائد التركي المصري الجديد لنجد وشرقي الجزيرة.

الكويت والحملة التركية المصرية الثانية على نجد والاحساء

لا بد لنا لكي نفهم مقدار ما اسهمت به الكويت في هذا الظرف العصيب من تاريخ الجزيرة والخليج عامة، من أن نحاول ابراز بعض الامور التي كانت السياسة التركية المصرية الجديدة، وهي سياسة خورشيد باشا، تحاول ان تسير عليها، او التي سارت وفق هداها. لقد ظهر منذ البداية تقدم خورشيد من المدينة الى مدن القصيم ونزوله في مدينة عنيزه في جيش قوي انه يريد اعادة ترسيخ اقدام سيده في نجد والاحساء. وهو لم يكتف بذلك بل انه اخذ يعد الخطط للتقدم نحو البصرة وبغداد (١) . اما طريق الحملة فكان بريا (٢) . ولعل هذا يبرز اهمية بلد كالكويت يقع على طريق الحملة، غير اننا قد رأينا من قبل حملة علي باشا - كيخيا بغداد - وهي تتقدم برا الى الاحساء عام ١٧٩٨ وكانت تساندها حملة بحرية ساهمت فيها الكويت بنصيب وافر من وسائل النقل المطلوب لنقل المتاع

---

(١) انظر الرسالة الموجهة من خورشيد باشا الى محمد علي باشا بتاريخ ٣ شعبان ١٢٥٥ / ١٢ اكتوبر ١٨٣٩ وثيقة ٣٩ محفظة ٢٦٧ . وكان خورشيد حريصا على ايضاح سهولة الغزو لمحمد علي باشا ، حين كان يرسل ضمن رسائله ، الرسائل المتبادلة بينه وبين عيونه في نواحي البصرة امثال حمود بن جسار (رسالة خورشيد بتاريخ ٢٧ جمادى الثانية ١٢٥٥ / ٢٨ اغسطس ١٨٣٩ وثيقة رقم ٤ محفظة ٢٦٧) .

(٢) يقول خورشيد في احدى رسائله لمحمد علي باشا بان الانجليز لن يعترضوا الغزو لان المصريين (سادة البر) ، وعن طريقه كان سيتم الزحف ، انظر خورشيد الى محمد على اول رجب ١٢٥٥ / ١٠ سبتمبر ١٨٣٩

الثقيل، فهل كان خورشيد يعلم ايضا انه بحاجة الى وسائل بحرية لتسند الحملة ؟ وفي مثل هذه الحالة، هل كان في مقدوره ان يغفل المساعدة الكويتية؟ الى هذه المسألة سنعود بعد قليل. هكذا اذن لابد انه كان على خورشيد باشا ان يحسب حساب العوامل المحلية اللازمة لانجاح الحملة بالاضافة الى تجنب المعيقات الخارجية، المتمثلة في الوجود الانجليزي، الذي اخذ نشاطه يزداد بسرعة ملحوظة بعد بلوغ جيوش خورشيد شاطىء الخليج.

على ان الناظر الى الوثائق المصرية المعاصرة العربية منها والتركية وكذلك الوثائق الانجليزية يستطسع ان يلحظ ان الكويت في نظر خورشيد كانت تلعب ادوارا في المخابرات المحلية، وهي لا ريب قادرة على ذلك بحكم موقعها المتوسط بين الاحساء وبغدادوبحكم طبيعة تكوين سكانها وكانوا في غالبيتهم من نجد، ثم بحكم الارتباطات العائلية بين سكان الكويت وسكان الزبير والبصرة كذلك يلحظ دارس تلك الوثائق الدور الذي كانت تؤديه الكويت من حيث تموين الجيش التركي المصري المرابط في نجد والاحساء، ثم يلاحظ امرا ثالثا هو قدرتها على مد خورشيد ان طلب ذلك، اودعت الضرورة، بما يحتاجه من وسائل النقل البحري، والى حد ما الخيل والجمال اللازمة للنقل البري هذا. ولقد لعبت الكويت في هذه الفترة القصيرة من تاريخها دورها المعهود في استضافة الفارين من وجه جيوش خورشيد من افراد وجماعات. والي هذه الامور المختلفة نلتفت في هذا المقام، محاولين استقراء الوثائق التي بين يدينا، بعد ان نعرض في ايجاز احيانا وفي اطالة احايين اخرى لمحتوياتها.

عبد الله الفداغ :

ولعل اول ما لفت نظرنا في دار الوثائق القومية التي كانت محفوظة بقصر عابدين حين اطلاعنا عليها وجود مكاتبة من تاجر كويتي اسمه عبد الله الفداغ موجهة الى فيصل بن تركي ضمن رسالة من خورشيد بعث بها الى القاهرة في ٣ جمادي الاولى ١٢٥٤ / ١٨٣٨ ونحن وان رأينا ان الرسالة التي بعث بها التاجر الكويتي هامة بالنسبة لتاريخنا فان تعليق خورشيد عليها يكسبها اهمية تفوق في

نظرنا اهمية الرسالة ذاتها (١) .

تتحدث رسالة عبد الله الفداغ بعد الدعوات الطيبات لامام المسلمين فيصل السعود « عن انه لم يتسلم منه اي رسالة منذ مدة طويلة، ثم يدعو له بالنصر وينقل بعض اخبار تحركات علي باشا والي بغداد على المحمرة، وان علي باشا كان حين كتابة الرسالة بطرفهم اي في نواحي البصرة، لانه يريد ان ينصب ثامرا شيخا على المنتفق من جديد، ثم يقول ان الباشا قد ارسل لفيصل رسولا عن طريق الكويت، ويمضي للتحدث عن ضرورة رد فيصل على الباشا حتى يرسل الاخير له فرمانات او بلاغات من الباب العالي تقرأ على البادية والحضر وتهاجم ادارة محمد علي باشا، الخارجة على اوامر الباب العالي. ثم يأتي على اخبار القبائل المحلية كالمنتفق وعنزة ثم يشير الى هدايا من الملابس مرسلة من بغداد الى فيصل. هذا هو مجمل الرسالة.

اما خطاب خورشيد (٢) الى محمد علي باشا فجاء فيه :

« سيدي صاحب الدولة والعاطفة

سبق ان اوفد فيصل بن تركي اخاه (جلوى) مبديا الرغبة في الولاء وتقديم الخدمات ولكن المشاهد من احواله انه يتجه الآن اتجاها آخر وان معظم الاهالي يميلون الى جهات العراق والكويت والبصرة لذلك نبهنا بعض مشايخ القرى ممن جربنا صدقهم واخلاصهم بأن يتجسسوا الطريق الموصل الى موضع اقامة فيصل حتى اذا وجدوا من يسافر اليه بكتاب أو أخبار قبضوا عليه وارسلوه الي، وبناء على ذلك فقد قبض احمد سديري امير سدير على رجل يذهب الى فيصل بالكتاب المقدم في طيه الموجه اليه من شخص يدعى عبدالله بن

---

(١) رسالة من عبدالله الفداغ الى فيصل السعود بتاريخ ١٦ رمضان ١٢٥٢ / ٢٧ مارس ١٨٣٧ . وهي الوثيقة العربية المرسلة ضمن الوثيقة التركية رقم ٦٦ محفظة ٢٦٤ .

(٢) صادر من عينزه بتاريخ ٣ جمادى الاولى ١٢٥٤ / ٢ يوليه ١٨٣٨ . وثيقة تركية رقم ٢٣ أصلي و ٦٦ حمراء محفظة ٢٦٤ .

الفداغ من اهالي الكويت وارسله الي. وبالاطلاع عليه اتضح انـه خاص بانباء العراق وجاء فيه ما معناه » سوف يسوق على باشا الجند الى هنا في حالة انتصاركم، وارسل الى الباشا المشار اليه كتابا التمس فيه دولته أن يأتي لك بمرسوم من لدن حضرة صاحب الجلالة، مولانا السلطان يقرر بأنك خاضع لحكم جلالته، ومنتظم في صف خدمته ليقرأ على الجميع الحضريين والبدويين وفي مكة والمدينة وان فعلـت هكذا لانسحبت جنود مولانا الخديوي الافخم من عليكم. « وقـد سألنا من يكون عبـد الله بن فداغ هذا فثبـت لدينـا انـه تاجـر في الكويت، مرعى الخاطر ومتصل بوالي بغداد كما اتضح ان تحريض فيصل المار الـذكر من الطـرف المذكور وقـد اشعرنـا بذلك على ان يعرض على السدة العلية لاحاطة علم ولي النعم.

من عنيزه

٣ جمادى الاولى ١٢٥٤ الميرمران خورشيد

لعل هذه الرسالة تكشف اولا عن مدى النشاط الذي كانـت تقـوم به عيون خورشيد في انحاء الكويت من اجل مراقبة احـوال ولاية بغـداد وخـورشيد في خطابه هذا لا يمس الكويت في كثير أو قليل، بل يكتفي بالقول ان عبد الله الفداغ مرموق من الكويت ويكمن خطر مثل هذه المكاتبة في نظر خورشيد في انها تنقل لفيصل بن تركي اخبار العراق، ومدى استعـداد علي باشـا لمؤازرة فيصـل بن تركي، ثم لا يخفي ما في ذلك من اخطار تتهدد حكم مولاه محمد علي في الاحساء ونجد. ونحن يهمنا بعض العبارات التي وردت في هذا الخطاب، مثل التجسس على « الطريق الموصل الى موضع اقامة فيصل » وكان فيصل يقيم في هذه الآونة في الخرج والطريق هو طريق البصرة فالكويت فالقصيم وبلدان نجد بشماله وجنوبه او طريق البصرة فالكويت ، فطريق الساحل حتى الاحساء فالخـرج ، أي أن الكويت في طريق الذاهب الى فيصل والآيب من لدنه، فهي اذن محطة مناسبة لمراقبة التحركات الغريبة في تلك الانحاء ولعل هذا القول تثبت صحته اذا تذكرنا

أن المقيم الانجليزي بالخليج الكابتن هنيل HENNELL كان قبيل نجاح محمد رفعت في توقيع الاتفاقية مع شيخ البحرين في ٧ مايو ١٨٣٩ ، وبعد ان خشي أن يسعى محمد علي باشا الى توسيع رقعة نفوذه في الخليج شمالا وجنوبا ، كان قد ارسل طبيب دار الاقامة الانجليزية في بوشهر الدكتور ت. مكنزي T. Mackenzie على ظهر السفينة اميلي **Emily** الى الكويت والبصرة والمحمرة ليرى أن كان لتلك الاشاعات نصيب من الصحة . كان ذلك يوم ٥ مايو ١٨٣٩ ، وبعد ذلك بيومين ارسل السفينة كلايف Clive الى الكويت مع رسالة الى خورشيد باشا كلف ربان الباخرة ان يسلمها الى شيخ الكويت ، جابر بن عبد الله ليقوم بايصالها الى خورشيد . والرسالة نسخة ثانية عن رسالة كان وجهها يوم ٢٩ ابريل ١٨٣٩ الى القطيف لتسلم الى خورشيد . والرسالة فيها تنبيه لخورشيد بعدم التقدم اكثر من حدود الاحساء . والكابتن هنيل يقول لشيخ الكويت ، انه يعتمد على حصافته في ابلاغ وافهام خورشيد باشا ما قد ينطوي عليه اقدامه على تجاوز حدود الاحساء من مخاطر (١) .

وفي الاسبوع الثاني من شهر مايو ١٨٣٩ اخبر الشيخ جابر الكابتن هنيل ، ان خورشيد كان بالرياض وان وكلاءه الذين بالكويت كانوا يشترون التموين ، ولم يذكر الشيخ جابر في رسالته ان في نية محمد خورشيد مهاجمة البصرة او التوجه شمالا من الاحساء (٢) .

---

(١) الرسالة موجودة كمرفق لرسائل بومباي السرية مجلد ١٤ وهي مرفقة مع الرسالة السرية رقم ٧٦ المؤرخة ١٢ يوليه ١٨٣٩ والموجهة من هنيل Hennell الى ولوبي Willoughby ، بالهند ثم رسائل ٢٩ ابريل و ٧ مايو ١٨٣٩ تحت رقمي ٣٧ و ٤١ الدائرة السرية . وفي الاخيرة مرفق رسالة هنيل الى خورشيد المؤرخة ٢٩ ابريل ١٨٣٩ . وهذه من وثائق شركة الهند الشرقية المحفوظة بمكتبة وزارة الهند (سابقا) في لندن .

(٢) انظر وثائق شركة الهند الشرقية (مكتبة وزارة الهند بلندن) ، رسائل سرية مجلد ١٤ رسالة رقم ٨٧ مؤرخة ١٦ يوليه ١٨٣٩ من هنيل الى ولوبي ورسالة اخرى ١٨ مايو ١٨٣٩ رقم ٥٣ بها ملحق رسالة الشيخ جابر بن عبدالله الى هنيل وتاريخها ٢٥ صفر ١٢٥٥ / ١٠ مايو ١٨٣٩ .

لم تكن هاتان المناسبتان هما الوحيدتان في محاولة الانجليز الاستفادة من وضع بلد مثل الكويت، في التعرف الى تحركات جيوش محمد علي بل في الحصول على ما يضمره خورشيد من نوايا تجاه شرق الجزيرة والخليج. ولعل خير ما يدلل على ذلك ما حرص عليه المقيم الانجليزي في بوشهر من اقامة جسر للعلاقات مع خورشيد وتمثل ذلك في الرسائل المتبادلة بين خورشيد وهنيل، وهي محفوظة في كل من دار الوثائق المصرية بالقاهرة والوثائق البريطانية الخاصة بشركة الهند الشرقية في لندن. وفي احدى الرسائل من هنيل وولوبي في الهند، يبدو بوضوح كيف أن عيون الانجليز، كانت تتابع تحركات جيوش محمد علي فهو يتحدث في رسالة تاريخها يرجع الى اوائل يناير ١٨٣٩ الى أن خورشيد قد انزل قواته في موانىء شرقي الجزيرة الرئيسية القطيف وسيهات والعقير وأنه أرسل وكلاءه الى الكويت والبحرين وشيوخ المنتفق قرب البصرة لشراء التموين اللازم لجيشه (١) .

هذا عن نشاط عيون الاطراف المتعددة في الكويت والمنطقة المحيطة بها. اما من حيث الخدمات الملحة، واللازمة لجيش خورشيد في الاحساء ونجد، فكان ذكر الكويت يتردد في كثير من مكاتبات خورشيد باشا مع القاهرة. ولعل حاجة خورشيد الماسة الى الذخيرة والمؤن لذلك الجيش هي التي فرضت عليه أن يرسل موفدا خاصا الى الكويت يعمل على تأمين هذه الحاجيات ولعل هذا الايفاد ايضا هو الذي دعا بعض الكتاب المعاصرين الى الاعتقاد بأن محمد افندي، موفد خورشيد الى الكويت، انما كان يقوم بأعمال التجسس لحساب خورشيد وأنه اتخذ رداء جامع التموين للجيش بالاحساء ونجد، ستارا يخفي تحت طياته حقيقة أمره (٢) .

---

(١) انظر ملحقات رسائل بومباي السرية مجلد ١٢ (وثائق شركة الهند الشرقية بلندن)، ملحق رقم ٤١ بتاريخ ١٣ ابريل ١٨٣٩ وكذلك ملحق رسالة هنيل إلى ولوبي والمؤرخة ٢ مارس ١٨٣٩ وبها رسالة خورشيد الى هنيل بتاريخ ٢٤ ذو القعدة ١٢٥٤ / ٩ فبراير ١٨٣٩ .

(٢) هذا ما ذهب اليه لورمر في : **Gazetter of the Persian Gulf , Vol , I , i , 1009**

وما سار عليه بيلي وايندر Bayly Winder في كتابه : **Saudi Arabia , P . 128** وبالطبع لو أن لورمر ـــ

والواقع ان مشكلة تزويد الجيش بالذخائر وبالمؤ ن اللازمة كانت شغل خورشيد الشاغل، حتى قبل أن يتم له احتلال الاحساء وقبل ان يستسلم فيصل بن تركي له (١) وان وثائق عابدين تتحدث بكثرة عن هذه الازمة الطاحنة. ولعل مما زاد الطين بلة أن خورشيد كان يشكو نقصا واضحا في الاموال اللازمة لشراء هذه الذخائر والغلال حتى ان حركته صارت صعبة للغاية. وفي هذه الرسالة يقول خورشيد أن انه يشكو قلة المؤ ن والاعلاف، التي لم تصله من المدينة وانه صار بحاجة الى اموال لشراء التموين . . . وها أن الحركة مشلولة من جراء عدم توفر الجبخانة (٢) ، وها نحن نعاني الضيق من هذه الناحية . . . فمن اجل ذلك ونظرا لان بداخل قريتي دلم وزميقة (٣) من المؤ ونة ما يزيد عن حاجتنا لمدة سنة، وسيطول والحالة هذه امر الاستيلاء عليها، فقد صممنا على ان نوفد الى البصرة والكويت مندوبا يستقرض المال، فيما اذا وجدت هناك بعض السفن الانجليزية (٤) ليبتاع منهاالمؤ ونةذلك لاننا لا نملك مالا كما قد اسلفنا بينما زراعة نجد في هذه السنة قليلة جدا نظرا للاضطرابات التي قامت بها . . . »

وبتاريخ ٤ شوال ١٢٥٤ / ١٨ يناير ١٨١٩ كتب خورشيد الى القاهرة مجددا راجيا ارسال سفينتين صغيرتين من السفن المصرية الراسية في جدة الى ميناء

= وواينددر قدقرآما جاء في مراسلات خورشيد العديدة مع محمد علي باشا الخاصة بمشاكل التموين والحصول على الخيول والجمال والاعلاف اللازمة لها ، لغيرا رأيهما بعض الشيء أو لعدلاه كليا .

(١) انظر رسالة محمد خورشيد باشا الى محمد علي باشا ، وهي مرسلة من دلم بتاريخ ٢٢ شعبان ١٢٥٤ / ١٦ سبتمبر ١٨٣٨ . محفظة ٢٦٤ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ حمراء و٥٣ أصلية .

(٢) أي الذخيرة اللازمة للبنادق والمدافع .

(٣) كتب الرسالة قبل سقوط دلم بيد خورشيد واثناء حصارها . الرسالة من خورشيد الى محمد علي باشا ٢٢ شعبان ١٢٥٤ / ١٦ سبتمبر ١٨٣٨ . محفظة ٢٦٤ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ حمراء و٥٣ أصلية .

(٤) ربما كان المقصود بذلك السفن التي تعمل تحت الراية الانجليزية من سفن الهند وغيرها .

القطيف لكي تعملا في تسهيل نقل الذخيرة من جهتي البصرة والكويت (١) .

واذا كان محمد خورشيد متفائلا في الرسالتين الماضيتين في امكان الحصول على المؤ ن والذخائر المطلوبة من الكويت والبصرة فان الوضع على ما يبدو لم يبد فيه التفاؤ ل واضحا في رسالة تالية تاريخها ٦ شوال ١٢٥٤ حين كتب محمد خورشيد يقول وذلك بعد سقوط دلم ، وفي تقرير من اربعة عشر بندا جاء في البند العاشر منه :

« قد لاحظنا هذه الاسباب من قبل (محاولة الحصول على ذخائر ونقود) وكانت نواحي البصرة والكويت تأبى اصدار الذخائر الينا عملا بأوامر حكمها فانتدبنا حكيمباشي الجيش الذي بمعيتنا وأوفدناه في ١٧ رمضان من سنة ١٢٥٤ الى قنصل فرنسا المقيم للتعارف الذي بينهما وعهدنا اليه ان يستقرض من القنصل المشار اليه نقدا ، قدر الفي كيس وان يشتري بواسطته كمية من الذخيرة بذلك المبلغ فيحملها في سفينة ويأتي بها الى ميناء القطيف الا اننا لاندري ايفلح في قضاء هذا الامر ام يخيب . . . (٢)

ويبدو ان ازمة المؤ ن لا سيما الرز للافراد والشعير للخيل بقيت مستحكمة حتى بداية العام الثاني ففي ١٧ محرم ١٢٥٥ / ١٨٣٩ كتب خورشيد الى القاهرة يقول انه ارسل معاونه محمد افندي الى الاحساء والقطيف والبحرين لتنظيم تلك الجهات وبصحبته رئيس المغاربة محمد اغا الفاخري والذي اوفد خصيصا للاحساء ليستلف بعض المال من الاهالي ويشتري به للمعسكر مقدارا من الرز ، وأن يأخذ ايضا لخيل الفرسان مقدارا من الشعير ، بواسطة تجاره ، الذين يأتون به من بر العجم ، ففعل وارسل لنا مقدارا من الرز اما الشعير فيبدو انه نجح في شرائه من بر العجم غير ان مشكلة واجهته في نقله فكأن مصاعب النقل البحري

---

(١) المحفظة ٢٦٤ وثيقة تركية رقم ٥/٨ أصلية و ١١ حمراء .

(٢) محمد خورشيد الى الباشمعاون الخديوي - دلم في ٦ شوال ١٢٥٤ / ٢٠ يناير ١٨٣٩ عابدين محفظة ٢٦٤ وثيقة رقم ٦٤ أصلية ورقم ٢٠ حمراء .

اضيفت الى مشكلة شراء المؤ ن والاعلاف حيث انه لا توجد سفن في ميناء الاحساء والقطيف (١) لنقل ذلك الشعير » ، هذا ويقول خورشيد انه جاء بخاطره ان يشتري قاربا لنقله به (٢) .

لقد بقيت هذه الازمة قائمة من حيث المؤ ن ذاتها ، ثم من حيث تدبير امر نقلها في السفن الى ما بعد تاريخ الرسالة السابقة بنحو بضعة شهور ، اذ اننا نجد خورشيد باشا يكتب عن ان الغلال في نجد ليست كافية للجيش وهو لذلك قد ارسل في شرائها من الكويت وبوشهر وارسل رجالا لنقلها من بلاد العجم والكويت الى نجد لكنه يرى ان العجم لاسباب خاصة لا يسهلون بيع الغلال . لذا فانه رأى أن يرسل محمد علي باشا خطابا الى المقيم الانجليزي في بوشهر مباشرة او عن طريقه هو وذلك من اجل تسهيل شراء الغلال من بلاد العجم او من بومباي .

هكذا يتبين لنا من هذه الرسالة ورسائل اخرى لاحقة (٣) اهمية الكويت ليس في كونها سوقا لشراء العلف والمؤ ن فحسب بل ايضا لكونها قادرة على نقل تلك المؤ ن لجيوش محمد علي باشا في الاحساء وفي نجد ، بل ان خورشيد يذهب الى ابعد من ذلك ، حين يرى غضب البصرة وبغداد نتيجة لمساهمة الكويت في حل ازمة الغلال (٤) .

ويبدو ان مساعدة الكويت في تحقيق قدر كبير من حل مشكلة المؤ ن والغلال ،

---

(١) كان ارسال هذه الرسالة من الرياض يوم ١٧ محرم ١٢٥٥ / ٢ أبريل ١٨٣٩ ، اما ايفاد محمد افندي ومحمد أغا الفاخري فكان يوم ٣ ذي القعدة من العام السابق اي ١٢٥٤ / ٢٧ يناير ١٨٣٩ . انظر محمد خورشيد الى حسين باشا الباشمعاون وثيقة رقم واحد أصلية و٢٦ حمراء محفظة ٢٦٧ .

(٢) محمد خورشيد الى الباشمعاون . ثرمدة غرة ربيع الاول ١٢٥٥ / ١٦ مايو ١٨٢٩ تركي عابدين تسلسل رقم ١٥٦ حمراء محفظة ٢٦٦ .

(٣) محمد خورشيد الى الباشمعاون ٤ رمضان ١٢٥٥ / ٢٦ فبراير ١٨٣٩ وثيقة رقم ١١٠ حمراء محفظة ٢٦٧ .

(٤) محمد خورشيد الى الباشمعاون ١ ربيع أول ١٢٥٥ / ١٦ مايو ١٨٣٩ تركي رقم ١٥٦ حمراء محفظة ٢٦٦ .

من حيث شراؤ ها ونقلها على سفنها، لم تكن هي الوسيلة الوحيدة التي افاد منها خورشيد، ذلك انه حين وصل الكويت جماعة من العساكر الاتراك من جند باشا والي بغداد برئاسة محمود اغا الموره دي ساهمت الكويت بنقلهم جميعا الى الاحساء، ونحن لن نورد تقرير محمود اغا الموره دي بكامله الى خورشيد بل يكفي ان نقتبس منه بعض العبارات التي نراها لازمة في هذا المقام، ذلك ان التقرير يروي ما حدث للاغا المذكور ورفاقه منذ ان قرروا اللحاق بقوات محمد علي في نجد والاحساء. يقول محمود اغا الموره دي في تقريره المؤ رخ في اليوم الثالث من ربيع ثاني عام ١٢٥٥ / ١٨٣٩ :

« وبما انني منذ القديم اومل ان اكون مشرفا ومفتخرا بالخدمة المصرية الموجبه للفخر، فلقد عملت على قطع خرجي واتفقت مع نحو خمسمائة جندي من اصل الف جندي المار ذكرها الموجودة في البصرة على ان نلتحق بمعية حضرة خورشيد باشا فشاع هذا الامر فمنعوا من اجله اعطاء تذاكر وسفن فلم يكن بالامكان أن تأتي بذلك المقدار من العسكر، فاستدعيت بوجه السرعة سبعين جنديا وركبنا الفلك بالكره عنهم وتوجهنا الى الكويت وصعدنا اليها، وجئت عند محمد افندي مأمور اشتراء الغلال في الكويت من قبل حضرة خورشيد باشا وبينما كان محمد افندي ناويا الاقامة في الكويت بضعة ايام جاء خطاب مع رجل مخصوص لابن صباح امير الكويت يطلب القبض علينا واعادتنا الى البصرة فلم يعبأ ابن الشيخ صباح بذلك الكتاب واجاب بانه غير قادر على القبض علينا وارسالنا بالاجبار، ثم ان الامير المرموق اركبنا انا ومحمد افندي والعسكر الذين معنا فوصلنا الى الاحساء فصعدنا اليها ومنها جئنا الى ثرمده مع قافلة الغلال المرسلة الى خورشيد من طرف محمد اغا الفاخري رئيس المغاربة مأمور الاحساء، وبعد ما جرت بنا السفينة من البصرة بثلاث ساعات او اربع جاءنا خبر من اولئك العساكر الذين اتفقنا معهم يسألوننا ان

نعين لهم محلا يخرجون اليه، وقالوا لنا اذا قبلنا ان نكون في الخدمة المصرية فلنبعث لهم علما بذلك». (١)

لقد ارفق محمود الموره دي مع تقريره هذا قائمة باسماء هؤلاء الجنود واوصافهم.

ومثل هذه الوثيقة ليست بحاجة الى تعليق يبين دور الكويت المأمول في نقل الجند والمؤ ن ان لزم الامر، اما مايمكن استخلاصه منها سياسيا ذلك أمر سنعود اليه بعد برهة وجيزة.

بقى علينا بعد هذا ان نتحدث عن امرين وردت اليهما الاشارة في الوثائق المصرية والاروبية ثم في الكتب المعاصرة، اما اول الامرين فهو حوادث لجوء الافراد والجماعات الى الكويت ومسألة ذلك اللجوء معروفة لدينا في تاريخ الكويت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ولقد بينا حينذاك كيف ان الشيخ عبد الله ابن صباح قد رفض تسليم المستجير به لمتسلم البصرة ووالي بغداد ورأينا كيف انه كان عنيدا في رفضه رغم محاولة المستر مانستي Manesty التوسط لديه. كان من المنتظر بالطبع بعد حوادث القتال الشديد في شرقي الجزيرة والاحساء ان يلجأ بعض الزعماء الوهابيين إلى الكويت أو غيرها من البلدان المجاورة، وكذلك بعض القبائل الموالية لاعداء محمد خورشيد، ولعل ابرز مثل على ذلك ما كان من امر لجوء عمر بن عفيصان (٢) القائد الوهابي إلى الكويت بعد أن كان قد لجأ الى البحرين في اعقاب هزيمة الوهابيين. كذلك لجأت الى نواحي الكويت عربان الدويش وغيرهم (٣).

لا ريب ان اللاجىء الى بلد انما يسعى الى امان من الهارب منه اي ان يوجد في

---

(١) مرفق مع رسالة من خورشيد مؤ رخة ٣ ربيع الآخر ١٢٥٥ / ١٦ يونيه ١٨٣٩ عابدين تركي رقم ٧ حمراء محفظة ٢٦٧

(٢) ابن بشر ٢ : ٩١ ، ١٠٢ - ١٠٣ ثم Bombay Selections , XXIV , 445 وكذلك, Philby 181

(٣) انظر رسالة من محرم اغا محافظ المدينة الى الباشمعاون الخديوي بتاريخ ١٤ ربيع اول ١٢٥٥ / ١٩ مايو ١٨٣٩ محفظة تركي رقم ٢٦٦ عابدين ٩ أصلي و١٩٧ حمراء.

بلد امين بعيد عن تسلط مْن يخشاه واذا رأينا كيف استطاع شيخ الكويت ان يقول لوالي بغداد انه لن يعيد محمود الموره دي ورفاقه الى البصرة فاننا نعلم ان الشيخ جابر كان قادرا على حماية المستجيرين به من خطر ملاحقة والي بغداد لهم، واذا قيل هنا ان باشا بغداد، او متسلم البصرة، كان اضعف من ان يهاجم الكويت، أو غيرها من البلدان على شاطىء الخليج وان خورشيد باشا كان اقوى من علي باشا فأغلب الظن ان خورشيد باشا لم يكن يضمر مهاجمة بلد أقل ما يقال فيه أنه قدم وكان سيقدم لخورشيد اكثر من جميل بصنيعه فهذه سفن الكويت تنقل الغلال والمؤ ن وهذه السفن تنقل ايضا الجند ان لزم الامر ولقد افاد بذلك جرنال (تقرير) محمد محمد رفعت افندي، وورد في البند السادس منه (١) :

« ومن حيث البغلة تعلق دولتكم (خورشيد) حضرة (كذا) في هذه الاثناء من الكويت وفيها نحو ٣٠٠ اردب وكسور قمح وشعير وحضر لنا جواب من جابر بن صباح ومحمد افندي (موفد خورشيد الى الكويت) مضمونهم ان صنف الغلال حينئذ غير موجود في الكويت وكذلك البصرة لم موجود فيها وأبو شهر » . . .

هكذا اذن حين ينظر الباحث في الوثائق القومية بمصر، ليرى منها مسلك خورشيد باشا ورجاله تجاه الكويت والشيخ جابر بن عبد الله يستطيع ان يتبين ان العلاقات الكويتية مع محمد علي لم تتعرض للتردي طوال هذه الفترة الاخيرة ، من تاريخ احتلال جيش والي مصر لشرقي الجزيرة ويبدو ان هذه العلاقات كانت ودية وقوية لم يتخذ فيها الشيخ جابر موقفا منحازا نحو الاتراك في بغداد او الاتراك في نجد والاحساء اذ كان قادة جيش محمد علي باشا ومعظم رجاله من الاتراك ولا نحو الانجليز اي ان موقف الكويت كان موقفا وصف في عرف الدبلوماسية الحديثة بأنه موقف المحايد او غير المنحاز وان بدا انه في بعض الاحيان اميل الى ان يكون في جانب جيش محمد علي باشا.

---

(١) تاريخ التقرير هو آخر صفر ١٢٥٥ / ١٥ مايو ١٨٣٩ وهو محفوظ في محفظة ٢٦٧ تركي رقم ١٣٧ .

لا شك ان موقفا معاديا من مبعوث خورشيد محمد افندي، الذي وكل اليه امر شراء الغلال او من عدم تيسير نقل المؤ ن والذخائر كان يمكن ان يتسبب في كارثة تصيب مئات الافراد من الاتراك والمسلمين. وان موقفا يميل الى اى جانب من الاطراف المتقاتلة كان سيسبب كارثة لا خوة تربطهم بأهل الكويت روابط روحية قوية، ولعل المثل البارز على موقف الحياد هذا، يتضح من رفض الشيخ جابر عام ١٨٣٩ مقابلة موفد الكابتن هنيل الى الكويت (١) وكان الرفض قد تم على ما يبدو في صلابة وحصافة مما دعا لورمر لمحاولة تبرير ذلك (٢) بأن الشيخ جابر لم يكن ليريد اغضاب محمد افندي موفد خورشيد او كما يقول لورمر « وكيل » خورشيد لديه ومن عبارة لورمر يبدو الشيخ جابر كأنه كان ينافق محمد افندي. ولورمر كان يعتقد ان محمد افندي كان رقيبا أو عينا مصريا على شيخ الكويت وان شيخ الكويت كان يخشاه، ولذا كان يجلسه في ابرز مقام في ديوانه.

لقد كان هنيل يعتقد ان الكويت والتي لم تكن بعد، قد وقعت على اية اتفاقية تربطها بمهادنة او حماية بريطانية، كان يعتقد اذ. ربما خشى الشيخ جابر من خطر سياسة محمد علي، وبذلك ينحاز الى الجانب الانجليزي في ذلك الصراع السياسي، الذي قد يتطور الى صراع عسكري واقتصادي، ولعل في زيارة المستر هنيل الى ساحل عمان في نصف السنة، وبعد ان وقع شيخ البحرين معاهدة صداقة مع محمد رفعت افندي وعدم زيارته الكويت دليل آخر على قدرة الكويت على الوقوف على قدميها امام أي خطر خارجي معتمده على حصافة سياستها المحلية، واذا اراد الباحث ان يخلص الى نتيجة خاصة بالوضع السياسي للكويت في هذه الحقبة بعد ان رأينا تحدي شيخها لباشا بغداد حين رفض إعادة محمود أغا الموره دي إليه وحين رأينا عدم ايراد محمد على باشا لذكر الكويت بين البلدان التابعة للوهابيين حين برز ضم البحرين ومن قبلها الاحساء اليه، وبالتالي عدم تبعيتها للباب العالي، لعلمنا ان الكويت كانت لا تزال تتمتع حتى هذا التاريخ

---

(١) Lorimer , I , 1 , 1010

(٢) المصدر السابق .

باستقلالها الذي تحدثنا عنه خلال الفترة من ١٧٥٢ - ١٨١٥ في كتابنا الحالي، ونحن لم نعثر في الوثائق القومية المصرية على ما يشير بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى ان محمد علي كان يرى ان الكويت لا بد وان تتبعه كالبحرين مثلا. ولقد كانت الاشارة الوحيدة المبهمة ما ورد في محاضر مفاوضات محمد رفعت افندي مع الشيخ عبد الله بن احمد حين توصلا الى عقد معاهدة مايو ١٨٣٩ والتي تشير الى ان شيخ البحرين لن يسير بحرب على ابن عمه امير الكويت بل يسير مع عساكره الى الكويت حيث يستطيع ان يتوجه من هناك مع رجاله الى البصرة (١).

واذا كانت الكويت قد اكرمت عمر بن عفيصان وكان مواليا لآل سعود بعد هزيمة فيصل بن تركي عام ١٨٣٩، فانها عادت لتفتح بابها واسعا لاستقبال خالد بن سعود بعد عامين اي سنة ١٨٤١ حين اضطر لمغادرة الاحساء نتيجة لهزيمته امام ابناء عمومته (٢). وكان خالد بالطبع معروفا بولائه التام لمحمد علي باشا، الذي سلم اليه مقاليد الامور في نجد والاحساء بعد ان اصدر امره الى محمد خورشيد بالانسحاب (٣) ولا يستطيع ان يجمع بين الاضداد الا من حافظ على حياده بين جميع الاطراف وهنا صار لا بد لنا من ان نتوجه الى عهد الشيخ جابر بن عبد الله وننظر فيه الى منجزات حاكم الكويت الثالث ثم كذلك ننظر في تاريخ الكويت في عهد ابنه وخلفه صباح الذي ولي الحكم فترة سبع سنوات بعد وفاة والده.

---

(١) انظر البند السادس من تقرير (جرنال) محمد رفعت اول صفر ١٢٥٥ / ١٦ ابريل ١٨٣٩. محفظة ٢٦٧ رقم ٢٣٧.

(٢) يقول ابن بشر في تعليقه على لجوء خالد بن سعود الى الكويت « انه هرب الى الكويت ومنه الى القصيم ثم الى مكة المشرفة ». ابن بشر ٢ : ١٠٢ - ١٠٣.

كذلك انظر Lorimer, I, i, 1106 وانظر ايضا Philby, 181

(٣) انظر أمر رقم ٢١ من محمد علي باشا الى خورشيد بتاريخ ٢ رجب ١٢٥٥ / ١١ سبتمبر ١٨٣٩ محفظة ٢٦٧.

الفصل السابع

أحوال الكويت الداخلية والخارجية في عهد

جابر بن عبدالله وولده صباح

١٨١٥ - ١٨٦٦م

أحوال الكويت الداخلية والخارجية في عهد جابر بن عبدالله وولده صباح ١٨١٥ - ١٨٦٦م

لقد سبقت اشارات عديدة في الفصول السابقة من هذا الكتاب الى علاقات الكويت ببلدان الجزيرة العربية والعراق وبالانجليز. غير أن هذه الاشارات كانت في أغلب الاحايين مقتضبة. أما أحوال الكويت الداخلية، وتطور المشيخة من النواحي الاجتماعية والسكانية والتجارية خلال نصف القرن الذي هو موضع الدرس في هذا المقام، فتلك أمور لم تحظ بعد بالدراسة. لئن جاز لنا أن نعمم القول هنا، فلعل ما سبق أن ذكرناه فيما سبق من هذا التاريخ، لا يزال يصدق على هذا الفصل، من حيث قلة المادة المتوفرة باللغة العربية. غير أننا نجد أخبارا طيبة في بعض المصادر الأجنبية كما سنراه في حينه.

وانصافا للتواريخ المحلية الكويتية، لا بد لنا من أن نقرر أن مادتها هنا أغزر من مادتها خلال الفترة في عهدي الشيخ صباح وعبد الله الأول.

أما مادون من أخبار الكويت في المصادر التاريخية العربية في البلدان العربية المجاورة فهو يسير ونحن لسنا بصدد مؤاخذة أولئك المؤرخين أو التنبيه الى تقصيرهم بحق تاريخ الكويت، فتاريخ الكويت لم يكن هو هدف مؤلفاتهم.

ومهما يكن من أمر، فأن أحوال الكويت المعنية في هذا الفصل في عهدي الشيخين جابر بن عبد الله وصباح بن جابر، أمكن تتبعها في مصادر ثلاثة، أولها: ما دونه رحالة أجانب من الانجليز، وثانيها مؤلفات عربية، وثالثها جاء في وثائق غربية وشرقية. ولنا أن نذكر قبل الخوض في صفحات هذا الفصل، اننا سنفرد فصلا لاحقا خاصا بالاحوال التجارية، وذلك حرصا منا على ابراز دور التجارة الهام في حياة الكويت، وهو دور كان ولا يزال العامل الرئيسي لازدهار وتقدم الكويت.

(أ) الكويت والرحالة

مر بالكويت أو أقام بها خلال الفترة ما بين ١٨١٥ و ١٨٦٦ ثلاثة من الرحالة، تصادف مرور أولهم بالمنطقة في بداية هذه الفترة عام ١٨١٦، ونعني بذلك الرحالة بكنجهام (١). ثم جاء الرحالة ستوكويلر (٢) في منتصف هذه المرحلة تقريبا عام ١٨٣١. وكان ثالثهم الكابتن بلى (٣) المقيم الانجليزي في الخليج وكانت زيارته للكويت قد تمت عام ١٨٦٣. ولقد جاءت أخبار هؤلاء الرحالة لتتم ما كنا قد عرفناه عن أخبار الكويت، في نصف القرن السابق لزيارة أولهم، في سجلات شركة الهند الشرقية، بل اننا قد لا نكون مغالين اذا قلنا أن بعضا من أخبارهم، لا نجد لها مثيلا بين الاخبار السابقة لهم. والى هذا نحيل القارىء الى ما سطرناه عنهم في فاتحة الكتاب، الجزء الثاني القسم الأول من كتابنا « تاريخ الكويت » المنشور عام ١٩٧٣.

مدينة الكويت - وصفها - سكانها

والي مدينة الكويت، يشير هؤلاء الرحالة، حيث يقول أولهم، وهو الرحالة بكنجهام وكان يعرض في حديثه الى البصرة، انها ميناء عظيم في الشمال الغربي من الخليج (٤). وحين يتعرض لوصف البلدان الواقعة بين القطيف جنوبا والبصرة شمالا، يقرر ان لا ميناء يلي القطيف شمالا، له اهمية تذكر، سوى ميناء القرين، « كما تسميها الخرائط الانجليزية الملاحية بينما لا يعرفها العرب الا باسم

---

(١) بكنجهام Buckingham الرحالة الانجليزي، يتحدث بغزارة عن الخليج وهو مصدر مفيد في حالة رحمة بن جابر ويورد تفاصيل هامة عن الكويت على صفحات ٣٧٠، ٤٦٢، ٤٦٣، لا سيما ما يتعلق بتجارة الخيول.

(٢) ستوكويلر رحالة وخبير بشئون الطرق الموصلة الى الهند، وله مؤلفات عديدة في هذا الموضوع الاخير.

(٣) اضفينا على الكابتن بلي صفة الرحالة بالنظر الى ما قام به من رحلات في مختلف نواحي الخليج، كان هدفه منها جمع الحقائق وتسجيلها وكانت ملاحظاته دقيقة وهو قد مر بالكويت اكثر من مرة.

(٤) انظر Buckingham Travels in Assyria etc. p. 370

الكويت »، وميناء الكويت له شأنه، وذلك أنه يقع على خليج ملائم ويمضي بكنجهام ليقول عن المدينة نفسها أنها متسعة كثيفة السكان، على الرغم من أن رمال الصحراء تضغط دوما على أسوارها، ومدينة الكويت ليس بها خضرة تراها العين على مدى ابصارها (١) .

ولعله من الطريف أن نورد اشارة بكنجهام الى استقلال الكويت. وهو أمر لفت نظره، حتى في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المدينة. ذلك أن الكويت « قد احتفظت باسقلالها دوما، حتى في الوقت الذي خضعت فيه هرمز ومسقط والبحرين والاحساء لحكم الاجنبي (٢) . كذلك فان القطيف والبصرة، وقد كانتا تخضعان للاتراك، خضعتا لحكم البرتغال، حين داهموها بجيوشهم. » وأهل الكويت معروفون بأنهم أكثر أهل الخليج حبا للحرية والاقدام (٣) . وأهل مدينة الكويت يتكونون في غالبيتهم من التجار، الذين يعملون في التجارة المحلية والخارجية، ويمارسون جميع أنواع التجارة السائدة في الخليج دون استثناء. والسفن التي تعمل في التجارة يتراوح عددها بين مائة من صغيرة وكبيرة والى حديث السفن والتجارة، سوف نعود في فصل قادم من كتابنا هذا. غير أن حديث بكنجهام عن بحارة هذه السفن، وعن اصحابها جدير بالتسجيل، فهو يقرر أن هؤلاء جميعا يتمتعون بأكبر قسط من الحكمة والمهارة والحزم والشجاعة. وبين ما أورده بكنجهام في أقوالة عن الكويت اشارة عبارة الى الجزر التابعة للكويت، وقد تحدث في اسهاب عن جزيرة فيلكة وعن انها لا بد أن تكون هي جزيرة ايكاروس كما تصفها الكتابات الكلاسلكية من يونانية ورومانية. ثم ذكر جزيرة مسكان وعوهة، وكذلك أورد ذكر جزيرة كبر على انها من جزر الكويت.

الرحالة ستوكويلر STOCQUELER

كان بكنجهام يكتب عن الموانىء العربية المختلفة، من معلومات قد استقاها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كان بكنجهام يتحدث في هذا المقام عن الكويت كميناء على شاطىء الخليج العربي، حين كان يتحدث عن الموانىء العربية الاخرى المذكورة في النص.

(٣) Travels in Assyria, 463.

بطرقه الخاصة في الخليج، اذ أنه لم يشاهد الكويت مثلا، بخلاف ستوكويلر الذي نزل بالكويت وأمضى بها بعض الوقت، ودون بالتالي مشاهداته، التي جاءت أوفى من أخبار بكنجهام. فستوكويلر سافر على بغلة كويتية من بومباي يوم ١٨ فبراير ١٨٣١، وهو قد وصف تلك البغلة وتحدث عن بحارتها وربانها حديثا شيقا. وهو حديث سنعود اليه عندما ما نتناول تجارة الكويت بالدرس والبحث في فصل لاحق. غير أننا سنورد اشارات عابرة الى البحارة نظرا لما في ذلك من تعريف بجماعة هامة من سكان الكويت.

بلغ عدد بحارة البغلة المسماه بالناصري Nasserie نحوا من خمسين وكانوا جميعا من أهالي « الكويت أو القرين » وكان عليهم نوخذه منهم في أوج شبابه. وعلى الرغم من حداثة سنه، فان البحارة كانوا يجلونه ويوقرونه كأنه بمثابة والدهم. ومما استرعى نظر ستوكويلر مهارة هؤلاء البحارة في الملاحة، حتى بالمقاييس الأوربية. ونحن هنا لن نتعرض لحمولة البغلة من البضائع لأنها ستذكر في فصل قادم خاص بالتجارة، غير أننا سنورد ما ذكره عن هؤلاء البحارة، من تحليهم بروح المرح التي كانت تتجلى حين يغنون اهازيج البحر ويدقون الطبل. وكان مما لفت أنظار ستوكويلر ما تميز به هؤلاء البحارة العرب من انغماسهم في عملهم، وعدم اكتراثهم بالمجاملات.

بلغت البغلة الكويت يوم ٤ ابريل ١٨٤١، وكانت قد غادرت بومباي يوم ١٨ فبراير، أي أن الرحلة استغرقت خمسة واربعين يوما، ذلك أن السفينة قد بلغت مسقط يوم ٣ مارس وغادرتها يوم ١٠ مارس، ثم وصلت بوشهر يوم ٢٥ مارس ولم تغادر ميناء بوشهر، الا صبيحة اليوم الاول من ابريل، وواجهتها ريح معاكسة، وبذا تأخر وصولها الى الكويت بعض الوقت، ولما كان ستوكويلر قد دفع مائة وخمسين روبية، أجرة نقله من بومباي الى البصرة، فانه انتظر في ميناء الكويت، حتى تنقله سفينة اصغر حجما الى البصرة، وكانت من نوع البقارة. أما يوم سفره من الكويت، فكان اليوم الثامن من ابريل، أي أنه قد أمضى في الكويت ومينائها أربعة أيام؛ ولن ندخل في تفاصيل المناقشات التي دارت بين ستوكويلر وبين صاحب البغلة، حين علم من الاخير أنه لن يستطيع السفر الى

البصرة، غير أننا لا بد من أن نشير الى مايبدو أنه كان عادة متبعة في الكويت آنذاك، من أن تطلق السفينة عندما تؤم ميناء الكويت، مدافعها تحية للمدينة. وهذا هو عين مافعلته البغلة التي سافر عليا ستوكويلر.

الكويت كما رآها ستوكويلر :

اذن مكث ستوكويلر في الكويت أربعة أيام، وقد غادر السفينة الكويتية التي أقلته من بومباي ونزل على البر الكويتي لكي يتفاهم مع مالك (البغلة) على موعد وطريقة ايصاله الى البصرة، وفق ما تم عليه الاتفاق مسبقا في بومباي. ولعله من حسن حظنا، ومن حظ ومن حظ تاريخ الكويت أن أمها ستوكويلر، وان دون عنها ملاحظات في نحو ثماني صفحات من كتابه (١). وصف هذا الرحالة الكويت، بأنها بلد طوله ميل وعرضه ربع ميل، وهو عندما يذكر هاتين المسافتين، انما يتحدث في الغالب عما قام بقياسه بنفسه اثناء تجوله في المدينة. وقارىء حديث ستوكويلر عن الكويت، يلحظ أمورا عدة منها أن البيوت كانت تبني من الطين وتكسى واجهتها من الخارج بطبقة خشنة من الملاط. أما عدد السكان المدينة فقد قدره بأربعة آلاف نسمة (٢)، وهذا عدد قليل بالطبع، اذا قيس تعداد السكان بما كان عليه قبل ذلك، ثم بعد ذلك أما شوارع الكويت فكانت واسعة اذا ما قيست بشوارع مسقط وبوشهر. ثم ان السور كان ما يزال يحيط بالكويت، وان كان، في نظر ستوكويلر، لا يستطيع دفع خطر حقيقي عن البلدة اذكان عرضه نحو قدم وكان يحيط بالسور خندق، كما كانت البوابات الثلاثة تقل كل واحدة منها مدفعين. وعلى امتداد ستين ميلا بعد الاسوار، لم ير

---

(١) كان ستوكويلر قد غادر « البغلة » وذهب الى بيت عبد المحسن ، صاحب « البغلة » لتدبير امر سفره ، وهناك تناول القهوة والحليب والخبز والحلوى ، بعدها طاف بشوارع المدينة . انظر ص ١٧ من رحلته .

(٢) لعل تقدير ستوكويلر صحيح الى حد بعيد في هذا التاريخ ١٨٢١ / ١٨٣٢ ، وذلك أنه لا بد وان يكون الكثير من سكان الكويت قد هجروها في تلك الحقبة لفترة مؤقتة ، وذلك بسبب وباء الطاعون في بغداد وبعض بلدان بلاد فارس ، ولا ريب أن ستوكويلر لم يكن يعرف عن الطاعون وانتشاره شيئا آنذاك ، اذ انه غادر الكويت الى البصرة يوم ٨ ابريل مسرعا من البصرة بعد أن بلغه انتشار الطاعون في بغداد .

ستوكويلر اشجارا بها او شجيرات سوى مجرد رمال، أما ماؤها فهو ابعد ما يكون عن العذوبة (١) .

أما زعامة المدينة فكانت لشيخها، الذي وصفه ستوكويلر بأنه لا يحتفظ بجيش دائم. ومما لفت نظره كذلك، الزى الموحد الذي كان يرتديه الكويتيون صغيرهم وكبيرهم، ثم انعدام الاجانب فيها (٢) . ولسنا ندري الى أي حد يصدق ستوكويلر في قوله انه يكاد يكون الأوربي الوحيد الذي رآه الأهالي فيها منذ مدة طويلة ذلك أننا نعلم أن الوكالات الانجليزية تحركت للمرة الثانية الى الكويت قبل وصوله لها بعشر سنوات. كما أنه يصعب علينا أن نصدق زعمه هذا، ونحن نرى الكويت تتجر دوما مع الاجانب طوال تاريخها، اذ لم يحدث أن انقطع نشاط الكويت التجاري في مثل تلك الفترة التي يتحدث عنها طوال نصف القرن الذي نحن بصدد التأريخ له.

الكويت كما رآها بلي PELLY

ولكي تكتمل صورة الكويت في ذهن القارىء، خلال فترة حكم الشيخين جابر وصباح، لابد من أن نورد ما قاله الكولونيل بلي، الذي اتيحت له فرصة اقامة أطول من ستوكويلر بالكويت والذي كانت له كذلك دراية أكبر بأحوال مدن وسكان الخليج العربي، من كل من بنكنجهام وستوكويلر.

تمت زيارات بلي للكويت، في أوائل الستينات من القرن التاسع عشر، وقد دون بلى ملاحظاته الدقيقة في تقارير، كانت تكتب لتقرأ على رجال الادارة في حكومة بومباي. ولعل بلى، في حديثه عن الكويت، قد حاول جاهدا أن يرسم

(١) المصدر السابق : ٢٠

(٢) انظر Lewis pelly. Recent Tour round the northern portion of persian Gulf

في Transaction of the Bombay Geographical Society

العدد رقم XV11 لعام ١٨٦٣ - ١٨٦٤، صفحات ١١١ - ١٤٠ وكذلك انظر

Proceeding of the Royal Geographical Society V111 من أجل الملاحظات على تلك الجولة صفحات ٢٨ - ٢١ .

لرؤسائه في بومباي صورة واضحة عن تلك المدينة، وعن امكاناتها التجارية.

نحن نطالع هذه التعليقات في ثلاثة تقارير (١)، يعود عهد بلي بمعرفة الكويت في أول هذه التقارير الى ٣ مارس ١٨٦٣، حين كان قد بلغ الجهرة فيما سماه « بجولة حديثة في البلدان الشمالية من الخليج العربي » أما هذه التقارير وأكثرها تفصيلا فيما جاء متعلقا بالكويت، فيأتي تحت عنوان « تعليقات على القبائل والتجارة ومصادر الثروة في البلدان المحيطة بالخليج » وهو تقرير قرئ في بومباي يوم ١٧ سبتمبر عام ١٨٦٣. وأما ثالث هذه التقارير فهو المسمى « زيارة العاصمة الوهابية في وسط الجزيرة العربية » وقد قرىء هذا البحث بدوره في يوم ١٢ يونية عام ١٨٦٥. ولنلتفت الآن الى ما ورد في تلك التقارير من وصف لمدينة الكويت والحياة فيها، وفقا لما لمحته عينا بلي المدققتان، ثم وفقا لما سمعته أذناه.

كنا قد رأينا كيف كانت الكويت تتمتع بسمعة طيبة من الناحية الصحية بين بلدان الخليج العربي ولقد رأينا كيف أن المستر هارفورد جونز قد أمها عام ١٧٩٠ من أجل الاستجمام بعد أن ألم به مرض بالبصرة. ويبدو أن حال مناخها الجيد قد بقي قائما خلال القرن التاسع عشر فهذا هو الكولونيل بلي يصف مدينة الكويت بأنها صحية للغاية، ولا تكاد تعرف حتى أمراض التهاب العيون، الشائعة في منطقة الخليج على مدار السنة. والحيات كانت في رأيه نادرة كذلك، ولم تعرف الكويت مرض الجدري منذ أمد بعيد. أما المرض السائد في البلدة فكان داء الزهري، الذي اتاها من طريق بومباي، ويلي الزهري، كمرض شائع الروماتيزم الذي ينتشر في فصل الشتاء (٢) وجو مدينة الكويت أحسن بكثير من جو كل من بغداد وبوشهر اذ لم يشهد بلي في الكويت السراديب، على نحو ما هو معروف في بيوت بغداد، ولا العرائش، كما هو مألوف في بوشهر في أوقات الصيف، ذلك أن هواء الليل في الصيف لطيف.

بقي سور مدينة الكويت قائما بعد أن زارها ستوكويلر، اذ قرر بلي ذلك،

---

(١) Pelly, Recent Tour, pp. 120 — 121

(٢) Pelly, Remarks, 74

ووصف المدينة بأنها مبنية من الحجارة الخالصة ، أو من الحجارة والطين معـا ، وقال أن للمدينة بازارا أو سوقا يؤ مه العرب والعجم ، وما ذلك الا لعدل الحكام وحرية التجارة . والى عدل الحكام وحرية التجارة سنعود بعد قليل . ولقد قدر بلي سكان مدينة الكويت بعشرين ألف مواطن تارة وخمسة عشر ألفا تارة أخرى ولسنا ندري كيف ناقض بلي نفسه مع أن التقديرين صدرا عنه في سنة واحدة هي عام ١٨٦٣ .. ولعله من الطريف أن نذكر أيضا أنه قدر عدد البحارة الكويتيين بأربعة آلاف بحار ، واثنى على سمعتهم الطيبة في ميدان عملهم . ثم أضاف أن بالمدينة ستة آلاف مقاتل من اهاليها ، وان كانت مدينـة الـكويت شديدة الحـرص على السلم ، لا القتال .

هذا ولما كان بلي قد امضى ثلاثة ايام في المدينة ، حينما زارهـا لأول مرة في ٤ مارس عام ١٨٦٣ ، ثم نحو ثلاثة أسابيع ، عندما زارها للمرة الثـانية وهـو في طريقه الى الرياض في ١٨ فبراير ١٨٦٥ ، فقـد واتتـه الفرصـة للاجتماع طويلا بشيخها ، الشيخ صباح بن جابر ، وبذلك صار بمقدوره أن يحدثنـا عن طريقـة تصريف شئون الحكم فيها . ويبدو لقارىء بلي أن تصريف الاحكام ، الذي رأيناه على عهد عبد الله الأول بن صباح ، كان لا يزال قائما ، على رأس الحكومة يتربع الشيخ على كرسي الحكم ، والى جانبه يقوم القاضي بتصريف الشئون الدينية .

أما الشيخ صباح نفسه فبشوش قوي البنية عليه وقار الثمانين عامـا ، حسـن المظهر ولكنه طيب القلب ، يدير الامور بروح الأب تجاه أبنائه لا يأنف من ان ينزل على حكم القاضي اذا خالفه فيما ذهب اليه (١) . ومهما يكن من أمر فان فرض العقوبات على السكان كان مسألة نادرة الحدوث ، « والواقع أنك لا تجد تدخلا حكوميا في أي من أمور الناس ، والحكومة لا تجد نفسها بحاجة لأن تتخذ

---

(١) ذكر بلي ان الشيخ صباح كان يبدو وهو يحدثه قوي النبرات نافذ الرأي وكأنه أحد آلهة القدماء Remarks, 76 ويقصد بذلك آلهة الاغـريق والرومان ، كما تصـور في كتب الميثولوجيا .

مثل هذه المواقف من الأفراد » (١) .

أما الشيخ صباح نفسه، فعلى الرغم من أنه في الثمانين من عمره، الا انه كان يتمتع بصوت جهوري، وحيوية دافقة، ولا أدل على ذلك من أن أصغر أبنائه كان في الخامسة من عمره، حينما رآه بلي. وصباح كريم بطبعه، وشيمة الكرم هذه موروثة منذ أيام عبد الله الأول، الذي كان يتناول الطعام في المساء مع فقراء المدينة، ومع البدو النازلين خارج أسوارها ولقد كان صباح على جانب كبير من التواضع، اذ أن بلي زاره في بيته، ووجده يجلس على حصير كان قد صنع بالبصرة. أما البيت فكان بسيطا، بل خربا، ورثه الشيخ صباح عن والده. ولعل بلي كان يقارن بين بيت الامير هذا، وبين البيت الذي انزل فيه مع رفقائه بعد وصولهم الكويت قادمين من الجهرة، في صحبة مبارك، النجل الثاني للشيخ صباح، وسليمان نجل التاجر الكويتي الشهير، يوسف بن بدر (٢) ، ذلك أن البيت الذي خصص للضيوف كان جيدا مطلا على البحر (٣) . وبالاضافة الى تواضع صباح الجم، بانه قد امتاز بحنكة ومهارة سياسية، كمثل تلك التي امتاز بها والده من قبل. والواقع أن صباح كان يعزو حكمته هذه الى والده، اذ روى عنه أنه قال، وهذه ترجمة ما رواه بلي باللغة الانجليزية :

«عندما بلغ والدي المائة والعشرين من عمره، ناداني اليه، وقال : يا ولدي، انك تعلم أنني سأفارق الحياة. انني أموت فقيرا دون أن أترك لك ثروة أو نقودا، غير أنني كونت في حياتي صداقات حقيقية خالصة مع أناس عديدين. عليك أن تعتمد على هؤلاء. انظر الى الدول

---

(١) ذكر بلي أن يوسف بن بدر، التاجر الكويتي، كان يمتلك قرية الجهرة بكاملها، وكان من اشهر تجار الخيل انظر تفصيل ذلك في **Recent Tour**, p. 118

(٢) انظر Pelly, **Remarks**, p. 74

(٣) علق بلي على قول الشيخ صباح هذا قائلا : وهكذا بحكمة الشيوخ ساروا على سياسة قويمة ورعوها، استطاع هؤلاء القراصنة(كذا) ان ينشئوا ميناء مزدهرا ، جعلوه ملجأ للمضطهدين وبيتا آمنا لكل من أمه . انظر المصدر السابق.

المختلفة من حولك في منطقة الخليج ، تجد أنها قد تساقطت بسبب الظلم أو سوء الادارة ، ولكن امارتي كانت دوما تقوى وتتسع . تمسك بسياستي ، ومع أنك بالصحراء ومع أنك محاط بقبائل كانت ذات يوم معادية ، وهي مازالت حتى يومنا هذا غير مستقرة أو متحضرة ، فلسوف تتقدم مشيختك وتزدهر (١) ».

وهذا هو عين ما حدث حتى بعد وفاة صباح وإلى الامور السياسية سوف يتطرق بحثنا بعد قليل.

وكان مما لفت نظرا بلي أيضا في شخص الشيخ صباح ، سعة افقه واطلاعه على امور كانت تجري بعيدا عن دار حكمة. ذلك ان الشيخ وقومه كانوا على صلة بما يجري من أحداث في أروبا نتيجة لاطلاعهم على صحيفة عربية كانت تصدر في باريس وترسل إليهم من هناك ، ولعل هذا الاطلاع على الأخبار الأجنبية والمحلية ، هو الذي أدهش بلي ، حينما وجه اليه سؤ الان من شخصين كانا يحضران مجلس الشيخ ، لا بأس من ايرادهما في هذا المقام.

حكمة شيخ وجرأة شاب :

كانت بريطانيا تسخو بالمال على تركيا - رجل أوروبا المريض آنذاك - في القرن التاسع عشر ، محاولة جهدها ان تقيها شر الزوال التهائي ، وكان قد علم أن بريطانيا قدمت للدولة العثمانية تسعين مليون جنيه استرليني (كذا في الاصل) من أجل ذلك الدعم . قال بعض من كانوا في مجلس الشيخ بحضور الكولونيل بلي ، أن سياسة بريطانيا السخية مع تركيا تسرهم ، ولكنهم تساءلوا لماذا لم يكن الانجليز أسخياء مع اليونان وهي مسيحية مثل الانجليز ؟ وقالوا أن التسعين مليون جنيه التي ندفعها - والقول للمستر بلي - للدولة العثمانية لاحيائها ، ثمن باهظ ندفعه كي نعيد الشباب الى انسان مقعد . وقال أحد الطاعنين في السن من الحضور ، ان الدول كالافراد اذا حانت ساعتها ، لا بد

---

(١) انظر Pelly , Remarks, p. 76

من أن تموت أما أن تحاول الدول ايقاف دولة متهدمة على قدميها ، فذلك مثل أن تحاول ترقيع ثوب بدوي مهترىء ٠ فذلك الثوب قد بلغ اهتراؤه قدرا لا يصلح معه ترقيعه ، وكذلك ان غسل تساقطت قطعه واحدة وراء الأخرى ٠ كذلك يورد بلي تعليق المجلس على السياسة البريطانية تجاه تحرير العبيد ، فوصفوها بأنها سياسة انسانية أكثر منها سياسة ناجحة ٠ ورأوا أنه من الخير أن ينفق الانجليز أموالهم على فقراء الانجليز ، وكانت أحوال فقراء الانجليز تسوء الحضور بالمجلس ، بعد أن علموا بها من الجريدة الباريسية المشار اليها آنفا ٠

أما أحد شباب الامراء ، وكان حاضرا في المجلس ، فقد علق على محاربة الانجليز للقرصنة في الخليج ، وسأل بلي فيما اذا كان الانجليز أقل قرصنة من العرب ، ذلك أنه يعلم أن الانجليز يستولون على مراكب في أعالي البحار أكثر مما يستولي عليه القراصنة ٠ وعلق بلي على هذا بقوله في تقريره : « إنني بالطبع لم أجد ما أقوله لأرد به على سؤال هذا الشاب (١) » ٠

وبالطبع ، فان هذه التقارير ، بها الكثير من التعليقات على أوضاع الكويت السياسية ، ونحن لن نتصدى للسياسة الخارجية في هذا المقام ، بل نؤجل ذلك حتى نكون صورة أوفى لما كانت عليه الاوضاع الداخلية في الكويت ، حين نستعين بما توفر لدينا من كتابات محلية أو شبه محلية دونت باللغة العربية ٠

(ب) الكويت والرواية المحلية

لايزال ما دونه الاستاذ الرشيد في كتابه « تاريخ الكويت » وكذلك الاستاذ القناعي في تاريخه « صفحات من تاريخ الكويت » لا يزال ما دونه هذان المؤرخان خير ما حفظت فيه الرواية المحلية ٠ وهما يمتازان عما جاء بعدهما ، مؤلفا باللغة العربية ، بالاصالة وحسن العرض التاريخي للأحداث ٠ ونحن

---

(١) قارن القناعي ص ١٤ ، ويضيف القناعي الى ذالك الكرم قوله في جابر انه كان هادىء الطبع عاملا محبا لقومه ، أما القصص التي تدل على كرمه فتجدها في الرشيد ج ٢ ، حيث يروي ما قاله بندر السعدون، شيخ المنتفق في كرم جابر (ص ٩ - ١٠) ثم يروي قصة جابر مع أبي هناد، التاجر من البحرين (ص ١٦).

حين نجد بلي يتحدث عن الشيخ صباح ، ولا نجد حديثا مماثلا عن والده نسر اذ نجد المؤ رخين الكويتيين يطيلان الحديث عن الأب دون الأبن .

لقد تحدث بلي عن مظاهر الكرم التي كانت تتجلى في مآدب الشيخ صباح لفقراء بلدته ثم للبدو ممن يقيمون خارجها ، غير أن الشيخ جابر هو المشهور لدى الرواية المحلية « بجابر العيش » نظرا لسخائه وكرمه رغما عن أنه لم يكن ميسور الحال حتى باتت قصص كرمه تروى للأجيال (١) .

كذلك كان من صفات الشيخ جابر البارزة حماية حقوق تجار بلده ، وشفقته عليهم إن نزل بهم أي حيف ، حتى ولو كان المتسبب فيه أحد أقاربه (٢) .

ولعل الناظر في الرواية المحلية ، يدهش حين يرى كم تولى تلك الرواية من عناية لعهد الشيخ جابر ، بخلاف النزر اليسير الذي توليه لأخبار ابنه صباح . ولكن الدهشة تزول اذا علم القارىء أن حكم الشيخ جابر قد تجاوز الاربعين عاما رسميا ، بينما لم يتجاوز حكم ابنه الشيخ صباح سبعة الاعوام . ومن الطبيعي أن تكون القصص المتواترة عن حكم طويل ، أكثر من مثيلتها في الحكم القصير (٣) . ولسوف يكون لنا عودة في التعليق على الحكمين المذكورين فيما بعد ، على أن الناظر في الرواية المحلية يدهش حين لا يجد أخبارا تتعلق بأهل الكويت ، وما طرأ عليهم من تطور من حيث العدد أو من حيث النشاط التجاري اللهم الا عبارات غامضة أو بلغة أدق عامة . ومن هنا صار على من يريد أن يتتبع الاحداث المحلية في الكويت خلال هذه الحقبة ان ينظر فيما دونه الاجانب عنها

---

(١) انظر الرشيد ج ٢ : ١٨ حيث يلخص المؤ رخ حادثة التاجر فهد الفهيد ، وكيف عاقبه الشيخ جابر ، بينما استخلص حق احد ابناء البدو من المنتفق ، (ج ٢ : ١٩)

(٢) ومع ذلك فقد علق الاستاذ القناعي على حكم صباح بقوله : وكانت ايام صباح كلها هناء وسعة في المعيشة ، ولم يحدث في ايامه شيء يكدر الصفو .انظر صفحات من تاريخ الكويت : ١٨ .

(٣) مثال ذلك ما كان من مكاتبات والي بغداد وحكمدار البصرة لفيصل بن تركي والتي أشرنا اليه من قبل كان الوالي والحكمدار يعتقد ان محمد علي باشا لا حق له في قتال فيصل بن تركي ، لان فيصلا كان قد بعث يعترف بسلطان الباب العثماني ، وانه تابع له .

وأعني بالأجانب ، من كانوا من أصل غير كويتي ، من الرحالة أو المؤ رخين ، على حد سواء • وكأننا خلال الحقبة الحالية من تاريخنا نمر بنفس التجربة التي مررنا بها من قبل في تاريخنا للحقبة الماضية وهي حقبة النصف الثاني من القرن الثامن عشر •

ونحن بالطبع نلتمس للمؤ رخين المحليين أعذارا مقبولة اذ أنهم لا يرون تطورا كبيرا قدطرأ على طرق المعيشة في البلدة ، أو على طريقة تسيير الحكم • وهذا أمر واضح في حالة الكويت ، فالامارة بقيت مستمرة في البيت الحاكم ، والتجارة بقيت تسير كسابق عهدها عن طريق البحر في الغالب ، وتغيرت حكومات مجاورة وتبدلت ، وفق ما قاله الشيخ جابر لابنه صباح قبل ان يدركه الموت ، ولكن امارة الكويت بقيت تقوى وتزدهر ، بخلاف جيرانها •

ولعل الشيخ جابر كان ينظر الى أمراء المنتفق مثلا من حوله ، أو الى ما حل بملك الوهابيين في الجزيرة العربية ، أوما طرأ على نطاق أصغر من تغيير في احوال سادة الزبير من آل زهير أو ما حل ببني كعب بالمحمرة ، ولا ريب أن الشيخ جابر كان يعي ما يحدث من حوله ، وكان حريصا أشد الحرص على أن يسير دفة الحكم في بلده ، بحيث تتجنب الأعاصير التي تهب عليها ، ونحن لا نستطيع اغفال حقيقة أساسية هنا الا وهي أن الاحداث التي كانت تمر بالبلدان المجاورة للكويت ، وفي مياه الخليج ، كان لا بد لها من أن تؤ ثر في الكويت أيضا • وهنا علينا أن نقف أمام تلك الاحداث ، لنرى كيف واجهها او تجنبها كل من الشيخ جابر وولده صباح من بعده •

ان الناظر الى الخريطة السياسية للخليج العربي والجزيرة العربية ، خلال حكم جابر وصباح ، ما بين ١٨١٥ و ١٨٦٦ ، يستطيع أن يميز الكتل الفعالة المؤ ثرة فيها وهي التالية أولا دولة آل سعود أو الحكم الوهابي الذي كان يتحرك بين مد وجزر تبعا للكتل الأخرى الضاغطة عليه • وثانيا الدولة العثمانية في أشخاص ولاتها وتابعيهم ، وفي هذه الحقبة المعنية من تاريخنا ، كان اشخاص الدولة العثمانية هم والي بغداد وأتباعه من القبائل العربية النازلة جنوبي العراق ، ونعني بذلك قبائل المنتفق ، وغيرها من التجمعات القبلية الصغيرة حول البصرة ، وفي

شمالي جزيرة العرب ، ثم والي مصر وهو محمد علي باشا • وثالثا ، الوجود التجاري السياسي الانجليزي في الخليج ، وهو المعتمد سياسيا على حكومة بومباي ، الاداة السياسية لشركة الهند الشرقية الانجليزية • كان على حاكم الكويت خلال هذه الفترة أن يتعامل مع هذه الكتل السياسية ، ذات االاطماع والاهداف المختلفة • ولسوف يلحظ القارىء في حديثنا عن هذه القوى السياسية في الخليج ، انها لم تعد هي قوى الحكم الذي امتد ما بين ١٧٥٢ و ١٨١٥ • فالدولة الفارسية ، كان يعوزها في هذه الحقبة ، شاه مثل نادر شاه أو كريم خان زند ، ممن رأينا محاولاتهم للنفاذ جنوبا الى مياه الخليج • ولقد انحصر أثر الفرس في هذه الفترة في صراعهم مع الاتراك العثمانيين على حدودهم البرية ، الممتدة من البصرة جنوبا حتى شمال العراق وحدود أرمينيا شمالا • كذلك غاب الى حد كبير عن هذه الخريطة نفوذ بني خالد ، تلك القبيلة التي كان لها ثقلها السياسي خلال معظم الفترة السابقة • ولما لم تعد لهم صلة تذكر بتاريخ الكويت في هذه الحقبة ، رأينا أن تاريخهم يصبح جزءا من تاريخ الاحتلال التركي المصري للجزيرة العربية ، ومن ثم لم يعد بامكاننا أن ننظر في تفاصيل تاريخهم في هذا المقام •

اذن كان على حاكم الكويت أن يتعامل مع هذه القوى السياسية الثلاث المشار اليها ، وكذلك كان عليه أن يكون حريصا في تصرفاته مع أية جماعة في شرقي الجزيرة ، تشترك في صراع مع احدى هذه القوى • ولننظر الآن في صلة الكويت بتلك الكتل على انفراد ، بقدر ما تسمح به ظروف عزل تلك القوى عن بعض ، ذلك أن تاريخ الخليج ، كما كررنا من قبل أكثر من مرة ، هو تاريخ متشابك ، يصعب فصل ما يجري في جزء منه ، عما يجري في بقية الاجزاء •

علاقة الكويت بالدولة العثمانية - العراق ومصر

لقد بينا من قبل طبيعة العلاقات التي كانت تربط الدولة العثمانية ، بكل من ولايتي بغداد ومصر أكثر من مرة ، في فصول من هذا الكتاب • ولقد أسهبنا في تفصيل علاقة مصر وبغداد ، بشرقي الجزيرة في الفصل الماضي ، ومنه يتضح أن بغداد ومصر كانتا شبه مستقلتين عن القسطنطينية ، وانما كانت بغداد ، وكذلك

القاهرة ، تلجأ الى استخدام اسم السلطان العثماني ، لتبرير تصرفات الوالي تجاه من يرى فيه عدوا له (١) ، اومن يرى في حكمه ملكا للباب العالي - القسطنطينية (٢) ، أي أن الوالي يعترف بولائه للسلطان العثماني ، اذا كان ذلك الولاء المعلن عنه يبرر تصرفا خاصا ، يقوم به في جزء من ممتلكات السلطان العثماني ، التابعة له تبعية اسمية لا فعلية ٠ وهكذا فان بلدا كالكويت ، حينما يجد نفسه مضطرا للتعامل مع هذا الباشا او ذاك من الولاة العثمانيين ، يصعب عليه أن يعلم الى جانب من يقف ، اذا وقع الصدام بين ذينك الواليين ٠ ولا ريب أن مثل هذا الوضع ، يحتاج الى اكثر من حصافة الحصيف ، لكي يحسن حاكم ذلك البلد التصرف مع الواليين المتعاديين في آن واحد ٠ نقول هذا في هذه المقدمة للعلاقات بين الكويت ووالي بغداد ومصر ، لأن الوضع ينطبق عليهما الى حد بعيد ، ولو أنهما لم يكونا في حالة حرب معلنة ٠ ذلك أن والي بغداد ، بل كل ولاة بغداد منذ مطلع القرن التاسع عشر لم يكن بمقدورهم أن يخضعوا الوهابيين - وهم اقرب ولاة الدولة العثمانية الى نجد - عندما عهد سلاطين آل عثمان لهم بذلك ٠ وحين نجح والي مصر محمد علي باشا في القيام بتلك المهمة ، ثم حينما تطورت العلاقة بينه وبين الباب العالي ، لدرجة جعلته يعلن الحرب على والي عكا ، ويحتل بلاد الشام ، صار محمد علي ، في نظر السلطان العثماني ، ثائرا متمردا على الخلافة ٠ والواقع أنه كان ثائرا وليس بثائر ، فلقد بقي محمد علي باشا

---

(١) وهذا هو المبرر الذي اتخذه محمد خورشيد باشا لغزو البحرين ومن قبلها بلدان شرقي الجزيرة، ذلك لانها كانت من ممتلكات الباب العالي ذات يوم، لا سيما ولاية الاحساء والقطيف. ثم كما قال محمد خورشيد لكابتن هنيل بأن له، أي لمحمد علي باشا، الحق في أخذ البحرين لانها كانت تدفع الزكاة لآل سعود، ومحمد علي كان الوريث الشرعي لآل سعود بعد ان اسقط دولتهم في الحجاز ونجد وشرقي الجزيرة. انظر :

Philby, **Sa' udi Arabia,** 149

(٢) كانت جيوش محمد علي باشا آنذاك بقيادة محمد خورشيد تقضي على الدولة الوهابية الجديدة التي احياها تركي وولده فيصل، في نجد وشرقي الجزيرة، في الفترة ما بين ١٨٢٤ و ١٨٣٨.

طوال حياته يعلن ولاءه للسلطان العثماني ، وان كان يخالف اوامره متذرعا بشتى الاسباب · وفي وقت كانت فيه المواصلات بطيئة للغاية ، كان من الصعب على حاكم مثل حاكم الكويت ، أن يتبين في سرعة ، أي وال يحظى ببركة الباب العالي · ولعل أبرز مثل على مثل هذا الوضع القلق ، يبدو واضحا من قصة عزل داود باشا ، والي بغداد الشهير ، حين تحرك علي رضا باشا لخلعه من ولاية بغداد · فبالأمس كان على شيخ الكويت ، أن يهرع لمساعدة متسلم البصرة في ظل والي بغداد داود ، لينقذها من خطر القبائل المحدق بها ، وبعد فترة وجيزة رأى علي رضا باشا يتحرك لخلعه · ثم قل نفس الشيء عن محمد علي باشا ، سيف السلطان العثماني في القضاء على الوهابيين ، حتى قبيل غضب الباب العالي عليه ببضعة شهور من نهاية عام ١٨٣٩ (١) ·

اننا نورد هذه الامثلة للتدليل على المصاعب التي كان يتحتم على شيخ الكويت أن يواجهها ، حينما يتخذ قرارا للميل مع هذا الوالي او ذاك ، كما سنرى ، رغم أنه لم يكن ملزما أدبيا بمساعدة أي منهم · غير أنه كان يجد نفسه كغيره من حكام بلدان الجزيرة العربية في وضع يحتم عليه ، ولو من قبيل المجاملة السياسية ، أن لا يغض طرفه عن ذلك الذي يطلب منه العون · ولعله من الجدير بنا أن نقرر بعد أن أمعنا النظر في تصرفات حاكم الكويت ، في الاحداث التي جرت من حوله ، لعلنا نقرر أنه كان حصيفا في مسلكه السياسي ، مع كل من طلب منه عونا كان في مقدوره أن يقدمه له · ولعل الشيخ جابر ، ومن بعده ابنه صباح ، الذي سار على خطوات والده ، كان يعمل من أجل مصلحة بلده ، في نفس الوقت الذي كان يؤدي الخدمة ، التي يرجى منه أن يقدمها للسائل · والامثلة على ذلك الذي نذهب اليه كثيرة ، ستتضح من سياق تحليلنا للاحداث ·

---

(١) في رسالة مؤرخة اول ربيع الأول ١٢٥٤هـ بين خورشيد وصول المؤن عن طريق الكويت رغم معارضة البصرة. وثيقة رقم ١٥٦ محفظة ٢٦٦ . ويبدو نفس الامر واضحا في رسالة بعث بها من ثرمدة رقمها ١٥٦ محفظة ٢٦٦ بتاريخ اول ربيع الأول ١٢٥٥ / ١٦ مايو ١٨٣٩.

سياسة الشيخ جابر تجاه الوجود التركي المصري في الجزيرة العربية

قلنا أن سياسة الكويت تجاه الدولة العثمانية ، قد استلزمت خلال الفترة ما بين ١٨١٠ و ١٨٤٠ ، على وجه التقريب ، أن يتعامل شيخها مع والي بغداد وأتباعه ، مثل متسلم البصرة ، من ناحية ، ومع والي مصر ، وعماله على الجزيرة العربية ، من ناحية اخرى • ولقد سبق أن أشرنا الى علاقات الكويت بالحملة التركية المصرية على نجد ، فيما مضى أكثر من مرة ، وكنا نشير الى ان تحليلنا لسياسة الكويت سيرد في وقت لاحق ، هذا هو موضعه •

مر بنا القول أن فترة السيطرة التركية المصرية ، على ممتلكات الوهابيين في نجد وشرقي الجزيرة ، كانت ذات قسمين ، أولهما بدأ باحتلال ابراهيم باشا للدرعية ، وتلاشى تدريجيا بعد عودته للحجاز ، ثم مصر • وأما القسم الثاني فكان يتمثل في الحملة التركية المصرية ، بقيادة محمد خورشيد باشا ، على نجد والاحساء والبحرين • ويبدو أن الكويت لم تكن لتخطر على بال محمد علي باشا في المرحلة الأولى من احتلال الاحساء بعد نجد ، ذلك أن محمد علي باشا كان يهدف الى القضاء على رأس الدولة الوهابية ، أي القبض على عبدالله بن سعود ، وسوقه الى الآستانة ، حتى لا يعكر صفو احتلاله للحجاز ونجد أحد • وأغلب الظن أن محمد علي باشا ما كان ليفكر في تلك المرحلة بغزو العراق ، مما يحتم عليه اما احتلال الكويت ، أو التعاون مع شيخها ، من أجل تسهيل مهمة الغزو ، لأنه كان يعد العدة لحملته على بلاد السودان • ولعل هذا هو الذي عجل بعودة ابراهيم الى القاهرة ، ليكون قريبا من والده ، ان دعته الظروف ليسهم في الحملة على السودان •

ولقد اختلف الوضع بالطبع ، اثناء الفترة الثانية من قدوم الاتراك والمصريين الى نجد والاحساء ، ذلك أن مطامع محمد علي في غزو العراق باتت معروفه من جهة ، ثم ان حاجة جيوشه في الاحساء الى الذخيرة والطعام والاعتدة ، وهي أمور لم تستطع مصر أن توصلها الى الاحساء في يسر ، جعلته يتطلع نحو الموانيء الايرانية مثل بوشهر وكذلك نحو البصرة والكويت ، لسد الاحتياجات

والحاجات . لقد كان موقف بغداد والبصرة معروفا من محمد خورشيد باشا خلال هذه الفترة ، ولا ريب أنهما كانتا تحرصان على عدم ايصال العون ، من أي نوع ، لجيوش خورشيد باشا (١) . ومن بوشهر استطاع خورشيد باشا أن يحصل على بعض ما احتاجه جيشه ، لكننا أثناء مراجعتنا لمكاتبات خورشيد باشا مع القاهرة ، نجده لا يذكر بوشهر والبصرة كثيرا ، وانما يكثر من ذكر الكويت (٢) ، وهو لا يذكر الكويت عبثا ، ذلك أنه لا بد قد ايقن حين أوفد وكيله الملازم محمد افندي اليها لتدبير شراء الغلال ، أيقن أن الكويت ، وهي البلد الهام الوحيد في شمال الخليج ، الذي سيقدم له ما يحتاجه دون تردد . وبعد ، فهل لهذا دلالة سياسية خاصة ؟ أغلب الظن أن الكويت كانت لا تزال متمتعة باستقلالها عن نفوذ جميع الاطراف في المنطقة ، كما أسلفنا القول . ولا ريب أن مساهمة الكويت في تموين الجيش المصري ، كانت تلقى صدى طيبا لدى خورشيد باشا ، ومن ثم محمد علي باشا ، لسبب رئيسي هام ، هو أن البصرة وبغداد ، بدت عليهما علائم الغضب ، نتيجة لنجاح شراء الغلال عن طريق الكويت (٣) . ثم كذلك « لأن العجم لأسباب خاصة كانوا لا يسهلون بيع

---

(١) انظر على سبيل المثال الوثيقة المؤرخة ٢٣ شعبان ١٢٥٤ / ١٧ سبتمبر ١٨٣٨ الخاصة بالمؤن والسلفة ، أي النقود من الكويت. ثم انظر وثيقة أخرى في نفس المجموعة ، تاريخها ٢٢ شعبان ١٢٥٤ / ١٦ سبتمبر ١٨٣٨ تتعلق بالمؤن والذخيرة وهي وثيقة رقم ١٤٣ محفظة ٢٦٤ . كذلك انظر مراسلة تاريخها ٤ رمضان ١٢٥٥ / ٦ فبراير ١٨٣٩ وثيقة رقم ١١٠ محفظة ٢٦٧ وهذه تتعلق بالغلال والمؤن ، ووثيقة اخرى تاريخها ١ صفر ١٢٥٥ / ١٦ ابريل ١٨٣٩ ورقمها ١٣٧ محفظة ٢٦٧ وهي خاصة بالتموين الوارد عن طريق الكويت. هذا بالاضافة الى العديد من الوثائق التي تتعلق بنقل الجنود مر ذكرها، كل جاء به ايراد اسم الكويت وانها كانت البلد الذي منه تنقل هذه المؤن الى موانىء الاحساء الخاضعة للحكم التركي المصري.

(٢) رسالة محمد خورشيد الى الباشمعاون ، من ثرمدة غرة ربيع الأول ١٢٥٥ / ١٨٣٩ ، وثيقة ١٥٦ محفظة ٢٦٦ .

(٣) المصدر السابق .

الغلال » مما دعا محمد خورشيد ، أن يرجو محمد علي ، أن يكتب « لقنصل الانجليز في بوشهر ، لتسهيل الشراء من ايران أو بومباي » (١) ٠

لقد أرسل محمد خورشيد باشا معاونه محمد رفعت أفندي للبحرين لأجل التفاوض على اعترافها بسيادة محمد علي باشا عليها ، وكان ذلك في اوائل عام ١٨٣٦ ، وكما مر بنا القول ، وقع شيخ البحرين ، عبدالله بن أحمد ، اتفاقه في مايو ١٨٣٩ مع ممثل خورشيد باشا ٠ ولا بد للمرء من أن يتساءل هنا عن السبب الذي دعا محمد خورشيد باشا - ولا ريب أنه كان يتصرف بالاتفاق مع ولي أمره محمد علي باشا - ما الذي دعاه أن لا يطلب من وكيله الملازم محمد أفندي أن يجري اتفاقا مثل هذا مع الشيخ جابر ، شيخ الكويت ٠ والاجابة على مثل هذا التساؤ ل ، استنتاجا من مجريات الأحداث في المنطقة آنذاك ، تنحصر في أحد أمرين ، أولهما ان الكويت لم تكن ذات ثراء وتجارة يعادلان ثراء البحرين وتجارتها ، او انها لم تكن خاضعة للدولة العثمانية او للوهابيين ، وبالتالي لم يكن محمد علي قادرا على تبرير المطالبة بها ، وأما الامر الاول ، فان لجوء محمد خورشيد باشا الى الكويت ، لطلب سلفة ، منذ ان بلغت جيوشه شاطيء الخليج ، ليدل دلالة واضحة على أن الكويت قادرة على ان تمده بالمال الذي يطلبه ٠ وأما انها كانت ذات تجارة واسعة ايضا ، فلعل ذلك يتضح جليا من مساهمتها في نقل المؤ ن والعتاد ، لجيش خورشيد في الاحساء ، أكثر من مرة ٠ ولا ريب ان قيامها بذلك ، لم يكن مجانا وبدون مقابل ٠ ويبقى السبب الثاني ، وهو الذي تذرع به خورشيد لاحتلال البحرين ، فقد كانت البحرين تؤدي الزكاة لآل سعود ، وفي ذلك معنى واضح ، من انها كانت تخضع سياسيا لمشيئة الوهابيين ؛ قبيل توقيعها معاهدة مايو ١٨٣٩ مع خورشيد باشا ٠ وأن دل هذا الامر على شيء فانما يدل على ان محمد علي باشا لم يكن يملك سببا لمطالبة شيخ الكويت بدفع الزكاة له ، مثلما فعل مع شيخ البحرين ٠ هذا في الوقت الذي

---

(١) صارت ولاية بغداد لداود باشا عام ١٨١٦ وبقي يتربع في كرسي الولاية حتى عام ١٨٣١ ، حين طرده علي رضا باشا بناء على أوامر الباب العالي .

كانت فيه البحرين ترتبط بمعاهدة مع بريطانيا ، لم تكن الكويت قد ارتبطت بها ٠

وخلاصة القول في علاقة الكويت بالمصريين في هذه الآونة أنها كانت علاقة ودية ، تبادل فيها الطرفان المنفعة ، التي عادت على كل منهما بالخير ، اذ بقيت الكويت بعيدة عن الانغماس في مشاكل شرق الجزيرة العربية السياسية ، واحتفظت باستقلالها ٠ واما جيوش محمد علي باشا ، فقد نالت عن طريق الكويت ما كانت تبغيه من مؤ ن وغلال وذخيرة ، لم تكن لتتوفر لها في شرق الجزيرة العربية ، لولا هذه المساهمة من الكويت

سياسة الشيخ جابر تجاه العثمانيين واتباعهم بالعراق

ذلك ما كان من أمر علاقة الشيخ جابر برجال محمد علي ، وهم اسميا قد كانوا أيضا يستظلون بالراية العثمانية ، فماذا كانت سياسة الشيخ جابر ، ومن بعده ابنه الشيخ صباح مع العراق العثماني ؟

ان الناظر في تاريخ هذه العلاقات ، يستطيع أن يميز فيها أمورا ثلاثة ، أولها سياسة الشيخ جابر تجاه جيرانه في بلدة الزبير ، وبالتالي البصرة ، وثانيهما سياسة الشيخ تجاه تجمعات القبائل الرئيسية مثل المنتفق ، وأما ثالثها فهو سياسته تجاه والي بغداد ، حين كان يحرك الجيوش لمهاجمة الفرس أو القبائل المناصرة لهم ٠

علاقة الكويت بالزبير

سبق أن بينا كيف أن بعض عوائل الكويت تنزل البصرة والزبير ، في حين كان أقاربها ينزلون بلدتهم الكويت ٠ وكذلك بينا كيف كانت احوال بلد تتقدم حين تتأخر أحوال بلد مجاور آخر ٠

أي أن هناك علاقات تنشأ بين البلدان المتجاورة ، وهي علاقات تتسم بروح المحبة أحيانا ، وأحيانا بروح العداء ومثل هذا النوع الأخير شهدته علاقات البصرة مع المدينة المنشأة حديثا وغير بعيد عنها ، ونعني المحمرة التي أنشئت عام ١٨١٢ ٠

سوف يرى القارىء أن اسم الزبير سيتردد كثيرا حين نتحدث عن الطريق الصحراوي العظيم ، الذي ازدهر خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر في الفصل القادم · غير أننا هناك لا نتعرض للمزيج السكاني لتلك المدينة المزدهرة ، التي زادها ازدهارا تجنب التجار طريق البصرة واتجاههم اليها ، أي الى الزبير ، لنقل حمولة قوافلهم منها ، تجنبا لدفع الضرائب الباهظة في البصرة · كان من الطبيعي أن تحنق البصرة أو متسلمها لهذا الأمر · وكان لا بد من أن يأتي يوم ، يتدخل فيه المتسلم في شئونها ، مدعيا اصلاح ذات البين بين طرفين متنازعين ، أو متذرعا بسبب آخر · ولعل الثغرة التي نفذ منها المتسلم ، وكذلك شيوخ المنتفق ، الذين كانت لهم السيادة على المناطق الممتدة من جوار البصرة جنوبا ، حتى نواحي بغداد شمالا ، لعل الثغرة جاءت من أن أسرتين نجديتين ، كانتا تتنازعان على الزعامة ورئاسة البلدة ، ونعني بذلك آل ثاقب بن وطبان وآل زهير · وكما كان الحال في الكويت ، من حيث أن غالبية السكان ، ان لم يكن جميعهم كانوا من أصل نجدي ، أو من قبائل من شرقي الجزيرة العربية ، فان حال الزبير كان مماثلا ، مع فارق واحد ، هو أنه قد أتيح للكويت زعامة سياسية قادرة ، نمت مع المدينة ، ونمت المدينة معها ، فجنب كل منهما صاحبه العثرات ، بينما لم تتح للزبير مثل تلك الزعامة ، فكان الانشقاق أكثر من مرة بين البيتين المذكورين في عهد جابر بن عبدالله ، ومن هنا كان ارتباط جزء من تاريخ الكويت في هذه الفترة مع الزبير ·

ومع أننا لسنا هنا في مجال تفصيل تاريخ الزبير الداخلي ، وشرح علاقات القبائل النازلة فيها ، الا أن مجمل ذلك التاريخ ، خلال الفترة التي هي تحت ضوء بحثنا الحالي ، يتلخص في الصراع بين آل زهير آل وثاقب من جهة ، ثم في انضمام المنتفق الى آل ثاقب ، وذلك من أجل الأخذ بثأر ، زعم أن آل زهير تسببوا فيه ، وهو حق للمنتفق · هذا من ناحية الصراع الداخلي في الزبير ، غير أن الزبير كانت أيضا ، في شخص تجارها ، تحقد على البصرة نجاحها الفائق في ميدان التجارة ، وكانت بالتالي تساهم مع بعض القبائل النجدية ، في التعرض للبصرة وتجارتها ، حين تواتيها الظروف · ومن هنا عمل متسلم البصرة بدوره

على الانتقام من الزبير ، اذا سنحت له الفرصة ، اما بالهجوم مباشرة عليها ، أو بتسليط قبائل المنتفق على مهاجمتها • وكان ذاك في وقت مبكر من ولاية داود باشا (١) •

هذا ولما كانت الكويت على صلات مستمرة بالبصرة والزبير وبغداد ، وسائر القبائل والمدن المتاجرة في الخليج ، كان لا بد من أن يمر بها تيار الصراع ، الذي يجري في شمالها ، أي في ولاية بغداد وملحقاتها • وهكذا اذا وقعت أحداث في البصرة تستدعي تدخل الكويت ، كانت الكويت تجد نفسها مدعوة للتدخل فيها • وقل نفس الشيء في الزبير والمحمرة • ومجمل القول في هذه الاحداث التي شاركت الكويت فيها ، يتلخص في أن الكويت كانت تخرج من الحدث ، تأوي في الغالب الخصوم والاصدقاء ، على حد سواء • وكما مر بنا من قبل في تاريخ اللجوء الى الكويت من الجنوب ، حين لجأ اليها أعداء وأصدقاء الوهابيين ، كان الحال كذلك بالنسبة للشمال ، حيث لجأ اليها أعداء وأصدقاء العثمانيين ، على حد سواء • ولنقف الآن على الحركات التي ساهمت الكويت فيها في العراق العثماني في هذه الفترة ، ولننظر في نتائج تلك المساهمة ، أي المنافع والأضرار التي عادت على الكويت تبعا لذلك • أشرنا قبل قليل الى العداء بين آل ثاقب وآل زهير • ولقد أجمل ابن بشر ، المؤرخ النجدي ، تلك العلاقة بين تلك العائلتين ، وكذلك علاقة المنتفق بهما ، في الجزء الثاني من تاريخه • تحت حوادث أعوام ١٢٤٣ / ١٨٢٧ و١٢٤٨ / ١٨٣٢ و١٢٥٢ / ١٨٣٦ ، وأشار الى ما ذهب اليه من التجاء الجماعتين الى الكويت ، حين تحل الهزيمة بأحداهما (٢) • وهكذا ، حين آلت رئاسة الزبير ، الى آل زهير ، بعد تدبيرهم

---

(١) انظر ابن بشر ٢ : ٢٣-٣٥ حيث يبين المؤرخ كيف تآمر آل زهير لدى متسلم البصرة وذلك بالتعاون مع آل راشد على آل سميط ، بحيث آلت رئاسة الزبير لهم عام ١٢٤٣ / ١٨٢٧ وصار علي بن يوسف آل زهير رئيسا للزبير حتى وفاته بالطاعون عام ١٨٣٢ . وتولى رئاسة البلدة من بعده اخوه عبدالرازق .

(٢) المصدر السابق .

مقتل جاسم ابن فوزان السميط ، لجأ آل السميط وأنصارهم الى الكويت (١) ، محتمين بشيخها من أعدائهم •

بقى آل زهير في الرئاسة بعد ذلك الى أن ساءت العلاقات بين المنتفق وآل زهير ، وفي هذا الطور من الصراع يرد اسم الكويت ليس كبلد يلجأ اليه المنهزمون ، بل كبلد شارك في حصار الزبير مشاركة فعلية ، حتى ذهب البعض الى الظن بأن الكويت قد دخلت في معارك مع آل زهير وغيرهم من سكان الزبير ، مما أدى في النهية الى اخضاع الزبير لسلطان المنتفق وأنصارهم • أما الدور الذي لعبته الكويت في هزيمة رئيس الزبير وأنصاره ، فقد جاء عن طريق غير مباشر ولعل ابن بشر ، وهو المؤرخ المعاصر للاحداث قد صور الموقف صورة جلية حين قال :

« وفيها حارب رئيس المنتفق عيسى بن محمد بن ثامر وعشيرته وأتباعه بلد الزبير ••• وحشد معهم محمد بن ابراهيم بن ثاقب بن وطبان وأتباعه ••• الذين أجلاهم عن الزبير آل زهير ••• واستداروا على البلد وحاصروا أهلها ••••• وطال الحصار وساعدهم رئيس الكويت جابر بن عبدالله بن صباح ، ودام هذا الحصار سبعة أشهر • الى أثناء تسع وأربعين (ومائتين وألف) حتى تفاقم الامر على آل زهير وأتباعهم ، بسبب غلاء الزاد بل نفاذه ، عن اهل البلد ونفاد البارود والرصاص (٢) •

ثم يمضي ابن بشر الى القول بأن المدينة قد احتلت بخدعة ، وكان مصير آل زهير جميعا القتل ، بما فيهم رئيسهم عبدالرزاق واخوته •

---

(١) ابن بشر ٢ : ٤٩

(٢) الرشيد ١ : ١٥ حيث يروي الاستاذ الرشيد قصة فرار الرجل المذكور من مرافقيه الى الكويت وما كان من امر لجوئه الى حمى الشيخ جابر ، وكيف انه حفظ جميل الشيخ واهداه الصوفية وهي من ممتلكات آل زهير في مقاطعة المعامر ، وهي قطعة كبيرة من نخيل البصرة .

من هذا القول لابن بشر ، يتبين القارىء الدور الحيوي الذي قامت به الكويت في اخضاع الزبير ، اذ لولا الحصار البحري على منافذ الزبير البحرية ، لصعب على المحاصرين أن يخضعوها ، وأغلب الظن أن تسليمهم نجم عن قلة الطعام والبارود ، كما ذكر ابن بشر نفسه ٠

ان تداخل الاحداث في الفترة ما بين ١٨٢٠ و ١٨٤٠ في جنوب العراق ، وتوزع ولاء القبائل بين الاطراف المتنازعة ، وتغير وتبديل هذا الولاء في هذه الحقبة ، جعل من العسير على من تناولوا تاريخ هذه الحقبة ان لا يقعوا في خطأ تحديد زمان وقوع حادث أو مكانه وكان هذا شأن الكتاب الذين لم يعاصروا الاحداث من عرب وأجانب على حد سواء ٠

لقد ترتب على سقوط رئاسة آل زهير في الزبير أمران ، أولهما قيام آل ثاقب بالرئاسة من بعدهم ، ثم لجوء أحد أفراد آل زهير ممن نجا من الموت الى الكويت ٠ ومن هنا تختلف الروايات في اسم ذلك اللاجىء ففي حين يسميه لورمر يعقوب آل زهير ، يكتفي الرشيد بالقول أنه رجل من آل زهير (١) ، ولقد سماه آخرون بسليمان بن عبدالرزاق آل زهير ٠ وأيا كان اسم ذلك اللاجىء ، فان قصة الصوفية بقى لها ذيول حتى عام ١٨٦٦ ٠ والطريف بالذكر أنه في حين تذكر المصادر العربية أن الصوفية قد قدمت هدية لشيخ الكويت على اعتبار اكرامه الضيف وايوائه ، يذهب لورمر الى القول بأن الشيخ قد اشترى تلك الارض من آل زهير (٢) ، أي من الشخص الذي لجأ الى الكويت ٠ ونحن نميل الى ترجيح رأي لورمر في هذا الموضوع ، مستندين الى ما قام به افراد آخرون من آل زهير ، من رفع الدعوى على حاكم الكويت ، وكان ذلك عام

---

(١) Lorimer , I , i , 1008

(٢) نامق باشا في ولايته الثانية . فقد ولى نامق باشا بغداد لاول مرة لمدة عام ١٨٥٢ - ١٨٥٣ ، ثم عاد لولايتها مرة ثانية ١٨٦١ - ١٨٦٨ . ٠

كذلك فان حاكم البصرة قد نص على ان يتعهد شيخ الكويت بطرد بعض المزارعين من ممتلكاته في فاو .

١٨٦٦ ، أي على الشيخ صباح بن جابر ، مطالبين برد الصوفية اليهم بالنظر لان الذي باعها منهم لم يكن يملك كل الارض بل كان يملك جزءا منها ٠

قضية الصوفية

حدث ذلك عام ١٨٦٦ ، عندما أقام المدعوون من آل زهير قضية على الشيخ صباح بن جابر ، مطالبين برد الصوفية لهم بالنظر لأن من باعها لهم لم يكن موكلا من قبلهم لبيعها ، وكانت القضية منظورة أمام محكمة عثمانية في البصرة ٠ أوفد الشيخ صباح ابنه الاكبر الشيخ عبدالله ، موكلا من قبله لكي يبين للقائمقام التركي صحة البيع ، وأن الارض ملك لشيخ الكويت ، اشتراها والده جابر من آل زهير ٠ وكانت المحكمة منحازة ، فيما يبدو ، منذ البداية الى جانب آل زهير ، فكان قرار القائمقام يقضي بمصادرة الصوفية ، وبأن يدفع شيخ الكويت ، قيمة محصول التمور ، لمدة سبعة أعوام للمدعين ٠ ولما رفض الشيخ عبدالله الحكم ، كاد القائمقام أن يلقى به في السجن ٠ ثم رفعت القضية بعد ذلك لوالي بغداد (١) ، الذي أعاد النظر في قرار محكمة البصرة ، وقرر أن الصوفية هي من أملاك شيخ الكويت ٠ ولعل القارىء يتساءل عن السبب الذي دعا باشا بغداد لاتخاذ مثل هذا القرار ٠ قيل في تبرير ذلك ، ان الباشا كان يطمع في أن يكسب شيخ الكويت الى جانبه ، وذهب آخرون الى القول بأن غرض قائمقام البصرة من حكمه ، أن يزرع العداء بين الكويت والزبير ، أو هكذا نظر أهالي الكويت الى هذا النزاع ٠ ويبدو أنهم كانوا مصرين على القتال دون حقهم في الصوفية ٠ ولقد نمى الى علم الباشا « أن أهالي الكويت يفضلون أن يهجروها على أن يخضعوا لحكم تركي » ٠ كذلك يبدو ان اتخاذ نامق باشا ذلك القرار ٠ قد أملته عليه الضرورة ٠ فلقد تأكد لديه أن الشيخ صباح يعد العدة للهجوم على الزبير ، اذا صدر القرار ضد مصلحته ، وأن الشيخ صباح قد تلقى تأكيدا من « الزعيم

---

(١) انظر Lorimer , I , I , 1013

الوهابي » بأن يقف الى جانبه أدبيا وعسكريا اذا لم يصدر القرار لصالحه (١) ٠ غير أن نامق باشا لم يترك الكويت وشأنها بعد هذا القرار ، فقد وردت التقارير تفيد بأن نامق باشا قرر أن يدخل الكويت ، بالقوة في دائرة نفوذه ٠ أما السبب الذي دفعه الى اتخاذ ذلك القرار ، فهو الضرر الذي اصاب البصرة بسبب ترددالبواخر الانجليزية المستمر على الكويت ، مما أدى الى ازدهارها على حساب البصرة ، ميناء العراق ، ومصدر الدخل الكبير للولاية ٠ ولماتأكد تصميم نامق باشا على القيام بذلك الامر ، حين جهز سفينتين حربيتين لتنفيذ واحتلال الكويت بقوة السلاح ، سارع شيخ الكويت راجيا الكولونيل كيمبولKemball المقيم البريطاني في بغداد ، بأن يوقف توجه البواخر الانجليزية الى ميناء الكويت ٠ وتم له بالفعل ما أراد ٠

الكويت وحصار البصرة ١٨٣١

كانت البصرة منذ وقت بعيد على صلة بالكويت ، وهي صلة تجارية في الأصل ، كانت تتحول الى صلة سياسية في أحايين أخرى ٠ ولقد سبقت الاشارة الى حوادث اللجوء السياسي للكويت من رجالات البصرة ، لا سيا متسلمها مصطفى أغا ، وكذلك كان الحال في أيام المنافسة بين والي مصر في شرقي الجزيرة ووالي بغداد على زمام السلطة السياسية ، وما تبع ذلك من محاولة كل من الطرفين اغراء جند الآخر بالهرب واللجوء اليه ، مما سردنا حوادثه سابقا ٠ غير أن حادثا مخالفا لمثل هذا النشاط قد وقع في عام ١٨٢١ ، وهو عام ركود بالنسبة لسياسة محمد علي باشا في شرقي الجزيرة ونجد ، وكذلك بالنسبة لباشا بغداد ، فالنشاط التركي المصري لم يعد قويا الا بعد ١٨٣٧ ، حين غزا خورشيد باشا شرقي الجزيرة ، وأرسى قواعد الحكم التركي المصري فيها الى حين ٠ والنشاط العثماني في العراق لم ينشط الا بعد ذلك التاريخ ، حين نجح الحاج علي رضا باشا في طرد داود باشا من ولاية بغداد في حوالي منتصف عام ١٨٣١ ٠ ولما كان كل من علي

---

(١) انظر Lorimer , I ,i , 1006 وكذلك نفس المصدر ص ١٣١٣٠

رضا باشا وداود باشا ، يتنافسان على كسب المؤيدين في أنحاء ولاية بغداد ، فان أنصار داود باشا من المنتفق قد تضافروا مع أنصاره ، مثل شيخ بني كعب ، لحصار البصرة ، اظهارا لتأييدهم لداود باشا ، الذي بدأ ولاء الموظفين من الاتراك وغيرهم ينحاز عنه ، الى جانب القادم الجديد ، أي علي رضا باشا • كان الهدف من ذلك الحصار هو مظاهرة تأييد لداود باشا ليس إلا ، ولكن يبدو تضامن جميع من بالمنطقة مع داود باشا لذا دعا شيخ بني كعب الشيخ جابر ، لينضم الى صفوف المحاصرين للبصرة ، وفعلا قام الشيخ بتلبية الدعوة (١) • ولعل هذا الموقف من شيخ بني كعب ، وشيخ المنتفق ، عقل آل ثامر ، كان يمثل اعترافا منهما بمواقف طيبة لداود باشا تجاههما • على أن مثل هذه التظاهرات لم تكن لتوقف زحف علي باشا ، او تقيل عثرة داود باشا • ولعله لا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام أن عزيز أغا متسلم البصرة ، بعد أن وصل نائب على رضا باشا للبصرة ، وأمام ضغط بعض القبائل العربية المجاورة على المدينة ، ثم نظرا لاضطراب أمورها الداخلية ، بسبب كثرة اللاجئين اليها من بغداد والبلدان الشمالية ، قد لجأ الى شيخ بني كعب ، في انتظار ما سيأتي به الغد ، وكعادة القبائل العربية آنذاك ، لا سيا قبيلة بني كعب ، قام شيخهم ، بعد أن استشف من عزيز أغا ميله الى العودة لمنصبه في البصرة كمتسلم للباشا الجديد ، قام وحاصر البصرة هذه المرة ، ولكن حصاره لها كان في سبيل علي رضا باشا لا داود باشا • وقد دام ذلك الحصار أسابيع عديدة • ولعل هذا هو الحصار الذي تشير اليه المصادر المحلية الكويتية ، حين تقول ان الشيخ جابر قد ساهم في

---

(١) انظر الرشيد ٢ : ١٣ - ١٤ والقناعي ١٥ - ١٦ . يبدو من سردنا لهذه الحادثة ان عزيز أغا لم يلجأ للكويت كما بينا وانما لجأ الى شيخ بني كعب . ولعل الكويت قد لبت دعوة شيخ بني كعب لحصار البصرة ، حتى تسهل عودة المتسلم ، بعد ان يبتعد العرب المحاصرون للبصرة عنها . اي ان عودة المتسلم لم يكن ليعارض فيها علي رضا باشا ، والا لما كان بمقدور الكويت وبني كعب ان يفرضوا عزيز اغا متسلما على باشا بغداد ، ثم من ناحية اخرى ، فاننا لانرى اي مصلحة للكويت في مثل هذا الغرض ، فحصافة شيخها كانت كافية لاقامة علاقات طيبة مع اي متسلم جديد .

حصار البصرة لاعادة متسلمها الى منصبه فيها (١) ٠

بعد هذا التدخل من جانب الشيخ جابر ، الى جانب متسلم البصرة ، لا نسمع بتدخله في أحداث البصرة أو الزبير ، غير أننا نرى المصادر تشير الى لجوء جماعات أخرى من الزبير الى الكويت بهذا التاريخ ٠ ثم تذكر كذلك ما كان من التجاء جماعة كبيرة من العجمان والمنتفق الى الكويت ، بعد هزيمتهم في واقعة ملح ، وهو ماء بالكويت ، على يد عبدالله بن فيصل آل سعود ٠ وكانت غارات هؤلاء قد كثرت على البصرة والزبير والكويت نفسها ٠ وقد أبى صباح أن يسلمهم الى عبدالله بن فيصل ٠

الكويت وغزو المحمرة

لم تقف مساهمة حاكم الكويت الى جانب المستجير به عند حد الاسراع لحصار البصرة أو الزبير ، بل ذهب أبعد من ذلك الى حصار المحمرة عام ١٨٣٧ ٠ والمحمرة ، كما سبقت الاشارة ، أسسها آل عبدالمحسن ، في ديار بني كعب ، وكانت عاصمة بني كعب الفلاحية ، غير أن المحمرة كانت قد ترعرعت في ظل حماية بني كعب ، منذ نشأتها عام ١٨١٢ ٠ كان نمو المحمرة بموقعها غير بعيد عن البصرة نموا سريعا ٠ وقد استطاعت في فترة وجيزة ، أن تجذب اليها جزءا كبيرا من تجارة البصرة ، لا سيما بعد أن أصابت الكوليرا البصرة عام ١٨٢١ (٢) ، وبعد أن أصابها الصراع الداخلي عام ١٨٣١ ، بين داود باشا وعلي رضا باشا ، بأضرار كبيرة ، أفادت منها كذلك مدينة الكويت (٣) ٠ وهكذا لم يعد

---

(١) انظر Lorimer , I , i , 1313

(٢) المصدر السابق : ١٠٠٦

(٣) علق ابن بشر على لجوء عمر بن عفيصان الى الكويت بقوله انه بعد ان سلم فيصل لخورشيد ، سار اهل الحسا الى الرياض للتسليم لخورشيد الا عمر بن عفيصان ، فقد غادرهم في الطريق وتوجه الى البحرين ، واقام عند آل خليفة ، ثم سار الى الكويت ونزل فيه . عنوان المجد ٢ : ٤١ . هذا وكنا قد اشرنا من قبل الى ان محمد افندي ، معاون خورشيد باشا ، كان قد ذكر حين زيارته البحرين انه شاهد عمر بن عفيصان هناك ، ولا بد اذن من ان يكون ابن عفيصان قد شعر بان عبدالله بن احمد شيخ =

غريبا أن يفكر علي رضا باشا في مهاجمتها وتخريبها ، ولما كان الهجوم على ميناء المحمرة ، يتطلب قدرا من السفن كي ترابط في مياه شط العرب ، أرسل علي رضا باشا يطلب العون من شيخ الكويت ، الذي بادر بتقديم العون اللازم • وموجز القول في حملة علي رضا باشا على المحمرة أنها حطمت المدينة ، اذ كان دمارها ليس اقتصاديا فحسب ، وانما كان دمارا ماديا اذ هدمت البيوت وكذلك الاسوار • ولما رأى الشيخ ثامر ، شيخ بني كعب قوات علي رضا باشا ، تقف في مواجهة عاصمته الفلاحية ، فر الى الكويت حيث احتمى مؤقتا بالشيخ جابر ، الى أن عاد الى الاتفاق مع علي رضا باشا ، على أن يعلن تبعيته للبصرة وليس لبوشهر • عندها عاد الشيخ ثامر الى ديار بني كعب • غير أن شيخ المحيسن لم يرضخ لواقعه بعد أن رأى خراب بلدته المحمرة ، والتجأ الى بوشهر حيث طلب مساعدة الفرس ، وعاد الى المحمرة ليعيد بناءها • وتاريخ الصراع بين ولاة بغداد والفرس ، ليس من اختصاص تاريخنا الحالي •

على أن المتتبع لسير الاحداث القريبة ، التي ذكرناها يعجب لتسامح شيخ الكويت ، ولا يلبث الا أن يقدر بعد نظره في معاملة من كان بالامس عدوا ، واليوم صار لاجئا بجواره • فانظر مثلا الى عجمان والمنتفق ، يوم أن كانوا يهددون نواحي الكويت تهديدا خطيرا ، ثم لا يلبثون بعد هزيمتهم أمام عبدالله بن فيصل أن يلجأوا الى من يرون فيه عدوا • ثم انظر الى بني كعب الذين كانت عداوتهم للكويت تقليدية • فها هو شيخهم ثامر يلجأ للكويت أولا عام ١٨٣٧ ، ثم يعود لاجئا للكويت مرة أخرى عام ١٨٤١ • وذلك بعد ان طرده الفرس من بلاده • غير أن مقامه في الكويت لم يطل ، اذ انتقل من بعدها للبصرة •

= البحرين لابد وان يوقع اتفاقية مع خورشيد باشا ، يصبح بموجبها تابعا للاتراك المصريين ، وعلى ذلك آثر ان يمضي الى الكويت .

انظر كذلك تعليق Philby , 181 , 184 على ذلك الامر . ولعله من المفيد للقارىء ان نذكر ان عمر ابن عفيصان قد عاد بعد هذا بنحو عام الى الرياض حيث ، تعاون مع خالد بن سعود ، الذي عينه في غزو على آل روق كذا من قحطان . انظر ابن بشر ٢ : ٩٧ . وكان ذلك عام ١٢٥٦ / ١٨٤٠ .

هذا ما كان من علاقة الكويت بالعراق العثمانية ، في عهد جابر وابنه صباح ، حتى عام ١٨٦٦ ، ولنلتفت بعد هذا الى ما كان من علاقة الكويت بالوهابيين أولا ، ثم بالانجليز من بعدهم ٠

العلاقات الكويتية الوهابية في عهد جابر وولده صباح

يمكن تقسيم هذه العلاقات الى قسمين ، أولهما يشمل الحقبة الممتدة ما بين ١٨١٨ - ١٨٤١ ، أي طوال فترة الوجود التركي المصري في شرقي الجزيرة العربية ، بما في ذلك فترة حكم خالد بن سعود ٠ التي انتهت عام ١٨٤١ ، ثم الفترة ما بين ذلك التاريخ وعام ١٨٦٦ ٠ أي حتى وفاة الشيخ صباح بن جابر ٠

أما الفترة الاولى ، فكانت فيها دولة الوهابيين ، ان وجدت ضعيفة لا تكاد تصحو من غفوتها ، حتى تكبو ، وكانت فترة اليقظة تشمل الأعوام الممتدة بين ١٨٢٤ و ١٨٣٨ ٠

لقد بينا من قبل ، أن الكويت قد بقيت محافظة على استقلالها ، دون الخضوع للوهابيين أو الاتراك ، حتى وفاة الشيخ عبدالله بن صباح ، حاكمها الثاني ، وبينا كيف كانت العلاقات بين الكويت والحركة الوهابية أبعد ما تكون آنذاك عن علاقات الود والصفاء ٠ كان ذلك بالطبع بسبب حركة الفتوح الوهابية ، خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، تلك الحركة التي كانت تهدف للاستيلاء على شاطىء الجزيرة العربية الشرقي بأكمله ٠ أما في هذه الفترة ، فان الخطر الوهابي على الكويت لم يعد كبيرا ، بل يجوز لنا أن نقول انه بات ، خلال الفترة ما بين ١٨١٨ و ١٨٤١ ، معدوما ٠ وخلال فترة الاستيقاظ ، الممتدة بين ١٨٢٤ و ١٨٣٨ ، كانت العلاقات بين الجماعتين طيبة ، ويدلل على ذلك بحادثة نزول تركي بن عبدالله على ماء الصبيحية في الكويت ، وكان عندئذ يطارد جماعة من سبيع ٠ وقد أقام تركي على ذلك الماء مدة ، قدمت اليه خلالها وفود العربان للتحية ، وتقديم واجب الولاء ٠ أما شيخ الكويت جابر بن عبدالله بن صباح ، فقد أهدى اليه هدايا ، وفق رواية ابن بشر ٠

ولعل موقف الشيخ جابر ، من استضافة عمر بن عفيصان ، القائد الوهابي ، وعدو محمد خورشيد باشا اللدود ، في اعقاب تسليم فيصل بن تركي لجيوش خورشيد ، لعل ذلك يعتبر دليلا على ان علاقات الشيخ جابر مع الوهابيين ، كانت لا تزال طيبة (١) • كذلك كان الحال مع عبدالله بن ثنيان ، الذي لجأ الى الكويت ، فارا من خالد بن سعود عام ١٨٤١ (٢) ، حيث أقام فترة قصيرة ، ريثما تأهب للعودة والاستيلاء على مقاليد الحكم من خالد ، الذي ما لبث أن لجأ بدوره للكويت ، بعد ذلك بقليل ، في ابريل ١٨٤٢ • غير أن خالد بن سعود توجه من الكويت الى القصيم ، ومنه الى مكة المشرفة ، حيث كانت وفاته فيها •

أما خلال الحقبة الثانية الممتدة ما بين ١٨٤١ و ١٨٦٦ ، فقد بقي حال العلاقات الطيبة على ما كان عليه ، ولكن يبدو أن تطورا جديدا قد طرأ على العلاقة ، ذلك أن الأمير فيصل بن تركي ، عين وكيلا له في الكويت عام ١٨٥١ (٣) ، ولعل هذا يذكرنا بوكيل خورشيد باشا لدى شيخ الكويت • أما طبيعة أعمال هذا الوكيل الوهابي فلسنا نعلمها ، بخلاف طبيعة أعمال وكيل محمد خورشيد الذي مر ذكره •

وعلى الرغم من هذه العلاقات الطيبة ، فقد بقيت الكويت عند عادتها في نجدة المستجير ، ذلك أنه حين طارد عبدالله بن فيصل ، العجمان في اطراف الكويت ، لجأ من انهزم منهم الى حمى شيخ الكويت فأجارهم • ولا ريب أن عبدالله بن فيصل ، كان يعلم معنى استقبال شيخ الكويت للمستجيرين به • كذلك ورد في الوثائق ما يفيد أن عبدالله بن فيصل ، مضى على سياسة والده ، واتخذ له وكيلا بالكويت (٤) • وقد لاحظ بلي PELLY عندما زار الكويت عام

---

(١) انظر Lorimer , I , i , 1105 , 1011

(٢) انظر Lorimer , I , i , 1111

(٣) انظر Gazetteer of the Persian Gulf , I , i , 1011

(٤) انظر Pelly , Remarks , 74

وكذلك عندما عدد ابن بشر امراء تركي بن عبدالله في وقت مبكر من عام ١٢٤٩ /

١٨٦٣ وكذلك عام ١٨٦٥ ، أن الكويت على علاقة طيبة بالوهابيين ، وانها لا تدفع لهم زكاة (١) ٠

وما دمنا قد أجرينا ذكر بلي PELLY والانجليز في هذه اللحظة ، فلننظر في العلاقات الكويتية الانجليزية ، في عهد كل من جابر وصباح ٠

العلاقات الكويتية الانجليزية

كنا قد أشرنا من قبل الى طبيعة العلاقات الطيبة التي ربطت الكويت برجال شركة الهند الشرقية الانجليزية ، العاملين في موانىء الخليج المختلفة ، سواء من أقام منهم بالبصرة أو بوشهر ، أو من أقام منهم في الداخل بعيدا عن الخليج في بغداد ، خلال نشأة الكويت الاولى وتطورها حتى مطلع القرن التاسع عشر ٠ أشرنا الى اتصالات انجليزية كويتية مباشرة في اوائل حكم الشيخ جابر ، حين انتقلت الوكالة التجارية الانجليزية من البصرة مرة اخرى الى أراضي الكويت حيث بقيت فيها مدى أربعة شهور وأربعة أيام من ١٥ ديسمبر ١٨٢١ الى ١٩ ابريل ١٨٢٢ ٠ وهكذا بدا أن العلاقات الانجليزية الكويتية استمرت طيبة خلال الربع الاول من القرن التاسع عشر ، حتى بدون انضمام الكويت الى معاهدة يناير ١٨٢٠ ، التي حاولت أن تنظم العلاقات بين مشيخات ساحل عمان والانجليز ٠ غير أن هذه العلاقات كانت في الغالب تقوم على أساس علاقات فردية بين الحاكم أو الشيخ وبين رجال الشركة المقيمين بالخليج ، أي لم تكن هناك معاملات تحتاج لتوقيع اتفاقيات خاصة تنظمها ٠

بقي هذا شأن العلاقة بين الانجليز في الخليج وبين الكويت حتى كان عام ١٨٣٩ ، حين صار الخطر التركي المصري باديا أمام أعين الانجليز ، لا سيما بعد

١٨٢٣ لم يورد ذكر الكويت بينها : انظر عنوان المجد ٢ : ٦٧

(١) انظر تقرير Felix Jones في ((Extracts From a Report on the harbour of Grance (or Kuwait) and the Island of Pheleechi , in the Persian Gulf)) .

في Bombay Selection , XXIV , pp . 51—54

أن وقع الشيخ عبدالله بن أحمد اتفاقيته مع خورشيد باشا في مايو ١٨٣٩ • ذلك أنه عندما بلغ مسامع الكابتن هنيل ، المقيم البريطاني في بوشهر هذا النبأ ، باشر باتخاذ الاحتياطات لمنع سريان عدوى تلك الاتفاقية الى اجزاء أخرى من الخليج • ولعل ذلك كان هو السبب ، الذي من أجله سارع ميتلاند ثم هنيل ، الى امارات ساحل عمان ، للتأكد من أنها لن توقع اتفاقيات مماثلة لاتفاقية شيخ البحرين مع المصريين •

الملازم ادموندز في الكويت ،١٨٣٩

ولما كان هنيل يعلم بما سيكون عليه الخطر المصري ، لو أن اتفاقية عقدت مع شيخ الكويت ، تمكن لمحمد علي التحكم في رأس الخليج الشمالي ، باشر ، وهو الذي كان على علم بوجود محمد افندي ، وكيل محمد خورشيد باشا ، بالكويت ، باشر بارسال معاونه الملازم ادموندزEdmunds ، في مهمة خاصة الى شيخ الكويت •

كان كابتن هنيل، فيما يبدو، على يقين من أن شيخ الكويت، سوف يحسن استقبال مبعوثه الملازم أدموندز، ذلك ان الانجليز كانوا ينظرون الى الشيخ جابر دوما على « أنه صديق طيب للحكومة البريطانية » ، وكانت رسائله المتبادلة مع ممثليهم لا تخلو من اللطف والمجاملة. لذلك ظن هنيل ان مبعوثه الذي أرسل تحت ستار التفاوض مع الشيخ جابر على انشاء خط للمواصلات يمتد من الكويت الى البحر الأبيض المتوسط، سيجد كل ترحاب من الشيخ، وأن مفاوضاته معه لن تعترضها أية مصاعب. غير أن ادموندز قد شعر بخيبة أمل منذ البداية، أي منذ أن وصل شاطىء الكويت، ذلك أن اللقاء الذي كان يتوقعه، لم يتم بالحرارة المطلوبة، ولم يوقع شيخ الكويت معه أية اتفاقية وجرت الأحداث كالآتي : في يوم ٣٠ أكتوبر ١٨٣٩ ، وصل الملازم أدموندز في سفينة حربية الى الكويت، وأطلقت حين رسوها في الميناء مدافعها تحية للحاكم وفق العادات المرعية في مثل هذه الظروف ، غير أن هذه التحية لم ترد بمثلها، وعندما أرسل أدموندز رسالة خطية للشيخ، رد عليه الشيخ برسالة شفوية في اليوم التالي أي بعد يوم من

التأخير. كذلك لم يرسل الشيخ أحدا من أقاربه وأبناء البلدة الى السفينة ، للقيام بواجب التحية حسبما جرت به العادة عند الحكام العرب في مثل هذه المناسبات . وهكذا بقي الملازم ادموندز ثلاثة أيام على ظهر السفينة دون أن يتم بينه وبين الشيخ جابر أي اتصال، فما كان منه الا أن طلب مقابلة الشيخ جابر في وقت يحدده الشيخ ، فأجيب ادموندز الى طلبه . ولما وصل ادموندز مجلس الشيخ ، وكان يحيط به نفر من قومه ، لم يقف الشيخ ليحييه وقفة كاملة ، بل حياه دون الوقوف ، وكان لايزال ممسكا بغليونه ولا يزال يدخن ولم يتوقف عن ذلك . ثم لما سأله ادموندز عن عدم رد تحية السفينة ، أنكر أن العادة قد جرت بذلك. ومع ذلك ، فانه أعطى ادموندز رسالة خطية كان قد دونها ردا على رسالة ادموندز السابقة .

ونحن قد تساءلنا من قبل عن السبب في هذا المسلك الذي اتخذه الشيخ جابر من الملازم أدموندز، وكنا قد أجلنا الدخول في مناقشتنا للموضوع الى وقت لاحق، وها قد آن ذلك الوقت.

ان كلا من الملازم أدموندز، والمسترهنيل، لم يثرهما على ما يبدو تصرف الشيخ القاسي تجاه أدموندز، اذ أنهما كتبا بذلك إلى رؤ سائهما في بومباي ، معللين ذلك المسلك من الشيخ جابر على أنه مسلك أملته الضرورة. تلك الضرورة التي كانت تحتم على الشيخ أن يخادع الوكيل المصري لديه، وأن يظهر له أن لا علاقة تربطه بالانجليز، أي أنه لا يكن للانجليز ودا. أي أن الشيخ جابر كان حصيفا في تصرفه فانه ليس في تصرفه ما يجرح الكرامة الانجليزية. وقد أقنع الكابتن هنيل حكومة بومباي والحكومة الانجليزية في الهند برأيه، ولذلك لم يتخذ الانجليز أية اجراءات لاحقة، اذ لم يعتبروا تصرف الشيخ مهينا لهم. وقبل أن نعود لابداء رأينا في الموضوع، لا بد من أن نورد خبرا جاء في تاريخ الاستاذ الرشيد، عن زيارة جماعة من الانجليز للشيخ جابر.

يقول الأستاذ الرشيد تحت عنوان : « جابر والانجليز » :

> يقال ان شلة من الانجليز، هبطوا الكويت أيام جابر ، فحاولوا اقناعه بحمل الراية الانجليزية ، فلم يقتنع • وقال ان الحكومة العثمانية جارتنا ، وجل ما نحتاجه يأتينا من بلدها البصرة ، التي

لها فيها الأمر والنهي • فقالوا ان الكويتيين أيضا محتاجون الى الهند ، وسفنهم تصل اليها ،وهي من مستعمرات انكلترا • فأعطاهم جابر اذنا صماء ، وأخيرا استأذنوه في البناء في الكويت ، فلم يأذن لهم أيضا ، ثم قالوا أتسمح للحكومة العثمانية في نزول بلدك والبناء فيها أم تمنعها كما منعتنا فقال نمنعها من ذلك اذا كان فيه ضرر علينا وعلى بلدنا ، فحاوروه أن يعطيهم صكا بهذا التقرير ،فما أجاب ، فرجعوا أدراجهم من حيث أتوا » •

ويمضي الاستاذ الرشيد فيقول :

« أما متسلم الحكومة في البصرة ، فعندما بلغه مجيئهم الى جابر ، والحديث الذي دار بينهم ، زار جابرا في بلده ، وأخذ يشكره على الدور الذي مثله أمامهم • ويقال ان الحكومة التركية لم ترتب لجابر التمر الذي تقدم الكلام عليه الا لهذا السبب » •

ان الرواية المحلية، كما يسجلها الاستاذ الرشيد بأن شلة من الانجليز هبطوا الكويت، تعني ان ادموندز لم يكن بمفرده في هذه الزيارة، وهذا امر طبيعي، وان هذه الشلة طلبت من الشيخ أن يرضى بحمل الراية الانجليزية، أي يوقع اتفاقا للحماية أو ما شاكل ذلك، وأنه رفض أن يفعل ما طلب اليه، خوفا من اغضاب الاتراك في العراق، نظرا لحاجته الماسة للبصرة. ثم انه أوضح أن حاجة الكويت للبصرة أمس من حاجتها للهند. وأخيرا رفض الشيخ جابر أن يعطيهم تعهدا كتابيا، بأنه سوف يمنع العثمانيين من البناء في بلده، ان كان في ذلك ضرر عليه وعلى البلد.

ومع أن الرواية الانجليزية لا توضح مثل هذه المفاوضات الا اننا لا نستبعد حدوثها للسبب التالي : ألا وهو أن الكابتن هنيل - في سبيل مقاومة التغلغل التركي المصري في الساحل المهادن والبريمي - كان قد قام بزيارة مماثلة، وفي سفينة حربية، لتلك الانحاء في أول يولية ١٨٣٩ ، وهو قد تفاوض مع مشايخ الشارقة وأم القيوين ودبي وأبوظبي والبريمي، ووقعوا له على أوراق أو صكوك،

يتعهدون فيها بعدم التعاون مع الاتراك المصريين، وأن يقفوا من مبعوثيهم موقف المعاداة. وفي مقابل ذلك وعد بتزويدهم بالاسلحة والذخائر لمقاومة أي خطر يتعرضون له وبعد، فهل كان الخطر التركي المصري في الكويت، في هذه الآونة بالذات، على المصالح الانجليزية، أقل منه في امارات الساحل المهادن والبحرين ؟ .

أما أن الانجليز كانوا يسعون الى تأجير اجزاء من ممتلكات الكويت، لاقامة منشئات عليها في هذه الفترة فأمر لا يمكن استبعاده، ذلك أنه في نفس العام، بل وفي نفس الرحلة، عرج الملازم أدموندز، وهو في طريق عودته الى بوشهر، على جزيرة فيلكا، ليرى ما اذا كانت تصلح قاعدة بحرية وحربية للقوات الانجليزية، عوضا عن قاعدتهم في جزيرة خارج. وفي حين أنه رأى عدم صلاحيتها، فانه رأى من ناحية أخرى أن الكويت نفسها صالحة. وكذلك قام في نفس الشهر (نوفمبر ١٨٣٩) الملازم فيلكس جونز Felix Jones من سلاح البحرية الهندية، بإعداد تقريرين عن فيلكة والكويت، أرفقهما بخرائط طبوغرافية (١) .

إن على متتبع نمو النفوذ البريطاني في الخليج، في نصف القرن التاسع عشر الاول، أن لايغفل هذه التحركات التي قام بها هنيل وميتلاند، في ساحل عمان والبحرين، ثم أدموندز في الكويت وفيلكا، لان ذلك سيتلوه تطلعات واكتشافات أخرى في المنطقة يقوم بها مسئول بريطاني آخر بعد قليل (٢) . ان مثل هذه التحركات البريطانية هي أمور طبيعية تتعلق بحياة ونشأة وتطور شـ ىان حياة الامبراطورية البريطانية للهند، نقول إن مثل هذه التحركات كان لابد منها، اذا اريد للامبراطورية ألا تخشى على نفسها من الاختناق، اذا هددت قوة أجنبية شريان حياتها الرئيسي، أي الطريق الى الهند.

---

(١) اعني الكولونيل بلي Pelly

(٢) هو محمد بن خليفة بن سلمان بن احمد الفاتح بن محمد بن خليفة بن فيصل . وقد تولى الحكم في البحرين منذ ١٨٤٣ وحتى ١٨٦٨، بعد ان تنازع مع عبدالله بن احمد منذ ١٨٤٠ وحتى ١٨٤٣ . انظر شجرة آل خليفة في ملحقات كتابنا .

ولا ريب أن اتفاقات أو معاهدات تعقد في تفاهم بين الانجليز والاطـراف المعنية، تفوق في أفضليتها اتفاقات تفرض فرضا على الآخرين. ولقد حرصت السياسة الانجليزية طوال الوقت على افهام هؤلاء الآخرين، أن ما يعقد معهم من اتفاقات إنما فيه مصلحة لهم ، كما فيه مصلحة بريطانيا . أما أي المصلحتين كانت أكثر افادة من هذه الاتفاقيات، فهذا ليس موضعه.

الشيخ جابر ومحاولة التدخل في نزاع شيوخ البحرين

أمـا أن كون علاقـة الشيخ جابـر بقيت طيبـة بالانجليز، فلا أدل عليه من الظروف التي مر بها الشيخ في الفترة ما بين ١٨٤٠ وحتى ١٨٤٥ ، وهو يحاول اصلاح ذات البين بين مشايخ البحرين أو بين شيخين تنازعا السلطة في البحرين آنذاك، وهما الشيخ عبد الله بن أحمد، والشيخ محمد بن خليفة (١) وهو حفيد أخيه سلمان بن أحمد ومع أن هذا ليس موضع مناقشة العلاقات بـين الـكويت والبحرين إلا أنه يكفي أن نشير الى أن الأمور كانت ستتأزم بين البلدين نتيجة لهذا التدخل من الشيخ جابر، لولا وساطة الانجليز بين الأطـراف المختلفـة من آل خليفة (٢) .

العلاقات الانجليزية الكويتية : ١٨٦٣-١٨٦٥

لقد أبقى الانجليز على علاقتهم الودية مع الشيخ جابر بعـد حادثـة المستـر أدموندز المذكورة، ولعل من الطريف أن نذكر أن من بين ما عثرنا عليه في وثائق شركة الهند الشرقية بلندن، قائمة بالهدايا التي كان يقدمها أحيانا المقيم السياسي البريطاني لشيوخ الخليج، أثنـاء زيارات خاصـة، وهـي تدرج عادة في قوائـم المصاريف، ومن جملة من أدرج اسمه نائب حاكم الكويت أو ممثله جاء ذلك في رسالة بعث بها هنيل الى ولوبي WILLOUGHBY تاريخها ٢٤ يولية عام ١٨٤١.

---

(١) انظر مختارات بومباي ٢٤ صفحات ٣٩٩ - ٤٠٧ وكذلك لورمر I, i, 875

(٢) انظر المكاتبة رقم ٣٩ الادارة السياسية ضمن الرسالة السرية رقم ٩٨ المؤرخة ٣٠ نوفمبر ١٨٤١ في الملفات السرية - بومباي مجلد رقم ٣٨ .

« وبلغ ثمن أغلى هدية مائة وستا وثلاثين روبية (١٣٦ روبية) ، وكانت للشيخ خليفة بن شخبوط ، شيخ أبوظبي وهي زوج مسدسات وثلاث ياردات من قماش أحمر اللون . كذلك اهديت لسلطان بن صقر ، شيخ رأس الخيمة هدية مناسبة . وأما هدية نائب شيخ الكويت فكانت بمبلغ مائة روبية (١٠٠ روبية) ، وهي ثاني هدية من حيث الثمن . أما بقية الهدايا فتراوح ثمنها ما بين اثنتين وعشرين ومائة روبية (٢٢ روبية - ١٠٠ روبية) » (١) .

وهكذا فانه عندما أم بلي PELLY الكويت في مارس ١٨٦٣ ، كما سبق القول ، لم يجد في الكويت الا أحسن استقبال . ولقد بينا ما لتقارير بلي الثلاثة من أهمية بالنسبة لدراسة تطور مدينة الكويت ، في هذه المرحلة من تاريخها ، أي فترة نصف القرن ما بين ١٨١٥ و ١٨٦٥ (٢) . ونحن لم نعلق على أهمية رحلته من ناحية سياسية ، ومن ثم يصبح من المرغوب فيه أن نقرأ بعض سطور تلك الرحلات قراءة سياسية .

فأول ما يلفت النظر في زيارتي بلي PELLY للكويت ، أنهما قد اتصفتا بروح الصداقة والود ، وليس اصدق على ذلك الود من ان يرسل الشيخ صباح نجله مبارك لزيارة بلي وصحبه في الجهرة ، حينما علم بوصولهم اليها (٣) . وكذلك ليس ادل على توثق اواصر الصداقة بين الشيخ صباح والانجليز من أنه ارسل ابنه الاكبر عبدالله هذه المرة للقاء بلي وصحبه عند بلوغهم الكويت ، يوم ٤ مارس قادمين من الجهرة . ولو أن الشيخ صباح لم يحسن استقبال بلي ، لما صار بمقدور بلي ان يقرظ الخلق العربي ذلك التقريظ الذي يعجز عنه أي لسان ، فما بالك باللسان الانجليزي (٤) ، وقد انطلق من تحفظه ، وأخذ يكيل المديح للعرب ، ويتنبأ لهم بمستقبل زاهر عظيم (٥) .

---

(١) انظر ما تقدم في هذا الفصل .

(٢) انظر Pelly , Recent Tour , 119

(٣) انظر Pelly , Remarks , 70

(٤) المصدر السابق .

(٥) Pelly , Remarks , 32

ولعل في تعليقات بلى PELLY السياسية والتجارية فيما دونه ليقرأ على حكومة بومباي ، لعل في ذلك دلائل ذات معنى كبير ، استند اليه الانجليز في تعاملهم مع الكويت خلال نصف القرن التالي لزيارة بلى PELLY وحين عقدهم معاهدة ١٨٩٩ مع الشيخ مبارك ، مما سيكون موضوع دراسة في الفصل العاشر من هذا التاريخ ٠ ولسوف نشير الى بعض هذه التلميحات السياسية والتجارية الخاصة بالكويت في ايجاز ٠

عرض بلى PELLY في صدر تقريره لانواع الحكومات في منطقة الخليج ، وأي منها تتبع شاه ايران ، وأي منها تتبع سلطان بني عثمان ، ثم اختار امارات اخرى سماها بامارات تخضع فعليا لشيوخها دون خضوع لشاه او سلطان ، وقال انها خاضعة لزعماء عرب مستقلين (١) ، وكان من بين الامارات الاخيرة امارة الكويت (٢) ٠

وفي صفحة لاحقة ، وبعد ان اظهر بلى ان الكويت لا تخضع لسلطان باشا بغداد ، او متصرف البصرة ، قال : « وسياسة الكويت الجارية هي الحفاظ على الامن والسلام في داخل المدينة وخارجها اي مع جيرانها ٠ وهي لا تدفع زكاة للامير فيصل (الوهابي) ، لكنها تحتفظ بعلاقات صداقة معه » (٣) ٠

وهو في وقت لاحق من هذا التقرير ، يعود ليكيل الثناء على الشيخ صباح ، وذلك لحسن ادراك الشيخ صباح ، لمفاهيم السياسة المحلية في الخليج ، كما كان يدركها والده الشيخ جابر ، وذلك يتضح من القصة التي سبق ان اشرنا اليها ، والتي قصها الشيخ صباح على الكولونيل بلى ، والتي بين فيها الوالد لولده سبيل الحكم والتعاون مع الناس في الداخل والخارج ٠ ولو لم تكن سياسات الشيخ جابر تروق رجال السياسة الانجليز في الخليج ، لما اتصفت به من طابع الاتزان في التصرف بالامور في الملمات ، كما حدث حين زيارة ادموندز ، لما أجهد بلى

---

(١) المصدر السابق : ٣٣

(٢) المصدر السابق : ٧٤

(٣) المصدر السابق : ٧٧

نفسه في تسجيل تلك القصة . والمرء لا يذكر حسنات العدو ، مثلما يذكر حسنات الصديق . ولقد وجد بلي PELLY رحابة الصدر اللازمة بعد ذلك الحديث مع الشيخ صباح ، ليتقبل نقدا وجهه شيخ عجوز للسياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية ، وكذلك نقدا آخر وجهه شاب لسياسة محاربة الانجليز للقرصنة في مياه الخليج .

كما قد تنبأ بلي PELLY للكويت بمستقبل زاهر كمرسى للبواخر ، ومحطة للتلغراف ، وملتقى للسفن النهرية والبواخر ، اي انها ستكون ميناء له شأن عظيم . فماذا عنى بلي بهذا التنبؤ ؟ أيكون شيئا آخر ، غير لفت نظر حكومة الهند الى امكانية الكويت العظيمة في هذا الميدان ؟ ونحن بالطبع ، قد رأينا ما تنبأ به بلي يتحقق في وقت قريب جدا ، بعد اقل من عامين من قراءة تقريره هذا ، اي في عام ١٨٦٦ ، حين صارت الكويت ميناء هاما ترتاده البواخر الانجليزية ، حتى أحنق هذا الامر نامق باشا ، والي بغداد ، نظرا لما أتى به نجاح الكويت من مضار لحقت بتجارة البصرة ، حتى انه هدد باحتلالها ، كما مر بنا القول في نفس العام ، أي عام ١٨٦٦ .

ولعل براعة تعليقات بلي PELLY السياسية ، تتجلى في فقرة وردت في اواخر كلامه على الكويت ، حين قال :

« ذكر لي الشيخ ان عائلته كانت تدفع الزكاة بانتظام لتركيا (١) . غير انني علمت من مصدر آخر ـ أي غير الشيخ صباح ـ أن الكويت ترفع علمها الخاص بها (اشارة الى استقلالها) . ثم انها لم ترفع العلم العثماني الا لكي تتجنب دفع جمارك عالية في بومباي ، بالنظر

---

(١) انظر مختارات حكومة بومباي (٢٤) : ٣٧١ حيث تجد انه حتى ١٨١٧ كانت سفن الكويت ترتاد مياه البحرين بصورة مستمرة ، لتساهم في نقل وتوزيع البضائع التي كان ينهبها القواسم وغيرهم ، وكانت تجد سوقا رائجة في الخليج بعد ان تنقلها السفن من موانىء البحرين . اي ان البحرين كانت نقطة تجمع للمنهوبات ، ومنها يجري توزيعها .

لأن علم تركيا على السفن كان يعني دفع جمرك أقل • ولا شك أن التجارة لها حساسية لا يعاد لها الا حياء المرأة » •

وأخيرا يقول بلي : ومهما يكن من امر ، فسواء كان هذا الاعتراف بسطوة الباب العالي قديما ام حديثا ، فهو اعتراف اسمى ، فاعتراف العرب بالاتراك أقرب ما يكون الى ايماننا بالمواد التسع والثلاثين فنحن نعترف بها جميعا ، غير اننا جميعا ايضا لا نحفظها •

وخلاصة القول في الذي يورده بلي PELLY ، ان الكويت في الستينات من القرن التاسع عشر ، كانت تعترف بسلطة الباب العالي ، في الحدود التي تيسر معاملاتها مع البلدان التي تتعامل معها ، واذا ما تعارضت مصلحة الكويت مع ذلك الاعتراف ، فانها تتجاهله ، ولا يخفى انه لم يكن هناك قانون دولي يحكم علاقة الامارات بالدول الكبرى • وكانت الدولة العثمانية ، اذا ارادت من الامارات ان تعلن تبعيتها لها ، كانت تسوق الجيوش لاخضاعها ، اذا كانت الدولة العثمانية تستند الى حق فتح ، مثل ما حصل اكثر من مرة في تاريخ الاحساء ، التي صارت جزءا من ممتلكات الدولة العثمانية في النصف الاول من القرن السادس عشر ، والتي عادت مستقلة تحت حكم بني خالد طوال القرن السابع عشر والثامن عشر من بعده • أما الكويت ، فلم تكن قد ظهرت الى حيز الوجود ، عندما احتل العثمانيون الاحساء ، وإن رسمت جزيرة العرب كلها احيانا في الخرائط الاوروبية على أنها جزء من الامبراطورية العثمانية • وهكذا يصبح من العسير تفسير قبول شيخ الكويت مائة وخمسين كارة من التمر على انه اعتراف بالدولة العثمانية ، ذلك ان المفروض ان الولايات التابعة للدولة العثمانية ، كانت هي التي تدفع الاموال لبيت المال ، لا العكس • ولعل مشاكل باشوات بغداد في هذه الفترة كانت تنبع من هذه المشكلة ، وهو اعتذار هؤلاء الولاة عن دفع ما عليهم من اموال لاسطمبول • ومن المعروف ان الولاة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، كانوا ينالون الولاية ، بعد أن يتعهدوا بدفع العائدات لعاصمة الخلافة العثمانية ، وهذه مسألة لا تحتاج الى دليل فهي من بديهيات التاريخ العثماني الحديث •

الكويت والبحرين

يبقى بعد أن نظرنا في علاقة الكويت بالعراق العثماني والوهابيين والانجليز ، أن ننظر في علاقة الكويت بالبحرين في عهد الشيخ جابر وولده صباح .

يبدو أن العلاقات القوية التي كانت تربط الكويت بالبحرين ، أو عتوب الشمال بعتوب الجنوب ، منذ أوائل القرن الثامن عشر ، قد فترت بعد تولي الشيخ جابر الحكم في الكويت (١) . ومنذ عام ١٨٣٠ ، كما يقول رجال شركة الهند الشرقية ، العاملين في الخليج توقفت العلاقات الطيبة التي كانت تربط البحرين بالكويت (٢) . بقي حال العلاقات على هذه الصفة حتى عام ١٨٤٠ ، حين دب خلاف دموي بين آل خليفة ، وأخذوا يقتتلون فيما بينهم ، وكان رأسا طرفي النزاع في الأسرة ، هما الشيخ عبدالله بن أحمد ، حاكم البحرين ، والشيخ محمد بن خليفة ، وهو شاب كان يطمح الى حكم البحرين ، وبالفعل ساعدته الظروف بعد ثلاثة أعوام من الصراع ، على أن يطيح بالشيخ عبدالله بن أحمد ويتولى زمام الحكم في البحرين . ونحن كنا نفضل أن لا ندخل حتى في ايجاز هذا الصراع ، لان ذلك من شأن تاريخ البحرين ، لولا ما كان من تدخل الشيخ جابر فيه لأكثر من مرة . ولما كان هذا الصراع يمثل جزءا هاما من تحركات السياسة البريطانية في الخليج ، في هذه الحقبة ، وهي سياسة وصفناها بالصداقة مع الكويت ، صار لا بد لنا من أن نوجز ظروف هذا الصراع المرير .

أما زمان الصراع فهو الفترة ما بين ١٨٤٠ و١٨٤٣ ، وأما مكانه فهو ممتلكات العتوب في قطر والدمام والبحرين . وأما الأطراف المعنية فيه ، فهي عتوب البحرين ، والوهابيون ، والانجليز ، والفرس (في بوشهر) ، والكويت . ذلك أنه في عام ١٨٤٠ ، نزل محمد بن خليفة شواطىء قطر ، ومكن نفسه في ممتلكات آل خليفة هناك ، وبدأ يشن الهجمات على البحرين ، وعلى ممتلكات آل

---

(١) انظر لورمر I, i, 1010

(٢) انظر منتخبات حكومة بومباي : ١٤٩

خليفة في الاحساء والقطيف (١) . بقيت المناوشات بين الشيخ عبدالله بن أحمد والشيخ محمد خليفة ، غير حاسمة حتى عام ١٨٤٢ ، اذ وقع صدام عنيف بين الطرفين في المنامة انتهى بالقضاء على أنصار محمد بن خليفة ، الذي لاذ بالأمير الوهابي عبدالله بن ثنيان ، طالبا منه العون . تقدم عبدالله بن أحمد الى قطر ، واستولى على خور حسن ، وفعل بها مثلما فعل بالمنامة ، أي أطلق يد أتباعه في النهب والسلب . وفي هذه اللحظة طلب بشر بن رحمة ، من المقيم الانجليزي في بوشهر ، أن يسمح له بأن يأخذ جانب محمد بن خليفة في الصراع ، وكان يعلم ميل الانجليز الى جانب محمد . وهكذا صار بمقدور محمد بن خليفة أن يتمركز في قطر بعون من بشر بن رحمة ، وكذلك بعون مماثل من الامير الوهابي ، الذي سعى في اصلاح ذات البين ، في هذا العام ، بين الخصمين دون طائل . ومن أطراف قطر بدأ محمد بن خليفة غزواته على البحرين . وفي عام ١٨٤٣ نزلت قوات محمد بن خليفة بالمنامة ، التي سلمت له دون مقاومة تذكر . وفي أبريل من ذلك العام هوجمت المحرق ، مركز عبدالله بن أحمد ، واستطاع المهاجمون اقتحامها فلجأ عبدالله بن أحمد الى مركب في عرض البحر ، وكان بمقدور محمد بن خليفة أن يستولي على ذلك المركب ، غير أنه وافق على قبول تسليم عبدالله بن أحمد دون قيد أو شرط ، وسمح له أن يغادر البحرين ، ناقلا متاعه الشخصي وبعض أتباعه . ومن البحرين اتجه عبدالله بن أحمد الى الدمام ، وكانت معقله الأخير ، حيث كان يقوم على حاميتها ابنه الأكبر مبارك (٢) . وبعد شهرين من نزوله الدمام أي في شهر يونية ١٨٤٣ ، بدأ الشيخ عبدالله بن أحمد يعترض تجارة البحرين . فما كان من محمد بن خليفة وأنصاره وكذلك الوهابيين ، الا أن

---

(١) انظر لتفصيل هذا الصراع المرير منتخبات حكومة بومباي المذكور آنفا ، صفحات ٣٧١ - ٤١٤ .

(٢) مختارات حكومة بومباي : ٤٠١ . حرص المقيم على ان يفهم الشيخ جابر انه حين يذهب الى البحرين ، عليه ان يوضح للشيخ محمد انه ليس بقادم لمعاداته ، واعادة الشيخ عبدالله بن احمد للحكم . (المصدر السابق) .

فرضوا على الدمام حصارا برمائيا ، مثلت فيه القوات الوهابية الطرف البري في الحصار .

وساطة الشيخ جابر

وعلى الرغم من اعتراض جماعة تابعة للشيخ عبدالله بن أحمد ، في وقت سابق من عام ١٨٤١ ، لسفينة كويتية ونهب حمولتها ، فان الشيخ جابر،مدفوعا بعوامل القربى ، وحبه لفعل الخير ، قرر أن يتوسط في ذلك الصراع الدموي بين أقاربه آل خليفة ، ولم يفته أن يخطر المقيم البريطاني في بوشهر بذلك (١) . ولم يظهر المقيم أية معارضة ، لاسيا وأنه - على مايبدو - قد فهم من الشيخ جابر أنه سيتوجه الى البحرين لفض الخلاف وتصفية آثاره ، وبأن يقنع الشيخ عبدالله بن أحمد بمغادرة البحرين والاقامة في الكويت .

وعلى ذلك ، وفي شهر أغسطس عام ١٨٤٣ ، أبحر الشيخ جابر في صحبة ثمانية سفن كبيرة إلى البحرين ، حيث تداول مع الشيخ محمد بن خليفة في الامر (٢) ، ووصلا الى اتفاق بأن يجتمع عبدالله بن أحمد مع الشيخ محمد لتسوية الخلاف وللمصالحة ، على الشروط التي كان المقيم قد أخبر الشيخ جابر بها ، ولما علم الشيخ عبدالله بن أحمد بذلك الامر أبى ، وهو الذي ما زال يعتبر الشيخ محمد من أتباعه ورعيته كغيره من أهل البحرين ، أن يذهب لذلك اللقاء . وسافر متجها الى بوشهر ليطلب النجدة من الفرس . وهكذا كتب على هذه الوساطة الكويتية النبيلة أن تفشل . ولكي نوجز قصة الصراع نعود الى القول بأن الحصار على الدمام كان يشتد ، وكانت النتيجة أن سقطت المدينة بيد محمد بن خليفة والوهابيين ، بعد أن فشل الشيخ عبدالله في الحصول على عون من الفرس ومن الانجليز في بوشهر ، ومن رأس الخيمة وغيرها . لقد حاول الشيخ عبدالله

---

(١) كان هدف الشيخ جابر من الوساطة ان لاينال الشيخ عبدالله بن احمد ، وهو الطاعن في السن آنذاك ، أي أذى أو تحقير لمقامه ، بعدما ناله من اذى حين طرده من البحرين . (المصدر السابق) .

(٢) انظر منتخبات حكومة بومباي : ١٥٠ - ١٥١ .

بن أحمد جهده أن ينقذ جماعته في الدمام ، وذلك بايصال المؤ ن والذخائر لهم . غير أنه لم يفلح في ذلك ، ويبدو أن الكويت أرادت أن تمد المحاصرين بحمولة سفينتين من الاطعمة والذخائر ، غير أن اسطول البحرين اعترضها في دوحة بلبول ، وأسر السفينتين . ومع أن أسر السفينتين كان في نظر الانجليز عملا قانونيا ، لا يخالف شروط المعاهدات البحرية المعقودة مع شيوخ البحرين والساحل المهادن ، الا أنه تجنبا لخطر الصدام بين البحرين ، و « شيخ الكويت القوى شديد الشكيمة » . نصح الشيخ محمد باعادة السفينتين ، وكانتا فيما يبدو صغيرتين ، الى الكويت (١) . وبعد سقوط الدمام ، لجأ الشيخ عبدالله بن أحمد الى الكويت معززا مكرما عام ١٨٤٤ (٢) . ومع أنه غادرها الى بوشهر ونابند بعد ذلك الا انه عاد لاجئا من جديد الى الكويت عام ١٨٤٥ ، وبقى فيها حتى ١٨٤٦ . وفي اثناء اقامته في الكويت ، لم يكف عن تدبير اعتراض سفن البحرين ، مما دعا المقيم البريطاني في بوشهر أن يلفت نظر شيخ الكويت الى ما تم الاتفاق عليه ، والتنبيه على الشيخ عبدالله بن أحمد ، أن يكف عن ذلك النشاط . وقد تم امتناعه عن ذلك بالفعل حتى غادر الكويت في أواخر ١٨٤٦ (٣) ، وتوجه الى نواحي الدمام التي كانت آنذاك تخضع للوهابيين محاولا التعاون معهم ضد محمد بن خليفة . هذا ولم يكف عبدالله بن احمد عن محاولة العودة الى البحرين وحكمها ، الى أن توفاه الله في مسقط عام ١٨٤٩ ، حين كان يحاول اقناع عدوه اللدود السيد سعيد بالقيام بمهاجمة البحرين . ومن الطريف بالذكر أن محمد بن عبدالله بن أحمد ، حاول فيما بعد عام ١٨٦١ غزو البحرين من الدمام بمساعدة الوهابيين ، غير أن الانجليز حذروا الوهابيين من مساعدته ، والا فانه سينفى الى الكويت أو الى ايران . ونحن لا نعرف أين نفي بعد طرده وهربه من الدمام ، أمام المهاجمين الانجليز في هذا التاريخ ، غير أننا

---

(١) المصدر السابق ٤٠٦ وكذلك Lorimer , I , i , 877

(٢) انظر Lorimer , I , i , 877 وكذلك صفحة ١١١

(٣) Lorimer , I , i , 1011

نعلم أنه نفي اليها عام ١٨٦٩ ، وان لم يبق بها طويلا (١) .

هذه هي علاقة الكويت بالبحرين ، خلال حكم جابر وولده صباح ، ولعل القارىء يلحظ أن الانجليز لعبوا دورا كبيرا في طرد عبدالله بن احمد من امارة البحرين ، ذلك أنهم لم ينسوا دوره في توقيع الاتفاقية مع محمد أفندي ، ممثل خورشيد باشا في البحرين . وبالفعل ذكروه بذلك في احدى زياراته لبوشهر ، حينما طلب منهم العون ضد محمد بن خليفة (٢) . ولعل الناظر في قصة الصراع بين شيوخ البحرين ، وما كان يجري بين الاطراف العديدة فيه ، يلحظ ما اتصف به شيخ الكويت ، من خلق رفيع ودبلوماسية بارعة ، في تسيير دفة السياسة الخارجية لبلده في ذلك الوقت العصيب .

هذا ما كان من أمر سياسة الكويت مع جيرانها ، في هذه المرحلة من حكم الشيخين جابر وصباح . على أن أحوال المدينة نفسها كانت آخذة في التقدم المضطرد ، وقد ظلت أحوالها الداخلية تسير رتيبة ، كما كانت خلال حكم الشيخ عبدالله بن صباح ، فبقي القضاة يمارسون أعمال القضاء (٣) . كما أن أمور الدولة السياسية بقيت بيد الحاكم ، وأما التجار ، فقد بقي شأنهم في خدمة البلدة قائما . ولا ريب أن الفترة ما بعد ١٨٤٠ ، قد شهدت نشاطا تجاريا مرموقا ، بالنظر لادخال السفن البخارية ميدان التجارة ، وزاد بالتالي نشاط البريد والنقل البحري (٤) ، كما سنراه فيما بعد ، وما ذلك الا لعدل الحكام وحرية التجارة في مدينتهم (٥) . ولقد كان من عادة الشيخ صباح ، ولربما من عادة والده الشيخ جابر من قبل ، أن يخرج للسوق ، الذي كان يعقد خارج البوابة الرئيسية ،

---

(١) انظر منتخبات حكومة بومباي : ٤٠٥

(٢) انظر سلسلة القضاة في عهد جابر وصباح ابنه ، القناعي . صفحات من تاريخ الكويت : ٣٦ - ٣٧

(٣) انظر Lorimer , I , i , 1013

(٤) Pelly , Remarks , 73

(٥) المصدر السابق : ٧٤ .

ليراقب البيع والشراء ، خارج أسوار المدينة ، بين أهل المدينة والبدو ، الـذين كانوا ينصبون الاكواخ والخيام في ذلك المكان ، الذي اتخذوا منه سوقا لبيع اللحوم والزبد . ولم ينـــس بلي PELLY في تقريره المشار اليه آنفا ، أن يذكر أن أهل الكويت يحافظون على صوم رمضان ، اذ أنه تصادف وجوده فيها مع صيام ذلك الشهر (١) ، ولقد لفت نظر بلي كذلك أن زواره من اهل الكويت ، ممن كانوا يترددون على البيت الذي قدمه لهم الشيخ صباح أثناء أقامتهم ، كانوا كغيرهم من أهل البلدة لا يدخنون ، ولا يشربون الشاي ، اذا زاروهم أثناء النهار ، وقبل مغيب الشمس . هذا عن الناحية الاجتماعية ، وأما الناحية التجارية فموضعها في فصل قادم

---

(١) المصدر السابق : ١١٩ .

الفصل الثامن

عبدالله بن صباح ١٨٦٦-١٨٩٢م

محمد بن صباح ١٨٩٢-١٨٩٦م

عبدالله بن صباح ١٨٦٦-١٨٩٢م
محمد بن صباح ١٨٩٢-١٨٩٦م

تولى عبدالله الثاني الحكم بعد وفاة والده صباح الثاني ، ولم يكن عبدالله الثاني صغير السن عند تسلمه زمام الحكم ، اذ كان قد جاوز الخمسين عاما من عمره ، ولبث في حكمه للكويت حتى عام ١٨٩٢ ، وهي حقبة كانت حرجة في تاريخ الكويت وشرقي الجزيرة العربية . ذلك أن القوى الرئيسية التي كانت تؤثر في سير الاحداث في المنطقة ، كانت اما متخاصمة مفككة داخليا ، كما كان حال الدولة السعودية ، على ما سنراه فيما بعد ، أو كانت تسعى لاعادة نفوذها او تأسيس نفوذ وسيطرة لم تكن لها من قبل ، ونعني بذلك العثمانيين ، او قوة كانت تقف راصدة للاحداث ، لتحافظ على ابقاء الحال دون تغيير ، ونعني بذلك الانجليز . وقبل ان ندخل في علاج هذه الامور السياسية ، يستحسن ان نذكر شيئا عن صفات الحاكم الجديد ، الشيخ عبدالله الثاني .

ان المعلومات التي ترد عن حكم الشيخ عبدالله في المصادر الاجنبية لا تدخل في شرح مطول لصفات ذلك الحاكم . ولكن لما كان عهده غير بعيد عن ايام المؤرخين الكويتيين ، الرشيد والقناعي ، فلعل ما افادنا به هذان المؤرخان يقدم لنا فكرة واضحة عن شخصيته ، تلك الشخصية التي يمكن للمؤرخ ان يرى ملامحها في وضوح بعد توليه الحكم ، حينما ترد اشارات عديدة ، اليه في مدونات معاصرية من ممثلي حكومة الهند في الخليج ، حينما ساهم مساهمة اساسية في الحملة العثمانية على الاحساء في السنوات الاولى من العقد السابع في القرن التاسع عشر .

يصف القناعي الشيخ عبدالله بانه كان « حسن السيرة ، ساكن الطبع ، دمث الاخلاق ، ليس عليه مظهر الامارة وعظمتها ··· يعيش عيشة القانع في مأكله وملبسه ومسكنه ··· لم يتعد على احد ··· وكان محبوبا لدى جميع الاهالي » (١) ·

أما الرشيد فيقول فيه : « لا يدل ظاهر عبدالله على حذق ، ولا على فطنة او كياسة ، ولكنه اذا وقع في مأزق ضيق لا يلبث ان يتخلص منه » (٢) ·

وهكذا لا نجد الكثير في ما دونه هذان المؤرخان الكويتيان · غير ان الاعمال التي قام بها عبدالله الثاني حين ساهم في الغزو العثماني للاحساء ، وهو ما يعرف بحملة مدحت باشا ، والي بغداد ، على الاحساء ، سيظهر للقارىء صفات غير موجودة في الوصفين السابقين ، لها دلالتها على مقدرة سياسية بارعة توفرت لدى عبدالله الثاني · جعلته في نظرنا خليقا بان يسمى باسم جده عبدالله الاول ، الذي وضع حجر الاساس في تكوين دولة الكويت ، وهو امر اوضحناه فيما سبق · ولننتقل الان الى الحملة العثمانية على الاحساء (١٨٧١ - ١٨٧٣) ، لنرى الدور الكبير الذي لعبته الكويت في نجاحها ·

الحملة العثمانية على الاحساء (١٨٧١ - ١٨٧٣)

بينا في الفصول الماضية كيف أن العثمانيين ، بعد ان فتحوا العراق تقدموا جنوبا في شرقي الجزيرة واحتلوا الاحساء عام ١٥٥٥ ، وكيف ان بني خالد قد خلفوهم في حكمها في القرن السابع عشر والثامن عشر · وكذلك ذكرنا أن الحكم العثماني في شرقي الجزيرة صار بعد ذلك اسميا لا فعليا · ويبدو ان والي بغداد الجديد ، مدحت باشا ، الذي تسلم مقاليد الولاية عام ١٨٦٩ ، كان يطمح الى اعادة النفوذ العثماني الفعلي الى الاحساء من جديد ، ومن ثم بقي يرقب فرصة سانحة ليضع طموحه موضع التنفيذ · وحانت الفرصة للوالي الجديد

---

(١) انظر القناعي ، صفحات : ٢٠

(٢) انظر الرشيد ، تاريخ الكويت ، الجزء الثاني : ٢٨

للتدخل في شئون نجد وشرقي الجزيرة العربية ، حين انقسم آل سعود على انفسهم ، واستعرت نيران الصراع بين عبدالله وأخيه سعود أولاد فيصل بن تركي آل سعود ، بعد وفاة والدهما بقليل ٠

الصراع بين عبدالله وسعود

اننا لم نكن لنعني بتاريخ الصراع بين ذينك الاخوين ، لولا انه يمس تاريخ الكويت من قريب ، ولقد لعبت الكويت دورا كبيرا في ايواء اللاجئين اليها من آل سعود في القرن التاسع عشر ، وكذلك تعرضت الكويت للغزو الوهابي من قبل في اواخر القرن الثامن عشر (١) ، وجاء دورها من جديد لتتأثر بالصراع بين عبدالله وأخيه سعود ، وتؤثر في ذلك الصراع ايضا ٠

بعد وفاة فيصل بن تركي عام ١٨٦٥ ، صار الحكم الى نجله الاكبر عبدالله ، غير أن بوادر الشقاق بين عبدالله وسعود ، قد بدأت ايضا في ذلك التاريخ ، ولم تمض بضع سنوات على حكم عبدالله ، حتى اتضح ان معظم الحاضرة من رعايا الدولة السعودية ، قد صار يقفون في صف عبدالله ، وانفرد سعود بالبادية ٠ ولسنا هنا بصدد التعرض لتفاصيل الصراع بين الاخوين ، ولكن يكفي ان (سعود) استطاع ان يستولي على مقاليد الامور في الدولة ، واضطر عبدالله الى اللجوء الى آل رشيد ، حكام جبل شمر في نجد الشمالي ٠ ومن حائل مركز آل رشيد ، بدأ عبدالله يتصل بوالي بغداد يستعديه على أخيه ، واعدا بأن يقدم ولاءه الكامل للباب العالي ، لا سيما وان الباب العالي كان قد منحه لقب قائمقام نجد بعد وفاة والده فيصل عام ١٨٦٥ ، حينما صارت امور الدولة السعودية بيديه ٠ وهذا المنح لا يعني ان عبدالله قد صار تابعا للباب العالي ، اذ انه قد حافظ على استقلاله الى ان تغلب عليه سعود ، فطلب حينئذ نجدة الباب العالي ٠

ويبدو ان الباب العالي ، وواليه على بغداد مدحت باشا ، كانا بانتظار مثل هذا الحدث وهذه الدعوة ، اذ ان فكرة اعادة النفوذ العثماني للاحساء ونجد ،

---

(١) انظر ما سبق ، صفحات ١٢٦ - ١٢٧

كانت قائمة ، لا سيما وان ممتلكات الدولة العلية كانت قد بدأت في التقلص في كل من البلقان وعلى الحدود مع روسيا في آسيا ٠

موقف الحكومة البريطانية وحكومة الهند من الحملة

غير ان الاستعدادات للحملة في بغداد ، ومباركة اسطمبول لها ايضا ، قد اثار مخاوف الانجليز في كل من لندن والهند ٠ ومع ان الدخول في تفاصيل الموقف البريطاني امر ليس هذا موضعه ، غير اننا لا نستطيع تجاهله تماما ٠ ذلك أن بريطانيا كانت قد وطدت اقدامها في منطقة الخليج العربي القريبة من الاحساء ، ونعني بذلك ما كان من ارتباط الساحل المهادن بمعاهدة ١٨٦١ البحرية ، وكذلك ارتباط البحرين ومسقط بها ايضا ٠ ثم لان الانجليز كانوا حريصين على ان لا تختل موازين السلم البحري في مياه الخليج ، لا سيما بعد أن تأكدوا من ان مدحت باشا قرر استخدام سفن بحرية في نقل جنوده الى موانىء الاحساء ٠ وكذلك تخوف الانجليز من ان تشترك البلدان العربية المجاورة لنجد والاحساء في المعركة ، لا سيما المعارك البحرية ٠ فلقد تخوفوا مثلا من انضمام سواحل عمان المهادنة الى جانب سعود ، وكذلك البحرين ، لا سيما بعد ان كانوا واثقين من وقوف الشيخ عبدالله بن صباح ، حاكم الكويت الى جانب عبدالله بن فيصل ، وهو ما وقع بالفعل ، واخذوا يرقبون سير الاحداث عن كثب ٠ وان المتتبع للمراسلات والمناورات الانجليزية في كل من بغداد واسطمبول (١) ، يتضح له ان الانجليز انما كانوا حريصين على ان لا تنتقص حملة الاحساء هذه من نفوذهم في مياه الخليج ، اذ انهم كانوا حريصين على البقاء سادة مياهه ، ثم مد نفوذهم في بعض بلدانه برا ، وهي البلدان التي ارتبطت معهم باتفاقية خاصة عام ١٨٦١ ، ونعني بذلك مسقط والساحل المهادن والبحرين ٠ فما دام العثمانيون لم يتعرضوا لتلك السيادة او لتلك البلدان ، فسوف يبقى موقف الانجليز في الخليج هو

---

(١) انظر المراسلات الموجهة من تلك المدينتين الى كل من بريطانيا (لندن) والى حكومة الهند .

موقف المراقب ، والملاحظ ان الانجليز لم يدرجوا ذكر الكويت بين تلك البلدان ، والسبب في ذلك انها لم توقع معهم اتفاقية ١٨٦١ ٠ ولعل من اهم الاسباب التي كانت تحدو بشيخ الكويت لعدم توقيع اتفاقيات مع الانجليز ، هو حرصه على عدم اغضاب جيرانه العثمانيين في ولاية بغداد ، لا سيما وان الكويت هي اقرب تلك البلدان الخليجية اليها ٠ والى ذلك الموضوع ومساهمة الكويت الفعلية في الحملة سنعود بعد قليل ٠

سير الحملة

تجمعت الحملة العثمانية المؤلفة من جنود أتراك وفرسان من عرب المنتفق في البصرة ، وكان عدد الجند العثماني يبلغ ٣ آلاف بينما بلغ عدد الفرسان العرب الفا وزودت الحملة بتسعة مدافع ميدان ٠ وحملت السفن الحربية العثمانية عددا كبيرا من الجند الاتراك ، وتقدم الفرسان العرب على طريق البر ، ويبدو ان نقطة التجمع كانت الكويت ، التي اعدت اسطولها البحري وكذلك كثيرا من الفرسان العرب ليتجهوا برا الى نقطة التلاقي للقوات البحرية والبرية في الاحساء ٠ وفي يوم ٢٠ ابريل عام ١٨٧١ حملت باخرة حربية عثمانية عددا يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ جندي على ظهرها ، وتحركت من البصرة باتجاه الجنوب ، وكذلك غادرت بطريق البر قوة المدفعية وبعض الخيالة ٠ وفي يوم ٢٣ ابريل تبع هؤلاء عدد اكبر من المشاة وآخرون بطريق البحر ، ويبدو ان كلا من السفن والحملة البرية قد تجمعت في الكويت ، حيث انضم اليها فرسان من عرب الكويت ، وحيث حملت السفن الكويتية المعدات والذخائر ٠

بعد أن تقابلت السفن والحملة البرية عند رأس تنورة يوم ٢٦ مايو تحركت جموع الجيش بحرا وبرا متجهة الى هدفها الاول وهو القطيف ، التي رفض قائد حاميتها التسليم ، وفي هجوم بحري قام به اسطول الكويت ، وبري قام به الجيش العثماني ، سقطت المدينة بعد ان امطرتها القوات المحاصرة بالقنابل ولم تدم معركة القطيف سوى ثلاث ساعات ، وكان سقوطها يوم ٣ يونيه ٠ وقد تلا نافذ باشا قائد الحملة على سكان المدينة اعلانا سنعود الى تحليل محتوياته فيما بعد ٠

ثم تحركت الحملة جنوبا لمهاجمة الدمام ، التي سقطت بيد المهاجمين يوم ٥ يونيه دون ان تقاوم الغزو ٠

وفي اوائل يوليه واصلت الحملة زحفها متجهة الى واحة الاحساء التي بلغتها بعد اسبوعين ، وذلك بعد ان قاسى الجنود من هول الامراض ، ومن قلة توفر الاطعمة ، وقد فقد نحو ٤٠٠ جندي حياتهم على الطريق الى الواحة وكان الف جندي يقاسون المرض ٠ كذلك دب المرض في حامية القطيف وحامية العقير ٠ وهكذا بدا ان تقدم الحملة نحو الرياض صار شبه مستحيل ٠ الا ان القتال حول الرياض قد استمر بين عبدالله وسعود ، وكانت النتيجة هزيمة عبدالله الذي التجأ الى المعسكر العثماني في واحة الاحساء (الهفوف) ٠

وفي هذه الاثناء توجه الشيخ عبدالله بن صباح الى الدوحة بحرا في مهمة لخصت بانها كانت تهدف الى اقناع محمد بن ثاني للانضمام الى صف الاتراك ٠ وقد رفع العلم العثماني في الدوحة نتيجة لهذه الزيارة ، وانما كان ذلك بسبب اقناع جاسم بن محمد آل ثاني بالعرض التركي ، رغم رفض والده لذلك العرض ٠ وكان هدف جاسم بن محمد آل ثاني فيما يبدو محاولة استخدام الاتراك في محاولة التخلص نهائيا من النفوذ الذي كان لآل خليفة على قطر ، وهذا أمر خارج بالطبع عن نطاق سيرة الحملة التي نحن بصددها ٠

وفي أواخر عام ١٨٧١ قرر مدحت باشا القيام بجولة تفتيشية على قواته في الاحساء ، وهي القوات التي كانت تحتل القطيف والدمام والعقير ، والمعسكرة بواحة الاحساء ٠ وقبيل وصول مدحت باشا الى الاحساء كان عبدالله بن تركي ، عم سعود ، قد اجبر على مغادرة الرياض ، مما حدا بسعود ان يتجه الى الاحساء مقيما ما بين القطيف وواحة الاحساء يجمع اعوانه من البدو ويغير على طرق تموين الجيش العثماني في الواحة ، غير انه طرد من تلك الديار واضطر الى اللجوء الى قطر ٠ وبوصول مدحت باشا الى الاحساء ونزوله في القطيف ، وبعد أن وجد ان كلا من عبدالله بن فيصل وأخيه سعود ، قد صارا بلا حول ولا طول ، اعلن ان نجدا والاحساء انما يخضعان للادارة العثمانية مباشرة ، وذلك بناء على التماس قدمه له تجار وزعماء الاحساء ، وهو يعلن لذلك أن حكم آل سعود قد

انتهى وان نافذ باشا قد عين متصرفا لسنجق نجد الذي يضم الاحساء ٠ ولما سمع عبدالله بن فيصل باعلان مدحت باشا المذكور فر من المعسكر التركي بالهفوف ، واستنكر الاعلان قائلا بان العثمانيين انما جاؤوا الى الاحساء لاعادة حقه الشرعي في حكم ديار آل سعود ، لا ليخلفوه في حكمها ٠ ومن الرياض بعث عبدالله الى اسطمبول يعلن انه لا زال مستعدا للخضوع لسلطان الدولة العلية بشريطة ان تعترف الدولة به حاكما على نجد والاحساء ٠

أما مدحت باشا فعاد من جولته التفتيشية في شرقي الجزيرة العربية الى بغداد يوم ٢٨ ديسمبر عام ١٨٧١ ٠ وبقي حكم العثمانيين في الاحساء الى مارس ١٨٧٤ ٠ عندما سلم متصرفها فريق باشا الحكم الى اكبر شيوخ بني خالد وهو براك بن عريعر (١) ، وذلك بضمان من عديله ناصر باشا السعدون زعيم المنتفق ، وانسحبت جميع القوات العثمانية تبعا لذلك من الاحساء عائدة الى بغداد ، مخلفة وراءها للدفاع عن الجبهة ، بين الاحساء ونجد ، فرقة من الجندرمة ٠

هذا ما كان من امر الحملة التي أعدها مدحت باشا لكي تعيد النفوذ العثماني الى شرقي جزيرة العرب ، في خطة طموحة كان هدفها فيما يبدو اعادة بسط نفوذ الدولة العلية على كل ارجاء شبه الجزيرة العربية ٠ ولنعد الان الى معالجة موضوع اشتراك الكويت في هذه الحملة محاولين شرح الدور الذي لعبته الكويت بقيادة الشيخ عبدالله الثاني بن صباح فيها ٠

الكويت والحملة العثمانية على الاحساء ١٨٧١ - ١٨٧٣

تورد الروايات المحلية الكويتية ، وكذلك السجلات التاريخية المعاصرة ، لا سيما الانجليزية منها ، انباء مساهمة الكويت في الحملة العثمانية ولعام ١٨٧١ ،

---

(١) من الجدير بالملاحظة ان فعل العثمانيون ما فعله المصريون من قبل في عام ١٨١٨ بعد تدميرهم الدرعية ، الا وهو اعادة حكم الاحساء الى بني خالد ، حكامها السابقين . والغريب ان يقوم العثمانيون بمثل ذلك التصرف تجاه بني خالد ، وهم الذين طردوا آخر الولاة العثمانيين من الاحساء في اوائل القرن السابع عشر .

في وضوح يبرز الدور الذي لعبته الكويت فيها ، وبالتالي في تاريخ شرقي الجزيرة العربية • وقبل ان نشرح الاسباب التي حدت بالكويت دون غيرهـا من دول شرقي الجزيرة ، بالمساهمة في الحملة الى جانب العثمانيين ، سوف نتحدث عن دور الكويت في مسيرة الحملة •

كانت الكويت هي نقطة التجمع للقوات الزاحفة برية وبحرية على حد سواء • وهذه مسألة تلفت النظر حقا ، اذ ربما تساءل القارىء عن السبب الذي جعل السفن العثمانية تتوقف في الكويت ، وتتابع الحملة من هناك • ولعل تفسير ذلك يعود الى امرين ، أولهما أن تلك السفن حينما غادرت البصرة ، لم تكن محملة بالذخائر ولذلك كان لا بد للجيش المحمول على ظهرها ان يتزود بذخائره من الكويت من ناحية ، وأن تحمل معظم تلك الذخائر على عشرات السفن التي وعدت الكويت الحملة بها ، والتي بلغ عددها نيفا وثلاثمائة سفينة (١) • وثانيهما التأكد من وصول القوات العربية البرية قوات المتنفق الى الكويت ، في طريقها الى الاحساء جنوبا • و ونحن نعلم أن هذه ليست هي المرة الاولى التي تمر فيها القوات العثمانية عن طريق الكويت ، فقد حدث ذلك مع حملة ثويني ، زعيم المنتفق ، وحملة علي باشا ، كيخيا بغداد في اواخر القرن الثامن عشر (٢) • والامر الذي يسر للقوات العثمانية استخدام ميناء الكويت ، ليس فقط ترحيب الشيخ عبدالله بالمساهمة في الحملة ، بل عدم مقدرة السلطات البريطانية العاملة في الخليج على التدخل في شؤ ون الكويت الداخلية لتمنع مساهمة الكويت في الحملة بارسال سفنها للقتال بحرا ، والخيالة بقيادة الشيخ مبارك بن صباح ، للقتال برا • ولقد خشي الانجليز بالفعل ان تحذو بلدان الساحل المتهادن و ومسقط والبحرين حذو الكويت في المشاركة بالقتال في صف احد الفريقين المتخاصمين • ولذلك بادر الانجليز بالاتصال بشيخ البحرين وشيوخ الساحل المتهادن لتذكيرهم باتفاقية عام ١٨٦١ المعقودة بينهم وبين

---

(١) لقد تناول الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت المجلد الثاني (٢٩ - ٣٠) موضوع حملة ١٨٧١ بالتعليق والشرح .

(٢) انظر ما سبق ص ١٣٩

الانجليز من ان لا يشتركوا في قتال بحري او بري ، حتى ولو تعرضت بلدانهم لخطر داهم نظرا لان القيام بالدفاع عنهم قد التزمت به القوات الانجليزية العاملة في الخليج العربي (١) . أما الكويت فلم تكن طرفا في تلك الاتفاقية ، ولا حتى في اتفاقية عام ١٨٢٠ ، معاهدة الصلح العامة . ذلك ان تلك الاتفاقيات بين الانجليز والبلدان المذكورة سابقا انما نشأت بسبب انغماس تلك الدويلات في أعمال القرصنة البحرية ، وتلك أعمال لم تشترك الكويت فيها في أية فترة من تاريخها .

دور عبدالله الثاني في الحملة

ولعل من المناسب ان نذكر أن الشيخ عبدالله ، عندما ساهم في الحملة العثمانية ، لم يكن دوره دورا مألوفا ، بل العكس هو الصحيح ، فلقد اكثرت المصادر المعاصرة للحملة من ذكر اسم عبدالله الصباح ، والادوار التي كان يقوم بها كعضو عامل نشط في الحملة . فهو أولا كان على رأس القوة الكويتية البحرية ، فهو اذن المسئول الاول عنها ، وهي قوة كبيرة حقا ، وهي كثيرة العدد ، شديدة الفاعلية ، فأول معركة اشتبكت فيها الجيوش العثمانية وحلفاؤها كانت موقعة القطيف (٢) والذي تولى ضرب القطيف من البحر انما كان الاسطول الكويتي ، ولا شك ان تسليم القطيف ، وهي الميناء المحصن ، لم يكن ليتم بالسرعة التي تم بها ـ ثلاث ساعات ـ لولا شدة القذف من البحر . ولعل القارىء يتساءل من جديد عن السبب الذي ـ كما يبدو من الوثائق المعاصرة ـ جعل السفن البحرية العثمانية لا تشترك في قذف القطيف بالقنابل . والجواب على ذلك سهل ميسور لمتتبع مقدمات الحملة ، وما وعد به كل من الباب العالي ومدحت باشا الانجليز ، من انهم لن يستعملوا اسطولهم العثماني في احداث قد تعكر صفو السلم البحري ، الذي أقامته بريطانيا فيه . اما الكويت فكانت في

---

(١) انظر الملحقات في آخر الكتاب فيما يتعلق باتفاقية ١٨٦١ .

(٢) كانت القطيف أحد الميناءين الرئيسين في الاحساء والميناء الثاني كان العقير . وكانت محصنة تحصينا جيدا لرد الهجوم عليها سواء أجاء من البحر أم من البر .

حل من استخدام قواتها البحرية ، بدون تقيد ببنود ذلك الاتفاق ٠

كذلك حين تقدمت الحملة جنوبا لتحتل العقير ومدن واحة الاحساء كالهفوف ، وبعد ان انتهت مقاومة سعود بن فيصل في الاحساء ، وحين بدأت الجماعات البدوية ، التي بقيت على ولائها لسعود تغير على خطوط مواصلات الحملة التموينية ما بين القطيف والهفوف قادمة من البوادي المجاورة ومن قطر ، كلف عبدالله بن صباح ان يتصل بحاكم الدوحة في قطر ، الشيخ محمد آل ثاني ليقف في صف العثمانيين ضد الوهابيين ٠ ومع أن محمد آل ثاني ، رفض الانضمام الى الجانب العثماني ، ورفع العلم العثماني على الدوحة ، فان ابنه الشيخ جاسم بن محمد ، قبل أن يفعل ذلك مدفوعا فيما نظن بالامل في ان يساعده العثمانيون في التخلص من بقايا نفوذ آل خليفة في الزبارة وغيرها من نواحي قطر ٠ اننا لن نتطرق هنا الى الخلاف بين آل ثاني وآل خليفة حول الزبارة وغيرها من ممتلكات العتوب في قطر ، فذلك موضعه تاريخ البحرين او تاريخ قطر ٠ ولكن يجب ان لا يغرب عن بالنا امران ، اولهما ان آل خليفة وآل صباح هم أولاد عم وأبناء جماعة واحدة هي جماعة العتوب ، والامر الثاني ان الدولة العثمانية كانت لا تزال تعتبر البحرين من البلدان التابعة لها ، وهو ادعاء أوضحه خورشيد باشا ، عندما بعث معاونه محمد رفعت أفندي الى البحرين عام ١٨٣٩ ، وحين عقد مع حاكمها الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة معاهدة مايو ١٨٣٩ ٠ وقد استند محمد خورشيد باشا في ادعائه ان البحرين جزء من ممتلكات الدولة العلية ، الى حقيقة ان البحرين كانت تدفع الزكاة لآل سعود ، وأنه كان آنذاك قد صار هو البديل لآل سعود ، بعد ان استولى على ملكهم في نجد والاحساء ، في اعقاب احتلال الجيش المصري العثماني للحجاز في العقد الثاني من القرن التاسع عشر ، ونجد والاحساء بعد ذلك في العقد الثاني ثم في الرابع من نفس القرن ٠ وبالطبع لم يكن من الميسور للعثمانيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ان يقوموا بما قاموا به في نصفه الاول ٠ اذ ان ارتباطات البحرين بالانجليز قد وطدتها المعاهدات المعقودة بين الطرفين ، وكانت بريطانيا بمقتضاها قد وافقت على ان تمنع اي اعتداء خارجي قد تتعرض له البحرين ٠

وسؤ ال آخر لا بد أن يخطر ببال المؤ رخ والقارىء على حد سواء هو هل دخل عبدالله بن صباح الحرب الى جانب العثمانيين ، دون أن يتعهد العثمانيون له بدفع نفقات اشتراك الكويت في تلك الحملة ؟ أغلب الظن ان عبدالله بن صباح كان قد اشترط على العثمانيين ان يدفعوا له نفقات الحرب (١) ، وذلك لان وقوفه بجانبهم وهم في أمس الحاجة الى اسطول الكويت ، لا بد ان يكون كلف الكويت نفقات باهظة ، ثم ان الكويت لم تتخلف عن مد العون للقوات العثمانية والقوات العربية المرافقة لها ، حين تكللت الحملة بنجاح ، وحين ترك الجيش العثماني حاميات في معظم المدن الهامة التي احتلها ، وهي حاميات كانت دوما بحاجة الى مزيد من المؤ ن والذخائر العسكرية ، وكذلك حينما كانت السفن الكويتية تحمل جندا الى تلك الحاميات ليحلوا محل العساكر القائمين على حراستها (٢) ٠

ولعلنا نشير ايضا في هذا المقام الى ان ثلاثة من آل صباح قد ساهموا في هذه الحملة ، اثنان وهما عبدالله وأخوه مبارك ، صحبا الحملة منذ بدايتها في شهر ابريل عام ١٨٧١ ، ثم محمد بن صباح ، الذي سافر الى القطيف والاحساء في اواخر عام ١٨٧٢ ٠ ولا ريب ان تواجد احد الاخوة في الاحساء بصفة دائمة كان امرا ضروريا نظرا لان الكويت كانت تسهم بصورة مستمرة بارسال الجند والتموين منها الى تلك الديار ٠

ولقد ذكرنا قبل قليل ان نافذ باشا ، بعد ان فتحت القطيف ، خطب في أهلها شارحا لهم بعض امور الادارة العثمانية ، ووعدنا بالعودة الى التعليق على بيانه ٠

ورد في البيان ما يلي : أولا أن نجدا وتوابعها هي جزء من الامبراطورية العثمانية شأنها في ذلك شأن العراق واليمن ومصر ٠ وثانيا ان سعودا قد اطاح بعبدالله ، القائمقام الشرعي ، وأن غرض الحملة هو اعادة عبدالله لتسلم مهام

---

(١) انظر في رسائل موجهة من الخليج (مجلد ٢١) رسالة تاريخها ٢٠ يوليه ١٨٧٢ صفحات ١٤١ - ١٤٧ .

(٢) انظر نفس المصدر (مجلد ٢٠) رسالة صادرة من البحرين بتاريخ ١٣ فبراير عام ١٨٧٢ ، صفحة ٥٤٣ .

السلطة • وثالثا أن عفوا عن سعود سوف يصدر حين يستسلم ، ويعتذر للدولة عن سوء تصرفه ، واذا هو لم يفعل ذلك فانه ، وكذلك كل من عاونه سيتعرضون للمطاردة والهلاك •

ورد هذا في بيان نافذ باشا في القطيف ، فماذا حدث حين وصل مدحت باشا الى الاحساء ؟ لقد ذكرنا قبل قليل ان مدحت باشا اعلن وضع ملك آل سعود تحت ادارة الباب العالي مباشرة ، وان نافذ باشا قد عين متصرفا على سنجق نجد • وذلك يعني ان غرض الحملة لم يكن في واقعه العمل على اعادة الوريث الشرعي ، اي عبدالله بن فيصل الى كرسي الحكم ، بل تنحيه عبدالله وأخيرا سعود ايضا عن الحكم ، واعادة نجد والاحساء الى حظيرة الدولة العثمانية ، وبالتالي الغاء استقلالهما •

حملة الاحساء واثرها على الكويت خليجيا ودوليا

ان المتتبع للدور الذي لعبته الكويت في هذه الحملة سياسيا وعسكريا لا بد ان يرى بوضوح المركز السياسي الهام ، الذي كانت ستؤول اليه الكويت على الصعيدين المحلي والدولي • وأنه لا بد من توفر قدر كبير من الحصافة السياسية لدى المسئولين فيها ، حتى يستطيعوا تجنب أخطار كانت محدقة ببلدهم • **فأولا** رأى عبدالله بن صباح كيف كانت أهداف الدولة العلية ترمي من وراء هذه الحملة الى اعادة نفوذها الى كل المنطقة دون تمييز بين صديق وعدو (١) • **ولعله** قد ادرك ما قد يخبئه له مدحت باشا حين سمع باعلانه في الاحساء ان دولة آل سعود قد دالت نهائيا ، وأن حكامها لن يعودوا لتولي السلطة • وكذلك رأى أن الانجليز لا يستحسنون سياسة وضعه اسطول الكويت في خدمة الدولة العلية • وكذلك لا بد انه قد أدرك أن القوى البحرية العربية الاخرى المتصالحة مع الانجليز ، لا توافقه على ما ذهب اليه ، وهي في الواقع قد طلبت من الانجليز ان

(١) تذكرنا هذه الصداقة بالصداقة التي كانت قائمة بين المستر Manesty ، ممثل شركة الهند الشرقية في البصرة ، والشيخ عبدالله بن صباح . انظر لذلك نص الرسالتين المتبادلتين بينهما بتاريخ ١٧٨٩ في ملحقات الكتاب .

يمنعوا مساهمة الكويت في الحملة ، ولكن الانجليزية لم يكن بمقدورهم ان يفعلوا ذلك لان الكويت لم تدخل معهم في أية اتفاقية • فكان عليه ان يحتاط لهذا وذاك ، اذا اراد ان يحتفظ باستقلال بلده عن الطرفين • وأن يبقى الكويت على أهبة الاستعداد لرد اي عدوان خارجي •

وكذلك يدرك المتتبع لسير الاحداث خلال اعوام ۱۸۷۱ ـ ۱۸۷۳ ، أن الشيخ عبدالله ، وكان قد مضى عليه أكثر من خمسة أعوام حاكما لمدينة الكويت ، لم يكن يتمتع بلقب « قائمقام » العثماني ، وانما انعم عليه مدحت باشا بذلك اللقب حين توقفه في الكويت ، وهو في طريقه لتفقد احوال الحملة العثمانية في الاحساء في اوائل نوفمبر عام ۱۸۷۱ بعد ان كان عبدالله بن صباح قد عاد الى الكويت من تلك الديار الجنوبية • ولذلك يكون منح عبدالله بن صباح ذلك اللقب ، انما هو بمثابة التكريم له نظرا لخدماته التي قدمها مختارا للحملة ، ولم يكن ذلك الانعام ليعني اكثر من لقب تكريمي •

على أن العلاقات بين الكويت وولاية بغداد العثمانية ، لم تكن دوما طيبة ، ولعلنا نستدل على ذلك مما جرى على الالسنة في بغداد ونقل الى مسامع عبدالله بن صباح ، من أن الحكومة العثمانية كانت تفكر في التدخل في شئون الكويت ، محاولة ازاحة اسرة الصباح عن كرسي الحكم ، وذلك لانهم يوالون آل سعود ومضت الرسالة تقول « لان فريق باشا يكن في قلبه عداوة لهم ويعتبرهم خونة للحكومة العثمانية ، وأنه اثبت للسلطات التركية أن ذلك هو واقع الحال • كذلك كان من اسباب غضب فريق باشا أيضا رفض مبارك الصباح العودة إلى الاحساء ، كل ذلك جعل ممثل الانجليز في الخليج ادواردز Edwards يذكر في احدى رسائله قولا يؤكد الكلام السابق » (۱) •

ومهما يكن من امر ، فان عبدالله بن صباح ، قد استطاع بما أوتي من بعد النظر والحكمة في معالجة موقف الكويت اثناء تلك الفترة الحرجة ـ فترة الحملة

---

(۱) انظر نص الرسالة صادرة من البحرين كتبها غلام حسين بتاريخ ۱۳ فبراير عام ۱۸۷۲ وموجهة الى بيلي Pelly في بوشهر في المجلد رقم ۲۰ .

على الاحساء ـ ان يجنب الكويت الوقوع في قبضة ولاة بغداد العثمانيين ، وهكذا تكون الكويت قد استطاعت المحافظة على استقلالها في هذه الفترة ، بنفس الطريقة التي جنبها عبدالله الاول بن صباح الاول مخاطر مماثلة .

عبدالله بن صباح وآل سعود

لقد بينا في الفصول الماضية ، ونحن نعرض سياسة الكويت تجاه جيرانها من العرب ، ان الكويت كانت تجير من يلجأ اليها من الحكام الذين يضطرون لمغادرة ديارهم ، وهذه عادة عربية أصيلة حافظت الكويت عليها طوال تاريخها السابق ، فهل حافظ عليها عبدالله الثاني خلال حكمه ؟ وهل كان بمقدوره ان يلتزم بها لا سيما بعد أن كان طرفا في النزاع الذي نشب بين العثمانيين في بغداد وآل سعود في نجد والاحساء ؟

تتحدث الروايات المحلية ، وكذلك الوثائق التاريخية المعاصرة عن الاخوة الثلاثة من آل سعود وهم عبدالله وسعود وعبدالرحمن اولاد فيصل ، وكيف أنهم تواجدوا باطراف الكويت ، أو نزلوا بها بعلم مسبق لحاكم الكويت ، وأحيانا بغير علم منه . وكذلك تتحدث نفس المصادر عن قبائل عربية نزلت بأرض الكويت لتتجنب المشاكل التي كان سيعرضها لها بقاؤها في متناول سعود بن فيصل . ولعل القارىء يستطيع ان يستشف من اخبار هؤلاء جميعا ، ما يجعله يدرك بنفسه مدى الاحترام ثم الاستقلال الذي كانت تتمتع به الكويت في تلك الحقبة من تاريخها ، بين جيرانها في الجزيرة العربية وفي العراق .

فبعد ان تغلب سعود بن فيصل على أخيه عبدالله ، لجأ عبدالله الى الكويت عام ١٨٧٢ وأقام بها فترة من الزمن معززا مكرما (١) على الرغم من تهديد سعود لشيخ الكويت بالهجوم على بلده ، ان سمح لاخيه عبدالله بن فيصل بالبقاء فيها . فما كان من شيخ الكويت الا ان قبل التحدي وتعرض لسعود وقواته حتى اضطرها للفرار ومغادرة أرض الكويت ، وكانت قيادة القوات الكويتية معقودة

---

(١) Lorimer , I , i , 1015

لمبارك بن صباح (١) ولعل السبب في ازماع سعود على مهاجمة الكويت ما كان من سماح شيخها لاخيه عبدالله بالاقامة في نواحيها ، بعد ان غادر الاحساء عندما اعلن مدحت باشا عام ١٨٧١ ، نيته على ان تتولى الدولة العثمانية ادارة نجد والاحساء ادارة مباشرة ٠ كان عبدالله في بداية الامر قد توجه الى الرياض في محاولة للصلح مع أخيه سعود ويبدو ان محاولته فشلت ، وبقي الانقسام في صفوف آل سعود قائما ، مما دعا عبدالله للاقامة في اطراف الكويت لفترات متعددة خلال اعوام ١٨٧١ ـ ١٨٧٤ ٠ والملاحظ في هذه الفترة عن سياسة الكويت تجاه العداء بين آل سعود والدولة العثمانية ، ان شيخ الكويت وقف موقفا حياديا مدى الفترة المذكورة ، وقد نقل لعبدالله بن فيصل رسالتين من والي بغداد اولاهما ان الوالي العثماني يعرض عليه وظيفة قائمقام في عمان ، وهذه رفضها عبدالله بن فيصل (٢) والثانية ان العثمانيين عادوا ليعرضوا عليه ان يتولى الاحساء والقطيف شريطة ان يدفع زكاتهما للدولة (٣) ٠

عبدالله بن صباح والبحرين

كان من الطبيعي ان تستمر العلاقات السياسية مع البحرين قائمة في عهد عبدالله الثاني ، وأن تكرم الكويت وفادة آل خليفة ، اذا لزم الامر واضطر احدهم للاقامة بها ٠ وقد حدث هذا الامر بالفعل حين ابعد الشيخ محمد بن خليفة عن الحكم في البحرين عام ١٨٦٧ وصار امر البحرين في يد أخيه علي ٠ وحين اقترح الشيخ علي بن خليفة على الانجليز ان يعيدوا أخاه الى البحرين ، ما

---

(١) يذكر عبدالعزيز الرشيد في تاريخ الكويت ، المجلد الثاني ، ص ٣٥ ان قوات سعود كانت قد ضربت خيامها في الوفرة . انظر ايضا رسائل الخليج مجلد ٢٣ سياسي وسري ، ص ٧٣٥ ، حيث يرد فيها ان سعودا كان ينوي مهاجمة الكويت نظرا لتواجد اخيه عبدالله بها بعد فشل محادثات الصلح بين الاخوين والتي جرت في الرياض عام ١٨٧١ .

(٢) انظر المصدر السابق رسالة بتاريخ ٩ اغسطس ١٨٧٣ صفحات ١٥١٧ - ١٥٢٠ وكذلك ١٥٥٥ - ١٥٥٦ .

(٣) المصدر السابق ايضا في المجلد ٢٤ رسالة بتاريخ ٢٠ يناير ١٨٧٤ صادرة من البحرين وموجهة الى المقيم البريطاني في بوشهر ص ٢١٣ .

لبث الشيخ محمد أن تآمر على الحكم ، مما جعل الانجليز ينفونه خارج البلاد ، حيث اختار الاقامة بالكويت (١) • ولقد اراد الشيخ عبدالله بن صباح ان يصلح بين الاخوين ، فأرسل اخاه الصغير محمد بن صباح الى البحرين كرسول خير بين المتخاصمين • غير أن المهمة لم تكلل بالنجاح وعاد محمد بن خليفة للصراع مع أخيه ، وهو صراع يخرج عن نطاق تاريخ الكويت • كذلك قام الشيخ مبارك الصباح بزيارة ودية للبحرين عام ١٨٨٣ (٢) حيث جرى له استقبال حافل ، وقدمت له الهدايا العديدة قبل عودته الى بلده الكويت • ولقد اثارت زيارة مبارك هذا الشكوك في نفوس الانجليز الذين كانوا قد وطدوا علاقاتهم السياسية بالبحرين في أعقاب اتفاقية ١٨٦١ • وكان مصدر الشك تخوفهم من أن يكون الشيخ مبارك يحمل رسالة لشيخ البحرين من الاتراك ، ولعل الانجليز قد نسوا ان الشيخ مبارك الصباح هو وآل خليفة انما هم ابناء عمومة • ولعل هذه الزيارة جاءت لتؤكد لآل خليفة ان الكويت تحتفظ لهم بخالص الود •

انتقال الحكم الى محمد بن صباح (١٨٩٢ - ١٨٩٦)

وفي عام ١٨٩٢ انتقل حكم الكويت الى محمد بن صباح شقيق الشيخ عبدالله ، وذلك على أثر وفاة الاخير • ولم يطل حكم الشيخ محمد كثيرا • اذ انه توفي مقتولا عام ١٨٩٦ • ولسوف نعود الى ذلك الحادث المؤسف في تاريخ الكويت فيما بعد •

تذكر الرواية المحلية ـ القريبة من عهد الشيخ محمد بن صباح ـ أنه قد أشرك معه في الحكم أخاه جراحا وعاونه فيه ايضا أخوه مبارك •

يبدو أن حكم الشيخ محمد كان استمرارا لسياسة اخيه عبدالله الثاني • فعلى أثر اضطراب الاحوال مجددا في الاحساء عام ١٨٩٣ ، كلف أخاه الشيخ مبارك

---

(١) الرشيد ، المجلد الثاني ، ٣٠ - ٣٥ .

(٢) Lorimer , I , ı , 1015

بن صباح بالتوجه الى الاحساء ، فسار على رأس قوة كبيرة من عربان بادية الكويت ، حتى بلغ الاحساء زاحفا بالطريق البري •

تشير الرواية المحلية ، حيث تتحدث عن حكم محمد بن صباح ، الى دماثة خلقه ، ونزاهته ، وتواضعه ، وحبه لمجالسة العلماء ، غير انه كان ضعيف الارادة • وتتحدث هذه االمصادر عن اشتراك الاخوة الثلاثة محمد وجراح ومبارك ، في ادارة شئون الكويت بعد وفاة اخيهم الشيخ عبدالله الثاني بن صباح • وكأنما اقتسم الاخوة شئون الحكم ، فاختص محمد بأمور مدينة الكويت المحلية وجراح بادارة المالية ، وكان نصيب مبارك الاشراف على أهل البادية النازلين في اطراف الكويت (١) • وقد رأينا الشيخ مبارك يقود القوات البدوية الكويتية الى الاحساء في الحملة العثمانية عليها عام ١٨٧١ ، وكذلك نراه يعود اليها ، عندما دعت الحاجة عام ١٨٩٣ • غير ان هذا التوزيع في الاختصاص ، كان في رأي هؤلاء الكتاب المعاصرين للاحداث ، هو السبب المباشر الذي ادى الى صراع الاخوة في نهاية الامر (٢) •

واذا أردنا ان نجمل القول في فترة حكم عبدالله الثاني بن صباح وفترة حكم أخيه محمد ، نقول ان الكويت كانت في خلال الثلاثين عاما التي وليا فيها امور الحكم ، قد استمرت تنعم بالاستقرار الداخلي ، وبحسن العلاقات التي تربطها بجيرانها العرب ، كما انها بقيت بعيدة عن التحالف مع بريطانيا ، حتى ذهب الانجليز في مراسلاتهم الرسمية الصادرة من مقيمهم السياسي في بوشهر ، يصفونها بالانحياز الى جانب الدولة العثمانية ، ولا ريب ان العلاقات العثمانية البريطانية لم تكن طيبة في منطقة الخليج العربي ، وذلك بالنظر الى ان الانجليز ، بعد ان فرضوا سياستهم البحرية على مياه الخليج ، وبعد ان ارتبطوا بمعاهدات واتفاقات مع بلدان ساحل شرقي الجزيرة العربية باستثناء الكويت ،

---

(١) القناعي ، صفحات من تاريخ الكويت ، ٢١ وكذلك الرشيد ، المجلد الثاني ، ٣٧ .

(٢) ينظر من اجل تفاصيل هذه الحادثة عبدالعزيز الرشيد المجلد الثاني ، ٣٧ - ٤٤ وكذلك **Dickson , The Arab of the Desert** , 266—273

كانوا يرقبون بمنتهى الحذر اي تحركات قد يقوم بها العثمانيون في مياه الخليج أو سواحله في هذه الحقبة من تاريخ الكويت ، كما كانوا قد راقبوا تحركات حملة محمد علي باشا ، والي مصر العثماني ، في نجد وفي الاحساء ، من قبل ، ما بين عام ١٨١٨ وعام ١٨٣٩ • ومع ذلك يظهر جليا من السجلات البريطانية الرسمية ، ان الكويت كانت لا زالت تحتفظ باسطول تجاري وحربي كبير في تلك الحقبة ، كما كان عليه حالها في المائة عام السابقة لحكم الشيخ عبدالله بن صباح وأخيه محمد • ونحن وان كنا لا نريد أن ندخل في بحث تجارة الكويت في هذه الحقبة في هذا الموضع من كتابنا ، فيكفي أن نشير الى ما ذكره الرحالة الانجليزي دوتي Daughty من أن أهل القصيم كانوا يعملون في التجارة التي حملتها جمالهم من الكويت الى نجد (١) • كما وأنه عندما أدرج تجارة ابن الرشيد المصدرة للهند ، قرر انها كانت ترسل الى الكويت لتنقل على ظهر السفن الكويتية من ميناء الكويت الى الهند (٢) • ولا ريب أن هذه التجارة آنذاك ـ عام ١٨٧٦ ـ كانت كبيرة لان دوتي مضى يقول ان ابن الرشيد ، امير حائل ، يغطي نفقاته ببيعه المتواصل طوال العام للخيول النجدية للهند ، فهي تشحن بناء على الطلب من الكويت ، في دفعات تبلغ الواحدة منها عشرين حصانا • ومن الكويت يصحبها خدمه الى الهند حيث يتغيبون عن حائل مدى شهرين تقريبا • كذلك تدل ضخامة العدد في السفن الكويتية التي اشتركت في حملة العثمانيين الى الاحساء عام ١٨٧١ ، والبالغ عددها ما بين ٣٠٠ ـ ٤٠٠ سفينة ، على مدى ازدهار التجارة الكويتية • فمثل ذلك العدد من السفن لا يمكن ان يمتلكه اهل بلد لا ينتفعون به (٣) • وبعد ، فلقد ورث مبارك بن صباح من اخوته ، بالاضافة الى الاستقرار السياسي والتقدم الاقتصادي ، مشاكل جديدة ولدتها المطامع الدولية في الكويت ، بالنظر لموقعها الجغرافي الهام في الركن الشمالي الغربي من

---

(١) Doughty , Travels , II , 312

(٢) المصدر السابق ، ٤٦ و ٤٣٨ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٣٤٨ من اجل الحديث عن القوافل المتجهة من الكويت الى عينزة والمحملة بالملابس والاقمشة .

الخليج العربي ، ثم بالنظر لما امتاز به جونها من مرسى عميق للسفن ، جعله يأتي في مقدمة موانىء الخليج على ساحله الغربي • ولسوف يختص فصل قادم بعهد مبارك بن صباح ، وسندرس فيه كيف عالج الشيخ مبارك المشاكل آنفة الذكر وغيرها ايضا • ولنلتفت الان الى ما كان عليه حال التجارة الكويتية حتى هذه الحقبة من تاريخها •

الفصل التاسع

تجارة الكويت منذ التأسيس حتى عصر النفط

يتوقف النشاط التجاري في العادة على عوامل كثيرة منها ، الموقع الجغرافي للبلدان ، ثم توفر وسائل النقل والبضائع ، ومقدار اهتمام السكان بالعمل في ميدان التجارة ٠ والكويت بموقعها في الركن الشمالي الغربي من الخليج ، وبما حبتها به الطبيعة من ميناء ممتاز ، وبموقعها على طريق نقل بحري معروف منذ القدم ، ثم بحكم اتصالها بقوافل الصحراء ، كانت مؤهلة لان تحتل مركزا تجاريا هاما منذ نشأتها ، واذا أضفنا الى تلك العوامل ، انشغال اهلها منذ بداية تأسيسها في الغوص على اللؤلؤ ، ومساهمتهم في التجارة بهذه السلعة ، وكذلك بغيرها ، جعلها تتقدم في هذا الميدان خطوات سريعة وواسعة ٠ وعلى ذلك رأينا ان نقدم في هذا الفصل عرضا للطرق التجارية ، بحرية وبرية ، التي كانت تربطها ، ليس فقط بمدن العتوب الاخرى في الجنوب اي في الزبارة بقطر والمنامة بالبحرين ، وانما بمسقط في الجنوب والبصرة على شط العرب ، وحلب بسوريا ٠

الطرق التجارية ـ البحرية منها والصحراوية

لا بد ان التجارة المنقولة من دويلات العتوب واليها كانت تتبع الطريقين القديمين للتجارة في هذه المنطقة ونعني بهما طريق الخليج البحري اولا ، ثم طرق القوافل ثانيا ٠ أما بالنسبة للطريق الاول فان سفن العتوب بالاضافة الى السفن الاخرى التي كان يمتلكها عرب مسقط (١) كانت على وجه التقريب تحتكر نقل

(١) يمكننا القول انه ، باشتثناء سفن بوشهر ، لم تكن هنالك سفن بضاعة تعمل في الخليج في النصف الثاني من القرن الثامن عشر يمتلكها عرب الخليج سوى مسقط وسفن

البضائع عبر مياه الخليج العربي • ولقد كان من عادة السفن التي يمتلكها التجار من عتوب الكويت والزبارة والبحرين ان ترسو محملة بالبضائع في موانىء مسقط والبصرة وبوشهر (١) والموانىء الاخرى الهامة في الخليج حسب ما تقتضيه ظروف ظهور موانىء جديدة في مياهه (٢) • غير انه لما صارت سفن الكويت قادرة على بلوغ الهند والمتاجرة معها ، وذلك في الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، فانها قد توقفت عن الرسو في مسقط واخذت تبحر مباشرة من الهند الى الموانىء العتبية وذلك لكي تتجنب دفع الاتاوات لسلطان مسقط • وليس لدينا ما يفيد بان سفن الكويت كانت تسافر الى المخا ببلاد اليمن للمشاركة في نقل القهوة الى الخليج العربي (٣) ونستطيع ان نقول في ايجاز أن اسطول الكويت قد ساهم بقسط كبير في نقل التجارة البحرية الخاصة بالخليج ، بل هو في الواقع كان ثاني اسطول لنقل تلك التجارة بعد اسطول مسقط • ولم تأت سنة ١٨٩٠ حتى كانت •

« سفن العتوب قد صارت من العدد والحجم بحيث احتكرت جميع

العتوب . اما تجار البصرة فيبدو انه لم تتوفر لديهم سفنهم الخاصة آنذاك .

(١) « منذ ان استولى العتوب على البحرين ، استحكم العداء ، وكان من نوع سلبي ، بينهم وبين الفرس ، وقضى ذلك على الصلات التجارية بين الطرفين ، وهي صلات كانت قائمة قبل ذلك الحادث وكانت منافعها متبادلة بين الطرفين » .

قارن : Saldanha : Selections From State Papers , 409

ويشير هذا التقرير نفسه في مقام آخر (ص ٤٢٣) ، والتقرير الذي كتبه مانيستي وجونز ، إلى ان « الاتصال بين سكان شاطىء الخليج قد استمر على نطاق ضيق جدا » بعد احتلال البحرين ، وهو التقرير الذي اشرنا اليه باسم مختارات سلدنها في الفصول السابقة .

(٢) يبدو أن العتوب قد استفادوا من اقامة الهولنديين لوكالتهم التجارية في جزيرة خارج في الفترة ما بين ١٧٥٤ - ١٧٦٥ ، وعلى الرغم من أننا لا نجد دليلا واضحا يبين مقدار استفادة العتوب ، لاسيا عتوب الكويت ، من تلك الوكالة ، فان ما أدرجه آيفز Ives من من حديث عن علاقة شيخ الكويت بالبارون كنبهاوزن Kniphausen ، يدل دلالة واضحة على ان العتوب كانوا على صلة تجارية بجزيرة خارج .

(٣) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٨ .

النقل البحري للبضائع المحمولة بين مسقط وساحل جزيرة العرب ، الواقع على الخليج ، وكذلك جزءا رئيسيا من البضائع المحمولة بين مسقط والبصرة» (١)

ولعله من سوء الحظ حقا اننا لا نجد وصفا دقيقا لجميع انواع المراكب التي كانت تمخر عباب الخليج • وعلى ذلك فان الانواع المختلفة منها والمستعملة آنذاك كالبغلة والجلبوت والداو والدنكية وغيرها تبقى اسماء بدون دلالة كبيرة بالنسبة لما كانت تعنيه لا سيما بعد ان اختفت الاشكال والانواع المستعملة منها في القرن الثامن عشر والتاسع عشر (٢) •

قوافل الصحراء

كانت السفن احدى وسيلتين لنقل التجارة في منطقة الخليج العربي ، اما الوسيلة الثانية فكانت قوافل الصحراء التي كانت تنقل البضائع من الموانىء العتبية وغيرها على شاطىء الخليج الى البلدان المحيطة بالخليج ، وكذلك الى مناطق بعيدة عنه •

ان أهمية « طريق القوافل الصحراوي العظيم » في نقل البضائع بين آسيا واوروبا في القرن الثامن عشر بالذات لم تحظ بانتباه احد من الدارسين على ما نعلم حتى وقتنا الحاضر • اذ لم تظهر دراسة جدية لذلك الموضوع (٣) على

---

(١) يبدو ان نقل المحصول السنوي من القهوة كان حكرا على ما سمي باسطول القهوة المسقطي الذي كان ينقلها الى البصرة ومختلف موانىء الخليج .

انظر : Parsons , op . cit, 157

وكذلك انظر مختارات سلدنها : ٤١٨ .

(٢) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٩ .

(٣) يصف الكابتن جينور Jenour الدنكية باختصار في كتابه :

The Route to India Through France etc .

المنشور بلندن سنة ١٧٩١ (ص ٣٦) فيقول :

« ان هذه المراكب ليس لها من الظهر سوى جزء بسيط تحت الدفة يغطي تلك البضائع التي يتلفها ماء المطر اذا تساقط عليها ، اما مؤخر المركب فهو اعلى من اي جزء آخر فيه ، والدنكية على العموم رديئة الصنعة ، لا تتوفر فيها وسائل الراحة ، ولا يتحكم في سيرها =

الرغم من ان قوافل الصحراء استمرت تحمل البضائع ما بين الخليج والبحر الابيض المتوسط خلال هذه الفترة من التاريخ ، بعد أن حملتها منذ مئات السنين من قبل . ان دارس شئون عتوب قطر والبحرين والكويت يجب ان يوجه اهتمامه

= الا بصعوبة فائقة » . ويختم هذا الكتاب حديثه عن الدنكية ناصحا الرحالة الاوروبيين بأن لا يسافروا عليها . أما المستر ج . أ . ستوكولر فقد سافر من بومباي الى الكويت عام ١٨٣١ على ظهر بغلة كويتية وقد وصفها لنا وصفا طريفا ، كما تحدث عن حب الكويتيين لركوب البحر فقال : « ان البغلة مركب كبير تتراوح حمولته ما بين (مائة) ومائتي طن ، وأما مؤخرتها فهي مرتفعة واما مقدمتها فمدببة ، وبها قمرة واسعة واحدة قائمة على سطح مائل وبها قاعات ونوافذ بالمقدمة ، وبها شراعان مربعان كبيران واحيانا يكون شراع في مقدمتها ، وهي تبني عموما في كوشين واماكن اخرى على ساحل الملبار ، ويستخدمها في الملاحة التجار من العرب والهنود في نقل التجارة ما بين بلاد العرب وفارس والساحل الهندي . والبغلة المسماة (النصر) التي حجزت عليها سفرتي في مقابل مائة وخمسين روبية ، كان بحارتها نحو اربعين او خمسين من اهل القرين او الكويت الواقعة على الشاطىء الغربي للخليج . أما قائد السفينة فكان « نوخذة » انيقا في مقتبل العمر . وكان البحارة يبدون احتراما لهذا القائد اشبه ما يكون باحترام الابناء لسلطة والدهم ، وكانوا يمزجون طاعتهم لاوامره بعلامات من الاحترام تبدو غريبة كل الغرابة لأجنبي انجليزي مثلي . ان النوخذة لم يساهم في تسيير المركب عندما كان يقطع طريقه الى مسقط ، فذلك الامر قد ترك الى رجل عربي متقدم في السن ، كان على دراية تامة باستخدام المزولة ، وكانت ملاحظاته في غاية الدقة بحيث اننا بلغنا رأس الحد في الوقت الذي حدده بالضبط . انظر :

Stoqueler , **Fifteen Months Pilgrimage** , Vol , I , pp . I — 3 .

اما لو Low فيصف البغلة بانها مركب عظيم الحجم تبلغ حمولته ما بين ٢٠٠ – ٣٠٠ طن وهو مسلح بعدة مدافع والبغلة مركب يعمر طويلا ، وان واحدة منها قد بنيت في عام ١٧٥٠ كانت لاتزال تبحر في عام ١٨٣٧ » . انظر :

Low , **History of the Indian Navy** , Vol , I , p . 169 .

« أما الداو العربي (المصدر السابق) فهو مركب تتراوح حمولته ما بين ١٥٠ – ٢٥٠ طنا واحيانا تزيد عن ذلك . . . ويمكن التمييز بين الداو والبغلة بوجود دهليز طويل ناتىء من مقدمة السفينة يختص به الداو من دون البغلة » . وقد اختفت المراكب من طراز الداو من الخليج حوالي عام ١٨٧٦ (المصدر السابق) .

الى تلك القوافل ، لانها تعني الكثير بالنسبة للعتوب (١) والعتوب كجماعات ذات اهمية صاعدة في شرقي الجزيرة العربية وقبائل لها نشاط تجاري ، مضوا في استخدام طرق القوافل التقليدية التي كانت تمر عبر ديارهم • وهكذا فان البضائع التي كانت تفرغ في شرقي الجزيرة العربية كانت تنقل الى الاجزاء الداخلية منها عبر طرق القوافل المعروفة من العقير والزبارة والقطيف (٢) وليس لدينا دليل واضح على قيام قوافل مسقط تحمل البضائع متجهة الى الشمال في

---

(١) كتب عالمان بارزان مقالتين عن « الطريق البري الى الهند » في الفترة التي نحن بصدد التعرض لها . اولهما Hoskins ومقالته بعنوان :

The Overland Route to India في مجلة (History) المجلد التاسع ، ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، صفحات (٣٠٢ - ٣١٨) وثانيهما الاستاذ Furber ومقالته بعنوان :

((The Overland Route to India the Seventeenth and Eighteenth Centuries))

في مجلة التاريخ الهندي (J . I . H) (المجلد ٢٩ لعام ١٩٥١ صفحات ١٠٦ - ١٣٣) . وتتحدث كل من المقالتين عن استخدام كل من البحر الاحمر والخليج العربي في نقل مراسلات شركة الهند الشرقية الانجليزية . غير اننا لا نجد في اي منهما اي ذكر لنقل البضائع على ظهور القوافل . الا ان المقالتين هامتان من حيث تعرضهما لنقل مراسلات الشركة الانجليزية .

(٢) ان معلوماتنا عن « الطريق الصحراوي العظيم » وكذلك عن القوافل في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، قد استقيناها من مذكرات الرحالة الاوروبيين الذين استخدموا تلك القوافل في عبورهم للصحراء من حلب الى الخليج العربي والعكس . ولعله يجدر بنا ان نذكر ان معظم هذه المذكرات قد دونها رجال كانوا يعملون في خدمة شركة الهند الشرقية الانجليزية . ومن بين اولئك الرحالة ، الذين عبروا الصحراء في العقد السادس من القرن الثامن عشر برثولوميو بليستد Bartholomeu Plaisted اما مؤلفه فهو :

((Narrative of a Journey from Basra to Aleppo in 1750 .

ثم جون كارمايكل John Carmicael ومؤلفه هو :

Narrative of ajourney from Aleppo to Basrain 1750.

وهاتان الرحلتان قد نشرهما D. Carruthers في مؤلفه . Desert Route to India المنشور في لندن عام ١٩٢٩ . وقد تبع هذين الرجلين في عبور الصحراء الدكتور آيفز Ives ، وذلك في عام ١٧٥٨ . اما قصة الطريق الصحراوي بعد هذا ، كما رواها الرحالة الغربيون فهي موجزة . ففي سنة ١٧٦٥ دون نيبور Niebuhr وصفا لهذا الطريق نفسه ، وذلك من =

طريقها الى البصرة • غير ان الاشارة الى « بريد الصحراء السريع » (١) الذي كان يسيره وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية بمسقط من تلك المدينة الى البصرة ليعلن وصول سفن الشركة الى مسقط ، فيها دلالـة كافية على ان ذلك الطـريق الصحراوي القديم لا يزال مستعملا (٢) • ومهما يكن من امر فان هنالك دليلا واضحا على ان القوافل كانت تحمل بضائعها من الكويت وتنقلها من ثم الى بغداد وحلب • واقدم اشارة لمثل هذه القوافل يمكن ان نجدها في رحلة الدكتور آيفز في عام ١٧٥٨ (٣) • ويبدو ان هذه القوافل قد استمرت في سفرتها تلك حتى عام ١٧٨١ وعندها ولاسباب مجهولة توقفت القوافل عن المرور بالكويت حتى سنة ١٧٨٩ وربما بعد ذلك بقليل (٤) •

= معلومات استقاها من بدوي كان قد قام بهذه الرحلة اكثر من مرة ، وكذلك اعتمد على احد تجار البصرة في وصفها

(Voyage en Arabie , II , p . 198 ff)

وبعد ذلك في عام ١٧٧١ قطع الصحراء على نفس الطريق الجنـرال السـير ايركوت Sir Eyre Coote بادئا رحلته من البصرة الى حلب (انظر وصفا لرحلته في :

(Geog . Journal , Vol . XXX , p . 198 ff .)

وفي سنة ١٧٧٤ قام ابراهام بارسونز A . Parsons برحلة هدفها الاستطـلاع التجـاري وذلك من الاسكندرونه على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، الى بغداد والبصرة . وفي سنة ١٧٧٨ سافر الكولونيل كبر Capper بالطريق البري الى الهند . وفي سنة ١٧٨١ سافر المستر ارون Irwin ، وهو موظف في شركة الهند الشرقية بمدراس ، يحمل « رسائل على جانب كبير من الاهمية ولا تحتمل التأخير » من حلب الى بغداد فالبصرة فالهند . اما في عام ١٧٨٥ - ٨٦ فلدينا تقرير المستر جوليوس جريفش Julius Griffiths عن نفس الرحلة من حلب الى البصرة . وفي سنة ١٧٨٩ سافر الميجور جون تايلر Major John Taylor وهو موظف بشركة الهند الشرقية في بومباي بالهند ، الى الهند بنفس الطـريق الصحـراوي ، وسجل رحلته بتفصيل دقيق جدا . وقبل ذلك في عام ١٧٨٥ قام بنفس الرحلة من حلب ايضا الكابتن ماثيو جينور Mathew Jenour وفي سنة ١٧٩٧ سافر على الجزء الشمالي من هذا الطريق الرحالة اوليفير Olivier في طريقه من حلب الى العراق .

(١) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٨

(٢) الاشارة هنا الى حملة البريد من العرب راكبي النياق السريعة .

(٣) قارن Parsons , op . cit . , 203 بخصوص ارسال هؤلاء المراسلين العرب .

(٤) انظر : Ives , op . cit . , 222—225

تكوين القافلة

لا بدلنا في هذا المقام من ان نتحدث بايجاز عن كمية البضائع التي كان بمقدور القافلة ان تنقلها ، وهذا بدوره كان يتوقف على تكوين القافلة نفسها •

كانت القوافل (١) في العادة تتكون من تجار يستأجرون عددا من الجمال والبغال والحمير من شيوخ جعلوا هذه القوافل واعدادها مهنة لهم ، واعتادوا ان يصحبوها من البلد الذي تخرج منه حتى بلوغها نهاية مطافها • واعتاد هؤلاء الشيوخ أن يأخذوا من التجار قدرا محددا من المال ، لقاء الخدمات التي يقدمونها لهم خلال الرحلة • وكانت هذه تشمل دفع العوائد (٢) لبعض زعماء القبائل العربية النازلين على طريق القوافل ، وكذلك أجر رفقاء القافلة (٣) المنوط بهم حراسة القافلة ، بالاضافة الى اجرة الجمال • وعلى الرغم من ان الاجرة التي تدفع ثمنا لتكاليف الجمل كانت محل مساومة في الغالب ، غير انه يمكننا القول بانها خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت تتراوح ما بين خمسة وثلاثين وخمسين قرشا ، وذلك ما بين البصرة او الكويت وحلب (٤) ، ويمكننا ان نعزو هذا الاختلاف في الاجرة الى نوع البضائع التي كان يحملها الجمل ، فانه في « بلاد العرب » كما يقول مانيستي وجونز في تقريرهما عن تجارة بلاد العرب المطلة على الخليج العربي :

« ان حمل الجمل المعتاد يبلغ نحو سبعمائة رطل انجليزي (كذا والصواب خمسماية) ، وان شيوخ القوافل يأخذون في العادة حسب

---

(١) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٩

(٢) نظرا لان معظم هذه الرحلات قد وصفها رجال شركة الهند الشرقية الانجليزية ، فاننا نجد نفس تفاصيل الاجراءات تتبع في كل قافلة ، والذي كان يقوم بتدبير امر القافلة هم ممثلو الشركة في البصرة وحلب الذين كانوا دائما حريصين على توفير سرعة وامانة الوصول .

(٣) قارن Capper , op . cit . , 55—58

وكذلك Irwin- op . cit . . , 290—292 وكذلك Jenour , op . cit . . , 346

(٤) كانت تسمى « الجويزة » اي رسم المرور ، انظر مختارات سلدنها : ٤٠٩

الاتفاق المعهود على عاتقهم ان ينقلوا من القرين الى حلب وان يدفعوا الجويزة او الضرائب للقبائل ففي الطريق وذلك نظير مبلغ من النقود يعادل ١٣٠ روبية من روبيات بومباي لحمل البضائع كالمنسوجات Piece Goods و ٩٠ روبية للحمل من البهارات وما شابهها Gruff Goods (١) .

أما شيخ القافلة فكان يقوم بواجباتها كمرشدها وكانت سلطته على القافلة مطلقة (٢) اما هذه القوافل فكانت تقطع المسافة من البصرة او الكويت الى حلب في مدة تبلغ نحو سبعين يوما (٣) . »

ولعله من الجدير بالملاحظة ان هذه القوافل عابرة الصحراء ، كانت احيانا تتوقف في بغداد واحيانا اخرى كانت تسافر مباشرة من حلب الى الخليج وبالعكس دون توقف ، وأن اعدادها كانت تزداد عندما تنضم اليها قوافل اخرى من محطات على الطريق الصحراوي (٤) أما فيما يتعلق بالجمال التي كانت تحمل

---

(١) كان هؤلاء الحرس ينتمون عادة الى القبائل التي تقطع القافلة ديارها لضمان سلامة القافلة . قارن Parsons , op . cit . , p . 103
ثم Griffiths , op . cit . , 351

(٢) قدر آيفز Ives في سنة ١٧٥٨ تكاليف حمل الجمل من الكويت الى حلب بمبلغ خمسة وثلاثين قرشا (انظر رحلته ص ٢٢٣) . اما بارسونز Parsons فقد قدرها في سنة ١٧٧٤ (انظر رحلته ص ١١٢) بمبلغ اربعين قرشا اذ انه دفع ذلك المبلغ « كاجرة لكل جمل » ، وكذلك فانه دفع خمسة قروش على كل جمل في مقابل ما يعرف بضريبة الصحراء ، وهي في الغالب الجويزة .

(٣) قارن مختارات سلدنها : ٤٠٩ . على الرغم من ان هذا التقرير يبدو مرتفعا جدا فان مانيستي وجونز هما بلا شك خير مصدر لمثل هذه التقديرات ، وذلك لانهما قد مكثا في البصرة مدة طويلة .

(٤) كتب جينور Jenour في رحلته (صفحات ٢٥ - ٢٦) ناصحا الرحالة بخير الطرق للقيام بتلك الرحلة عبر الصحراء ، واورد ذكر القوافل في تقرير طريف نورد بعضا منه : « اما فيما يتعلق بالاستعدادات لهذه الرحلة فان ذلك يتوقف على الطريقة التي تزمع الذهاب بها . فهل هي رحلة تريدها سريعة او متمهلا او انك تريد ان تقتصد في النفقات ؟ . فاذا كنت تطلب الرحلة الاولى فيجب عليك ان تتفق مع أربعة أو سته من العرب لكي =

البضائع فان عددها كان يختلف من قافلة الى اخرى ، وكانت الزيادة او النقصان تتوقف على الاحوال التجارية في حلب والبصرة وبغداد والمراكز التجارية الاخرى في المنطقة ٠ ولقد قدر بليستد Plaisted عدد الجمال في القافلة التي سافر معها من البصرة الى حلب بألفي جمل عند تحرك القافلة ، وكان يحرسها نحو ١٥٠ رجلا مسلحين بالبنادق (١) اما هذه الجمال فلم تكن جميعها محملة بل كان عدد منها سيباع في اسواق حلب (٢) وفي منتصف الطريق انضمت اليهم قافلة بغداد المؤلفة من ٣٫٠٠٠ جمل ، وبهذا صار مجموع القافلة ٥٫٠٠٠ جمل و ١٠٠٠ رجل ٠ ومن الجمال الاولى كان عدد المحملة ٤٠٠ (٣) اما القافلة التي سافر بها كرمايكل Carmichael فكانت تتألف من خمسين حصانا وثلاثين بغلا و ١٫٢٠٠ جمل ، كان المحمل منها بالبضائع ستمائة جمل ، وبلغت قيمة البضائع ٣٠٠ الف

= يقودوك الى البصرة ، ويجب ان تحمل معك اقل متاع ممكن ، وحال مغادرتك حلب ، اترك تدبير كل شيء للحرس ، لانهم هم ادرى بافضل ما يجب عمله ، وخير الشعاب التي يسلكونها . . . واما اذا اردت الطريقة الثانية ، حيث ينصرف همك الى الراحة فحسب ، فانه يلزمك في هذه الحالة ان تشتري بغالا . . . وخياما ومؤنا . . . وجمالا لتحملها وان مثل هذا المظهر من الثراء يتطلب منك عددا اكبر من الحراس ليحرسوه . . . اما الطريقة الثالثة ، وهي ارخص الطرق واكثرها شيوعا ، فهي تتم بصحبة القافلة . وهذه القافلة تتكون من عدد من التجار ورحالة اخرين يتجمعون معا ، بعضهم على ظهور الخيل ومعظمهم على ظهور الجمال ، ويتحركون مهما كان عددهم في حماية حرس قوي جدا ، وجميع هؤلاء يتحركون تحت ارشاد شيخ . . . والاعتراضات الوحيدة على هذه الطريقة تنحصر في طول المدة التي تستغرقها الرحلة وعدم التأكد من أوقات قيامها » .

(١) يذكر جينور (ص ٢٧) بان تلك الرحلة تستغرق من ٦٠ - ٧٠ يوما ، بينما يقدر مانيستي وجونز (مختارات سلدنها : ٤٠٩) المدة بنحو ٨٠ يوما .

(٢) انظر تقرير بليستد عن رحلته في كتاب كاروثرز Carruthers ص ٨٠ .

(٣) يجب علينا ان نذكر في هذا المقام ان جميع الجمال كانت محملة ، لاسيما عندما كانت القافلة تتجه شمالا نحو حلب ، وبعد ذلك انضمت الى القافلة عدة جمال غير محملة ، بقصد بيعها في حلب ، ليستخدمها التجار الذين يريدون ان ينقلوا بضائعهم في اتجاه الجنوب ولقد حتم هذا الوضع الحاجة الماسة الى الجمال في سوريا .

جنيه ، وأما حرسها فكانوا ٢٤٠ جنديا عربيا (١) واما القافلة التي سافر معها بارسونز Parsons ، فكانت تتألف من ٨٠٠ جمل ، بالاضافة الى العديد من البغال والحمير والخيل ، وكان بين المسافرين اربعة من التجار الاوروبيين واثنا عشر تاجرا تركيا • وكان يحرس القافلة ١٠٥ من الحرس الغربي (٢) وأما القافلة التي كان الدكتور آيفز Ives يزمع السفر من الكويت الى حلب في عام ١٧٥٨ ، فبلغ تعداد جمالها ٥٠٠٠ وحرسها الف رجل (٣) هذا وان القافلة التي سافر معها جريفش Griffiths فقد بدأت في الاصل بثمانية جمال وحرس يتراوحون بين ٣٠ ـ ٤٠ رجلا ، فقد وصلت قبل مغادرتها حلب في ٨ يونيو (حزيران) ١٧٨٦ الى مائتي جمل (٤) •

قوافل التجارة وقافلة الصحراء

ان هذا الاختلاف في عدد الجمال في كل قافلة يمكن ارجاعه الى طبيعة القافلة ، فقد كان هنالك ثلاثة انواع من القوافل تقوم برحلة الصحراء • اما اولها فهي قافلة الجمال الخفيفة القادمة من الجنوب الى حلب ، والتي كان الغرض منها ان تمون المدينة بالجمال اللازمة للقافلة او القافلتين المسافرتين من حلب الى الجنوب • وأولى تلك القافلتين كانت قافلة التجار الذين يريدون نقل بضائعهم من حلب جنوبا دون انتظار وصول او سفر القافلة الكبرى ، المعروفة بقافلة حلب او البصرة ، وذلك وفقا للمكان الذي تغادر منه • وهذه القافلة الاخيرة كانت تسافر مرتين في السنة بين حلب والبصرة (٥) •

---

(١) انظر رحلته المنشورة في كتاب كاروثرز Carruthers ص ٦٨ - ٦٩ ، ص ٩٣ .

(٢) انظر Carruthers , op , cit . , p . 80

(٣) المصدر السابق ص XXX iii

(٤) انظر Parsons , op . cit . , 75—76 غادرت القافلة حلب في ١٤ مارس ١٧٧٤ .

(٥) يدل النص على ان القافلة كانت قادمة من الجنوب الى الكويت لان ايفز ورفاقه كانوا سيستأجرون جمالا للانضمام الى القافلة عند وصولها الكويت . وربما كانت هذه القافلة هي نفس القافلة التي اعتاد شيخ بني خالد ان يسيرها سنويا من الاحساء . وقد وصف بليستد Plaisted هذه القافلة (ص ٩٣) « بقافلة الجمال الخفيفة » تمييزا لها عن قافلة الجمال المحملة . وكانت تتألف في الغالب من الجمال الصغيرة السن ، والمرسلة للبيع في =

قوافل الرحالة

وبالاضافة الى القوافل الثلاث سابقة الذكر ، كان هنالك قافلة رابعة يمكن أن نطلق عليها اسم قافلة الرحالة • فالرحالة الانجليز في بعض الاحيان ، على سبيل المثال ، كانوا يؤجرون قافلة تامة بها جمال الركوب ، والجمال الحاملة لمتاعهم ، وكذلك قوة صغيرة من الحرس المسلح (١) ولقد اوصى الكابتن تايلر بسفر مريح يتأتى باستئجار قافلة بمبلغ يتراوح بين ٥٠٠ ـ ٦٠٠ جنيه ، تستخدم ما بين ٤٠ ـ ٦٠ رجلا مسلحا و ٢٠ جملا لحمل الماء والخيام والتموين وخلاف ذلك (٢) ، أما طريقة استئجار واعداد هذه القوافل من أجل رجال يعملون في خدمة شركة الهند الشرقية الانجليزية ، فقدتركت للقنصل الانجليزي فيحلب ولرجال الوكالة الانجليزية بالبصرة (٣) •

أما فيما يتعلق بالوقت الذي تستغرقه القافلة بين حلب والبصرة او الكويت ، فان كلا من حجم القافلة وطريقة الرحلة ، كان لهما شأن كبير • فبينما كانت القوافل الكبيرة تسافر ببطء ، بمعدل سبع ساعات يوميا ، وتستغرق في قطع المسافة من ٤٥ ـ ٧٠ يوما ، فان القوافل الصغيرة كانت تحتاج الى ٢٥ يوما • أما بليستد ، فقد قطع تلك المسافة فيقافلة كبيرة نسبيا ، في بحر اربعة وعشرين يوما ونصف يوم ، وأما كرمايكل ، الذي كانت قافلته تسير بمعدل سبع ساعات يوميا ، فقد استغرقت رحلته ٣١٨ ساعة او ٤٥ يوما • واما كبر Capper ، فقد استغرق ٣١٠

= اسواق حلب . وكان حرسها يبلغون ١٥٠ شخصا يركب كل منهم هجينا . وكان الكثير من التجار ينتظرون وصولها في المحطات على طريق القوافل ليسافروا مع بضاعتهم برفقتها ، وبذلك يضاعفون تعداد القافلة . اما هؤلاء التجار فكانوا يونانيين وارمن واوروبيين واحيانا اتراكا (عربا ؟) .

(١) انظر Griffiths , op . cit . , pp . 350—353

(٢) قال لاتوش في احدى رسائله الى مجلس المديرين بلندن بان مثل هذه القافلة كانت تصرف ثمانية اشهر في القيام بهذه الرحلة .
انظر الرسالة ١٦٠ مجلد (١٧) من لاتوش الى مجلس المديرين الصادرة عن البصرة بتاريخ ٣١ اكتوبر ١٧٧٨ في سجلات الوكالات .

(٣) انظر Irwin , op . cit . , II, 291

ساعات (١) • أما بريد الصحراء السريع ، فقد كان يقطع نفس المسافة في مدة تتراوح بين ١٣ ـ ٢٠ يوما (٢) •

النشاط التجاري في الخليج

ولا ريب ان هذا النشاط لطريق القوافل الصحراوي كان له اثره في تجارة العتوب ، وهو قد عمل بالاضافة الى نقل العتوب للتجارة البحرية ، على بناء قوة العتوب ونفوذهم في المنطقة • ولربما كان ايضا احد العوامل التي جعلت عتوب الشمال وعتوب الجنوب يكونون وحدة سياسية • اما الوجه الثاني للنشاط العتبي التجاري ، فسنتناول فيه بايجاز دراسة احوال التجارة في دويلات العتوب • ولعلنا نجد فائدة في التقديم لهذه الدراسة ببحث النشاط التجاري في غربي جزيرة العرب ، حيث قام دائما منافس لطريق التجارة في الخليج العربي ، ونعني ، بذلك طريق البحر الاحمر •

طريق البحر الاحمر

ان طريق البحر الاحمر لم يكن منافسا خطرا ، خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، لطريق الخليج العربي في نقل البضائع الهندية الى اسواق الولايات العثمانية في سوريا وتركيا • صحيح ان السفن الاوروبية اعتادت ان ترسو في السويس حاملة بضائع الهند الى مصر والاقطار المجاورة حتى العقد الثامن من القرن الثامن عشر ، غير ان ، الثلاثين سنة الاخيرة من ذلك القرن قد شهدت تدهورا كبيرا في تلك التجارة • ولعل السبب الرئيسي في ذلك يرجع الى فرمان ١٧٧٨ ، الذي حرم بمقتضاه على المراكب المسيحية من ان تتاجر مع السويس (٣) • وعلى الرغم من ان هذه الأوامر كانت ضد مصلحة سلاطين المماليك ، حكام مصر الحقيقيين الذين سيحاولون دون شك ان يوقفوا مفعول مثل ذلك الفرمان ، فان هجمات عرب الصحراء على القوافل ، التي كانت تحمل

---

(١) انظر Carruthers , op . cit . , p . XXX IV .

(٢) انظر Irwin , op . cit . , II , 291 and Capper , 54

(٣) انظر Carruthers , op . cit . , p . xxiv

بضائع للتجار الاوروبيين ، كانت خطرا آخر هدد تجارتهم • ولقد كان مجلس المديرين لشركة الهند الشرقية الانجليزية يفضل حتى عام ١٧٨٦ طريق رأس الرجاء الصالح على طريق مصر في نقل البضائع الهندية الى اوروبا ، « وقد كانوا لذلك على استعداد تام لمساندة وجهة نظر الحكومة العثمانية في مقاومة استخدام المراكب الاوروبية للبحر الاحمر » (١) •

غير انه نظرا للمنافسة التجارية الفرنسية ، ولتوقيع معاهدة بين تروجيه Troguet ، نيابة عن فرنسا ، ومراد بك ، نيابة عن المماليك في القاهرة في ٧ فبراير ١٧٨٥ ، عادت المصالح البريطانية في طريق البحر الاحمر التجاري تنتعش من جديد ، واستمرت الديبلوماسية البريطانية هي العليا لدى الباب العالي ، الذي ارسل عام ١٧٨٧ حملة عثمانية ناجحة ضد المماليك • غير ان النجاح الانجليزي لم يعن ان طريق البحر الاحمر قد فضلت على طريق رأس الرجاء الصالح او طريق الخليج العربي ، لان هذه الطرق الثلاث بقيت مستعملة بعد ذلك لنقل التجارة والبريد البريطانيين حتى احتل بونابرت (نابليون فيما بعد) مصر في سنة ١٧٩٨ (٢) •

غير أنه اذا كان بمقدور الفرنسيين ان ينافسوا الانجليز في أسواق مصر ، فانه يبدو أنهم لم يحظوا بنفس النجاح في اسواق الخليج العربي • وعلى أية حال فان العتوب لم يتأثر نشاطهم التجاري بالمنافسة الانجليزية الفرنسية ، وهم لم يعتمدوا في تجارتهم على البضائع المحمولة على السفن الاوروبية بقدر ما اعتمدوا على سفنهم • ولم يأت عام ١٧٨٠ حتى كان عتوب الكويت يمتلكون اسطولهم الخاص ، الذي كان يبحر الى الهند ليعود محملا ببضائعها ، لانزالها في الموانىء العتبية والبصرة •

---

(١) انظر : الرسالة ١٢٩٩ مجلد ١٨ الصادرة عن البصرة بتاريخ ٦ نوفمبر ١٧٨٤ من لاتوش الى مانيستي في سجلات الوكالات . وانظر كذلك جينور Jenour (ص ٢٦) حيث يقول بأن رسل البريد السريع كانوا يقطعون المسافة في ١٤ يوما .

(٢) انظر Hoskins, p 315

الوضع التجاري في الكويت

ان فتح البحرين عام ١٧٨٣ ، لم يكن له ، على ما يبدو ، أثر في الاقلال من الاهمية التجارية للكويت • ذلك ان الاسرة الحاكمة في الكويت ، وهي اسرة آل صباح ، كانت تتعرض لمنافسة شديدة من بني كعب وغيرهم من العرب النازلين بالساحل الشرقي للخليج • وهذا مما جعل عتوب الكويت حريصين على أن يمتلكوا اسطولا قويا ، وهو امر قد حققوه في فترة وجيزة • لقد سبق ان بينا القول كيف أن الكويت في العقد الثامن عشر ، قد استخدمت كمركز لبريد شركة الهند الشرقية الانجليزية • وبالاضافة الى هذا فان موقعها الجغرافي كان ذا ميزتين لها كمدينة ، اذ افادها كميناء بحري ثم كمحطة للقوافل المتجهة الى بغداد وحلب • وبتأسيس الوكالة التجارية الانجليزية بها عام ١٧٩٣ لمدة تزيد على عامين ، احتفظت المدينة بمنزلة عادلت منزلة البحرين •

وعلى هذا ، فانه يبدو ان النجاح التجاري لمدينة الكويت كان يعتمد إلى حد كبير على التجارة العابرة (ترانزيت) • وبنمو تجارة العتوب ، الذي حدث كنتيجة لاستيلائهم على البحرين ، اخذت سفنهم تنقل البضائع من البحرين والزبارة الى الكويت • وأما هذه البضائع فكانت تخص تجارا من البحرين والبصرة ، وكان هؤلاء التجار في الغالب يهدفون من انزال بضائعهم بالكويت أن ينقلوها على ظهور الجمال الى حلب او بغداد وذلك ليتجنبوا المكوس الباهظة التي كانت تجبى عليها في البصرة (١) ، وكانت الكويت تستورد التمور والحنطة من البصرة بقصد الاستهلاك المحلي وكذلك لتوزيعها على المناطق المجاورة لها (٢) • ومما تجدر ملاحظته ايضا ، ان نقل البضائع والامتعة من

---

(١) انظر Hoskins , loc . cit . , 307 كان الانجليز قد وقعوا معاهدة مع بكوات مصر المماليك لتسهيل نشاطهم التجاري ، غير ان السلطان ومستشاريه في اسطمبول لم يرضوا عن هذه المعاهدة لانهم كانوا يخشون ان المماليك سيستفيدون من هذه الفرصة ، وربما ، بمساعدة الانجليز ، سيسعون للتخلص من الحكم العثماني كلية (المصدر السابق ص ٣٠٦) .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٥ - ٣١٧ .

الكويت الى بغداد وحلب بواسطة القوافل كان خاليا من اي خطر ، لان شيوخ القوافل كانوا حريصين على اختيار الرفقاء وتقديم الهدايا المناسبة لشيوخ القبائل على الطريق (١) ٠ويضيف جريفثس Griffiths ، وهو يكتب في سنة ١٧٨٥ / ٨٦ ، بأن شيوخ القبائل كانوا يبذلون قصارى جهدهم من اجل المحافظة على انتظام سير القوافل ، دون ان يتعرض لها احد باذى لان هذه هي الطريقة التي كانوا يضمنون بها الوفاء بتعهداتهم (٢) ٠

ويبدو ان الكويت لم تستفد كثيرا من اقامة الوكالة الانجليزية بها ، من حيث كمية التجارة ٠ ذلك ان ربابنة السفن الانجليزية ، رفضوا في البدء ان يفرغوا حمولتهم في الكويت لان تلك البضائع كانت مشحونة للبصرة ٠ ولقد أشرنا من قبل الى ان مانيستي نفسه لم يصر على اوامره بخصوص انزال البضائع في الكويت بدلا من البصرة ٠ ولا شك ان مكاسب الكويت من اقامة الانجليز كانت سياسية اكثر منها اقتصادية (٣) ٠

---

(١) انظر Parsons , op . cit . , 315—317 يقول بارسونز : « مسقط مكان ذو تجارة واسعة ، فهو ميناء يمتلك عددا كبيرا من السفن تتجر مع سورت وبومباي وجوا على ساحل الملبار ، ومع المخا وجدة على البحر الاحمر . وهي المستودع العظيم او المخزن للبضائع التي تأتي بها هذه السفن من تلك الاجزاء ، والى هذا الميناء تأتي السفن من جميع موانىء بلاد فارس ، ومن البصرة ، والموانىء العربية الواقعة على الخليج العربي ، ومن ساحل كرمان خارج الخليج حتى نهر السند ومن اماكن كثيرة مجاورة لذلك النهر » .
انظر مختارات سلدنها : ٤٠٩ . ان بعض الواردات القادمة من البحرين والزيارة والقطيف كانت « للاستهلاك المحلي في الكويت وجيرانها » . وهذه كانت تتألف من « كميات صغيرة من نيلة سورت ، وصادرات الاقمشة من البنغال والقهوة والسكر والفلفل الاسود والبهارات والحديد والرصاص » . . . » وكميات اكبر من منسوجات البنغال وسورت ، وغزل القطن ، . . . « والقهوة والفلفل الاسود باسم تجار بغداد وحلب » . (المصدر السابق) . اما بخصوص المكوس المفروضة على تلك البضائع في كل من البصرة وبغداد فانظر الفصل الرابع من كتابنا هذا صفحات ٢٩ - ٣٠

(٢) مختارات سلدنها : ٤٠٩ .

(٣) المصدر السابق .

البصرة ومسقط

وقبل ان نختم هذا الفصل ، لا بد لنا من ان نشير الى ان اهم مستودعين للتجارة في الخليج في هذه الفترة كانا مسقط والبصرة • اما الاولى فقد وصفها بارسونز Parsons بأنها مستودع كبير للبضائع الاوروبية والهندية (١) ، التي كان يتولى نقلها الى البصرة اسطولا مسقط والعتوب • اما البصرة فكانت مركز تجارة الهند الشرقية الانجليزية مع الخليج في معظم سنى الفترة ما بين ١٧٦٣ ـ ١٨٠٠ (٢) •

وعلى الرغم من انه لا تتوفر لدينا احصائيات عن تجارة شرقي الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، باستثناء التجارة الانجليزية مع المنطقة ، لا يمكن ان نصف هذه التجارة سوى بانها كانت نامية ناجحة • فالتجارة الهندية مع بلاد العرب ، وفقا لما اورده مالكولم ، بلغت ٤ ملايين روبية ، منها ثلاثة ملايين كانت من نصيب البصرة ، ومليون من نصيب البحرين والمنطقة المجاورة لها (٣) ويقول مالكولم :

« إن الصادرات الهندية العظيمة كانت تقابلها صادرات من تمور البصرة ، وهي منتجات محلية ، ولآلىء (وهذه كانت تأتي من البحرين والموانئ المجاورة لها نظير الحنطة) وأشرطة الذهب والفضة الاوروبية ، التي كانت تحملها القوافل القادمة من حلب ، والنحاس من مناجم دياربكر • ومعظم هذه الصادرات كانت تمر بمسقط في طريقها للهند » (٤) •

---

(١) قارن جريفش Griffiths : ٣٥١ . كانت القافلة تستغرق ، وفقا لما اورده مانيستي وجونز (مختارات سلدنها : ٤٠٩) ، نحو ٨٠ يوما لقطع المسافة من الكويت الى حلب ، ونحو ٣٠ يوما من الكويت الى بغداد .

(٢) لقد تجنبت الكويت الخطر الوهابي .

(٣) قارن Parsons , op . cit . , 207

(٤) لقد كان للطاعون الذي انتشر بالبصرة عام ١٧٧٣ ، وكذلك لحصار الفرس واحتلالهم لها ، اثر كبير في تدهور تجارتها في الفترة ما بين ١٧٧٣ – ١٧٧٩ . غير انها سرعان ما =

أما جريفش Griffiths فقال ان صادرات الهند ، كانت تقابل بصادرات تتكون في معظمها من نقود ومجوهرات ، وعدد من الخيول العربية الاصيلة (١) •

هكذا اذن اعتمدت الكويت في ازدهارها ونموها على التجارة ، غير انه كان من الصعب علينا في هذه الفترة الاولى من تاريخ الكويت ان ندون ارقاما خاصة بتجارة الوارد والصادر ، نظرا لعدم توفر الوثائق المحلية من ناحية ، وعدم توفر المعلومات في الوثائق الاجنبية من ناحية اخرى • غير انه بمضي الزمن بدأ هذا الوضع في التغير •

الخليج كطريق للمواصلات والتجارة في القرن التاسع عشر

وبالطبع فان الخليج بقي الوسيلة الرئيسية في نقل التجارة بين الهند وجنوب آسيا من جهة ، والبلدان المحيطة به ثم اوروبا من ناحية اخرى • ودارس تاريخ هذه الحقبة المتتبع للحركة الملاحية ونشاطها في الخليج من حيث نقل البضائع ، ثم من حيث نقل البريد • يجد تغيرا ملحوظا في حركة نقل البريد بالذات ، عما كانت عليه في النصف الثاني من القرن الثامن عشر •

ولعلنا قبل ان ننظر في تجارة الكويت خاصة ، والحركة التجارية في الخليج عامة ، في حقبتنا التي نتناولها بالدرس الان ، لعلنا ننظر في اهمية الخليج كشريان للمواصلات بين الهند واوروبا •

بقيت شركة الهند الشرقية الانجليزية بوكالاتها التجارية في الخليج ، العامل الرئيسي في تنشيط التجارة بين سائر موانيه ، وموانىء الهند ، وكذلك بين البلدان الواقعة في شمالي الخليج ، وبلاد سوريا وآسيا الصغرى ، فهل بقي حالها كذلك خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، وان لم يبق حالها كذلك ، فهل نشط

= استردت مكانتها بعد ذلك . فقد كتب جريفش Griffiths الذي زار المدينة في سنة ١٧٨٥ يقول : « ان البصرة هي مركز التجارة في هذا الجزء من العالم . ففي هذه المدينة ، تفرغ السفن ، الحاملة لبضائع الهند الثمينة ، حمولتها . . . » (ص ٣٨٩) .

(١) مختارات سلدنها : ٤٤٥ .

طريق البحر الاحمر للمنافسة من جديد ، ولماذا ؟ كل هذه اسئلة سنشير الى اجابتها فيما يلي :

بقي بريد شركة الهند الشرقية الرسمي ، طوال الربع الاول من القرن التاسع عشر ، ينقل عبر الخليج العربي ، باستثناء ما كان يرسل بحرا عن طريق رأس الرجاء الصالح • غير انه بعد ذلك ، وفي عام ١٨٣٣ ، توقف العمل بطريق الخليج العربي ، اذ فضلت عليه طريق البحر الاحمر ، فكان البريد ينقل من الهند الى ميناء القصير المصري على البحر الاحمر ، ومن هناك برا الى الاسكندرية فاوروبا • اما السبب في تفضيل طريق البحر الاحمر هذا ، فيعود الى انه كان اكثر ملائمة من حيث استخدامه لنقل الركاب ، القادمين من اوروبا في طريقهم الى الهند ، او الذاهبين من الهند الى اوروبا ، وذلك بالنظر لانشاء خدمات ملاحية تجارية بين الاسكندرية وموانىء اوروبا من جهة ، وخدمات مماثلة بين موانىء الهند والقصير من جهة ثانية (١) ، وعلى الرغم من انقسام الرأي في انجلترا بين الطريقين ، فان اللجان البرلمانية التي عالجت الموضوع بين عامي ١٨٣٣ و ١٨٣٧ ، قد قررت استخدام طريق البحر الاحمر ، لا طريق الخليج العربي (٢) ، وهكذا فقد شهد اغسطس ١٨٣٧ نقل اول بريد شهري ، آت من انجلترا ، الى البحر الاحمر عبر السويس ، في طريقه الى بومباي • وعلى الرغم من جهود حكومة بومباي ، من اجل الابقاء على استخدام الطريقين لنفس الغرض ، فان مجلس المديرين لشركة الهند الشرقية بلندن ، لم يوافق الا على نقل نسخ عن البريد المذكور بطريق الخليج العربي • اما النسخ الاصلية • فكان لا بد من نقلها عن طريق البحر الاحمر • وهكذا احتل طريق الخليج المرتبة الثانية •

غير ان عام ١٨٣٩ شهد اتجاها لدى مجلس المديرين ذاته لاحياء طريق الخليج (٣) وذلك حين تقرر ارسال ثلاثة زوارق نهرية تجارية الى البصرة ،

---

(١) المصدر السابق .

(٢) Griffiths , op . cit . , 389

(٣) انظر Lorimer , I , i , 2439

صنعت خصيصا لتنقل البريد بين البصرة وبغداد (١) ، وفي عام ١٨٤٣/ ١٨٤٤ ، عادت مواصلات نقل البريد على ظهور الابل بين العراق وسوريا للعمل مجددا ، وكانت بغداد هي نقطة البداية في هذا الطريق ، وبيروت هي محطته الاخيرة ، مع استراحة في دمشق ٠ غير ان استخدام هذا الطريق قد اقتصر على نقل البريد المحلي الخاص بالعراق وسوريا ، دون بريد الهند ٠ اما بريد الهند ، فقد قاسى الامرين ، ذلك أن بريد بوشهر وبومباي مثلا ، كان لا بد من أن ينقل من بوشهر الى بغداد فبيروت فالاسكندرية فالقصير فالبحر الاحمر ثم الهند ٠ وقس على ذلك البريد الموجه من بومباي الى بوشهر ، والذي كان لا بد من ان يمر بنفس تلك الدورة (٢) ٠ بقي هذا الحال قائما حتى عام ١٨٦٢ ٠ ولعله من الطريف ان نذكر ، ان البريد المزمع ارساله من بوشهر للهند ، كان يرسل احيانا الى طهران في طريقه الى بغداد ، ومن بغداد ، كان يمر بالحلقة المذكورة الى ان يصل الى بومباي ٠ غير ان عام ١٨٦٢ المذكور ، قد شهد العودة بالبريد الى الطريق المباشر ، اي عبر الخليج الى بومباي ، والسبب في ذلك هو بداية العمل بالخطوط البرقية (التلغراف) ٠ ويذهب لورمر محقا الى وصف عام ١٨٦٢ ، بأنه العام الذي تأسست فيه المواصلات البريدية الحديثة في منطقة الخليج العربي (٣) ٠ وكانت نقطة البداية في شبكة المواصلات المذكورة متواضعة نسبيا ، فقد أخذ خط بحري من البواخر يعمل بانتظام بين بومباي والخليج العربي ، مارا بكراتشي ، من اجل الخدمات البريدية ، بانتظام ٠ وقد تم ذلك بناء على قرار من وزير شئون الهند البريطاني عام ١٨٦٢ ٠ وكان عدد البواخر العاملة فيه ثمانية فقط في العام ٠ وكانت الشركة التي التزمت بتسييرها هي شركة الملاحة التجارية الانجليزية الهندية THE BRITISH INDIAN STEAM NAVIGATION COMPANY وفي نفس العام تلقى ذلك الوزير عرضا من شركة ملاحة الفرات والدجلة التجارية

---

(١) لعل السبب في ذلك هو مخاطر طريق البحر الاحمر ومصر بعد ان اسفرت بريطانيا عن عدائها لمحمد علي باشا والي مصر .

(٢) Lorimer , I , i , 2440

(٣) المصدر السابق .

THE EUPHRATES AND THE TIGRIS STEAM NAVIGATION COMPANY

بأن تسير سفينة تجارية مرة في كل شهر ، او كل ستة اسابيع بين البصرة وبغداد ، لقاء مبلغ سنوي قدره (٢٤٠٠) جنيه استرليني • ويعمل الخط الملاحي الجديد على نقل البريد القادم من الهند الى البصرة ، ليوصله من المدينة الاخيرة الى بغداد • وهكذا أخذت الخدمات البريدية تتحسن ، منذ تأسيسها عام ١٨٦٢ تدريجيا ، فزاد عدد الرحلات حتى صارت مرة كل اسبوعين عام ١٨٦٨ ، ثم صارت اسبوعية عام ١٨٧٤ • وهكذا يكون طريق الخليج قد عاد الى نشاطه كوسيلة في المواصلات بين الهند واوروبا مع حلول عام ١٨٦٢ ، ولا ريب أن اثر افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٨ ، كان لا بد له من ان يعيد طريق البحر الاحمر الى مركز الصدارة • على انه مما يجب ان نلفت نظرنا بالنسبة لهذه المواصلات البحرية التجارية ، سواء اكانت بقصد نقل البريد او البضائع ، وتأسيس مراكز لخزن الفحم اللازم لتلك البواخر ، أن الكويت كانت ستتبوأ بحكم مينائها الطبيعي الممتاز ، مركزا خاصا ، وذلك ما أشار اليه الكولونيل بلي Pelly ، في تقاريره المرسلة من الخليج (١) •

حركة التجارة في الخليج ونصيب الكويت فيها

لقد استمرت تجارة شركة الهند الشرقية الانجليزية نشيطة في مياه الخليج ، وكان دور الاشراف عليها منوطا بالمقيمية الانجليزية في بوشهر • وبالطبع لم يكن نقل التجارة في الخليج حكرا على السفن الانجليزية ، أو السفن التي ترفع الراية الانجليزية ، فلقد بقيت موانيء الخليج تساهم في حمل البضائع من موانيء الهند الى بلدان الخليج ، وكذلك في حمل بضائع الخليج الى الهند • وكان حظ الكويت في هذه التجارة ، فيما يبدو ، وفيرا • ولقد توفرت الادلة على ذلك في بعض ما دونه الرحالة الاجانب ، ثم في التقارير التجارية الصادرة عن المقيم الانجليزي في بوشهر ، وعن بعض من كتبوا تقارير عن الخليج ، بتكليف من حكومة بومباي

(١) المصدر السابق .

الانجليزية • ومع ان طبيعة هذه التقارير جاءت غير مفصلة فيما يتعلق بالكويت ، الا ان بعضها قد اورد احصائيات بالوارد الى الكويت والصادر منها •

اخبار بكنجهام (١٨١٦)

يقرر بكنجهام في رحلته (١) ، ان لمدينة الكويت ميناء عظيما (٢) ، وان غالبية سكانها من التجار الذين يعملون في ميداني التجارة المحلية والخارجية ، ولا يقتصر عملهم على صنف معين في تجارتهم ، بل هم يتاجرون في جميع ضروب التجارة السائدة او الرائجة في الخليج دون استثناء (٣) ، اما السفن الكويتية التي تعمل في نقل التجارة فيبلغ عددها نحو مائة ، بين صغيرة وكبيرة (٤) ويثني بكنجهام على بحارة السفن الكويتية ، ويصفهم بالحكمة والمهارة والحزم والشجاعة (٥) ،ويصف بكنجهام تجارة الخيول من البصرة والكويت إلى بلاد الهند في تفصيل (٦) ، ونحن سنعود الى ذلك التفصيل ، عند حديثنا عن البضائع المصدرة من الكويت الى بلاد الهند وغيرها •

مذكرة الكابتن بروكس ، ٢١ اغسطس ١٨٢٩ (٧)

كان الكابتن بروكس Brucks في البحرية الهندية • وعهد اليه عام ١٨٢٩ القيام

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر Pelly , Visit , 75

توقفت رحلات البواخر الى ميناء الكويت بعد ان رأى نامق باشا والي بغداد شدة منافسة ميناء الكويت للبصرة ، وفكر عام ١٨٦٦ بارسال سفن حربية تركية لتهديد ميناء الكويت ، مما دعا شيخها ان يطلب من الكولونيل كمبال ، المقيم البريطاني في بغداد ، ان يوقف مرور السفن التجارية عن الكويت عام ١٨٦٦ .

(٤) Buckingham , Travels in Assyria etc

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٠ وكذلك ص ٤٦٢

(٥) المصدر السابق ص ٤٦٣

(٦) المصدر السابق

(٧) المصدر السابق

بزيارة شواطيء الخليج العربي واعداد تقرير واف عن سكانها من حيث العادات والديانة والتجارة ومصادر الثروة في تلك الشواطيء ، وكذلك في الجزر المتناثرة في انحائه • ولعله من المفيد ان نذكر ان الكابتن بروكس قد اشار في مقدمته الى الصعوبات التي واجهته في اعداد تقريره • والى ان تقريره جاء قريبا من الواقع بقدر المستطاع • ذلك لان معلوماته قد استقاها من زعماء البلدان التي زارها ، وكذلك من بعض السكان البارزين فيها • وان مثل تلك المعلومات قد تعوزها الدقة ، لا سيما ما جاء متعلقا بتعداد السكان (١) ونحن حين نعرض لتقرير بروكس هذا ، سنورد بعض ما جاء فيه عن تجارة البحرين وغيرها من بلدان الخليج في الحجاز ، وذلك من اجل المقارنة بتجارة الكويت •

بلغ عدد سكان البحرين وتوابعها عند زيارة بروكس لها نحو سبعين الفا ، يعيش نحو ستين الفا منهم في جزر البحرين • ومن السكان المشار اليهم يعمل في الغوص على اللؤلؤ نحو ثلاثين الف رجل • اما عدد المراكب والقوارب التي تعمل في ميدان الغوص ، وتأتمر بأمر شيخ البحرين ، فيبلغ (٢٤٣٠) قاربا ، يعمل على كل منها ما بين ثمانية الى عشرين رجلا • والبحرين بلد تجاري هام ، يمتلك عشرين مركبا كبيرا من نوع البغلة والبتيل ، تتراوح حمولة المركب منها ما بين (٣٥٠) الى (١٤٠) طنا ، تعمل معظمها في التجارة مع الهند •

وبالاضافة الى ذلك العدد ، تمتلك البحرين نحو مائة مركب اخرى ، تعمل في التجارة المحلية في الخليج ، وهذه تتراوح حمولتها ما بين اربعين الى مائة وعشرين طنا (٢)• والمنامة هي ميناء البحرين • وفيها تفرغ البضائع المستوردة من الهند والشاطيء الفارسي والبصرة ومسقط ، ويجبى عنها جمرك قدره ٥٪ من قيمتها •

اما قيمة صادرات البحرين عام ١٨٢٤ ، فبلغت ٩٠٠ , ١,٦٥١ كورونة المانية ، وهي قد صدرت الى الهند وفارس والبصرة وتركيا والكويت • واهم مادة

---

(١) المصدر السابق صفحات ٣٨٤ - ٣٨٩

(٢) Memoir Descriptive of the Navigation of the Gulf of Pesia with Brief Notices of the Manners , Customs , Religion , commerce and Reesources etc . , by Captain George Barnes Brucks in Bombay Selections Vol . xxiv , pp . , 532—576 .

للتصدير كانت اللآلىء للهند ، بما قيمته ١,٢٠٠,٠٠٠ كورونة • وكان نصيب الكويت ٥٠٠٠ كورونة، من اقمشة القلاع (الشرع) و٨٠٠ كورونة من الحصير• واما واردات البحرين فبلغت ٨٠٧،٣٠٠ كورونة المانية ، لم يورد التقرير كم منها ورد عن طريق الكويت (١) •

تجارة الكويت في تقرير بروكس (١٨٢٩)

والكويت ، في نظر بروكس ، بلد هام ، نظرا لما امتاز به سكانها من حب للملاحة ، ولها تجارة عظيمة خاصة بها ، دون سواها ، ذلك انها تزود البلاد البعيدة عن الشاطيء ، والتي تقع الى غربيها بالحنطة والقهوة ومنتجات بلاد الهند • وتمتلك الكويت خمسة عشر مركبا كبيرا من طراز البغلات والداوات ، مما تتراوح حمولتها ما بين اربعمائة طن الى مائة طن • كما تمتلك عشرين بتيلا وبغلة ، تتراوح حمولة السفينة منها ما بين خمسين ومائة وعشرين طنا • وتمتلك ايضا مائة وخمسين مركبا تجاريا ، تتراوح حمولة واحدها ما بين مائة وخمسين الى خمسة عشر طنا • وتعمل هذه السفن الكويتية في مياه الخليج العربي والبحر الاحمر وسواحل السند وقوجرات والملبار وبومباي (٢) •

اما واردات الكويت فهي بضائع هندية مختلفة ، كالاقمشة والرز والسكر والخشب والبهارات والقطن ، وهذه كلها تستورد من الهند • كما تستورد الكويت القهوة من البحر الاحمر (اليمن)، وكذلك الدخان والفواكه المجففة من بلاد فارس ، والحنطة والتمور من البصرة • كذلك تستورد الاقمشة والتمور والسمك من البحرين • اما صادرات اهل الكويت فهي السمن والخيول ، وهذه يشترونها من القبائل نظير البضائع التي يوردونها اليها (٣) كذلك تتوفر في الكويت الماشية ، غير ان اثمانها باهظة • اما قيمة الواردات الاجمالية فتبلغ حوالي

---

(١) انظر منتخبات حكومة بومباي ٢٤ صفحة ٥٣٢ - ٥٣٣
(٢) المصدر السابق : ٥٦٦
(٣) المصدر السابق : ٥٦٨ - ٥٦٩

خمسمائة الف دولار (ريال)، والصادرات تقل عن مائة الف دولار · وتسهم الكويت في الغوص على اللؤلؤ في مياه الخليج (١) ·

ستوكويلر وتجارة الكويت ١٨٣١

واذا كان بروكس قد حدد البلدان او الموانيء التي كانت تذهب اليها سفن الكويت من اجل التجارة ، فان ستوكويلر قد سافر على ظهر واحدة منها من طراز البغلة من مدينة بومباي قاصدا الكويت فالبصرة عام ١٨٣١ · ولقد وصف ستوكويلر البغلة المسماة بالناصري ، وعرفنا ان المسافر كان يدفع اجرة قدرها مائة وخمسون روبية من بومباي الى البصرة (٢) · كما افادنا بأن البغلة كانت تحمل البضائع والركاب ، وانها حملت من مسقط الجلود والحصر (٣) · كما افادنا ستوكويلردون من سبقه بأن الكويت ، تتقاضى ٢٪ رسما جمركيا على جميع الواردات (٤) ·

فيلكس جونز في الكويت (نوفمبر ١٨٣٩)

وبعد زيارة ستوكويلر للكويت بنحو ثمانية اعوام ، قام الملازم فيلكس جونز من البحرية الهنديةو بزيارة لميناء الكويت ، وجزيرة فيلكة ، واعد تقريرا عنهما جاء فيه ان الكويت تستورد الفواكه (٥) كالبلح والحمضيات والرمان والبطيخ من البصرة وبوشهر · كما ان الهند والبصرة تصدران الى الكويت الحنطة والشعير ، وتحصل الكويت على الرز من منجالور ، وعلى العدس من البصرة وبوشهر ، والماشية والدواجن من البدو النازلين باطراف المدينة (٦) وكانت

---

(١) المصدر السابق : ٥٧٥
(٢) المصدر السابق : ٥٧٦
(٣) المصدر السابق : ٥٧٦
(٤) انظر رحلة ستوكويلر ص ١
(٥) المصدر السابق : ٨٠
(٦) المصدر السابق : ٢٠

اثمان الماشية تختلف انخفاضا وارتفاعا بحسب توفرها • فحين تأتي القبائل الى الكويت للاتجار ، وتأتي معها بالخراف ، يباع الخروف الواحد بدولار (ريال) ، وحين يندر وجود الخراف ، يصل ثمن الخروف الواحد ريالين • وكانت الكويت تحصل على خشب الساج اللازم لبناء السفن من مدينة بومباي (١) •

تقرير من الكابتن هنيل ، أبريل ١٨٤١

وبعد زيارة جونز للكويت وفيلكة ، طلبت حكومة بومباي من الكابتن هنيل المقيم الانجليزي في الخليج ، ان يتوجه الى الكويت ، ليكتب تقريرا عن مدى صلاحيتها لتكون قاعدة عسكرية ، تستخدم لحماية مصالح الهند ، فيما لو اضطرت هذه ان تسحب قاعدتها من جزيرة خارج (٢) وعلى الرغم من ان هنيل قد وجد الكويت لا تفي بالغرض المطلوب فقد دون ملاحظات مفيدة عن تجارة الكويت في ذلك التاريخ•

ذكر هنيل ان لدى سكان الكويت ٣١ بغلة وبتيلا ، تتراوح حمولة الواحدة منها بين ١٥٠ ـ ٣٠٠ طن ، وهي تتاجر دوما مع الهند • وهناك خمسون سفينة صغيرة تستخدم في التجارة الساحلية بالخليج ، وحوالي ٣٥٠ قاربا يعمل في صيد اللؤلؤ (٣) •

اما شيخ الكويت (٤) ، فكان لا يحصل ضرائب او عوائد جمركية ، سوى ضريبة صغيرة على سلع البدو الذين يأتون الى مدينته • وأما ميناء الكويت ، فحر لا قيود فيه • ويكاد الدخل الذي يحققه الشيخ لا يتجاوز ٣٠٠٠ دولار (ريال) (٥) •

---

(١) ذكر جونز ان البطيخ يزرع محليا في الكويت . انظر ص ٥٢ من تقريره المنشور في منتخبات حكومة بومباي رقم ٢٤ .
(٢) انظر المصدر السابق
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر السابق
(٥) المصدر السابق ، الفقرة الثامنة .

اشارات في ثلاثة تقارير قدمها كمبول (اكتوبر ١٨٤٤ ، يناير ١٨٤٥ ، يوليو ١٨٥٤) (١)

في اكتوبر عام ١٨٤٤ ، وكانت بريطانيا قد اخذت تبذل كل جهدها للقضاء على تجارة العبيد في بلاد الهند ، ومناطق الخليج العربي ، والمحيط الهندي ، كتب كمبول Kemball المقيم الانجليزي في الخليج تقريرا عن ذلك الموضوع ٠ وفي تقريره المذكور يقول ان السفن الناقلة للعبيد في مياه الخليج ، خلال اشهر اغسطس وسبتمبر واكتوبر ، من عام ١٨٤١ ، كانت ١١٧ سفينة من بينها ست سفن كويتية ، وكان المجموع لما حملته من عبيد من الجنسين هو ١٢١٧ نفرا ، خص سفن الكويت منها ١٠٣ ، وكان هؤلاء العبيد يرسلون الى الكويت والبصرة والمحمرة ليباعوا في مكة وكربلاء (٢) وكانت وجهة خمس من هذه السفن الكويت ، اما المائة والاثنتا عشرة سفينة المتبقية فكانت وجهتها البصرة والمحمرة (٣) اما المصدر الرئيسي لتجارة العبيد فكان بالطبع ميناء مسقط حيث كان يؤتى بهم اليه من ساحل افريقيا الشرقي ، ومن بلاد الحبشة (٤) ويبدو من تقرير للكابتن هنيل ، ضمنه كمبول تقريره الحالي ، ان السفن التي كان ينقل فيها العبيد من الخليج ومن مسقط الى سواحل الهند ، كانت ملكا لتجار الخيول (٥) وتجار اخرين غيرهم من اهل البصرة والكويت وبوشهر والبحرين وبلدان صغيرة أخرى واقعة على سواحل الخليج العربي ، وكذلك تجار من بومباي (٦) ٠

---

(١) الشيخ جابر بن عبدالله

(٢) انظر تقرير هنيل في القسم الثاني من هذا الكتاب ، الفقرة ٨ .

(٣) انظر تقريره بعنوان Measures adopted by the British Govt . between 1820 and 1844 for the effecting of the Suppression of the Slave Trade in the Persian Gulf , Bombay selections .

وذلك في كتاب Bombay Selections , xxiv صفحات ٦٤٨ وما يليها .

(٤) انظر التقرير السابق في منتخبات بومباي (٢٤) : ٦٤٨

(٥) المصدر السابق : ٦٤٩

(٦) المصدر السابق

وفي تقرير تاريخه ٦ يناير ١٨٤٥ ، عاد كمبول ، ليقول عن الكويت انها مدينة أنموذج للنجاح التجاري ، وبعد ان قدر سكانها بنحو ٢٥ الف نسمة ، احصى سفنها ، فذكر انها :

أ - ٣١ بغلة وبتيلا تتراوح حمولة الواحدة منها بين ١٥٠ ـ ٣٠٠ طن .

ب ـ ٥٠ سفينة صغيرة تعمل في التجارة على سواحل الخليج .

جـ ـ ٣٥٠ قاربا وتعمل في صيد اللؤلؤ .

ثم قرر ان ميناء الكويت حر ، لا تجمع فيه اية جمارك او مكوس . وان شيخ الكويت يفرض ضريبة على البدو الذين يؤمون مدينة الكويت لشراء حاجياتهم وقدرها بسيط الا انها تدر عليه دخلا يقدر بثلاثة الآف دولار في السنة (١) .

وفي تقرير آخر بدأ كمبول KEMBALL (٢) في اعداده في ١٧ فبراير ١٨٤٥ ، وقدمه بتاريخ اول يوليو ١٨٤٥ ايضا ، قدر كمبول تعداد سكان الكويت باثنين وعشرين الف نفس (٣) وان مدخولها السنوي هو ٢٢ الف كورونة المانية ، بعضها يقدم كهبات (٤) ، والبعض يحصل من ضريبة قليلة تجمع عند مدخل المدينة ، على البضائع المنقولة الى القبائل المقيمة خارج المدينة ا او البضائع الداخلة الى مدينة الكويت نفسها (٥) .

بلي وتجارة الكويت ١٨٦٣ و ١٨٦٥

وفي تقارير ثلاثة دونها الكولونيل بلي PELLY ، المقيم البريطاني في الخليج في عامي ١٨٦٣ و ١٨٦٥ ، أورد بلي ذكر الكويت ، ضمن ما اورده من تعليقات على تجارة الخليج . ففي ٣ مارس ١٨٦٣ ، كان بلي في الجهرة ، حيث رأى المكان

---

(١) سنأتي الى ذكرهم مفصلا فيما بعد .

(٢) المصدر السابق : ٦٤٩

(٣) المصدر السابق ص : ١١٠ . لايخفي على القارىء ان كمبول هنا ينقل تقرير هنيل الذي اشرنا اليه قبل قليل ، فالاعداد بقيت واحدة دون تغيير .

(٤) لم يحدد مصدرها ، واغلب الظن انها تقدم من التجار للحاكم من اجل الانفاق على الادارة .

(٥) انظر التقرير في منتخبات حكومة بومباي (٢٤) ص : ٢٩٦

الذي كانت تتجمع فيه الخيول النجدية ، وذلك قبل ارسالها من الجهرة (١) الى بومباي (٢) ٠ وحين بلغ بلي الكويت ذكر ان مراكب (٣) ، تتراوح حمولتها بين ٥٠ ـ ٦٠ طنا ، كانت تنقل البضائع من موانيء الخليج الشمالية الى الكويت ، لتنقلها البغلات الكويتية الى بومباي ٠ وعلى نفس الشاكلة يجري شحن البضائع من الهند في سفن كبيرة الى ميناء الكويت ، حيث تفرغ في سفن صغيرة تتولى توزيعها على موانيء الخليج الشمالية (٤) ٠ يستورد خشب الساج من الهند حيث يستخدم في صناعة السفن ومن هذه المدينة يصدر عدد كبير جدا من افضل خيول الجزيرة العربية الى بومباي (٥) ٠

وفي تقرير آخر لاحق لتقريره السابق (٦) ، افاد بلي ان واردات الكويت من ملبار وبومباي تصل الى ٢٠٠٫٠٠٠ روبية ، وذلك نظرا استيراد اقمشة ورز وقهوة وأخشاب وبهارات (٧) ٠ والكويت تصدر ٨٠٠ (ثمانمائة) حصان اصيل ، يبلغ متوسط ثمن الحصان منها ثلثمائة روبية وكذلك تصدر الكويت ما قيمته ٤٠٫٠٠٠ (أربعون الف) روبية من الاصواف و ٦٠٫٠٠٠ (ستون ألف) روبية من التمور ، وربما ما قيمته ٤٠٫٠٠٠ (أربعون الف) روبية من بضائع اخرى متفرقة ٠ ويشحن من الخيول مباشرة من الكويت نحو ٦٠٠ (ستمائة) رأس ، اما الباقي وقدره مائتان فيشحن من البصرة ٠ ولتجار الخيول الكويتية وكلاء من عرب شمر وغيرها من القبائل النجدية ٠ ويبدأ هؤلاء الوكلاء في جلب خيولهم في شهري يوليه واغسطس الى الكويت عن طريق البر ، مفضلين ذلك على احضارها عن طريق البصرة ، خشية دفع الضرائب ، وغير ذلك من الأمور

---

(١) اغلب الظن ان هذه الخيول كانت ترسل من ميناء يقع في مكان كاظمة ، غير بعيد عن الجهرة .

(٢) انظر Pelly , Recent tour , 118

(٣) اغلب الظن انها مراكب كويتية .

(٤) Pelly , Recent tour , 119—120

(٥) المصدر السابق

(٦) Pelly , Remarks on the Tribes , etc .

(٧) المصدر السابق ص ٧٣

التي تسبب لهم المضايقات والعناء (١) ٠

أما البحارة الكويتيون ، فيصفهم بلي بالسمعة الطيبة والمهارة ، ويذكر ان عددهم يبلغ ٤٠٠٠ (أربعة لآف) بحار ٠ وترسل الكويت نحو ثلاثين مركبا الى بومباي في العام الواحد ، معدل حمولتها مائة طن ، حاملة الفي سلة من التمور يبلغ ثمنها الف ريال فرنسي ٠ ومن هنا تكون جملة الصادر من التمور ٣٠٫٠٠٠ ريال افرنسي او ٦٠٫٠٠٠ روبية ٠ ويأتي الكويتيون بالتمور من شط العرب ٠ وأما علف الخيول ، فيأتي قسم منه من بندر الزبير (٢) ٠ وتحصل الكويت على احتياجاتها من الاغنام والسمن والحليب من البدو الذين ينزلون خارج اسوارها (٣) ، والكويت لا تتقاضى زكاة أو جمركا او عائدات من أحد ، اللهم الا اذا استثنينا هدايا قليلة تقدم عند بوابتها ، اوما يدفعه تجارها ، وحصيلة كل ذلك تصل الى نحو عشرين الف ريال في السنة (٤) ٠

هذا ، ولقد اثبت بلي ، بين ما اثبته من جداول خاصة بتجارة مدن الخليج مع بوشهر ، اثبت جدولا خاصا بالكويت (٥) ٠ ويظهر من ذلك الجدول ان المعدل السنوي لصادرات الكويت الى بوشهر في العام كانت كالاتي (٦) :

قهوة (ملبار) ٤٠٠٠ من تبريزي ثمنها ٨٫٠٠٠ روبية

فلفل أسود (ملبار) ٥٠٠٠ من تبريزي ثمنها ٦٫٢٥٠ روبية

قطع اقمشة قطنية ١٥٠٠ قطعة ثمنها ١٨٫٠٠٠ روبية

اما الواردات عن طريق بوشهر الى الكويت فكانت كالاتي (٧)

تنباك (دخان) ١٤٫٠٠٠ من تبريزي ثمنها ٨٧٥٠ روبية

---

(١) المصدر السابق

(٢) والقسم الآخر يأتي من الجهرة نفسها . انظر Recent tour , 118

(٣) Pelly , Remarks , 73

(٤) المصدر السابق : ٧٤

(٥) انظر الجدول مفصلا في القسم الثاني من هذا التاريخ

(٦) Pelly , Remarks , 109

(٧) المصدر السابق : ١١٠

الغوة (مادة صباغة) ٢٠٠٠ر٢ من تبريزي ثمنها ١٢٥٠ روبية
الكراويا (بذور) ٣٠٠٠ر٣ من تبريزي ثمنها ٧٥٠ روبية
جوز الاهلوك (AHLOOK) ٣٠٠٠ من تبريزي ثمنها ٧٥٠ روبية
السجاجيد ٥٠٠ قطعة ثمنها ٥٠٠٠ روبية

كذلك عاد بلي Pelly الى ذكر تجارة الخيول من الكويت ، مع بيان اهمية ذلك كمصدر من مصادر التجارة الكويتية ، عند مروره بالجهرة فالكويت ، وهو في طريقه لزيارة الرياض ، في شهر فبراير من عام ١٨٦٥ (١) ٠

ولعلنا نعود الان الى حديث بكنجهام عن تجارة الخيول في الكويت ، تلك التجارة التي يبدو انها اخذت في الازدهار عندما اخذ الانجليز يبنون امبراطوريتهم في الهند ، ويحاربون اعداءهم في شمالها ، وذلك طوال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وخلال فترة طويلة من نصفه الثاني ٠

ويذكر بكنجهام ان مجموع ما صدر من الخيول العربية من البصرة والكويت ، الى بومباي ومدراس وكلكتا ، في سنة ١٨١٦ ، كان الفا وخمسمائة حصان ٠ اما ثمن الحصان فكان ٣٠٠ روبية ، واما تكاليف نقله وعلفه ورعايته حتى ايصاله الى نهاية الرحلة ، فكانت تصل الى مائتي روبية (٢) ٠ أي أن تجارة الخيل في السنة كانت ٧٥٠٠٠٠ روبية (ثلاثة ارباع المليون) ، وكان يدفع على كل حصان في البصرة خمسين قرشا بمثابة هدية للمتسلم ، كذلك كانت تلحق بالرأس مصاريف اخرى تصل في المجموع الكلي بالحصان الواحد الى ٦٠٠ روبية ، اي ان التجارة السنوية كانت تصل ٩٠٠ر٠٠٠ روبية او قرابة المليون روبية ٠

اما أسعار بيع هذه الجياد ، فكانت تصل في بومباي الى ٨٠٠ روبية (٣) ،

---

(١) انظر Pelly , Visit , 182—184
(٢) انظر Buckingham , Travels , 385
(٣) لاحظ ان نصف الخيول كان يباع في بومباي والربع في كلكتا والربع في مدراس . انظر المصدر السابق .

وكان صافي الربح في الحصان الواحد مائة روبية ٠

أما الخيول التي كانت تباع في البنغال ، فكانت هي المنتقاة ، وثمن الجواد هناك الف روبية (١٠٠٠ روبية) ، واذا اضيف الى ذلك المصروفات ، تصل تكاليف الحصان الواحد في البنغال الى ١٥٠٠ روبية ، اما متوسط ثمن البيع فكان ٢٠٠٠ روبية او (٢٠٠ جنيه استرليني) (١) ٠

ويورد بكنجهام وصفا دقيقا للسفن المخصصة لنقل الجياد في كتاب رحلاته ، مما لا مجال لتفصيله هنا ، ولو ان ذلك يعني دارس التجارة الكويتية في هذه الحقبة بالنظر لان البغلات الكويتية كانت تستخدم في نقل الجياد من الكويت الى الموانيء الهندية ٠ وكان معدل حمولة البغلة او السفينة هو ثمانين جوادا ، تزداد احيانا حتى تصل المائة (٢) ٠

هذا ، ولعل الجدول المرفق بالصفحة التالية ، والمأخوذ عن تقرير متعلق بتجارة بومباي عام ١٨٣٦ / ١٨٣٧ ، يبين للقاريء اهمية تجارة الخيول المشار اليها (٣) ٠

وبعد ، فان الناظر في المعلومات التي قدمها الرحالة ورجال شركة الهند الشرقية الانجليزية عن تجارة الخليج عامة ، وتجارة الكويت خاصة ، يستطيع ان يدرك ان السياسة الاقتصادية التي كان قد درج عليها الشيخ عبدالله بن صباح من قبل في حرية التجارة ، قد بقيت سارية في عهد خليفته جابر بن عبدالله وصباح بن جابر ٠

كذلك يستطيع المرء ان يدرك ان حظ الكويت من نقل التجارة في الخليج العربي ، وكذلك المتاجرة مع الموانيء الهندية ، قد بقي عظيما في هذه الحقبة من تاريخها ٠ ولعل الكويت كانت تقف في مصاف اكبر موانيء الخليج في تعداد

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨٥

(٢) انظر صفحات ٣٨٤ - ٣٨٩

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٩

تجارة بومباي (الواردات بالروبيات) *

البلد	بضائع	عملة وكنوز	خيول	مجمل الوارد
بريطانيا	١٣,٢٤١,٩١٠	–	–	١٣,٢٤١,٩١٠
الصين	٤,٠٠٥,٦٦٩	١٠,٠٧٤,٢٨٣	–	١٤,٠٧٩,٩٥٢
الخليج العربي	١,١٠٢,٨٩٧	٢,٠١٠,٨٩٢	٤٤٥,٨٠٠	٣,٥٥٩,٥٨٩
كلكتا	٢,٥٣٨,١٠١	–	–	٢,٥٣٨,١٠١
سيلان	٥٥,٣٤٠	٥٣,٠٠٠	–	١٠٨,٣٤٠
ملباو	٧,٥٨٠,٦٧٣	–	–	٧,٥٨٠,٦٧٣
كتش	١,٤٩٩,٥٩٠	٥٥٠	٧٢,٥٠٠	١,٥٧٢,٦٤٠

تجارة بومباي (الصادرات بالروبيات)

البلد	بضائع	عملة وكنوز	خيول	مجمل الصادر
بريطانيا	١٣,٥٢٩,٣١٧	–	–	١٣,٥٢٩,٣١٧
الصين	٣٢,٦٦٦,٢٤٧	٨,٨٠٠	–	٣٢,٦٧٥,٠٤٧
الخليج العربي	٣,٤٥٧,٣٤١	٤٢,٩٠٠	–	٣,٥٠٠,٢٤١
كلكتا	٨٧٦,٨٨٤	١٠,٢٠٠	٢٤٩,٩٠٠	١,١٣٦,٩٨٤
سيلان	٣٧,٨١٨	٤٨,٦٥٨	١٥,٠٠٠	١٠١,٤٧٦
ملبار	٩١١,٥٤٧	١,١١١,٥٨١	٢٩٥,٤٠٠	٢,٣١٨,٥٢٨
كتش	٢,٣٢٧,٣٤٧	,٢٠٠	–	٢,٣٢٩,٣٤٧

* انظر A report of the Commerce of Bombay for the Year 1836/37 with Tables etc, Presidency of Bombay, Misc. Publications, Documents P. 8

السفن الكبيرة من بغلات وبتاتيل ٠ وان نظرة الى ما كان لدى الكويت والبحرين من هذا النوع من السفن لكافية للتدليل على ما نذهب اليه ٠ فقد كان لدى البحرين عشرون سفينة كبيرة ، بينما كان للكويت احدى وثلاثون سفينة من هذا الطراز ٠ وكانت هذه هي السفن القادرة على المتاجرة مع البلدان النائية على سواحل الهند وغيرها ٠ وكذلك كان للكويت خمسون سفينة من النوع المتوسط في حين كان للبحرين نحو مائة منها ، وكانت هذه السفن تعمل محليا في مياه الخليج ٠

هذا ولقد ساهمت الكويت بنصيب كبير جدا في تجارة الخيول مع الهند ، كما دللت على ذلك اقوال بكنجهام وبلي ، ولقد كانت هذه التجارة تدر على العاملين بها دخلا غير قليل ٠ ولقد كانت النتيجة الطبيعية لهذا النشاط التجاري ، ان استمرت علاقات الكويت قوية مع الدول المتاجرة في مياه الخليج والقوى السياسية فيه ٠ ولعل هذا النجاح في مضمار الملاحة البحرية ، هو الذي جنب الكويت المخاطر التي ترتبت على وجود جيوش محمد علي باشا في شرقي الجزيرة كما سبق ان شرحنا ٠ ذلك ان توفر السفن لدى الكويت سهل لها نقل ما كان جيش محمد علي باشا بحاجة اليه في الاحساء جنوبا ، وكذلك سهل لها اسطولها نقل الغلال من بوشهر والبصرة الى ذلك الجيش ، حين كانت حاجته ماسة الى ذلك ٠ ومجمل القول في تجارة الكويت انها استمرت فيما يبدو من التقارير آنفة الذكر ، تتقدم باطراد ،كما كان حالها في خلال فترة حكم عبدالله الاول التي انتهت عام ١٨١٥ ٠ ولا ريب ان السياسة الحكيمة التي مضى عليها جابر بن عبدالله وولده صباح من بعده ، كانت هي المسئولة عن اطراد تقدم الكويت التجاري في عهديهما ٠ ولا ريب ان التقدم التجاري يصحبه اطمئنان سياسي ، وهو ما شاهده بلي في الكويت في عامي ١٨٦٣ و ١٨٦٥ ، اي قبل وفاة صباح بن جابر بعام واحد ٠

وكذلك استمر هذا الازدهار التجاري في عهد عبدالله بن صباح ومحمد بن صباح ومبارك الكبير ٠ ويكفي للدلالة على حجم الاسطول الكويتي خلال

النصف الثاني من القرن التاسع عشر واوائل العشرين ، ما ساهمت به الكويت في الحملة العثمانية على الاحساء عام ١٨٧١ ، وقد اشرنا الى ذلك بتفصيل عندما شرحنا الدور الذي لعبه فيها الشيخ عبدالله الثاني بن صباح ٠

الفصل العاشر

مبارك بن صباح

١٨٩٦ - ١٩١٥م



الشيخ مبارك الصباح (١٩٨٦ - ١٩١٥)

مبارك بن صباح
١٨٩٦ - ١٩١٥م

يعرف مبارك بن صباح ، سابع حكام الكويت من اسرة الصباح ، بلقب مبارك الكبير . ويرى عديد من الكتاب أنه مؤسس الكويت الحديثة . ونرى أنهم مالوا الى ذلك الرأي بسبب أن الكويت كانت مشيخة من مشيخات ساحل جزيرة العرب الشرقي ، وهي مشيخات عديدة ، بعضها صغير المساحة ، قليل عدد السكان ، وبعضها عظيم المساحة ، وسكانه يفوقون في تعدادهم غيرهم من المشيخات ، وحسب القارىء أن ينظر خريطة لساحل الخليج العربي من مسقط جنوبا الى الكويت شمالا حتى يتبين صحة ماذهبنا اليه من حيث المساحة . وأما تعداد السكان فلم تتوفر له في القرون الحديثة الاحصائيات . وبالطبع فان شهرة الحاكم لاتقاس بعدد سكان مشيخته او بمساحتها ، وانما بانجازاته السياسية ووضع بلده في مقدمة مثيلاتها . ولذا كان لابد لذلك الحاكم أن تتوفر فيه صفات القيادة لقومه في بلده من جهة وعلى المعترك الدولي من جهة أخرى .

ان زعامة مبارك للكويت انما ولدت في وقت حرج ، ليس في تاريخ العرب فحسب ، بل في تاريخ العالم المتمدين باسره ، اذا تذكرنا ان فترة نهاية القرن التاسع عشر في أوربا - زعيمة دول العالم بأسره آنذاك - وبداية القرن العشرين ، كانت هي الفترة التي شهدت قمة النجاح الاستعماري لدول أوربا ، ثم فترة تفكير الدول الاوربية جديا في تقسيم تركة رجل أوربا المريض - أي الدولة العثمانية ، وكذلك بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، وما أعقبها من نزاع على تركة الدولة العثمانية . ولما كانت معظم البلدان العربية

تخضع للدولة العثمانية اما خضوعا كاملا او اسميا في بعض الاحيان ، كان لابد للكويت ، التي هي جزء لايتجزأ من الجزيرة العربية ، ان تتأثر في مصيرها ، بما كان يحاك من مؤامرات على حياة الرجل المريض . ولعلي أشير ، وأنا أعرض هذا العرض الموجز للاوضاع الدولية التي صاحبت حكم مبارك الكبير ، لعلي أشير الى ما آلت اليه ممتلكات الدول الاستعمارية الاوربية الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، فهي قد بدأت تخرج من حالة الاستعمار الى حالة الاستقلال ، وكما أعقبت الحرب العالمية الاولى عصبة الامم في جنيف بسويسرا ، اعقبت الثانية الامم المتحدة بنيويورك في الولايات المتحدة الامريكية . وكانت ولادة الدول الأخيرة أقل عسرا من ولادة الدويلات العربية التي ظهرت على حيز الوجود بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى . وإن كان قد تأخر ميلاد البعض إلى فترة مابعد الحرب العالمية الثانية . ولسوف ندخل فيما بعد في بحث وتحليل الدور الذي لعبه مبارك الكبير في احلال الكويت المقام اللائق بها بين الدول العربية ذات الكيان المستقل في اواخر القرن الماضي .

على أن حاكم الكويت الجديد لم يكن ليواجه مؤامرات خارجية عليه فحسب ، بل أنه تعرض لمحاولات محلية كانت تهدف الى ازاحته عن الحكم ، قبل ان يستقر في كرسيه ، ونعني بذلك محاولات يوسف العبدالله الابراهيم الذي هب يساعد ابناء جراح ومحمد ، بعد أن انتزع منهما مبارك مقاليد الحكم ، والى هذا الموضوع سنعود ايضا بعد قليل .

كذلك كان على مبارك أن لا يغفل عما كان يدور حوله من صراع على ملك نجد والاحساء بين آل سعود أمراء نجد المشردين آنذاك ، وبين آل رشيد امراء جبل شمر وامراء نجد الجدد . ويبدو أن حاكم الكويت قد اندفع في حربه لآل رشيد الى حد خيل لبعض مراقبي الامور في وقته أنه انما كان يهدف الى تنصيب نفسه اميرا على جزيرة العرب . ولعل مما حدا بذلك البعض الى هذا القول ، ما رأوه من طموح متوفر لدى مبارك ، تشفعه المقدرة العسكرية المطلوبة لتحقيقه ،

ولسوف نترك للقارىء ان يحكم بنفسه على ما اشرنا اليه هنا ، بعد أن يفرغ من مطالعة هذه الصفحات التي ستتناول عهد مبارك الكبير بالشرح والتحليل .

بين مبارك وأخويه محمد وجراح

بعد وفاة صباح تولى الحكم ابنه محمد ، مع ان الرواية المحلية لتاريخ الكويت لاتوضح بالتأكيد أن محمدا قد ولى الحكم دون أخويه ، فهي بكثرة ماتشير الى اشراكه أخاه جراحا في ادارة دفة الحكم وتكاد تقول ان الاخوين كانا يحكمان معا في آن واحد ، وان الرواية نفسها تكاد بما تظهره من تولية محمد لاخيه مبارك شئون حفظ الامن في البادية تكاد تقول انه قصد بهذه العملية الاقصاء عن الحكم وليس المشاركة فيه . وحين تتحدث عن التقتير في صرف المال لمبارك من لدن جراح ومحمد ، وهو المال المطلوب لحفظ النظام بين عربان بادية الكويت ، كأنها تؤكد ان مباركا لم يكن بيده الكثير من شئون ادارة الحكم او المساهمة فيه . ونحن لانريد ان ندخل في تفاصيل أمور صرف مال الدولة ، ونسرف في تحليل أثر ذلك على مسلك مبارك في النهاية تجاه أخويه ، مثلما فعل المؤرخون المحليون ، ومثلما تحدث به ديكسون في كتابه عن « الكويت وجيرانها » و« عرب الصحراء » فمن اراد التفصيل نحيله على تلك المصادر (١) . غير ان محصلة تصرفات الشيخ محمد ، بالتضامن مع الشيخ جراح ، قد اوقعت القطيعة بينهما وبين اخيهما الشيخ مبارك مما حدا بالاخير ان يتخلص من اخويه ، وان ينصب نفسه حاكما على الكويت في ٢٥ ذي القعدة ١٣١٣ / يونيه ١٨٩٦ .

تؤكد بعض المصادر لقارئها أن اهم الاسباب اتساع شقة الخلاف بين الاخوة ، انما كانت مشورة يوسف بن عبدالله بن ابراهيم ، وهو تاجر ثري من تجار الكويت آنذاك . وبينما تذهب المصادر المحلية العربية الى ان مناصرة يوسف لاولاد محمد وجراح ، بعد وفاتهما ، انما كانت

---

(١) انظر الرشيد ٢ : ٣٧-٤٧ وكذلك القناعي ٢١-٢٣ .
وانظر كذلك Dickson , The Arab of the Desert , 266—272

لرابطة مصاهرة (١) مع آل صباح ، تزيد المصادر الاجنبية على ذلك ان المذكور كان يعمل من أجل تقويض حكم آل صباح في الكويت بتحريض من الدولة العثمانية ، وانه كان يتوقع ان ينصب حاكما على الكويت نتيجة لمؤامراته مع عمال الباب العالي في ولاية بغداد والبصرة ، وحتى مع بيت الرشيد في حائل بنجد (٢) . والواقع أن جهود يوسف عبدالله الابراهيم على الصعيد العسكري والسياسي ترتبط بتاريخ العلاقات الكويتية العثمانية في عهد مبارك ، ولذلك سيكون موضعها في هذا الفصل معها . ويكفي ان نشير هنا الى ان جهود ومحاولات يوسف بن عبدالله الابراهيم لم تتوقف الا بوفاته عام ١٩٠٦ في حائل بجبل شمر أي أن الحرب التي شنها يوسف علي مبارك استمرت حوالي أحد عشر عاما او يزيد .

مبارك والاتراك

غادر انجال الشيخ محمد الصباح والشيخ جراح الكويت الى البصرة ، اغلب الظن بناء على اتصال يوسف بن عبدالله بن ابراهيم بهم ، وأخذ يوسف يستعدي والي البصرة حمدي باشا على الشيخ مبارك وكذلك اجرى يوسف اتصالات بالقنصل البريطاني باسم اولاد محمد وجراح ، وقد كان هدف الاتصال الاول بحمدي باشا الاستنجاد بالعثمانيين من اجل اعادتهم الى الحكم في الكويت ، واما عن الاتصال بالقنصل البريطاني فكان من اجل طلب الحماية البريطانية على الكويت ، اذا عملت بريطانيا على اعادتهم للحكم ايضا . وفي نفس الفترة ، أي في عام ١٨٩٦ ، اتصل مبارك برجب باشا والي بغداد ، والشيخ ابو الهدى ، شيخ الاسلام في اسطمبول ، مغدقا الاموال على رجال الدولة العثمانية في بغداد واسطمبول ، من أجل هدف اعتراف السلطان العثماني به حاكما على الكويت ،

---

(١) في تفسير علاقة القربى بين يوسف الابراهيم ومحمد وجراح ، ادرج لورمر, Gazetteer , I , i , Lorimer , P . 1017) تفصيلا للرابطة بين الشيخين محمد وجراح ويوسف الابراهيم .

(٢) القناعي ، ٢٥ والرشيد ٢ : ٥٢-٥٦ . وانظر ايضا :

Dickson , **Kuwait and her Neighbours** , 136 ثم انظر Lorimer , I , i , 1017—1018

وعلى الصعيد البريطاني ، أجرى اتصالاته بالمقيم البريطاني في بوشهر ، مظهرا رغبته في الحماية البريطانية . وهذا يوضح ان طرفي النزاع قد اتجها الى اقوى دولتين في المنطقة ، من أجل نفس الهدف . هذا من ناحية الاتجاه السياسي . أما من ناحية الاستعداد العسكري ، فكان يوسف ، بما توفر له من أموال طائلة يعد العدة للهجوم على الكويت ، وانتزاعها من يد مبارك . وكان مبارك يدرك مايدبره يوسف ولذا كان دائم التيقظ للغزو المرتقب . اذن كانت المعركة سياسية وعسكرية في آن واحد ، ولا ريب أن ثلاث السنوات الاولى من حكم مبارك ، كانت احرج سني حكمه الذي شارف العشرين عاما .

ونحن ، وأن كنا لا نريد الدخول في تفاصيل الصراع على نيل التأييد لأي من الطرفين المتاخصمين من الدولتين الكبيرتين ، صاحبتي النفوذ في منطقة الخليج آنذلك ، لابد من نقرر ان ما انفقه مبارك من اموال طائلة في بغداد واسطمبول ضمن له قرار الدولة العثمانية بدليل ان ارادة سلطانية ، قد صدرت في ديسمبر عام ١٨٩٧ في اسطمبول بتعيين الشيخ مبارك « قائمقام » للكويت ، وبلغ بذلك صديقه والي البصرة الجديد وهو محسن باشا برقيا (١) . وهكذا يبدو أنه على الصعيد العثماني كسب مبارك المعركة الاولى في تقوية مركزه في حكم الكويت ، ولعل حرصه على ذلك الكسب ، كان نابعا من رغبته في ان يتجنب مؤامرات الباب العالي في اسطمبول أولا ، ثم مؤامرات ولاة الباب العالي في العراق ، في ولايتي بغداد والبصرة العثمانيتين . اما موقف الدولة البريطانية من مبارك ، فلم يتبلور آنذاك . والطريف في هذه المعركة السياسية التي كانت دائرة بين بريطانيا والباب العالي على ارض الكويت انها انما كانت دائرة من أجل اعادة نفوذ سابق ، كما هو الحال مع العثمانيين ، وفرض نفوذ جديد بالنسبة للانجليز في منطقة كانت قد بدأت تلعب دورا حساسا في السياسة الدولية لا المحلية كما سنراه فيما بعد حين نناقش مسألة بناء سكة حديد تربط الخليج بأوربا .

---

(١) مثل هذا اللقب منحه العثمانيون للشيخ عبدالله بن صباح وذلك على سبيل مكافاته على خدماته لحملة مدحت باشا .

ذكرنا قبل قليل ان المعركة السياسية كانت طريقا واحدا من طريقي النزاع ، وكان الطريق الثاني هو الحرب او الاسلوب العسكري . وبالفعل أعد يوسف حملة بحرية ازمع بها الهجوم على الكويت ، ومفاجأة مبارك بالغزو البحري .

محاولة غزو الكويت برا ، ٣٠ يونيو ١٨٩٧ (١)

ففي يوم ٣٠ يونيو ١٨٩٧ ، وصلت الحملة البحرية التي اعدها يوسف في هنديان على الساحل الفارسي للخليج ، مياه الكويت . وعلى الرغم من محاولة يوسف احاطة أمر اعداد الحملة بالسرية التامة ، فان مباركا قد علم بقدومها قبل ان تصل وكان مستعدا للقائها بحرا . ولما شهد يوسف استعداد الكويت للمعركة ، عاد ادراجه دون ان تحقق حملته هدفها . غير ان ذلك لم يعن ان يوسف قد أقلع عن عزمه على قتال مبارك . توجه يوسف بعد ذلك الى البحرين التي بلغها في اغسطس من نفس العام ، وذلك بقصد اشراك شيخ البحرين معه في التعرض لمبارك . وكان مبارك قد أرسل في نفس الوقت يعرض على شيخ البحرين ان يتوسط في النزاع بينه وبين ابناء أخويه . غير أن شيخ البحرين رفض القيام بتلك المهمة لاسباب لانعلمها على وجه الدقة ، مع ان بريطانيا ممثلة في حكومة الهند ، كانت ميالة لذلك . ولقد استمر خطر التهديد بغزو الكويت قائما خلال عام ١٨٩٧ والعام اللاحق له .

يوسف بن عبدالله وجاسم بن محمد آل ثاني ١٨٩٧ - ١٨٩٨ (٢)

ان فشل مهمة يوسف بالبحرين لم يثنه عن التوجه الى الدوحة ، حيث اتفق مع شيخها جاسم بن محمد آل ثاني ، فيما يبدو ، على المساهمة في غزو الكويت . وتتحدث الوثائق التاريخية عن ان جاسم بن محمد قد اعد حملة برية واخرى

---

(١) انظر القناعي ، ٢٥-٢٦ ، والرشيد ٢ : ٥١-٦٢ . كذلك Lorimer , I , i , 1017—1018
كذلك انظر : E . Bidwell , **Foreign Office Confidential Prints Correspondence**
Respecting Affairs at Kuwait , 1896—1905 , I , 13—22 ثم انظر كذلك Dickson ,
The Arab of the Desert , 271—272

(٢) الرشيد ، ٢ : ٦١-٦٢ وكذلك Lorimer , I , i , 1019

بحرية للسير بها على الكويت ، وانه كذلك اجرى اتصالات مع امير جبل شمر للمساهمة في قتال مبارك . ويبدو أن الخطة لم تنفذ على الرغم من انها كانت بسبيل التنفيذ في نوفمبر ١٨٩٨ . ولقد حاول الاتراك أن يوسطوا بين مبارك وجاسم نقيب البصرة غير أن مهمته قد فشلت .

لم تتوقف محاولات يوسف بن عبدالله هذه بعد ان لم يكتب لخطته النجاح ، وذلك انه حاول ان يستنصر عبدالعزيز بن متعب الرشيد امير حائل ونجد ، ولعله كان مدفوعا هذه المرة من قبل الاتراك في ولاية البصرة وبغداد ، ذلك ان عبدالعزيز الرشيد كان على صلات حسنة بالدولة العثمانية .

عبدالعزيز بن رشيد ويوسف بن عبدالله (١)

اقام يوسف بن عبدالله وأبناء الشيخ محمد بن صباح وأخيرا جراح في حائل بجبل شمر في ضيافة عبدالعزيز الرشيد ، ويبدو أن المذكور قد تبنى قضية هؤلاء ، وكان أمله أن تتدخل السطات العثمانية لاعادتهم لكرسي الحكم في الكويت . وكان ابن الرشيد يأمل بذلك أن يتخلص من مبارك الذي آوى منذ عام ١٨٩٢ الامير عبدالرحمن بن فيصل آل سعود وابناءه ، وعبدالرحمن كان خصما لدودا لابن الرشيد الذي انتزع منه ملك آل سعود في نجد . ونحن وان كنا لانعلم على وجه الدقة كيف بدأت المناوشات في صيف عام ١٩٠٠ بين مبارك وحلفائه وبين عبدالعزيز الرشيد ، الا اننا نعرف ان سعدون باشا ، امير المنتفق المخلوع أغار في تلك الاثناء على انحاء شمر ، ربما بايعاز من مبارك الذي كان يساند غزوة قام بها عبدالرحمن بن فيصل من الكويت متوغلا في نجد وذلك في شهر اغسطس عام ١٩٠٠ ، وكذلك نعلم أن مبارك قد أمد عبدالرحمن بن فيصل وجيشه الغازي بنجدة طلبوها اثناء تلك الغزوة وذلك في شهر سبتمبر . وفي شهر أكتوبر التالي انضم مبارك لصفوف الجيش الغازي من أجل تحقيق اهداف ضيف الكويت عبدالرحمن بن فيصل آل سعود . كان مبارك قبل هذه الحملة على نجد

---

(١) الرشيد ، ٢ : ٦٣-٦٥ وكذلك Lorimer , I , i , 1027—28

بعام واحد قد وقع اتفاقية عام ١٨٩٩ مع الانجليز ، ولا ريب أن الانجليز كانوا لايرغبون في التورط في حروب برية في صحراء الجزيرة العربية وفيافيها ، ولذلك شعروا بارتياح عندما توصل والي البصرة العثماني محسن باشا عن طريق وساطة السيدين أحمد وطالب النقيب ، في حقن الدماء والفصل بين الجيوش المتعادية . ونحن لن ندخل هنا في دراسة علاقة مبارك بالانجليز اذ نرجىء ذلك الى حين .

موقعة الصريف بين مبارك وابن رشيد ١٧ مارس ١٩٠١

على ان ذلك الصلح لم يكن ليروق مباركا اذ انه كان يعلم ان عبدالعزيز آل رشيد لابد سيستمر في مؤ امراته على اعادة ابناء محمد وجراح الى سدة الحكم في الكويت ، لا سيما وأنهم ويوسف بن عبدالله آل ابراهيم كانوا لا يزالون يحلون في حائل بطرف آل رشيد . وعلى ذلك قرر مبارك القيام بغزو عبدالعزيز الرشيد في عقر داره . ونحن وان كنا لانريد الاطالة في وصف هذه الحملة فلا بد أن نوجز على الاقل ، احداثها . في شهر ديسمبر عام ١٩٠٠ توجه مبارك وعبدالرحمن بن فيصل على رأس جيش قوامه عربان العوازم والرشايدة ومطير والعجمان وبني هاجر وبني خالد ونحو الف من ابناء مدينة الكويت ، قاصدين غزو عبدالعزيز الرشيد في عقر داره بنجد وشمر . ولقد فتحت القوات الغازية نجدا دون مقاومة تذكر ، ونصب مبارك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل حاكما على الرياض . وبعد ذلك تقدم الجيش الغازي نحو حايل بقصد فتح منطقة جبل شمر . غير أن عبدالعزيز آل رشيد قد هزم جيش مبارك في الصريف على بعد عشرين ميلا شمال شرقي بريدة بالقصيم ، واضطر مبارك للانسحاب من المعركة بفلول الجيش الكويتي يوم ١٧ مارس ١٩٠١ ، بعد أن خسر معظم مقاتليه من اهل مدينة الكويت ، اذ قدر عدد قتلاهم بسبعمائة رجل . ولقد اشار بعض المؤ رخين الى نتيجة هذه المعركة قائلا بانها شهدت انهيار آمال مبارك آل صباح في بناء دولة كبرى في جزيرة العرب (١) .

---

(١) Kumar , India and the Persian Gulf Region , 195 كذلك انظر تفصيلا لمعركة الصريف في الرشيد ٢ : ٦٦-٧٣ وانظر القناعي ٢٧-٢٩ .

استمرار عداوة يوسف بن عبدالله لمبارك

لقد أصبحت الكويت بعد هزيمة الصريف معرضة لمخاطر عديدة ، اهمها محاولة الدولة العثمانية فرض سلطتها المباشرة على مبارك ، وذلك اما عن طريق استخدام عبدالعزيز الرشيد ، او عن طريق مباشر ، اي بارسال جنود من البصرة للاقامة بالكويت ٠ ولنضع هذه المسألة جانبا في الوقت الحاضر ، لنعود الى تحركات يوسف بن عبدالله بعد موقعة الصريف ٠

عاد يوسف بن عبدالله لمضايقة مبارك حين بدأ يحرض انصاره على غزو بدو الكويت النازلين بقرب سفوان وسلب حلالهم من المواشي والاغنام ٠ وكذلك قام رجاله بهجوم مفاجىء على الصبية ، وعادوا بعدد غير قليل من الجمال الكويتية ٠ كل هذا والسلطات العثمانية في نواحي الزبير لا تتعرض له ولا لرجاله ٠ غير ان هذه الاعتداءات على المواشي لم تكن ذات بال بقدر ما جاءت عليه هجمة مفاجئة دبرها يوسف لغزو مدينة الكويت نفسها بحرا ٠ ففي اوائل خريف عام ١٩٠٢ جهز يوسف نفرا كبيرا من رجاله لكي يدخلوا مدينة الكويت نفسها خلسة ، بهدف اغتيال مبارك ٠ وذلك انه اعد جماعة من عرب الشريفات القاطنين على الساحل الفارسي للتحرك برياسة عذبي بن محمد الصباح وابن عمه حمود بن جراح ، وسلحهم بالبنادق وانزلهم في قوارب في الدورة على شط العرب ٠

تحركت المراكب بهم الى مدخل الخليج حيث تجولت هذه المراكب فترة من الزمن حتى حل الليل ٠ وقد بلغت هذه الحركة السرية مسامع الانجليز بالقرب من الفاو يوم ٣ سبتمبر ، حيث كانت ترسو السفينة الحربية لابوينغ LapWing التي سارع قائدها الى الكويت ليبلغ الشيخ مبارك بالخبر ٠ وقد وجد قائد السفينة الكويت مستعدة لاستقبال الغزو ، ذلك أن خبرهم قد بلغ الشيخ مبارك قبل وصول قائد السفينة ٠ كانت تلك المراكب قد اختفت في خور عبدالله ، غير ان مطاردة السفن الحربية الانجليزية لها قد اسفرت عن العثور عليها يوم ٥ سبتمبر ، فطاردت بومين من سفنهم كان عليهما رجال مسلحون بالبنادق يبلغ عددهم ما بين مائة ومائة وخمسين رجلا ، وكانت سفنهم لا ترفع علم اية دولة ٠

وقد اندفعت قواربهم الى ارض ضحلة طينية ، وقفز المسلحون من المراكب ، واختفوا بين الحشائش الطويلة واخذوا يطلقون النار على جنود السفينة البريطانية وقتل في الرمي جندي بريطاني ، وجرح آخران . أما نتيجة المطاردة فكانت تدمير البومين ، بعد التأكد من أن أحدهما كان ملكا خاصا ليوسف بن عبدالله . وكذلك طرد يوسف بن عبدالله من منطقة الزبير والبصرة ، حيث لجأ الى عبدالعزيز الرشيد في حايل ، بعد ان طردته السلطات العثمانية من العراق . بقي يوسف بن عبدالله مقيما في حايل حتى وفاته فيها في شهر يناير عام ١٩٠٦ (١) .

العلاقات الانجليزية - الكويتية في عهد مبارك

لقد ذكرنا قبل قليل في هذا الفصل ان مباركا قد اتصل بالانجليز بعد استيلائه على كرسي الحكم في الكويت ، وكان هدفه ان يتقي الاخطار الخارجية التي قد تتعرض لها الكويت باوامر صادرة عن الدولة العثمانية في اسطمبول بناء على اقتراحات ولاتها في البصرة وبغداد . وقبل ان ندخل في تفصيل الاتصالات ثم الاتفاقيات التي ابرمها مبارك مع الانجليز طوال فترة حكمه ، لا بد من أن نتعرض للوضع السياسي في المنطقة حين تولى مبارك الحكم ، ذلك لان الوضع السياسي المذكور هو الذي أملى على مبارك ، فيما نرى ، السياسة التي اتبعها منذ البداية ، ونحن لا نعني بالوضع السياسي الوضع المحلي في المنطقة بل الوضع السياسي العام في اوروبا في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، والعقد الاول من القرن العشرين . لو بدأنا بالدولة العثمانية ، لعلمنا ان الرجل المريض كان ما زال مريضا ، وكاد ان يلفظ انفاسه في اواخر القرن التاسع عشر ، لولا اختلاف الدول الاوروبية على تركته ، ومن الدول الاوروبية المعنية باوضاع الخليج وممتلكات الدولة العثمانية فيه ، تبرز في المقدمة بريطانيا ، صاحبة الامبراطورية في الهند ، والتي كانت قد ارتبطت بسلسلة من المعاهدات مع المشيخات المتعددة على الساحل الغربي من الخليج ، والتي كانت دون ريب مسيطرة على مياهه .

(١) Lorimer , I , i , 1044

ثم كانت هنالك المانيا ، الدولة الحديثة في اوروبا ، ذلك ان المانيا لم تتحد الا عام ١٨٧٠ ، وكان رجل المانيا الحديدي بسمارك ، يطمع في مستعمرات خاصة في آسيا وافريقيا ، او تأسيس احتكارات المانية في الديار العثمانية ، وكانت روسيا نشطة في محاولة الوصول الى مياه الخليج العربي الدافئة بدورها ، كما كانت فرنسا لا تزال حريصة على ان توقف بريطانيا عند حدها ، اذا ما جاء يوم تقسيم تركة الرجل المريض · والذي يطالع تقارير سفراء تلك الدول الاوروبية في اسطمبول لهذه الفترة ، يدرك شدة تكالب هذه الدول على تركة الرجل المريض · وعلى ذلك كان على مبارك ان يستفيد من تنازع تلك الدول على تركة الدولة من ناحية ، وان يتصرف وفق مقتضيات العصر السياسية من ناحية اخرى ، بحيث يتجنب الاندفاع وراء الخاسر من المتنافسين ، وان يستفيد من ذلك الصراع الاوربي على ممتلكات الدولة العثمانية ، بحيث يبقى على استقلال الكويت ، الذي ورثه عن من سبقه من حكام الكويت من آل صباح ، كما بيناه في تاريخنا هذا حتى تولية مبارك مقاليد الحكم ·

وهنا لا بد لنا من أن نقف قليلا لنحلل الوضع السياسي في شرقي الجزيرة العربية حين تولي الشيخ مبارك سدة الحكم · ولنعد مجددا لما ذكرناه من قبل في هذا التاريخ اكثر من مرة ، وهو ان شرقي الجزيرة العربية ، قد خضع للحكم العثماني لفترة قصيرة بعد ان فتح الاتراك العراق عام ١٥٣٤ والاحساء عام ١٥٥٥ ، اذ صار الحكم في شرقي الجزيرة في نهاية القرن السادس عشر الى بني خالد واستمر ذلك حاله حتى آخر القرن الثامن عشر ، حين استولى الوهابيون على المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية من عمان جنوبا الى اطراف الكويت الجنوبية · ولقد بينا بوضوح تام كيف ان الكويت نجت من الغزوات الوهابية عليها في العقد الاخير من القرن الثامن عشر ، واحتفظت باستقلالها تبعا لذلك · اما الحكم العثماني بصورة فعلية أو اسمية ، فقد استمر قائما في بغداد ، وكانت حدود تلك الولاية تشمل البصرة جنوبا حتى اطراف مدينة الزبير · وخلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر ايضا كانت منطقة الزبير وجميع اطراف البصرة تحت رحمة قبائل المنتفق والظفير · ولقد عادت السيطرة العثمانية على الاحساء في

اعقاب الحملة التي أعدها مدحت باشا والي بغداد عام ١٨٧١ ، كما شرحنا في الفصل الثامن ٠ ولما قام مدحت باشا باعداد الحملة كانت الاوضاع السياسية في شرقي الجزيرة تختلف اختلافا كليا عما كانت عليه عام ١٥٥٥ ٠ ففي القرن السادس عشر قام العثمانيون بحملتهم تلك لايقاف الخطر البرتغالي عن زحفه في ديار الاسلام ، واما في القرن التاسع عشر ، فقد كانت بلاد شرقي الجزيرة العربية ، قد عرفت دويلات مستقلة تحت زعامة شيوخ ارتبطوا بمعاهدات مع الانجليز منذ عام ١٨٢٠ في بلاد القواسم ـ ساحل عمان المهادن ، وفي مسقط والبحرين ٠ وعندما حاول المصريون في عهد محمد علي باشا ان يعيدوا تلك الديار الى الحكم العثماني ٠ لم يوفقوا الى ذلك بسبب معارضة الانجليز اولا ، وثانيا لان هدف الحملة المصرية كان القضاء على الدولة الوهابية ، وهو امر قد حققوه في عام ١٨١٨ ، عندما دمر ابراهيم باشا الدرعية ، عاصمة الدولة الوهابية ٠ ولما زحفت قوات محمد علي باشا الى الاحساء وبلغتها عام ١٨٣٩ ، بقيادة محمد خورشيد باشا ، كان الانجليز لها بالمرصاد ٠ ولم يتمكن المصريون من اعادة النفوذ العثماني الى تلك الديار ٠ بل لعل من اهم اسباب تحالف الانجليز مع العثمانيين في ذلك العام ، هو القضاء على دولة محمد علي باشا في الشام ٠ ثم تبعه الانسحاب المصري من شرقي الجزيرة العربية ٠

هكذا يبدو جليا ان الوضع عام ١٨٧١ لم يكن هو الوضع عام ١٥٥٥ ، وكذلك فان الوضع عام ١٨٩٦ لم يكن هو الوضع عام ١٨٧١ ، اذ ان الظروف السياسية كانت قد تغيرت بسرعة ٠ ففي سنة ١٨٩٦ حاول والي البصرة العثماني ان يمد سلطة السلطان الى ما كان تحت يدها في العهود السابقة ٠ وكانت هذه نية حمدي باشا الذي لم تكن سياسته تسير على نفس الخط الذي سارت عليه سياسة سلفه ، والذي نريد ان نوضحه هنا ان سياسة الاتراك العثمانيين منذ أن أسقطوا حكم المماليك عن سوريا ومصر والجزيرة العربية والعراق في القرن السادس عشر ، كانت تنصيب وال من قبل السلطنة العثمانية في اسطمبول يكون بمثابة ممثل السلطان ، دون تدخل من اسطمبول في ادارة ولايته ، مادام يعترف رسميا بسلطة الباب العالي ، ويؤدي ما على ولايته من خراج ٠ وكلما اشتد

المرض برجل اوربا المريض، او الباب العالي ؛ كلما ضعف اشراف اسطمبول على ولايتها ، وزاد بالتالي استقلال الحاكم المحلي • وكان الاهتمام بالولاية يعود بقدر ما تدفعه لخزينة السلطنة في اسطمبول من الاموال ، اي ان سلطة الباب العالي على اطراف الدولة انما صارت اسمية لا فعلية • فالبلاد التي تمتعت بادارة امورها بنفسها ، لم تكن لترحب بالسياسة الجديدة التي ينتهجها ولاة مثل مدحت باشا او حمدي باشا • ولذلك كان الباب العالي يكتفي في كثير من الاحيان بان يمنح الحكام المحليين لقب قائمقام ، وهو لقب اشبه ما يكون بالالقاب الشرفية بالنسبة للحكام المحليين ، ذلك ان السلطة الفعلية كانت اصلا بايديهم ، وهي سلطة حصلوا عليها قبل ان يمنحوا ذلك اللقب • وبذلك اصبح من الميسور على الدول الاجنبية ان تعقد اتفاقيات مع هؤلاء الحكام دون الرجوع للباب العالي •

مبارك يطلب الحماية الانجليزية ١٨٩٦ / ١٨٩٧

لاشك أن الشيخ مباركا كان يدرك اهداف سياسة حمدي باشا التوسعية في كل انحاء شرقي الجزيرة العربية ، وهي اهداف كان يسعى اليها السلطان نفسه ، ولا ريب أن عيون الشيخ مبارك في الآستانة كانوا يدركون ذلك ، ولاريب أن الانجليز كانوا يدركونه ايضا . كان يهم الانجليز بالطبع أن يبقى طريق الخليج مفتوحا الى الهند ، وذلك من أجل تجارة الهند مع بلدان الخليج واذا عدنا الى الوراء قليلا وتذكرنا أن قناة السويس افتتحت للملاحة عام ١٨٦٩ بمساهمة كاملة من فرنسا دون انجلترا ، يتضح لنا لماذا أصر الانجليز على المحافظة على طريق الخليج بوضعها تحت سيطرتهم البحرية الكاملة . فهي اذن المنافسة الفرنسية البريطانية القديمة تعود من جديد . ولذلك فانه في عام ١٨٧١ عين البرلمان البريطاني لجنة منه للنظر في ربط البحر الابيض المتوسط بالخليج العربي ، كما ربط البحر الاحمر بالبحر المتوسط (١) . وقد أوصت هذه اللجنة ببناء خط حديدي يربط ميناء الاسكندرون على البحر الابيض المتوسط بالكويت على الخليج العربي ، مؤكدة

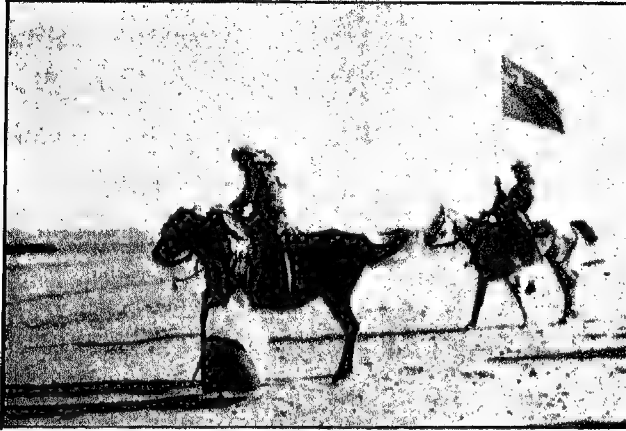
---

(١) Kumar , 140

صور التقطها اللورد كرزون
لدى زيارته الكويت سنة ١٩٠٣


رجال الحرس


حرس الشرف الهجانة



الشيخ ينتظر



النزول في الكويت



الاستماع الى كلمات ترحيبية

الاهمية التجارية والسياسية لذلك المشروع . فسوف يساعد هذا الطريق الجديد في نقل الجنود بسرعة ، ان لزم الامر للخليج للوقوف أمام أية تحركات روسية ، قد تاتي عبر ايـران . على أن الفوائد الاقتصاديـة من هذا الخط لم تكن لتفي بنفقاته ، ولذلك لم يكتب لهذا المشروع البريطاني التنفيذ ، وانما كتب التنفيذ لغيره في محاولات قامت بها روسيـا ، ونعني بذلك مشروع الكويـت كابنيست Kapnist ، ثم المانيا ، فيا عرف بخط حديد برلين بغداد ۰ والى ذينك المشروعين سنعود بعد قليل ۰

ان النقطة الهامة التي برزت في المشروع الانجليزي بالنسبة لتاريخ الكويت هي ان نقطة انتهاء الخط على الخليـج كانت الكويـت ۰ وكـان الكـولونيل بلي Pelly ، قبل ذلك ، أي عام ١٨٦٣ ، قد بين ميزات ميناء الكويت الملاحية ، مما جذب انظار وزارة الخارجية البريطانية اليه ، ومما جعلها تفكر جديا في فتح صفحة جديـدة من العلاقات الوديـة مع الكويـت في عهد مبارك ، كما كانت علاقاتها ودية في عهد من سبقوه من حكام الكويت منذ عهد عبدالله الأول بن صباح ۰ ويجب أن نقرر هنا ان الظروف السياسية الدولية هي التي املت على بريطانيا ان توقع اتفاقية ٢٣ يناير لعام ١٨٩٩ مع الشيخ مبارك ، وما تلاها من اتفاقيـات ۰ ففي العقد الاخير من القرن التاسع عشر حصل تقارب كبير بين روسيا وفرنسا ، مما أفقد بريطانيا سيادتها البحرية على البحر الابيض المتوسط ، وكـذلك حصل تقارب كبير ايضـا بين القيصر ولهلم ، قيصر المانيـا والسلطان عبدالحميد ، وبدا واضحا ان بريطانيا اذا ارادت ان تحتفظ بسيطرتها على الخليج العربي لا بد من ان تغلق موانيـه في وجه اسـاطيل الدول الغربيـة الثلاث المذكورة ، ولن يكون ذلك بدون عقد اتفاقات مع الحكام المحليين على شاطىء الخليج العربي ، اي ان بريطانيا قامت بعقد تلك الاتفاقيات مع بلدان الخليج العربي حرصا على مصلحة الامبراطورية اولا وقبل كل شيء ۰

كنا قد ذكـرنا من قبل ان بريطانيـا كانت قد عقدت معاهدات مع مسقط والساحل المهادن والبحرين في وقت مبكر من القرن التاسع عشر ، كان هدفها فيما زعمت بريطانيا اقامة سلم بحري في مياه الخليج التي كان « القراصنة » يجوبونها

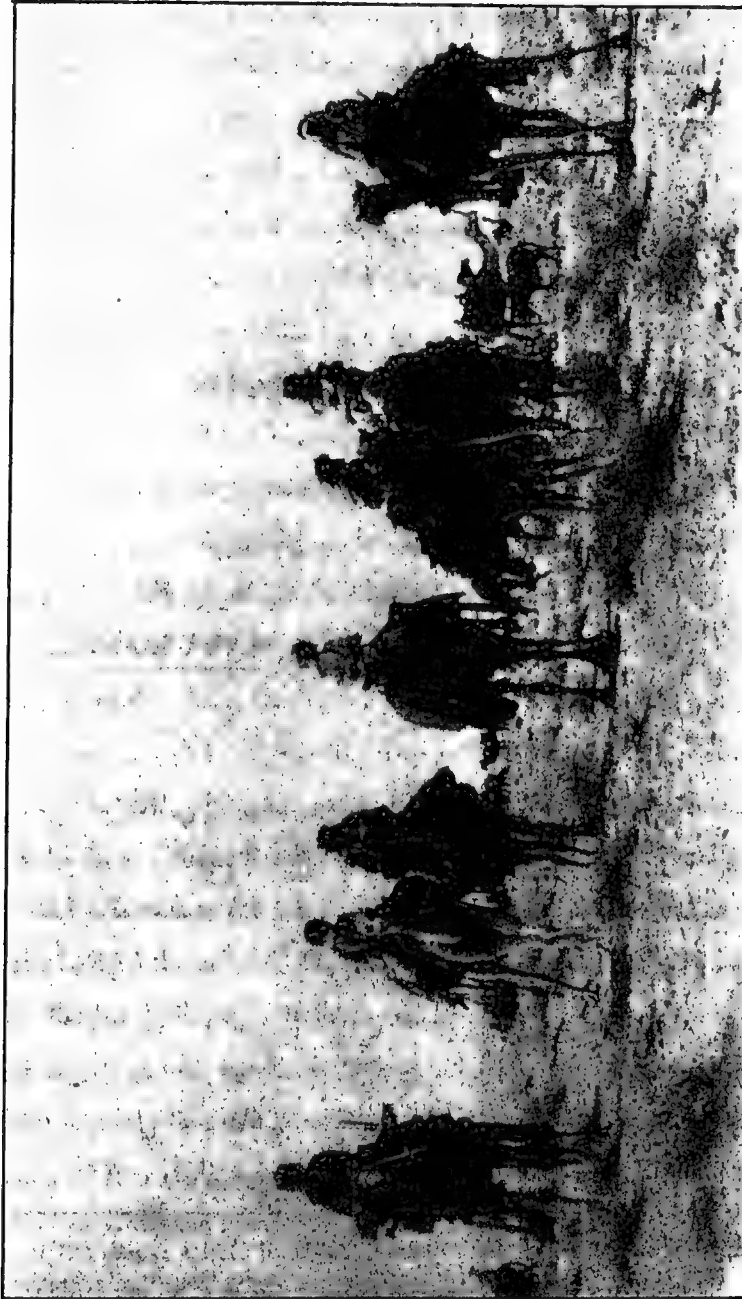
متعرضين ليس للسفن البريطانية فحسب ، بل للسفن الهندية التي كانت تحمل العلم الانجليزي • ولما كانت الكويت بعيدة عن احتراف القرصنة فانها لم توقع معاهدة ١٨٢٠ ، وما تلاها من معاهدات عقدتها بريطانيا مع الدويلات المذكورة آنفا • والواقع ان السياسة البريطانية كانت تهدف من وراء عقد هذه الاتفاقيات الى انشاء قواعد لاسطولها كي تستخدمها من اجل المحافظة على ابقاء الطريق الى الهند مفتوحا • وكان أن لا بد من مبرر جديد لتعقد بريطانيا اتفاقية مع شيخ الكويت • وجاء ذلك المبرر في نهاية القرن التاسع عشر حينما اتضح لبريطانيا ان الدولة العثمانية تميل الى بناء خط حديدي جديد ، ينفذه الالمان ، وانها اعطت امتيازا للكونت كابنيست الروسي عام ١٨٩٨ • ومما تجدر بنا الاشارة اليه في هذا المقام ان كلا من مشروع كابنيست ثم المشروع الالماني فيما بعد ، قد اصر على ضرورة ان تكون الكويت او ميناء كاظمة بالكويت هي نقطة نهاية الخط الحديدي الذي كان سيربط تركيا بالخليج العربي •

مقدمات معاهدة ١٨٩٩

على أثر الخلاف الذي دب بين مبارك وأخويه ، والذي انتهى بتولي مبارك الحكم ، علمت وزارة الخارجية البريطانية في لندن ان اسطمبول اتهمت المقيم السياسي البريطاني في بوشهر بتدبير المؤامرة التي انتهت باستيلاء مبارك على مقاليد الحكم • وبالطبع أوضح المقيم في بوشهر ان ذلك محض اختلاق • وبعد ذلك بقليل وقع حادث سلب في مياه شط العرب اتهم به اعوان الشيخ مبارك • فارادت الحكومة البريطانية ان تلقي اللوم على حكومة مسئولة ، وكان امامها ممثلو الدولة العثمانية في العراق ، او الشيخ مبارك ، شيخ الكويت (١) • وكانت وجهة نظر وزارة الخارجية ان المسئولية يجب ان تقع على عاتق شيخ الكويت • ونظرت اليه على أنه «حاكم مستقل ، لا يعترف للدولة العثمانية الا بسلطة اسمية » (٢) ، ولذلك رفضت الحكومة البريطانية ان تحمل اسطمبول مسئولية

(١) المركب المقصود هنا كان البغلة الهندية Haripasa انظر من اجل التفصيلات المتعلقة بهذا الحادث : The Affairs of Kuwait , I , pp . I , 8 , 9 , 10 وانظر كذلك Lorimer , I , ı , 1044

(٢) انظر Kumar , 138 حيث يبين المؤلف بالحجة ان مباركا كان في الواقع حاكما مستقلا .



الحرس المرافق لي في صحراء الكويت في نوفمبر (شكسبير)

الحادث ، وكان تصرف الحكومة البريطانية هذا انما هو بمثابة تقرير الواقع ، وبداية لعلاقات وطيدة بين الانجليز ومبارك ، كان مبارك قد طلبها عام ١٨٩٦ ، غير ان الانجليز تأخروا في الاستجابة اليها حتى ديسمبر ١٨٩٨ •

مشروع كابنيست

ففي ٣٠ ديسمبر عام ١٨٩٨ منحت الحكومة العثمانية الكونت كابنيست الروسي امتياز انشاء خط للسكة الحديدية يربط طرابلس على البحر المتوسط مع الكويت عبر حمص وبغداد • عندئذ قرر سولزبري SALISBURY ، وزير خارجية بريطانيا ان مشروع كابنيست ، لو نفذ ، سيعني تحويل بلاد الشام والعراق وشرق الجزيرة العربية الى منطقة نفوذ روسية ، وعلى ذلك قرر سولزبري ان يربط الكويت ببريطانيا بمعاهدة على شاكلة معاهدة ١٨٩١ ، المعقودة مع مسقط • ولذلك طلب من المقيم البريطاني في بوشهر الكولونيل ميد MEADE ، أن يتوجه الى الكويت ليوقع مع شيخها الاتفاق المذكور (١) • وكان الاتفاق ينص على ان يوافق مبارك على ان لا يؤجر او يتنازل عن أي جزء من ممتلكاته لدولة أجنبية دون اذن من حكومة جلالة ملكة بريطانيا • غير ان المقيم السياسي البريطاني عندما طلب من مبارك ان يوقع على تلك الاتفاقية ، رفض قائلا انه يريد ان ينال موافقة بريطانيا على حمايته اذا تعرض للخطر • غير ان الكولونيل ميد افاده بأنه لا يمكن ان يضع ذلك الشرط ضمن بنود الاتفاقية ، لانه غير مخول بذلك • واضاف انه لم تتعهد بريطانيا لاحد من الشيوخ المتعاهدين معها بمثل ما لقيه مبارك ، على الرغم من أن تلك المشيخات تنال الحماية البريطانية دوما ، اذا لزم الامر • وبعد مناقشات عديدة بين مبارك وميد حلت المشكلة بالحاق مستند بالاتفاقية وهذه رسالة من ميد موجهة للشيخ مبارك تؤكد له ان الحكومة البريطانية ستبذل جهدها لتحقيق طلبه طالما استمر مبارك على وفائه للاتفاقية •

---

(١) انظر اتفاقية ١٨٩٩ الملحق رقم ٤ في آخر الكتاب . ومن اجل مناقشة بنودها قارن : Lorimer , I , i , 1022—1023



استراحة منتصف النهار في صحراء الكويت (للصيد) نوفمبر (١٩٠٩)

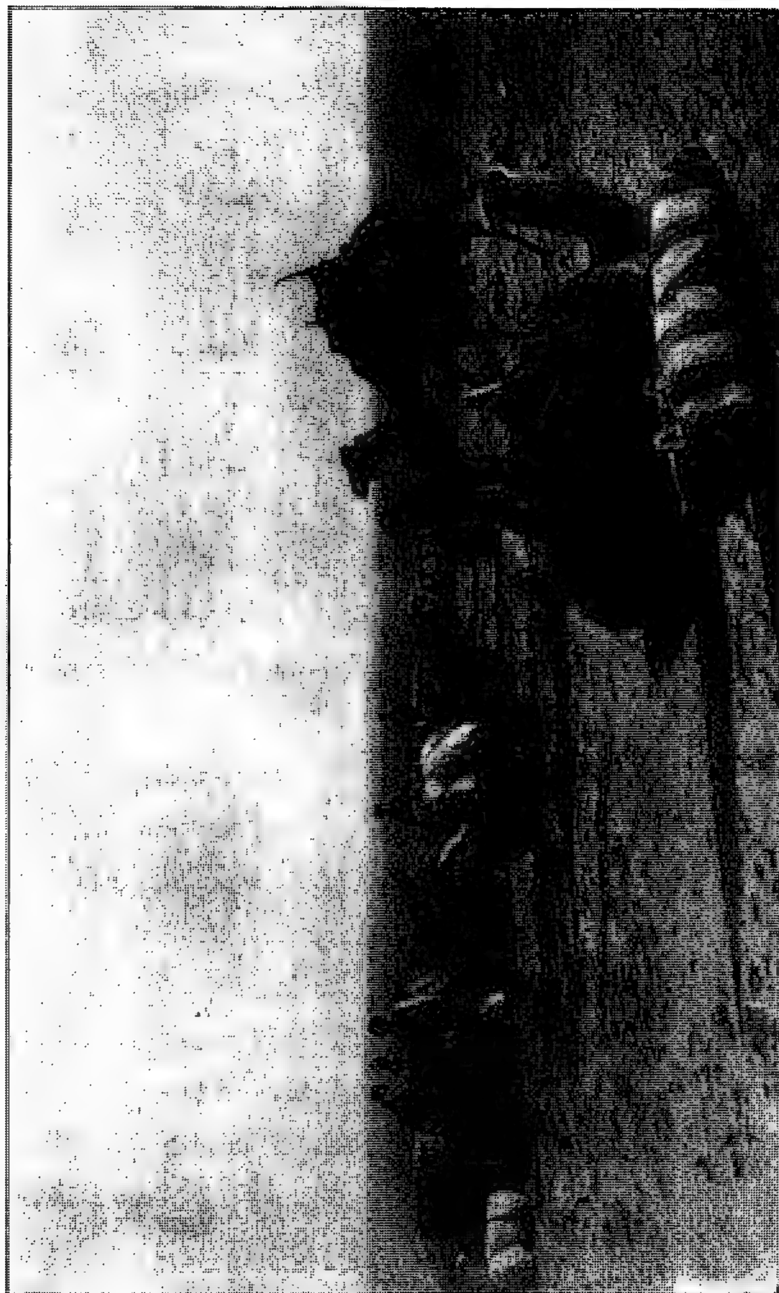
وهكذا نال الشيخ مبارك ما طلبه من حماية ، بسبب حرص بريطانيا على ابعاد النفوذ الروسي عن الكويت ، وكذلك فانه نتيجة للاتفاقية المذكورة صار لبريطانيا مركز ممتاز في الكويت ، جعل بمقدورها حماية مصالحها السياسية والتجارية والعسكرية في شمال غربي الخليج العربي . هذا ولن تكمل صورة المشاريع المتعددة لربط البحر المتوسط وتركيا بالخليج دون اشارة موجزة لخط حديد برلين - بغداد .

خط حديد برلين - بغداد

كان من أهداف سياسة التقارب بين الدولة العثمانية والمانيا التي وطدها الامبراطور ولهلم في زيارتين قام بهما الى اسطمبول في العقد التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر ، ان تحصل المانيا على احتكارات تجارية في الاراضي العثمانية ، في آسيا الصغرى وسوريا والعراق ، وان تفتح أسواقها للصناعة الالمانية . ولذلك عرض الالمان على السلطان عبدالحميد انشاء خط يربط البسفور بالخليج العربي بعد ان تم ربط برلين باسطمبول بخط مماثل .

كان موقف بريطانيا من المشروع الالماني موقف التحبيذ ، وذلك لانها رأت في ذلك سدا يقف امام التغلغل الروسي في ممتلكات الدولة العثمانية . أما موقف الروس ، فكان بالطبع موقف نفور ، وعزا الروس ذلك الى ان اتفاقا سريا لا بد وأن يكون قد عقد بين الانجليز والالمان من اجل التعاون في ميادين اخرى .

ومهما يكن من امر فان بعثة المانية من المساحين ، قد اتجهت بعد توقيع الاتفاقية لتتفحص الطريق الذي سيسير فيه الخط الحديدي . وصل الوفد الالماني البصرة في اوائل ١٩٠٠ . وعلم القنصل الانجليزي Wratislow بأن الوفد سيتوجه الى الكويت ليفتش عن مكان مناسب لنهاية الخط الحديدي . وكذلك علم ان الوفد اكد ان المشروع لن ينجح الا اذا ضمنته الحكومة العثمانية ماليا ، والا اذا صارت الكويت محطته النهائية ، وأشار الوفد على الشركة التي ستنشىء الخط ان تتفاهم مع السلطان ، بدون الرجوع الى شيخ الكويت ، وذلك فيما



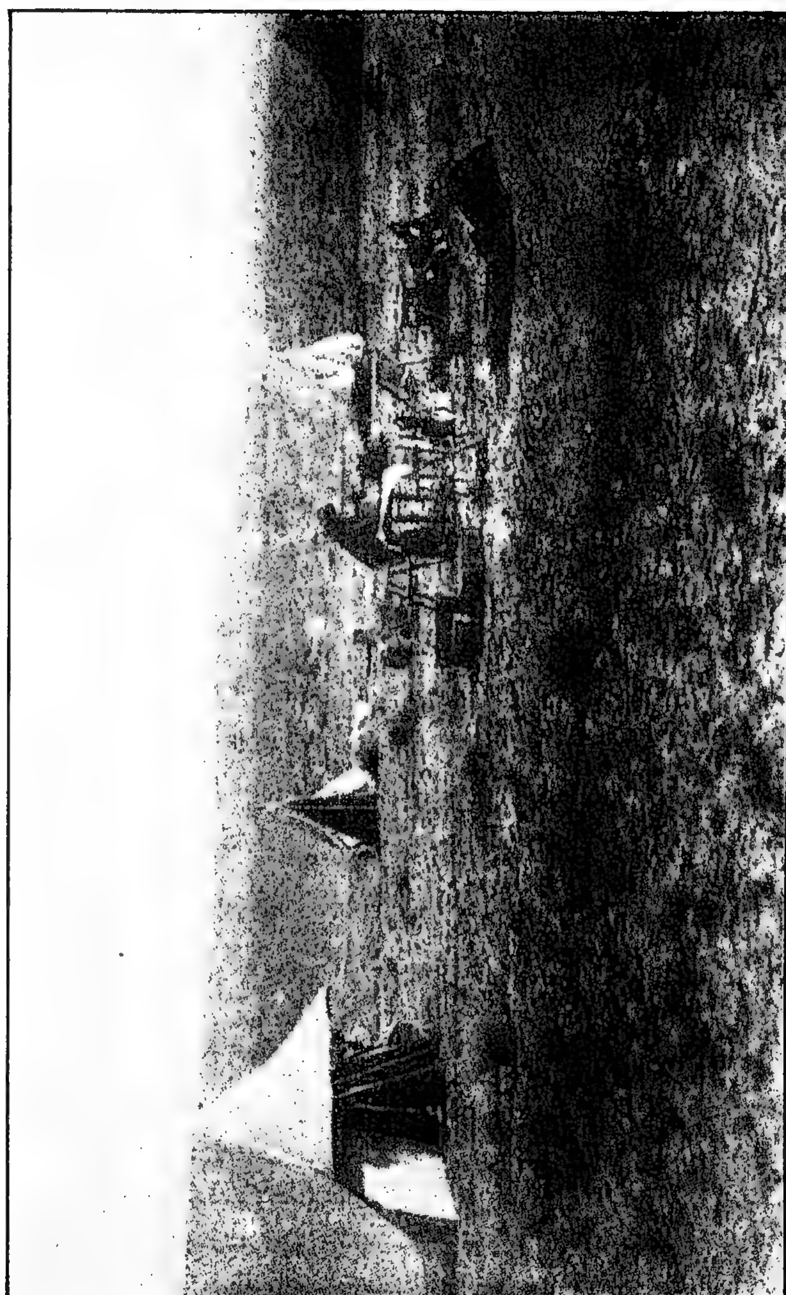
معسكر في صحراء الكويت لقبيلة القاع ٧ ديسمبر ١٩٠٩

يتعلق بنهاية الخط (١) ٠

وقد أثارت النقطة الاخيرة مخاوف حكومة الهند البريطانية لان اي اتفاقية مع السلطان دون مشاورة مبارك سيضعف من موقف حكومة الهند في الخليج ، وبالتالي سيكون بمثابة ضربة مسددة الى قلب النفوذ البريطاني فيه ٠ ولما كان الاتفاق الذي عقد بين مبارك والانجليز لا يزال سريا ، فقد طلبت حكومة الهند من وزارة الخارجية البريطانية في لندن ان تنظر في أمر اطلاع الالمان على حقيقة توقيع مبارك على ذلك الاتفاق معها ، وهذا ما تم فعلا ٠ وكانت حكومة الهند تعلم ان الوفد الالماني قابل الشيخ مبارك في الكويت ، وأن مسلك مبارك كان لا غبار عليه اذ أفهمهم أن أهل الكويت لن يبيعوا أو يؤ جروا أرضهم لاي أجنبي ، وألمح لهم بأنه لا يعترف بسيادة السلطان على الكويت ٠ أي ان مباركا قد بر بوعده الذي ارتبط به في اتفاقية ١٨٩٩ ٠ وبعد ان اوضح سفير بريطانيا لدى البلاط العثماني موقف بريطانيا من الوصول بخط حديد برلين بغداد الى ارض الكويت ، وهو أن بريطانيا مع حرصها على ابقاء الوضع الراهن كما هو على ساحل الخليج العربي ، فانها لن تقبل بأن يقوم اتفاق بين الحكومة العثمانية وأية دولة اوروبية ، يمنح الاخيرة امتيازات خاصة في الكويت ، زار البارون فون مارشال ، السفير الالماني ، السفارة البريطانية ، حيث كشف له السفير البريطاني عن اتفاقية ١٨٩٩ مع الشيخ مبارك ٠ وفي تلك الزيارة اوضح السفير الانجليزي للسفير الالماني ان اختيار محطة نهائية على الخليج في ارض الكويت لا يمكن ان يتم الا بموافقة الحكومة البريطانية او بمساهمة شركات بريطانية في تنفيذ ذلك المشروع ٠ ولقد وافقت الحكومة الالمانية في برلين على ما طلبته بريطانيا منها ؛ وأكدت لها ان أية خطوة ستتخذ في ذلك الاتجاه ، ستحاط بريطانيا علما بها مسبقا ٠ ان اصرار بريطانيا هذا يبين بجلاء ووضوح ايمان الحكومة البريطانية ايمانا كليا بالفكرة الرامية الى ابعاد اي نفوذ غربي اوروبي عن الخليج اي عن

---

(١) يناقش كومار خط حديد برلين - بغداد مناقشة طيبة على الصفحات ١٥٤ - ١٨٨ من كتابه المذكور آنفا . كذلك انظر Lorimer , I , i , 1545 — 1547 ومن اجل مسألة مد خط حديد برلين - بغداد الى كاظمة انظر The Affairs of Kuwait , II , 55—61



معسكر في صحراء الكويت ليلة الثلج ٧ ديسمبر ١٩٠٩

طريق الهند ، وكانت هذه هي سياسة اللورد كرزون التي لم يحد عنها طوال عمله كحاكم عام على الهند (١) ٠

اننا لن نطيل الحديث عن خط حديد برلين بغداد ، اذ ان ذلك يخرج بنا عن نطاق تاريخ الكويت ، ولكن يكفي ان نشير الى ان العوامل الدولية الممثلة في الصراع السياسي بين انجلترا وروسيا والمانيا وفرنسا في اوروبا وفي خارجها ، قد عطل ايصال نهايته الى كاظمة كما كان هو ا المقترح ٠ اما بالنسبة لتاريخ الكويت الحديث فان كلا من مشروع البارون كابنيست الروسي ، ثم المشروع الالماني ، قد أحل الكويت مكانا بارزا على الصعيد الدولي ٠ وان مهارة الشيخ مبارك في ربط الانجليز بضمان مقابل تنازلاته في اتفاقية ٢٣ يناير ١٨٩٩ ، قد ضمنت للكويت ليس استمرار الاستقلال والمحافظة على كيانها السياسي فحسب ، بل كذلك بوأتها مركزا مرموقا بين دول شرقي الجزيرة العربية ، وذلك بما نالته من مشاركة في تجارة الخليج الواسعة ، كما سنراه بعد حين ٠

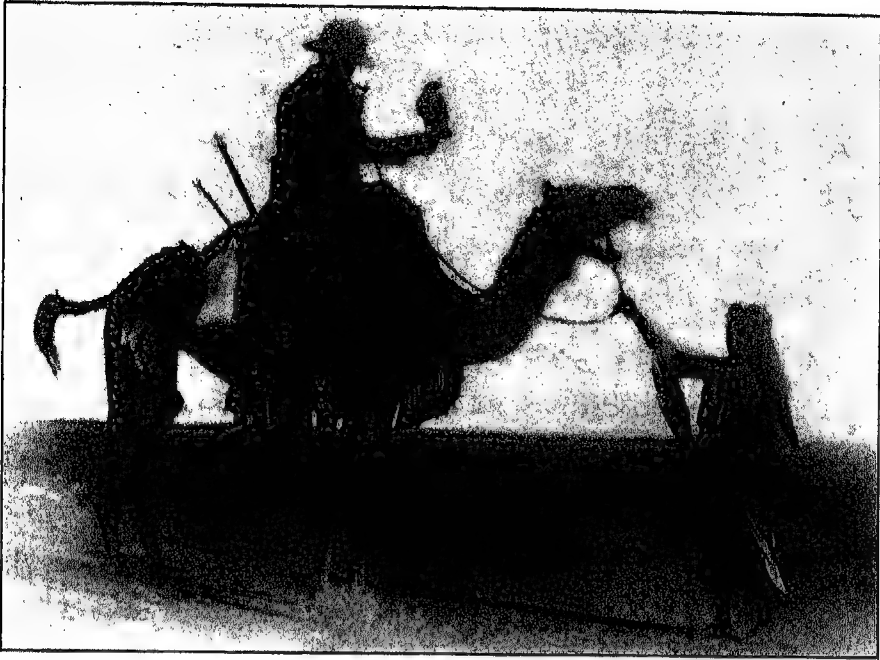
اتفاقيات لاحقة مع الانجليز

لم تكن اتفاقية ١٨٩٩ آخر الاتفاقيات التي تمت بين الكويت والانجليز في حكم الشيخ مبارك ، ذلك انه في مايو عام ١٩٠٠ ، تعهد الشيخ مبارك بعدم الاستمرار في تجارة الاسلحة في الخليج ، وهي اسلحة كانت تهرب الى افغانستان عبر بعض موانى الخليج ومن ضمنها الكويت ٠ وفي ٢٨ فبراير عام ١٩٠٤ وافق الشيخ مبارك على تأسيس مكتب بريدي بريطاني في الكويت ٠

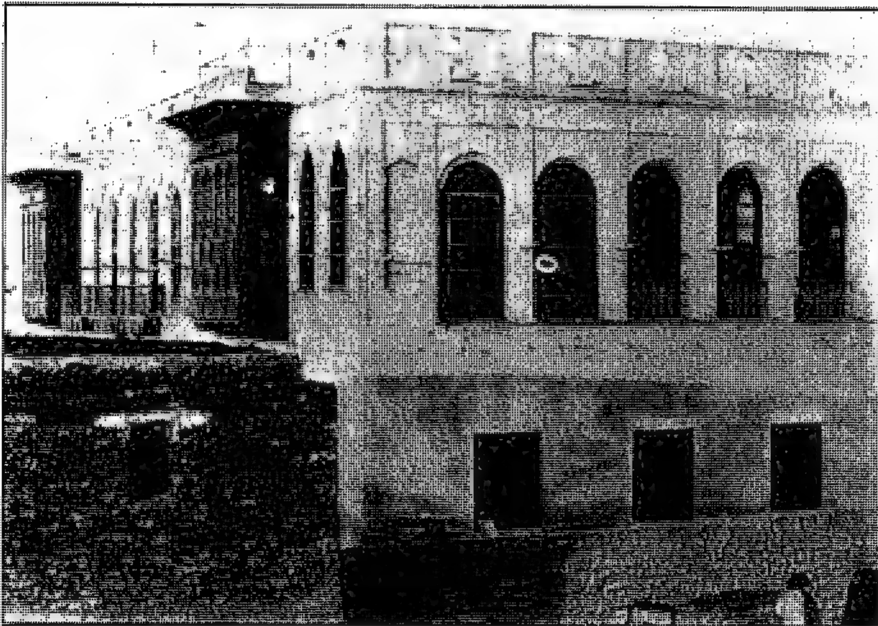
وفي ٢٤ يونية سنة ١٩٠٤ ايضا ، وافق الشيخ على ان يعين الانجليز معتمدا سياسيا لهم في الكويت ، وبالفعل وصل الكابتن نوكس KNOX الى الكويت في اغسطس عام ١٩٠٤ ، حيث أحسن الشيخ مبارك استقباله ، وكان الهدف من تعيين الوكيل السياسي هو محاولة الحد من تحركات الشيخ مبارك خارج حدود الكويت ، حتى يجنب البريطانيين المشاكل التي قد تنجم عن مثل تلك

---

(١) Kumar , 157



« ظبية » مع صاحبها خلف و (شلوة) في صحراء الكويت ٧ ديسمبر ١٩٠٩



قصر الشيخ في الكويت

التحركات لا سيما الحروب مع امير حائل من آل الرشيد ، وكذلك لتخفيف التوتر السياسي على الحدود مع ولاية البصرة العثمانية في ام قصر وسفوان وجزيرة بوبيان ٠

وفي ١٥ اكتوبر ١٩٠٧ تم الاتفاق بين الشيخ مبارك والوكيل السياسي نوكس على تأجير بندر الشويخ للانجليز ، وكان الهدف السياسي من ذلك هو ايجاد مرسى لسفن الاسطول الحربي البريطاني ، يحصن بحيث يمكن للمدفعية ان تقصف منه منطقة كاظمة على الطرف الاخر من جون الكويت ، اذا فكر العثمانيون والالمان في اقامة نهاية خط بغداد الحديدي هناك بدون موافقة من مبارك والانجليز (١) ٠

وفي ٢٩ يوليو سنة ١٩١١ وافق الشيخ مبارك على ان لا يسمح للاجانب بالغوص على الاسفنج او اللؤلؤ في مياه الكويت ، قبل ان يستشير المعتمد السياسي البريطاني ، وكان حينئذ هو الكابتن شكسبير ٠ وبعد عام من ذلك التاريخ اي في شهر يوليه ١٩١٢ وافق الشيخ مبارك على انشاء خط للتلغراف اللاسلكي في الكويت في رسالة تبادلها مع السير بيرسي كوكس COX ، المقيم البريطاني في بوشهر ٠

وفي ٢٧ اكتوبر ١٩١٣ منح الشيخ مبارك للانجليز امتياز التنقيب عن النفط واستخراجه في الكويت ، وكان ذلك في رسالة وجهها الشيخ مبارك للسير بيرسي كوكس أيضا ٠

ان القارىء لنصوص الرسائل المتبادلة بين الشيخ مبارك وممثلي الحكومة البريطانية في بوشهر او الكويت ، سيدرك الهدف الكامن وراء هذه الاتفاقات ، الا وهو اقصاء اي دولة اجنبية عن التعامل المباشر مع شيخ الكويت ٠ او بلغة ادق عدم السماح للاجانب بالتملك في اراضي الكويت بدون اذن مسبق من الانجليز ٠ وبالطبع بقي مفعول هذه الاتفاقيات ساريا لمدة طويلة من تاريخ الكويت بعد وفاة مبارك في ٣ يناير عام ١٩١٦ ٠

---

(١) انظر اتفاقية تأجير بندر الشويخ في الملحق رقم ٤ في آخر الكتاب .

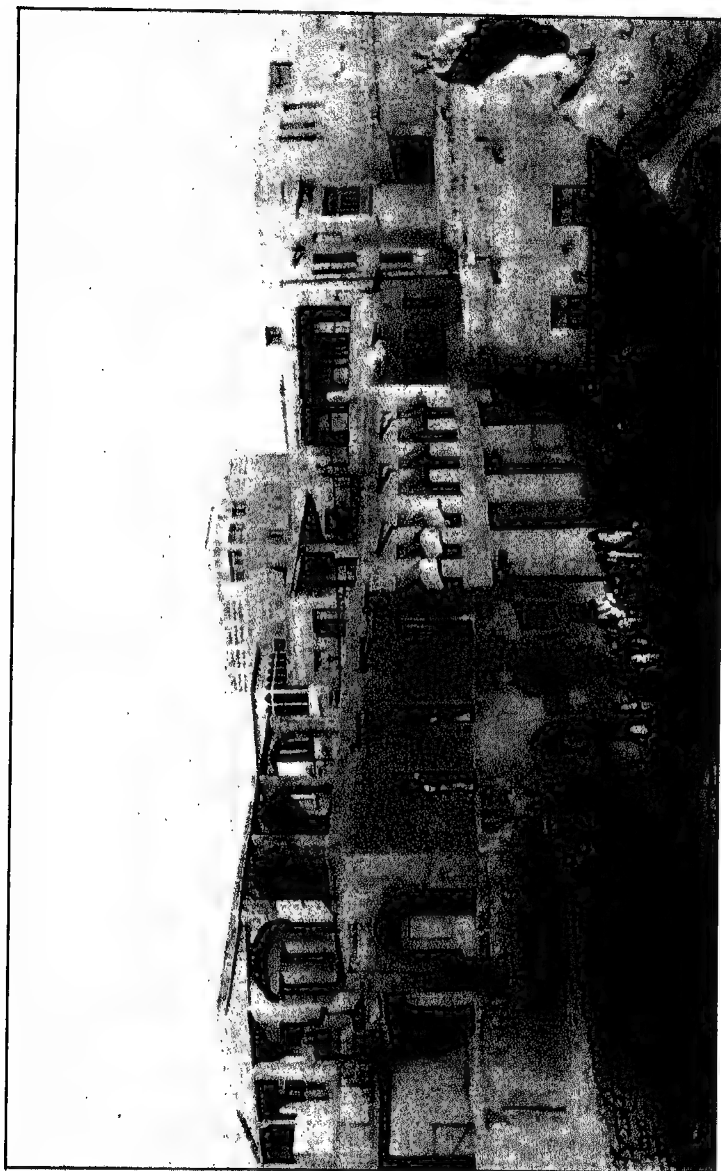
ولا بد للمرء من أن يتساءل عن الفائدة التي عادت على الكويت من هذه الاتفاقيات •

ان الاجابة عن هذا السؤال تتضح للقارىء حين يعيد النظر فيما قدمناه من اضطراب الاحوال السياسية في منطقة الخليج في عهد مبارك على الصعيدين الدولي والمحلي ، ولا يخفى علينا انه بعد توقيع اتفاقية ١٩١٣ بعام ، قامت الحرب العالمية الاولى بين دول اوروبا ، وكان من نتائجها المباشرة ، توزيع تركة الرجل المريض بين المنتصرين • فقد كتب على الدولة العثمانية وحليفتها المانيا الهزيمة وكان النصر حليف بريطانيا وفرنسا • وقد تقاسمت الاخيرتان املاك الدولة في ولايات الشام والعراق ، ونشأت فيها الدول التالية : العراق وكانت تحت الانتداب البريطاني ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي بينما وضعت فلسطين والاردن تحت الانتداب البريطاني ايضا • وكان طبيعيا ان يقف الشيخ مبارك وعبدالعزيز آل سعود بجانب بريطانيا ، لان شيخ الكويت كان قد ربط نفسه منذ عام ١٨٩٩ بالانجليز ، ثم لان آل رشيد في شمالي نجد كانوا لا زالوا يقيمون على عدائه ، وهم متحالفون مع العثمانيين • اما عبدالعزيز آل سعود ، فكان لايزال في حرب مستمرة مع آل رشيد لاسترداد الملك الوهابي في جبل شمر ، بعد أن احتل الهفوف وخلص الاحساء من الحكم العثماني . أما موقف مبارك بجانب الانجليز ، فكان له ما يبرره ، ليس فقط من حيث الارتباط بمعاهدة ١٨٩٩ ، بل لأن سياسة اسطمبول وولاتها في بغداد والبصرة استمرت منذ عام ١٨٩٦ عدائية نحو مبارك الذي كان مصرا على أن يحفظ للكويت استقلالها بأية طريقة تتوفر لديه . وكانت الطريقة التي ارتآها هي التحالف مع بريطانيا سيدة مياه الخليج بلا منازع آنذاك . وقد وقفت بريطانيا بجانبه لتصد المحاولات المتعددة التي قام بها ولاة البصرة لتهديد حدود الكويت الشمالية في أم قصر وصفوان والانحاء المجاورة لها (١) .

---

(١) Lorimer, I, i, 1546—47 وكذلك Kumar, 155—156

ولعله من المفيد أن نذكر ، مادمنا في بحث السياسة المحلية في هذه الحقبة أيضا ، ما كان من خلاف بين صديقي الأمس وقد أصبحا عدوى اليوم ، أي مبارك وعبدالعزيز آل سعود . فلقد رأينا كيف لجأ الامير عبدالرحمن بن فيصل آل سعود ومعه ابنه عبدالعزيز الى الكويت عام ١٨٩٧ ، وكيف نزلا ضيفين عزيزين على مبارك ، ثم رأينا اشتراك عبدالرحمن بن فيصل في قتال عبدالعزيز بن متعب آل رشيد في الصريف ، وكذلك رأينا كيف ساعد مبارك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في احتلال الرياض عام ١٩٠٢ ، ثم في حروبه اللاحقة مع آل رشيد . غير أننا لم نذكر أن عبدالعزيز آل سعود بعد أن تم له فتح معظم ديار نجد ، قد عاد يفكر في بناء دولة آل سعود التي قضى عليها خلاف عميه عبدالله بن فيصل وسعود بن فيصل في السبعينات من القرن التاسع عشر . ولكننا ذكرنا أن الشيخ مباركا كان يطمح أيضا في أن يصبح سيد الجزيرة . اذن كان طبيعيا أن تصطدم المصالح بين الاميرين ، على الرغم من وشائج القربى التي تربط آل صباح وآل سعود . ولعلنا نذكر في هذا المقام أيضا سببا آخر قيد تحركات ومن ثم تطلعات مبارك فيما وراء ماصار يعرف بحدود الكويت ، وذلك السبب هو أن الانجليز منذ أن عينوا أول معتمد سياسي لهم بالكويت ، جعلوا منه رقيبا على تطلعات مبارك وحدوا من معاداته لجيرانه في الشمال والغرب ، لانهم كانوا لايريدون أن يدخلوا في صراع مع بدو الصحراء الى الغرب من الكويت أو جنوبها ، سواء كان الحاكم من آل سعود أو من آل رشيد ، وكانت هذه سياسة تقليدية لحكومة الهند البريطانية منذ ان عقدت معاهدة ١٨٢٠ مع الساحل المهادن والبحرين ومسقط . اذ كان هم تلك السياسة هو المحافظة على الأمن والسلم في مياه الخليج ، وليس على سواحله البرية ، أي الاقتصار على البحر دون البر . وكان من عواقب التعاهد مع بريطانيا الوخيمة أن تمثيل الكويت الخارجي انحصر بيد بريطانيا دون الكويت ولعل مؤتمر العقير خير شاهد على ما نقول ، فمع أن بريطانيا فاوضت الدولة العثمانية وعقدت معها اتفاقية لبيان حدود الكويت عام ١٩١٣ ، أوصلت



قصر الشيخ في الكويت

حدود الكويت غير بعيد عن رأس تنورة جنوبا ، عادت في مؤتمر العقير المذكور عام ١٩٢٢ ، وتنازلت عن ثلثي مساحة الكويت لعبدالعزيز آل سعود . وسوف نعود الى معالجة هذه الاتفاقية حين نتولى عهد الشيخ أحمد الجابر بالدراسة في فصل لاحق . (١)

تقدم الكويت في عهد مبارك

ان تقدم أية دولة وازدهارها الاقتصادي والثقافي والصحي لايتم دون قيام حكومة قوية فيها تحافظ على الأمن الذي بدونه لايستقر حال سكانها . ولعل شخصية مبارك الجبارة وشجاعته المتناهية ، قد فرضت على الكويت - المدينة والبادية - احترام القانون الذي كان يمثله الحاكم . ولقد رأينا في فصل سابق كيف قاد مبارك ، وهو فتى ، القوات البرية الكويتية التي اشتركت في الحملة العثمانية على الاحساء ، وكذلك رأينا كيف أن مباركا كان هو المسئول عن حفظ الامن والنظام بين رجال البادية . واذا استتب الامن ازدهرت التجارة اذا توفرت وسائلها . فالكويت كانت خير ميناء على الساحل الغربي للخليج ، وهي المعبر الطبيعي الى قلب نجد ، التي كانت منذ عهد طويل تتلقى احتياجاتها من الاقمشة والمؤ ن الغذائية عن طريق الكويت . ولعل هذا هو السبب الذي جعل آل رشيد يحرصون على محاولة ضم الكويت الى ممتلكاتهم في نجد ، اذا سنحت لهم الفرصة ، لانها منفذ جبل شمر الوحيد للبحر . والكويت كانت تتمتع بميناء بحري ممتاز ، وكانت تملك أسطولا تجاريا عظيما في هذه الفترة ، واستمرت تجارتها التقليدية مع الهند وشرق افريقيا والعراق قائمة . ومما زاد في نشاطها التجاري عودة السفن التجارية الانجليزية في رحلتها الاسبوعية المعتادة ، والتي كانت تقوم فيها بزيارة الكويت ، وهي عائدة من بلاد الهند . وكانت هذه الزيارة قد انقطعت قبل فترة بالنظر لاحتجاج والي البصرة على تعريجها على الكويت لأن في ذلك ضررا يلحق بميناء البصرة .

كذلك شهدت الكويت في عهد مبارك بداية الخدمات البريدية العصرية ،

(١) انظر الفصل القادم حيث نتناول مؤتمر العقير لعام ١٩٢٢ في عهد الشيخ احمد الجابر بشيء من التفصيل .

وكذلك التلغراف اللاسلكي ، وان ضمان ازدهار التجارة يتوقف الى حد بعيد على توفر مثل تلك الخدمات .

ثم ادخلت لاول مرة الى الكويت الخدمات الطبية الحديثة ، فكان قد عين في دار الاعتماد طبيب يعمل مساعدا للمعتمد البريطاني ، وذلك بعد تعيين أول معتمد بقليل . أعقبه بعد ذلك تأسيس مركز طبي في الارسالية الامريكية ، وكان ذلك عام١٩١١ (١) . ويبدو أن موافقة مبارك على أن يقوم الامريكيون العاملون في حقل الطب في البصرة والبحرين بتأسيس مستشفى بالكويت ، يبدو أن هذه الموافقة جاءت بعد زيارة قام بها الشيخ مبارك لصديقه الشيخ خزعل ، شيخ المحمرة . ومن الطريف أن مطالعتنا للوثائق التاريخية للارسالية الامريكية لبلاد العرب ، والمحفوظة في مدينة نيوبرونزويك بولاية نيوجيرسي ذكرت أن الارسالية كانت تحاول أن تمارس نشاطاتها في الكويت منذ اوائل القرن العشرين ، ولكن حاكم الكويت عارض ذلك ، لأنه كان متعصبا دينيا ، وغاب عن هؤلاء أن شيخ الكويت بناء على اتفاقية ١٨٩٩ مع بريطانيا لم يكن بمقدوره أن يبيع أو يؤجر قطعة أرض حتى ولو كانت من ممتلكاته الخاصة لأي أجنبي الا بأذن بريطانيا . ولما كانت بريطانيا لاتطمئن لأجنبي أيا كانت جنسيته ، لم يستطع مبارك أن يسمح للأطباء الامريكيين بممارسة عملهم في الكويت . ولعل مباركا كان يصر أيضا على أن تكون صفة العمل الامريكي طبية لا تبشيرية (٢) . وهذا يتضح من الاتفاقية التي عقدت مع الشيخ مبارك عام

---

(١) فيما يتعلق بالعمل الطبي الامريكي في الكويت في الفترة ما بين١٩١٢ - ١٩٢٩، ارجع الى كتابي الدكتورة اليانور كلفرلي والدكتور ستانلي ملري المذكورين آنفا والاشارات فيهما متعددة.

(٢) بعد توقيع الاتفاقية في البحرين من قبل المعتمد البريطاني نيابة عن الشيخ مبارك ، ومردايك Mordyk وديكسترا Dykstra نيابة عن البعثة الامريكية في بلاد العرب ، ارسلت نسخة منها الى نيويورك بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩١٠ . انظر Arabian Mission Series , Box 4 , No . 753

١٩١٠ . ولقد كانت جماعة الاطباء الامريكيين نشطة للغاية ، اذ سرعان ما بنوا أول مستشفى لهم بالكويت والحقوه بآخر بعد ذلك بقليل ، وكان بين أعضاء البعثة طبيبة ، بالاضافة الى الاطباء الذكور (١) . ولا ريب أن ادخال الطب الحديث الى الكويت أمر هام بالنسبة للامور الصحية .

وكذلك تم في عهد مبارك انشاء المدرسة المباركية حيث سارت فيها الدراسة على طريقة عصرية حديثة وكان ذلك في عام ١٩١١ .

تقييم عهد مبارك

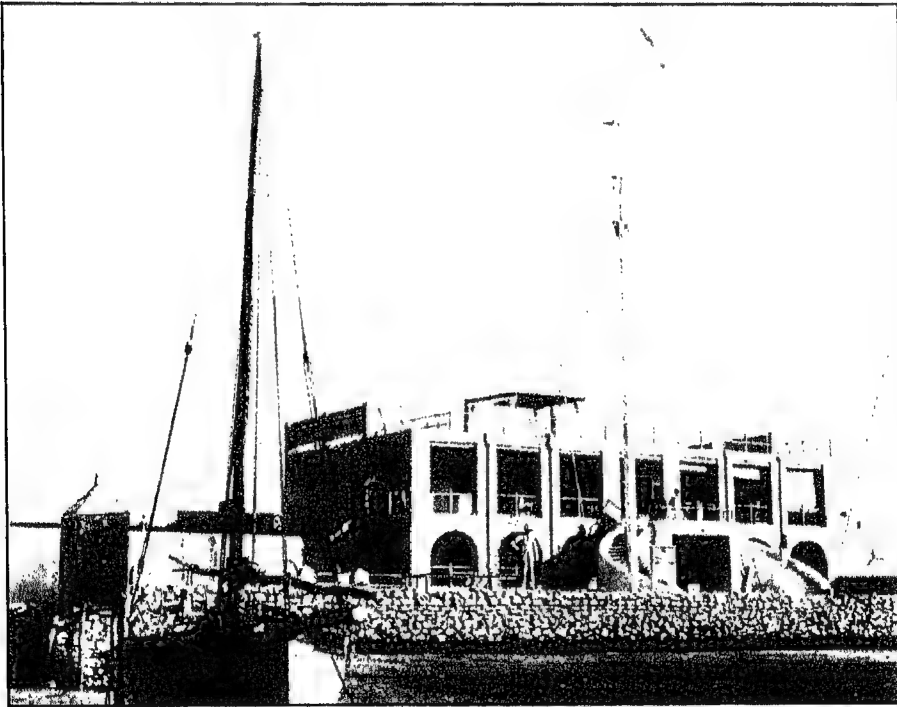
وبعد ، فلقد كان عهد مبارك عهد استقرار في الكويت ، كما وقد كان عهد اطمئنان على مستقبل الكويت السياسي ، اذ لم تعد الكويت كرة في مهب الريح تتقاذفها مطامع الدول الاوربية او الدولة العثمانية أو القوى المتصارعة محليا في شرقي الجزيرة العربية . لقد برهن مبارك بالدليل القاطع على أنه رجل دولة محنك ، عمل في ميدان السياسة بما كان يلائم روح العصر ، وماكان يهدف من وراء ذلك الا المحافظة على كيان الكويت واستقلالها ، وقد كان له ما أراد ، فقد بقيت الكويت بمنأى عن المؤمرات الدولية طوال فترة حياته ، وهو بما عقده من

---

(١) ان البعثة الطبية للارسالية الامريكية التي بدأت ممارسة عملها الطبي في الكويت عام ١٩١١ ، كانت قد حاولت دخول الكويت مرارا قبل ذلك اعتبارا من عام ١٨٩٨ ، بعد ان بدأت عملها قبل ذلك في البصرة عام ١٨٩٢ وكذلك في البحرين في نفس الوقت . وفي ٨ ديسمبر عام ١٩١٠ كتب الدكتور بنيت Bennett من الكويت الى مكتب البعثة في نيويورك . يقول ان الشيخ مبارك قد وافق على ان يبيع للبعثة قطعة من الارض لتقيم عليها مستشفى . انظر : Arabian Mission Series , Box 4 No . 783 وجاءت زيارة بنيت هذه في اعقاب زيارة سابقة من نفس العام (١٠ اغسطس) . ومهما يكن من امر فقد بدأ العمل الطبي للبعثة الامريكية في عام ١٩١١ ، وكان الطبيب المعين هو بول هاريسون Paul Harrison وفي العام التالي عينت الدكتورة اليانور كلفرلي Eleanor Calverley ثم الدكتور ستانلي ملري Stanley Mylrea انظر لتفاصيل العمل الطبي الامريكي في الكويت Eleanor Calverley My Arabian Days and Nights وكذلك مخطوطة كتاب دكتور ملري S .Mylrea , Kuwait before Oil , pp . 39 . ff

اتفاقيات مع الانجليز ضمن لمن يأتي بعده الطمأنينة ، وعدم التخوف مما قد يأتي به الغد .

نعم ، ان مباركا كان قاسي القلب ، ولكن هذا لا يعيبه لان بناء الملك يتطلب دوما مثل ذلك . غير أن مباركا لم يكن بعيدا عن شعبه ، بل كان قريبا منه . لقد أحسن الرحالة الدنمركي راونكاير (١) وصف مجلســه ، لا في قصر السيف فحسب ، بل في سوق المدينة طوال ايام الاسبوع . وهو بذلك قد استمر على سنة من سلفه من حكام الكويت ، وهي سنة سار عليها من خلفه . ولقد خلف مباركا في حكم الكويت اثنان من ابنائه هما جابر وسالم واليهما والى نجل اولهما وهو الشيخ أحمد الجابر والنجل الاول لثانيهما نتجه في الفصل القادم .



دار الاعتماد في الكويت

(١) انظر Barclay Raunkiaer, *Through Wahhabiland on Camelback*, pp. 33-39.

الفصل الحادي عشر

الكويت بعد مبارك

١٩١٥ - ١٩٦٥م



الشيخ سالم بن مبارك (١٩١٧ - ١٩٢١)

الفصل الحادي عشر
الكويت بعد مبارك
١٩١٥ - ١٩٦٥

الكويت بعد مبارك
١٩١٥-١٩٦٥م

حكم الكويت خلال هذه الفترة أربعة من آل صباح أولهم جابر بن مبارك، وامتد حكمه عاما وشهرين (١٩١٦ - ١٩١٧) ثم سالم بن مبارك (١٩١٧ - ١٩٢١)، وكان حكمهما معا قصيرا، اذ لم يتجاوز الخمس سنوات. غير ان تلك الحقبة كانت هامة في تدعيم استقلال الكويت، فقد كان العالم لا زال منهمكا في الحرب العالمية الاولى طوال فترة حكم جابر، وحوالي العامين من حكم سالم. ولقد حكم جابر وسالم مقتفيين اثر مبارك، مع بعض الفوارق.

كنا قد رأينا من قبل كيف استطاع مبارك، بما اوتي من بعد نظر سياسي، أن يعقد معاهدة مع الانجليز عام ١٨٩٩ (١) أولا، ثم أن يتعاون مع الحلفاء ضد العثمانيين والالمان أثناء الحرب العالمية الاولى، وأن ينال بالتالي تأييد بريطانيا ودعمها السياسيين، وهو بالطبع لم يكن الوحيد بين حكام شرقي الجزيرة ممن اتخذوا هذا القرار الخطير حقا، ونعني بذلك الانحياز الى جانب البلدان الاجنبية الاوروبية، والتي كانت تحارب الدولة العثمانية المسلمة. فقد وقف الى جانب بريطانيا أيضا عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ولسنا ندري ان كان انحياز عبد العزيز الى جانب بريطانيا يعود الى ما فعله مدحت باشا مع عميه عبد الله وسعود، بعد أن تم لجيوشه احتلال الاحساء، وبالتالي اعادتها مع نجد الى حظيرة الدولة العثمانية. ويجب أن ننبه هنا الى أن التعاون مع بريطانيا في عهد سالم، قد

(١) انظر الفصل العاشر، صفحة ٣٢١ وما يليها.

اختلف عما كان عليه في عهد والده (١) ، وعهد أخيه جابر ، والى عهد جابر نلتفت الآن في ايجاز.

جابر بن مبارك ١٩١٦ - ١٩١٧

فقد ازدهرت الكويت في ظل جابر، ازدهارا عظيما، وذلك بسبب ازدياد التجارة مع بلاد الشام، حيث كانت القوافل المحملة بالبضائع تتجه إلى سوريا حافلة لأهلها والأتراك بها مختلف البضائع التي كانوا في أمس الحاجة اليها (٢) وكأن الكويت بعملها ذاك قد كسرت حلقة الحصار البري والبحري الذي كان يفرضه الحلفاء على الدولة العثمانية. وبالطبع لم ينظر الانجليز بعين الرضا الى موقف حاكم الكويت، الذي وان لم يكن يؤيد تهريب البضائع عبر الكويت الى العثمانيين، الا أنه لم يكن ليتدخل في تلك التجارة ويأمر بايقافها. والغريب أن الانجليز لم يجاهروا باحتجاج علني لدي شيخ الكويت فيما يتعلق بتلك التجارة. ولعل السبب في ذلك أن جابرا كان قد أعلن رسميا وقوف الكويت الى جانب بريطانيا والحلفاء في جدالهم مع الدولة العثمانية وحلفائها وبعد مرور اكثر من عام على تولي جابر مقاليد الحكم، توفاه الله وصار أمر البلاد الى أخيه سالم من بعده.

سالم بن مبارك ١٩١٧ - ١٩٢١

وكان سالم بن مبارك شديد الشكيمة، متمسكا بتلابيب الدين وتعاليمه الحنيفه، وبالطبع خشي الانجليز أن تميل الكويت الى جانب العثمانيين علنا، وتندفع في مساعدة الدولة العلية بقوة. ولقد كان سالم حريصا على القيام بذلك الدور، وهو ان لم يقم به رسميا، خشية تدخل الانجليز في أمور الكويت الداخلية، فانه، فيما يبدو، قد أخذ يؤيد استمرار تدفق القوافل المحملة بالبضائع الى سوريا (٣) ، حتى ضج الانجليز بذلك الأمر واحتجوا عليه احتجاجا شديد اللهجة، لدرجة أنهم هددوا الكويت قائلين أن بريطانيا لن تنفذ وعدها

---

(١) الرشيد ٢ : ٢٢٨-٢٣٣ وكذلك ١٥٩-١٦٢

(٢) المصدر السابق : ١٦٠-١٦١

(٣) المصدر السابق

بالمحافظة على سلامة الكويت، اذا تعرضت لخطر غزو خارجي، ان لم يكف سالم عن سياسته المنحازة للدولة العثمانية (١) . ولعل أمير الكويت قد أدرك مغبة ذلك التهديد، حين علم بنوايا عبد العزيز آل سعود تجاهه شخصيا، وتجاه مدينة الكويت وأهلها. ولعلنا نذكر القارىء بأن الشيخ مباركا، كان قد أرسل نجله الشيخ سالما ،يصحبه حفيده احمد الجابر، على رأس قوة كويتية، لمساعدة عبد العزيز آل سعود، المحاصر في الهفوف من قبل العجمان وذلك في ديسمبر ١٩١٥ وكانت نتيجة هذه الحملة الكويتية بقيادة سالم فك الحصار عن الهفوف، وهزيمة العجمان . كان عبد العزيز يأمل بعد هزيمة العجمان هذه، على يد القوات الكويتية ان يلاحق العجمان المنهزمين، وينزل بهم أشد أنواع العقاب، ويطاردهم الى حيث يذهبون. غير أن سالما بتوجيه سابق من والده مبارك، قد منح العجمان، بعد هزيمتهم، مأوى في أراضي الكويت (٢) وبالطبع لم يتمكن عبد العزيز من ملاحقتهم بعد تلك الهزيمة، لأنه لم يكن قادرا على القيام بذلك بمفرده، أي بدون عون من جيش سالم. كانت هذه الحادثة، هي بداية النزاع مع عبد العزيز آل سعود وأتباعه، ذلك النزاع الذي كان من نتائجه موقعة الجهرة بين الكويت والاخوان، الموالين لعبد العزيز، بقيادة زعيمهم فيصل الدويش ، وذلك في عام ١٩٢٠ (٣) .

موقعة الجهرة (١٠ اكتوبر ١٩٢٠)

تعتبر موقعة الجهرة علما في تاريخ الكويت الحديث ، وذلك لاكثر من سبب فهي الحادثة التي برهنت صلابة موقف الشيخ سالم في الدفاع عن أراضي

---

(١) المصدر السابق

(٢) انظر الفصل العاشر.

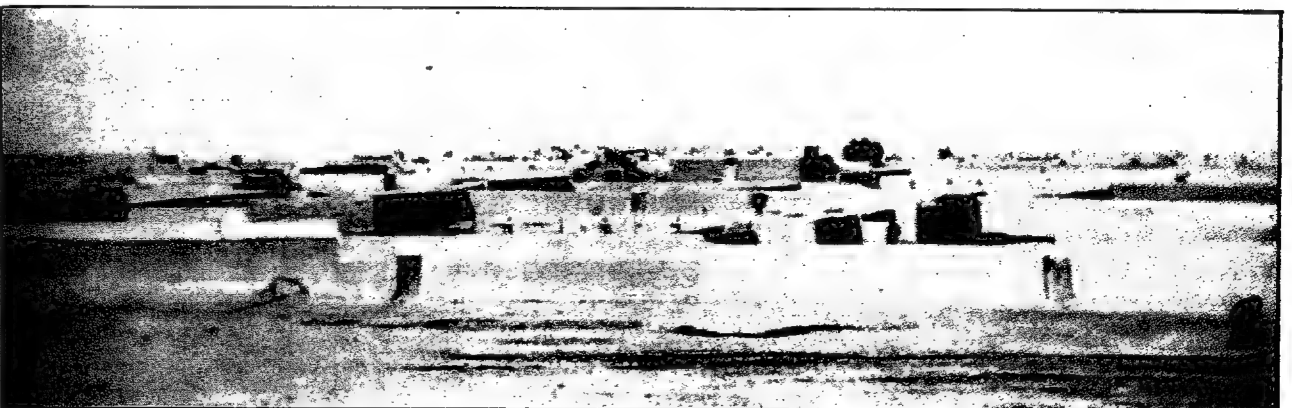
(٣) لما كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد قد ساهم في الدفاع عن الجهرة فهو شاهد عيان لحصارها . انظر وصفه للحصار في المجلد الثاني من تاريخه صفحات ١٧٨-١٩٢ .
كذلك انظر Mylrea , Kuwait before Oil , 86—100 ثم Dickson , Kuawait and her Neighbours , 253—56

كذلك انظر معركة الجهرة ، لبدر خالد البدر لمزيد من التفصيل .

صور التقطها في الكويت مقيم اجنبي فيما بين (١٩١٣-١٩٣٠)



منظر لمدينة الكويت سنة ١٩١٤ « من مجموعة المؤلف »



منظر للسور وبعض البيوت سنة (١٩١٤) « من مجموعة المؤلف »

الكويت كافة ، وليس عن مدينة الكويت فحسب . وقبل ان نتناول موقعة الجهرة بالشرح ، نود ان نوجز العلاقات السعودية الكويتية في عهد الشيخ سالم ، وحتى قبيل ذلك بقليل ، الى أن وقعت معركة الجهرة .

كان الشيخ سالم قد توجه الى الهفوف في ديسمبر عام ١٩١٥ لنجدة عبد العزيز آل سعود ، وفك الحصار عنه ، وقد نجح في ذلك ، وهكذا يمكن القول بأن العلاقات السعودية الكويتية قد استمرت طيبة خلال فترة طويلة من حكم مبارك . غير أنها تعكرت بسبب قبول سالم ، وهو المنتصر على العجمان ، كما ذكرنا قبل قليل ، بأن يسمح لهم باللجوء الى أرض الكويت في نفس السنة ، وبعد هزيمتهم مباشرة .

ومع ذلك لم يبد ما يعكر صفو العلاقات الا بعد ذلك بنحو خمس سنين ، أي في اكتوبر ١٩٢٠ ، بدأ حصار السعوديين ، ممثلين في الاخوان للجهرة . فما الذي جعل عبد العزيز يحجم عن التدخل في شئون الكويت طوال تلك الفترة ؟ أغلب الظن ، انه كان يريد أولا ، وقبل كل شيء ، أن يستقر الوضع الداخلي في أرض نجد والاحساء ، لا سيما بعد أن بدأت حركة الاخوان تستعر نيرانها في تلك الفترة بالذات ففي خلال الفترة المشار اليها صار عبد العزيز يجمع في يديه السلطتين الدنيوية والدينية ، أي صار هو الامام ، وبايعه الاخوان بذلك ، وهم بالطبع غلاة الوهابية (١) . ولهذا حين سارت جيوش فيصل الدويش لتهاجم الكويت ببدء حصار الجهرة ، كان عبد العزيز يبدو وكأنه ليس على علم بسيرهم لمهاجمة أرض الكويت وقبائلها . وبالطبع علينا أن نذكر هنا أن الشيخ سالما ، كان قبيل معركة الجهرة ، وعندما نمى اليه أن عبد العزيز يزمع التعرض للكويت قد أراد جس النبض بأن ارسل الى أقصى حدود الكويت الجنوبية عند منيفة ، أرسل بعض بداة جنده من الكويت ليبنوا قلعة في تلك البقعة .

والسبب في ذلك ان الكويت - باعتراف بريطانيا - كانت تعتبر جبل منيفة هو

---

(١) انظر حافظ وهبه ، جزيرة العرب في القرن العشرين : ٢٧٣-٢٨٩ ثم كذلك, Dickson Kuwait and her Neighbours , 148—150

حدها الجنوبي بحسب معاهدة ١٩١٣، وكانت قد حصلت عليها الموافقة المبدئية بين بريطانيا والدولة العثمانية في اسطمبول آنذاك. فما كان من عبد العزيز، أو من أنصاره الاخوان، الا أن قاموا بهجوم مباغت على جند الكويت، وقتلوا معظمهم وسارع الناجون منهم بالفرار والعودة الى الكويت، وكان ذلك في ٤ أبريل عام ١٩٢٠ (١)

ولما تيقن سالم من نوايا عبدالعزيز، شرع يخطط للدفاع عن مدينة الكويت نفسها وذلك بأن طلب من أهلها جميعا المعاونة في بناء سور جديد لحمايتها من هجمات الاخوان وجند عبدالعزيز (٢).

ولقد تم بناء ذلك السور في شهرين. هذا ولقد بقي ذلك السور قائما حتى عام ١٩٥٧ حين شاهدنا هدمه، بعد أن رأى أولو الأمر هدمه، لتتسع المدينة خارج السور، ولم يبق قائما منه سوى بواباته (٣).

ولقد وقع ما كان في حسبان الشيخ سالم فعلا، حين بدأت جماعات الاخوان في التحرك بقيادة فيصل الدويش، متجهة صوب الكويت شمالا، ولا يخفى ان نيتها كانت مبيته لمداهمة المدينة وأخذها عنوة.

رأى الشيخ سالم عندها، ان خط الدفاع الاول عن الكويت، لابد أن يكون في الجهرة، فتوجه اليها مع العديد من سكان مدينة الكويت، وانضم اليهم صفوف المقاتلة من البدو. وفي اليوم العاشر من شهر اكتوبر عام ١٩٢٠، وقع

---

(١) الرشيد ٢ : ١٧٨-١٩٢ (المقصود بالهجوم المباغت معركة حمض)
وكذلك Freeth and Winstone, **Kuwait Prospects and Reality** 84—86
وكذلك Mylrea, **Kuwait before Oil**, 86 - 93

(٢) انظر Freeth and Winstone, 82—48
و Mylrea, 86—87
وكان ملري شاهد عيان لبناء سور المدينة الذي بدىء في بنائه يوم ٢٤ مايو ١٩٢٠ وكان الانتهاء منه في سبتمبر ١٩٢٠ (المصدر نفسه ص ٨٧)

(٣) هدم السور مؤخرا بعد ان اتسعت المدينة خارج السور وكان لابد من اجل تنظيمها ان يزاح السور من طريق التنظيم وبقيت بوابات السور قائمة الى يومنا هذا، أي بعد هدمه بنحو ربع قرن من الزمان.

الهجوم المرتقب . وكانت المعركة في بدايتها في غير صالح الكـويت ، واضطر الشيخ سالم وصحبه الى اللجوء الى القصر الاحمر والتحصن فيه لوقفة أخيرة امام جيوش فيصل الدويش ، التي كانت تفوقهم عددا . ولاريب أن وقوف الشيخ سالم بالجهرة للدفاع عنها من القصر الاحمر ، كان امرا له اهميته العسكرية ، لأن انهاك قوى الدويش حول الجهرة ، قد كفى مدينة الكويت شرهم .

ونحن ، وأن كنا لن نطيل شرح حصار القصر الأحمر ، الذي صمد لغزوة « الاخوان » لابد من أن نشير إلى أبعاد هذه المعركة على الصعيد المحلي في الكويت أولا ، وعلى الصعيـد الأجنبي في صفوف القوى العاملة من حول الكويت (١) .

اما أثر هذه المعركة على مدينة الكويت ، وعلى اراضيها ستقلالها ، فكـان بعيد المـدى . فلقد جعلت الكويـت تقف بأهلها صفا واحدا يتحدون غزوة شرسـة ، لو قدر لها النجاح لأضـاعت استقلالهم ، ولصـيرتهم تابعين للبلد الغازي (٢) .

وأما على الصعيد الدولي في الخليج ، فان القتال الكويتي - السعودي ، قد أجبر بريطانيـا على ان تقوم بتنفيـذ وعودها حسـب اتفاقيـة ١٨٩٩ مع الكويـت (٣) ، اذ أن الطائرات البريطانيـة المـرابطة بالعراق المحتل من قبل بريطانيـا ، قامت بالقاء المنشـورات المحذرة على الغزاة ، ان هم استمروا في غيهم (٤) . ثم كذلك قامت السفن الحربيـة البريطانيـة بالمـرابطة في ميناء الكويت ، على مرأى من الغزاة ، بما لزم من واجب انذارهم أيضا . وكـذلك

---

(١) انظر من أجل معرفة احوال المحاصرين في القصر الاحمر بالجهراء الرشيد ٢ : صفحة ١٨٠ وما يليها . ومن أجل الدور الذي لعبه الانجليز في رفع الحصار وأزالة الخطر عن الكويت انظر Mylrea , 97—100 و Dickson , **Kuwait** , 255—256

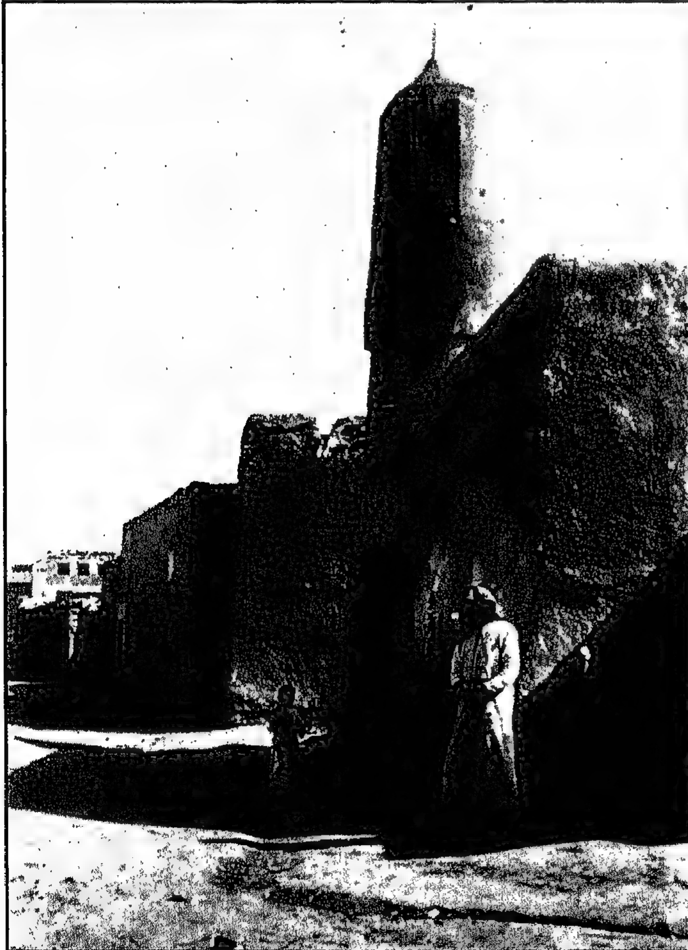
(٢) انظر موقفا مماثلا للكويت في عهد الشيخ عبدالله الاول ابن صباح حين داهم الوهابيون المدينة عدة مرات بفرسانهم ما بين عام ١٧٩١ و ١٧٩٥ .

(٣) انظر الملحق رقم ٤ في آخر الكتاب .

(٤) Mylrea , 99



منظر لبوابتين في
سور مدينة الكويت



مسجد في الكويت
القديمة ١٩١٥
(من مجموعة المؤلف)

عجلت هذه الغزوة بعقد مؤتمر لاحق في العقير عام ١٩٢٢ ، كان الحكم فيه بين العراق والسعودية والكويت هو السير بيرسي كوكس ، مندوب بريطانيا السياسي في العراق وصديق عبدالعزيز آل سعود ، وان حضره الى جانب كوكس ، الميجور مور ، المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ممثلا لحاكمها . وسنعود الى ذلك المؤتمر حين نتناول عهد الشيخ احمد الجابر بالدراسة بعد قليل (١) .

غير أن العلاقات بين الشيخ سالم وعبدالعزيز آل سعود ، لم تتحسن في العام التالي لمعركة الجهرة ، وكانت آخر محاولة لرأب الصدع الذي أصاب العلاقات الكويتية - السعودية ، خلال تولي الشيخ سالم امارة الكويت ، الوساطة التي حاول ان يقوم بها كاسب نجل الشيخ خزعل ، والشيخ احمد الجابر ، وهي وساطة قاما بها في اوائل شهر مارس ، حيث تم اجتماعهما به آنذاك ، وكان ذلك بعد وفاة الشيخ سالم في الكويت في ٢٧ فبراير ١٩٢١ ، وبالطبع لم يكن لأحد المجتمعين علم بحادث الوفاة . وحينما وصل خبر الوفاة الرياض ، سارع الشيخ احمد الجابر بالعودة الى الكويت ، بعد أن أكد له سلطان نجد أنه بوفاة سالم ، لم تعد هناك مشاكل بين بلديهما . عاد الشيخ أحمد الى الكويت ، وهو الذي تولى حماية مدينة الكويت ، حين كان عمه الشيخ سالم يدافع عن الجهرة ، عاد الى الكويت ليتولى مقاليد الحكم لمدة تسعة وعشرين عاما ، ما بين ١٩٢١ و ١٩٥٠ .

ولا يستطيع مؤرخ للكويت في هذه الفترة من عهد الشيخ سالم الا أن يتساءل عن اسباب سوء العلاقات بين أخلص الاصدقاء بل الأقارب ، أأي آل سعود وآل صباح ، بعد أن مرت تلك العلاقات بطور وطيد من التوثق في عهد الشيخ مبارك . ان الذي يدرس تاريخ العلاقات البريطانية مع دول الخليج في القرن السابق ، قد يجد جوابا على سؤالنا هذا . فمن ينظر في تلك العلاقات البريطانية ويتذكر الدور الذي لعبه الانجليز في خلع الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة ، ومساعدة ابن اخيه الشيخ محمد آل خليفة في تولي حكم البحرين ، قد يستطيع

---

(١) انظر تعليقنا على مؤتمر العقير فيما يلي .

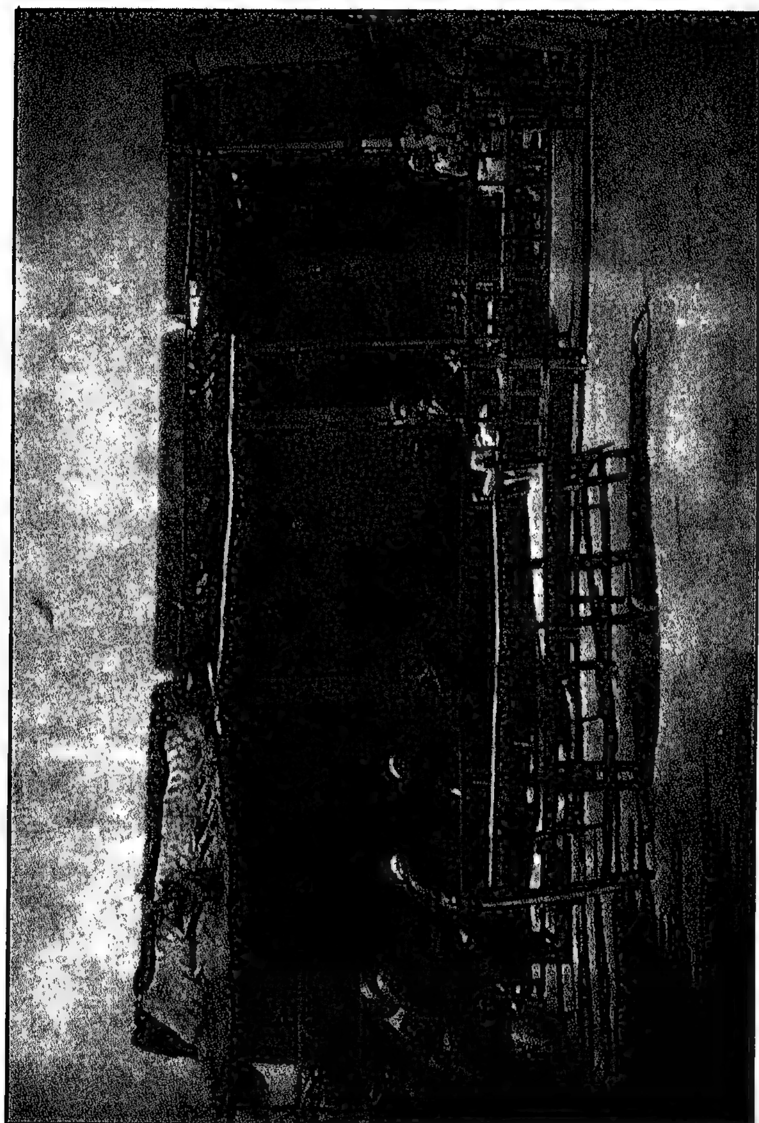


الشيخ احمد الجابر (١٩٢١ - ١٩٥٠)

فهم التصرف البريطاني مع الكويت في هذه الفترة . كان ذلك حين رفض الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة أن يعدل عن عقد اتفاقية مع محمد خورشيد باشا في مايو عام ١٨٣٩ ، حين زار البحرين محمد رفعت افندي ، معاون محمد خورشيد باشا ، وطلب منه توقيع تلك الاتفاقية ، بينما كان الكابتن هنيل Hennell المقيم البريطاني في الخليج ، قد حذره من ذلك . بالطبع لم يعزل الانجليز الشيخ سالم لسبب يدركه المطلع على نوع العلاقات البريطانية الكويتية آنذاك ، فان مباركا ، حين وقع اتفاقية ١٨٩٩ مع الانجليز ، أفهمهم ان شئون الكويت الداخلية هي من اختصاص حاكم الكويت ليس الا . . أما هم فلهم الاشراف على الأمور الخارجية . ومع ذلك يبدو أن الانجليز كانوا خلال الربع الاول من القرن العشرين يقفون مع الاقوى من الحكام في شبه جزيرة العرب ويأخذون جانبه ، والا كيف نفسر موقفهم من حلفاء آخرين لهم حين وقع الخلاف بينهم وبين آل سعود ؟ ان ما نهدف اليه من توضيح موقف الانجليز ومعالم سياستهم ، سيتضح بجلاء حين نتعرض لدور مندوبي بريطانيا في تخطيط حدود الكويت الجنوبية في مؤتمر العقير عام ١٩٢٢ وهو أمر وعدنا بتناوله في حينه ، وحينه هو حكم الشيخ احمد الجابر بن مبارك الصباح .

الشيخ احمد الجابر (١٩٢١ - ١٩٥٠)

تولى الشيخ احمد الجابر الحكم وعمره خمس وثلاثون سنة ، في فترة عصيبة من فترات تاريخ الكويت ، اذ أن العلاقات السعودية الكويتية ، التي بدا أنها ستتحسن مع توليه الحكم ، عادت لتتدهور من جديد ، بسبب ماعرف بمشكلة السابلة . كذلك كان على الشيخ احمد الجابر أن يعالج بحكمة علاقات الكويت بجيران آخرين . وأن يكون حصيفا في معاملاته مع الانجليز ، الذين لم ينصفوا الكويت ، حين كان الامر بيدهم في العام اللاحق لتوليه شئون البلاد . ولاريب أن حسن تصرفه في تلك الاوقات الحرجة منذ بداية عهده ، يدل دلالة قاطعة على أنه كان بالفعل قد أعد إعدادا طيبا لادارة أمور بلاده قبل أن يتولاها .



مقهى في السوق القديم ١٩١٥ (من مجموعة المؤلف)

مشكلة الحدود مع السعودية والعراق (١)

تولى الشيخ أحمد الجابر مقاليد الحكم في الكويت عام ١٩٢١ ، وكان عمره آنذاك كما أسلفنا القول خمسا وثلاثين سنة ، وكان قد مارس الحكم والسياسة وتدبير أمور الكويت أيضا في حياة عمه سالم ، اذ أنه كان مسئولا عن تسيير دفة الامور في مدينة الكويت حين توجه سالم الى الجهرة للدفاع عنها امام خطر الاخوان الداهم . وكذلك فانه كان قد شارك عمه سالما في رفع الحصار عن عبدالعزيز آل سعود في الهفوف في ديسمبر عام ١٩١٥ حين حاصر العجمان تلك المدينة ، ثم انه كان ايضا ممثلا لعمه سالم ، حين ذهب مفاوضا عبدالعزيز آل سعود مع كاسب بن خزعل ، وذلك عام ١٩٢١ ، حين أرسلا الى الرياض لتسوية الخلاف الناشب بين الكويت ونجد في شهر فبراير من ذلك العام .

على أن مشكلة الحدود بين نجد والعراق والكويت ، كانت هي الشغل الشاغل للانجليز بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، لأن الانجليز قد صارت بيدهم مقاليد الامور في العراق الذي نصبوا فيه ملكا هاشميا هو فيصل بن الملك حسين ملك الحجاز ، ثم أن الكويت كانت بيدهم مقاليد شئونها الخارجية ، وفقا لاتفاق ١٨٩٩ . وكذلك كانت لهم دلالة كبيرة على سلطان نجد ، عبدالعزيز آل سعود ، الذي كان قد طلب منهم الحماية قبل عام ١٩١٥ ، وكانوا يمدونه بالسلاح والمال اثناء الحرب العالمية الاولى ، وهو يقف بجانبهم ضد العثمانيين .

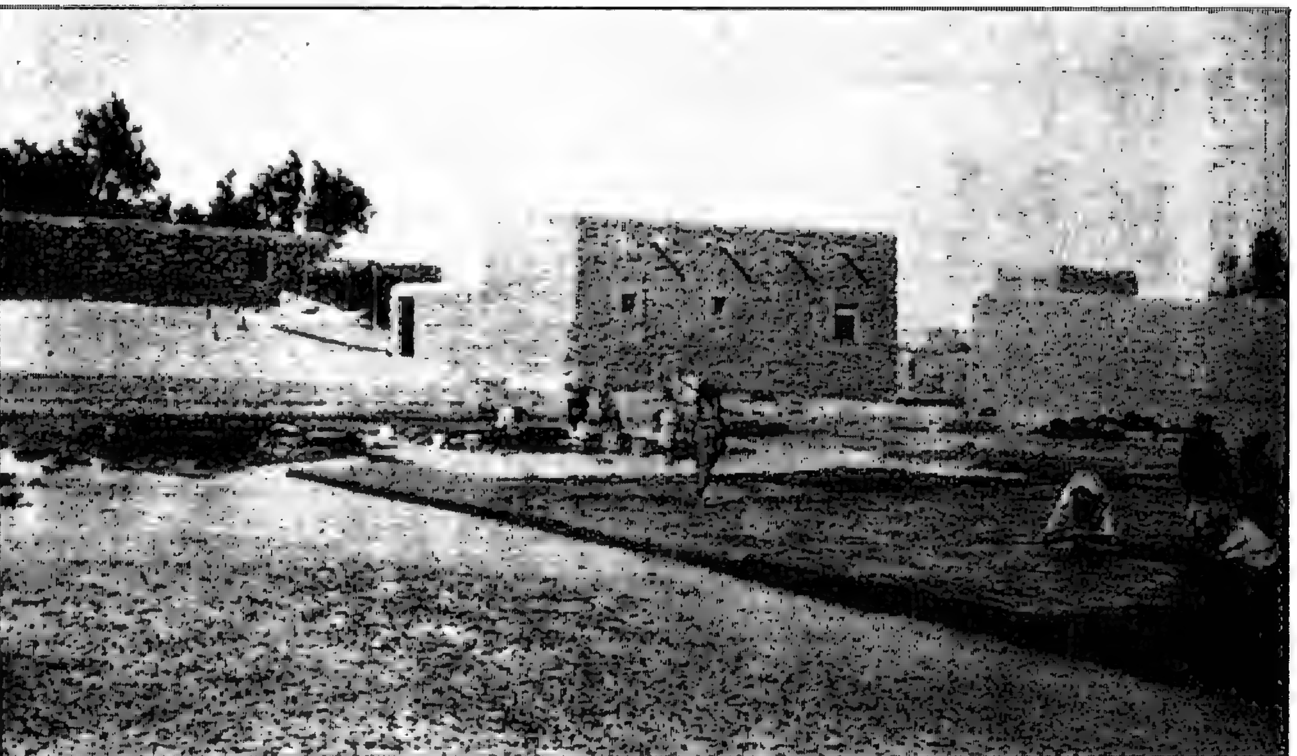
ولما انتهت تلك الحرب ، أراد الانجليز رسم خطوط واضحة للحدود بين تلك الاقطار الثلاثة ، العراق ونجد والكويت . فرأى السير بيرسي كوكس ، المندوب السامي البريطاني في العراق ، ان تأتي الحدود السياسية على غرار ماعرف في أوربا ، بحيث تكون واضحة المعالم ، تبين نواحي كل قطر من الاقطار الثلاثة المذكورة ، دون مراعاة لحركة تنقل القبائل العربية الدائبة بينها ، وكانت هذه

---

(١) انظر من أجل تخطيط الحدود الفصل الثاني من كتاب :

Dickson , Kuwait and her Neighbours ,

وعنوانه « تخطيط الحدود ١٩٢١-١٩٢٣ » صفحة ٢٦٢ وما يليها .



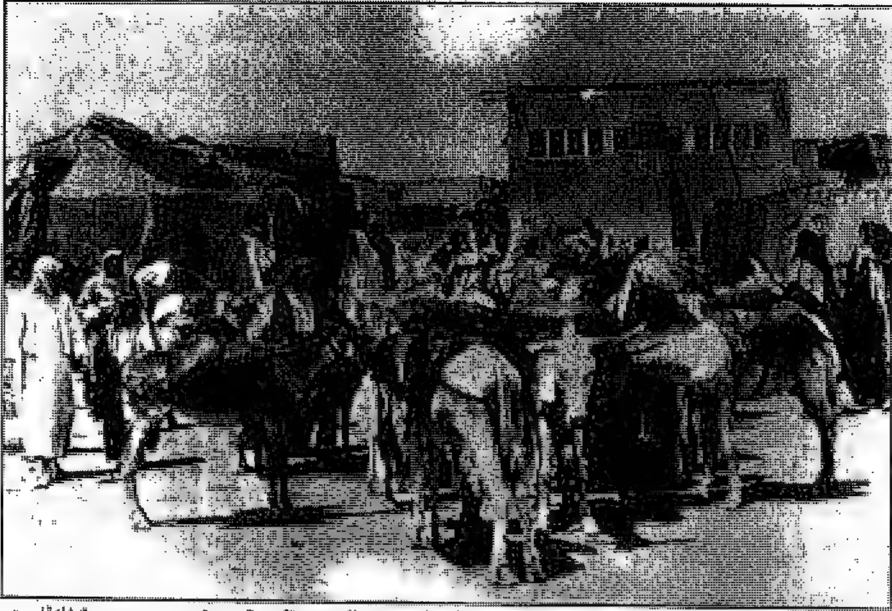
اول ملعب للتنس يبنى للمعتمد السياسي في الكويت ١٩٢٦

القبائل تتجول بين اراضي الكويت والعراق ونجد والاردن دون تقييد في عهد الحكم العثماني السابق ، بل ومن قبل الحكم العثماني لأجزاء متعددة في جزيرة العرب والعراق .

كنا قد ذكرنا من قبل ايضا ان الحكومة البريطانية قد اتفقت مع الدولة العثمانية على رسم خريطة لحدود الكويت عام ١٩١٣ ، وكانت بريطانيا تعتبر تلك الحدود هي حدود الكويت منذ ذلك التاريخ ، وحتى عام ١٩٢٢ ، حين قررت اقرار الحدود بين البلدان الثلاثة المذكورة آنفا ، وكانت تلك الحدود تصل بالكويت جنوبا الى جبل منيفة ، على مسافة تبعد نحو مائة وستين ميلا عن حدود الكويت الحالية مع السعودية .

وبالطبع ، فان ما كان يجوز للكويت القوية في عهد مبارك (١٨٩٦ - ١٩١٥) ، لم يكن ليصح ، في عرف السير بيرسي كوكس ، بعد وفاته ، حين صار عبدالعزيز آل سعود أقوى زعيم في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية ، وصار صاحب النفوذ الأول بين قبائلها ، التي دان معظمها بالولاء له ، دون سواه من حكامها .

لكل هذا ، رأى المندوب السامي في العراق أن يوضح الحدود السياسية للدول المذكورة ، وذلك من أجل ان يعترف بها دوليا ، وبدأ بالطبع برسم الخطوط الرئيسية ، للحدود العراقية ، حيث كان يعمل مندوبا ساميا فيها ، وهي البلد الوحيد بين الثلاثة التي كانت تخضع خضوعا مباشرا للدولة العثمانية . وكان سير بيرسي كوكس حريصا على ذلك لكي تستطيع العراق توقيع اتفاقيات خاصة بنفط الموصل بالذات . ومن هنا كانت اتفاقية المحمرة المعقودة يوم ٥ مايو عام ١٩٢٢ ، والتي أوضحت معالم الحدود بين السعودية والعراق ، ووافق عليها عبدالعزيز آل سعود آنذاك ، ليعود وينقضها بعد قليل في نفس العام قائلا انها قد غبنته ، وأضافت للعراق ما لم يكن لها ، وكذلك لأنها أبقت حدود الكويت مع نجد والاحساء ، كما كانت عليه في اتفاقية عام ١٩١٢ ، السابقة الذكر . وكان عبدالعزيز يطمع في اقتطاع جزء كبير من اراضي الكويت ، التي حددت بموجب تلك الاتفاقية .



حالو المياه في مدينة الكويت القديمة ١٩١٦ (من مجموعة المؤلف)



احد الطلاب يرفع علم الكويت سنة ١٩٢١



يتناولون القهوة في البازار (السوق) ١٩١٦

ولما رأى السير بيرسي كوكس موقف صديقه عبدالعزيز آل سعود آنف الذكر، قرر دعوة العراق والكويت وسلطان نجد الى مؤتمر يعقد في العقير، طالبا من الكولونيل ديكسون ممثل بريطانيا آنذاك بالبحرين، أن يطلب من عبدالعزيز آل سعود الحضور الى العقير من أجل ذلك الاجتماع، الذي مثل فيه الكويت المعتمد البريطاني مور (١). ومع أن الدعوة لعقد المؤتمر قد وجهت في شهر سبتمبر عام ١٩٢٢، فانه لم ينعقد قبل أواخر نوفمبر من ذلك العام.

ويبدو من خلال جلسات المؤتمر الاولى ان السير بيرسي كوكس كان حريصا على رسم الحدود بين الدول المعنية لاسباب مختلفة، كما مر القول، ففيما يتعلق بالعراق، كان يريد لها ان تبرز كدولة ذات كيان وذات حدود واضحة، لكي تستطيع ممثلة في ملكها فيصل، ان توقع اتفاقيات نفط وغيرها مع بريطانيا، واما بالنسبة للسعودية فكان الهدف ان تتوقف اعتداءاتها على حدود جيرانها في الشمال والشمال الشرقي، أي على حدود العراق والكويت والاردن، وكان الانجليز بسبيل تعيين أمير هاشمي، هو عبدالله بن الحسين على الاخيرة. واما الكويت فأغلب الظن أنهم ارادوا لها أن تكون دولة حدود، تفصل بين العراق والسعودية، وبذلك تمنع الاحتكاك بينهما.

وعلى الرغم من علاقات الشيخ احمد الجابر الطيبة مع الانجليز منذ ان تولى مقاليد الحكم قبل عقد المؤتمر بعام، فان كوكس، كان فيما يبدو، قد مال الى مساندة الجانب القوي، وهو السعودية، على حساب الجانب الضعيف، وهو الكويت.

وخلاصة القول في معاهدة العقير التي وقعتها الاطراف المعنية يوم ٢ ديسمبر عام ١٩٢٢، انها عادت بحدود الكويت الجنوبية الى الوراء بنحو مائة وستين

---

(١) المصدر السابق.



مشهد لاحتفال في الكويت سنة ١٩٢١ (من مجموعة المؤلف)



النزول في بلاد العرب سنة ١٩١٠ (من مجموعة المؤلف)

ميلا ، أي انها لم تبق حدودها ، كما رسمتها خريطة اتفاقية ١٩١٣ ، وقد ضم ذلك الجزء المقتطع لممتلكات عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، كما رسمت تلك المعاهدة قيام منطقتين محايدتين بين السعودية والكويت من جهة الجنوب ، ثم بين العراق والسعودية في الشمال . وكان هدف اقامة المناطق المحايدة تسهيل انتقال القبائل البدوية التابعة للأطراف المعنية بين تلك البلاد ارتيادا للماء والكلأ .

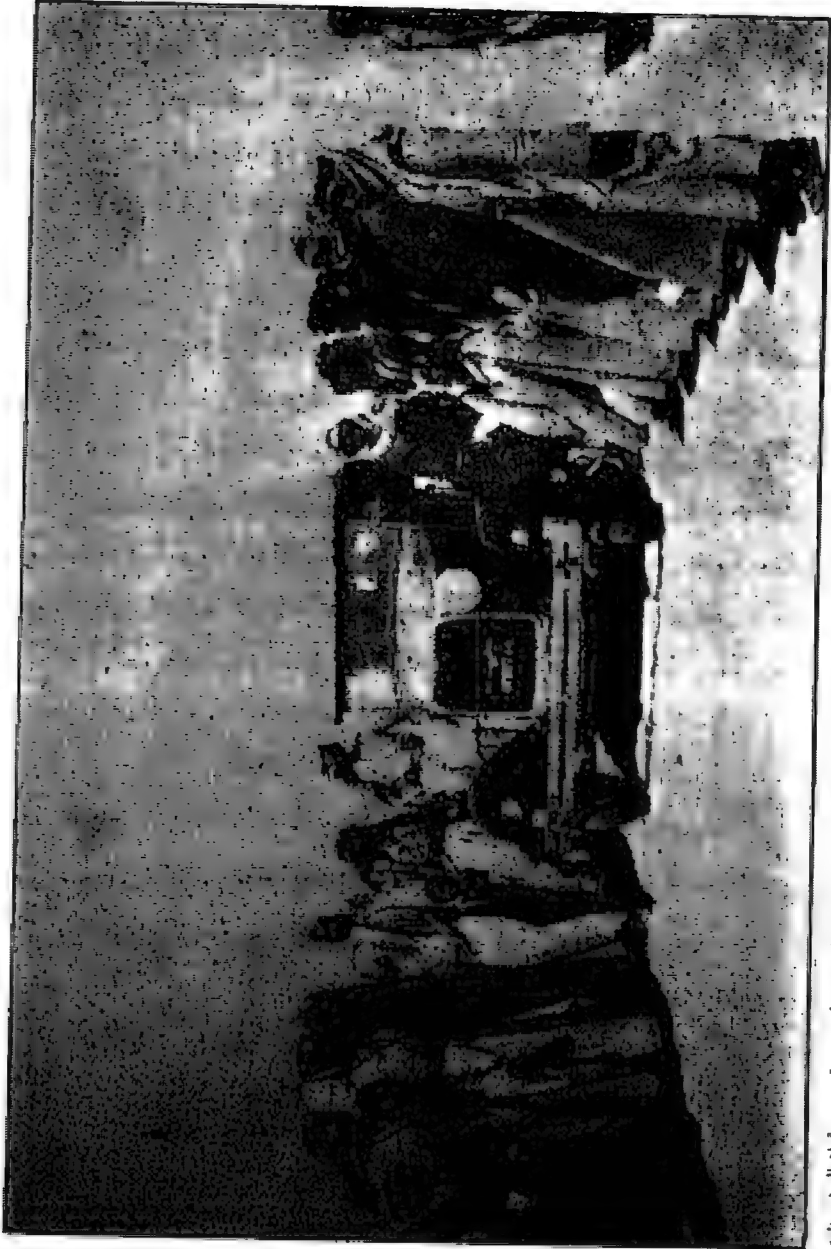
موقف الشيخ احمد الجابر من المعاهدة (١)

وحين بلغ كوكس الشيخ احمد بشروط المعاهدة ، وأوضح له حدود الكويت الشمالية مع العراق ، والجنوبية مع نجد والاحساء ، وبعد ان راى الشيخ احمد ، مقدار الحيف الذي نزل بالكويت باقتطاع نحو ثلثي اراضيها وتسليمها لسلطان نجد ، تردد في توقيع الاتفاقية ، غير أنه وقعها وهو يلعنها . ومن طريف مما يذكر عما ورد حين التوقيع ان قال الشيخ احمد الجابر للسير بيرسي كوكس ، بعد ان شرح له الاخير السبب في ضم ممتلكات الكويت لسلطان نجد ، الا وهي قوة عبدالعزيز آل سعود وضعف الكويت اذ ان الكويت كانت يومها أضعف مما كانت عليه في عهد مبارك ، قال الشيخ احمد :
«وهل يعني ذلك ان الكويت تستطيع ان تسترد ما سلب منها من أرضها ، اذا صار شيخها في قوة الشيخ مبارك دون معارضة بريطانية ؟ » . فأكد كوكس للشيخ بأن بريطانيا لن تعارض في ذلك . وقد ذكرت المصادر أن الشيخ احمد لم ينس لبريطانيا تلك الاساءة ، على الرغم من انها امنت له حدود الكويت مع جارتها العراق في الشمال ، كما وعدت بذلك مباركا وهي تحارب الدولة العثمانية في العراق اثناء الحرب العالمية الاولى .

وبعد ، فهل قدمت هذه المعاهدة للكويت والمنطقة ما وعدت به من سلام على الحدود بين الجيران ؟ بالطبع لا . فان عبدالعزيز كان لايزال طموحه يمتد شمالا

---

(١) المصدر السابق ، ٢٧٨-٢٨٠ .



عدد من المواطنين يحيطون بسيارة من طراز العشرينات

وغربا . وكان عداؤه للهاشميين لازال قائما بعد توقيع الاتفاقية ، وهو عداء لم يحسمه سوى الاحتلال للحجاز وطرد الاشراف من مكة ومدن الحجاز وضمه الى ملكه في نجد والاحساء وذلك بعد توقيع الاتفاقية بقليل . وان كان عبدالعزيز قد وقع اتفاق سلم في العقير ، الا انه شن على الكويت في العام اللاحق للتوقيع حربا اقتصادية ، اذ فرض عليها حصارا ، اقتصاديا استمر قائما منذ عام ١٩٢٣ وحتى عام ١٩٣٧ .

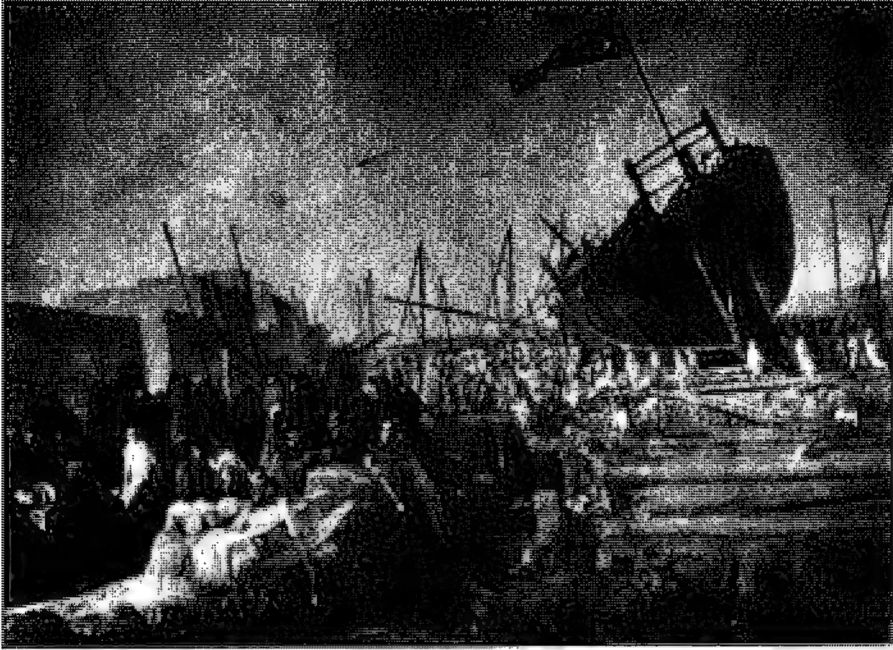
الحرب الاقتصادية بين الكويت ونجد ١٩٢٣ - ١٩٣٧ (١)

اما سبب تدهور العلاقات الاقتصادية بين الكويت ونجد في هذه المرحلة ، فمرده السابلة أي عربان نجد الذين كانوا يقصدون الكويت في مواسم خاصة للتزود بما يحتاجونه من مؤ ن وملابس ، وكانوا لايدفعون اموالا بديلا لذلك ، بل يعودون بعد عام أو أكثر لسداد دينهم بتسليم تجار الكويت أغناما وجمالا وفاء لذلك الدين . كانت هذه الطريقة تحرم نجدا من دخل جمركي كبير ، لو أن البادية اشترت تلك البضائع من موانىء نجدية في الاحساء ، كالعقير والقطيف .

غير أن الكويت كانت هي بوابة التجارة مع نجد منذ تأسيسها وازدهارها في اوائل القرن الثامن عشر . ولما طلب عبدالعزيز من الشيخ احمد ان يجمع الضرائب من بادية نجد ويرسلها للرياض ، رفض الشيخ احمد ذلك بحجة انه ليس واليا تابعا لنجد ، ولما اقترح عبدالعزيز تعيين وكيل له في الكويت ليجمع تلك الاموال من بادية نجد حين دخولهم الكويت لشراء مستلزماتهم ، رفض الشيخ احمد ذلك الاقتراح . ومن هنا حرم ابن سعود على سابلة نجد دخول الكويت والتعامل معها ، وبالطبع ، أحدثت هذه المقاطعة الاقتصادية قلقا في الكويت ، اذ أصابت تجارتها مع نجد بخسارة عظيمة ، كذلك لم تتوقف

---

(١) للحديث عن السابلة انظر القناعي ، ٩١-٩٢ وحافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب ، ٨٧-٨٨ ثم Dickson , Kuwait and her Neighbours , 331—32 . حيث يعلق ديكسون على الطريقة التي انتهت بها الحرب الاقتصادية التي شنها عبدالعزيز آل سعود على الكويت .



الاحتفال بانزال بوم (داو) كويتي جديد في خليج الكويت ١٩١٢



اول طبيبة نسائية في الكويت وابنتها (من مجموعة المؤلف)

غزوات الاخوان على اطراف الكويت بعد معركة الجهرة عام ١٩٢٠ ولا بعد توقيع اتفاقية العقير عام ١٩٢٢ ، فقد استمر خطر هؤلاء على أمن الكويت حتى عام ١٩٣٠ ، وذلك حين وقع خلاف شديد بين سلطان نجد وفيصل الدويش ، وهو خلاف لم تحسمه سوى معركة فاصلة ، وقعت بين قوات عبدالعزيز ، سلطان نجد ، وملك الحجاز آنذاك ، وهي قوات مدرعة حديثة ، زوده بها الانجليز من قبل ، وبين قوات الاخوان على مسافة قريبة من الكويت . وقد انتهت المعركة بتفريق شمل الاخوان ، ولجوء زعمائهم وعلى رأسهم فيصل الدويش الى الكويت ، اذ استسلموا للسلطات البريطانية ، التي كانت ترقب الحوادث وموقف المقاتلين من الكويت ومن حدود العراق الجنوبية . هذا وقد سلم الانجليز زعماء الاخوان للملك عبدالعزيز ، الذي اكرم وفادتهم أولا ثم حكم عليهم بقضاء آخر ايامهم في سجن الرياض ، بما فيهم فيصل الدويش (١) .

حركة المجلس وبداية النفط

شهدت الكويت حدثين هامين في تاريخها وقعا في الثلاثينات من القرن العشرين في عهد الشيخ احمد الجابر . وكان اولهما ما عرف بحركة المجلس عام ١٩٣٨ ، واما الحدث الثاني ، فكان له بالطبع أثر أبعد كثيرا في تطورها ، وهو اكتشاف النفط ، وقد وقع في نفس العام ، حين اكتشف النفط بكميات تجارية . وتصادف وقوع هذين الحدثين مع بداية الحرب العالمية الثانية . وتبعا لظروف العالم آنذاك ، تاثر هذا الحدثان بما كان يجري فيه . ولعلنا قبل أن نخوض في غمار الحركة الاولى ، بل والثانية ، نشير الى اوضاع الخليج المحلية والعالمية في تلك السنوات الهامة من تاريخ الكويت .

فعلى الصعيد المحلي والمجاور ، كانت علاقات الكويت بجيرانها صعبة للغاية ، وانعكس ذلك على الاسواق المحلية ، وتأثر أهل الكويت بوضعهم

---

(١) Dickson , Kuwait and her Neighbours , 323—328



تجمع في صفاة الكويت في العشرينات

المالي ، بل بالضائقة المالية التي كانت تعانيها البلاد . ففي بداية الثلاثينات أصيب الاقتصاد الكويتي ، بأضرار بالغة ، وذلك لسببين ، أولهما الضائقة المالية التي حلت بالعالم أجمع ونجم عنها انهيار اقتصادي في معظم انحائه ولا سيما أغنى بلدانـــه ، ونعني بذلك الولايات المتحـــدة الامريكية . كذلك أغرقت اليابان الاسواق باللؤلؤ الصناعي الذي أخذت تزرعه في بحارها . وأصاب ذلك الكويت وغيرها من بلدان الخليج المتاجرة في اللؤلؤ الطبيعي اصابة قاتلة . ثم كانت مشكلة السابلة التي بدأت في عام ١٩٢٣ مازالت قائمة كما اسلفنا القول ان هذه الضائقات المالية ، كانت بلا ريب سببا لبداية نقد للحكم القائم في الكويت ، وهو طبيعة البشر ، حين يلقون اللوم فيما يصيبهم من مصـــائب اقتصادية على أولياء الامور فيه . واذا أضفنا الى ذلك التململ المحلي على صعيد التجار والشبيبة في الكويت ، والدعايات الضارة التي كانت تصدر عن البلاد المجاورة راينا كيف يمكن ان يسوء الوضع الداخلي .

وفي الكويت ، حيث كان للمعتمد البريطاني أمر الاشراف على الشئون الخارجية ، كان الأمر يسوء اذا لم يكن هناك تفاهم تام بين المعتمد والحاكم ، وهو ما حصل في الكويت في عهد المعتمد البريطاني الكولونيل دي جيري De Gaury الذي أراد ان يتدخل في شئون الكويت الداخلية ، مشيرا على الشيخ احمد ان يتبع طرقا ديمقراطية في الحكم على غرار ماهو معمول به في انجلترا ، وغيرها من البلدان الاوروبية ، وان يشترك بالتالي جماعة من اهل الكويت في ادارة شئون البلاد . ونحن وان كنا لسنا في حاجة لتفصيل ما تم في مسألة التمثيل في المجلس التشريعي بالكويت ، أو ما عرف بأحداث ٣٨ / ١٩٣٩ ، يكفي أن نشير الى ان امير الكويت ، قد أوقف المعتمد البريطاني عند حده ، لأنه ذكره بأن أمور الكويت الداخلية ، كما قررها جده مبارك ، لم تكن من شئون الانجليز كما هو مقرر في معاهدة ١٨٩٩ ، فهي من اختصاص الكويت لابريطانيا . ومع كل ذلك فان مجلسا استشاريا قد الف في الكويت وكان هدفه المشاورة مع الامير فيما يتعلق بتسيير دفة الامور في البلاد ، وكان تأسيس هذا المجلس الذي عرف بالمجلس التشريعي يوم ٢٩ يونية عام ١٩٣٨ . ولعل مما يلفت النظر ، ومماأثار



الميجور مور وزوجته وابنه في الكويت سنة ١٩٢٨

دهشة الانجليز آنذاك ما كان من صدور القانون المبين صلاحيات المجلس والذي جاء في مقدمته ان الشعب ، ممثلا في اعضـاء المجلس المنتخبين ، هو مصـدر السلطة . ولاريب ان قيام هذا المجلس في الكويت في هذا الوقت من تاريخ الامة العربية ، وليس الكويت فحسب ، كان له طابع تقدمي ، وافق عليه شيخ محافظ ، كان يحكم بلده بالطريقة العربية المألوفة آنذاك في كل انحاء الجزيـرة العربية . غير أن الشيخ أحمد ما لبث أن حل هذا المجلس يوم ٢١ ديسمبر عام ١٩٣٩ ، بعد ان عجز المجلس الاول عن القيام بمهامه . وكان تأليف المجلس الجديد كالتالي : الشيخ عبدالله السالم ، رئيسا ، وأربعة أعضاء من آل صباح وتسعة من أعيان البلدة . ولقد سمى هذا المجلس بالمجلس الاستشاري . على أن تأسيس المجلس ، حل مشكلة المجلس ، ولم يحل غيرها ، اذ بقيت المشاكل السياسية قائمة ، وكانت هذه بالطبع صادرة عن جيران الكويت في الشمال وغير نابعة من الكويت (١) .

ومهما يكن من أمر ، فان المشاكل السياسية المشار اليها آنفا ، داخليا وخارجيا قد غطى عليها الحدث الاهم ، وهو اكتشاف النفط في الكويت بكميات تجارية في شهر فبراير عام ١٩٣٨ . اننا لن ندخل في تفاصيل اكتشاف النفط والعثور عليه في الكويت في هذا المقام ، ذلك أن تلك مسألة تناولها الكثير من الكتاب الاجانب بالتفصيل ومصـادرها متوفرة ليس في اللغات الاجنبيـة فحسـب ، بل في اللغة العربية (٢) . ونحن في هذا المقام والمكان من كتابنا ، لابد من أن نشـير الى الأهمية السياسية لاكتشاف هذه الثروة الطبيعية في هذه اللحظة الحرجة من تاريخ الكويت ، وما صاحب ذلك من انتعاش للوضع الاقتصادي ، ذلك الوضع الذي

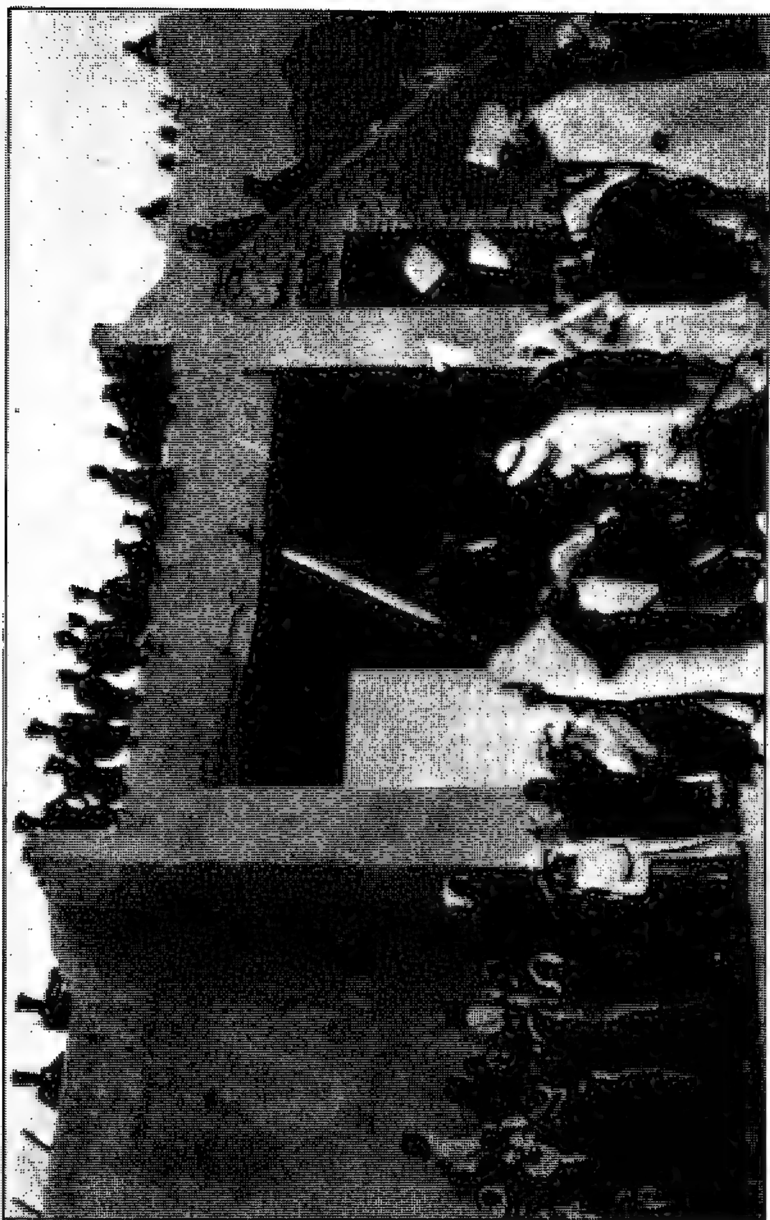
---

(١) انظر Freeth and Winstone , 118—121 وكذلك وثائق مكتبة وزارة شئون الهند للفترة ما بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ تحت العنوان :

Political Agency—Kuwait , R/ 15/ 2054/201 and 4/20II

(٢) انظر من أجل دراسة متخصصة في هذا الموضوع بالذات :

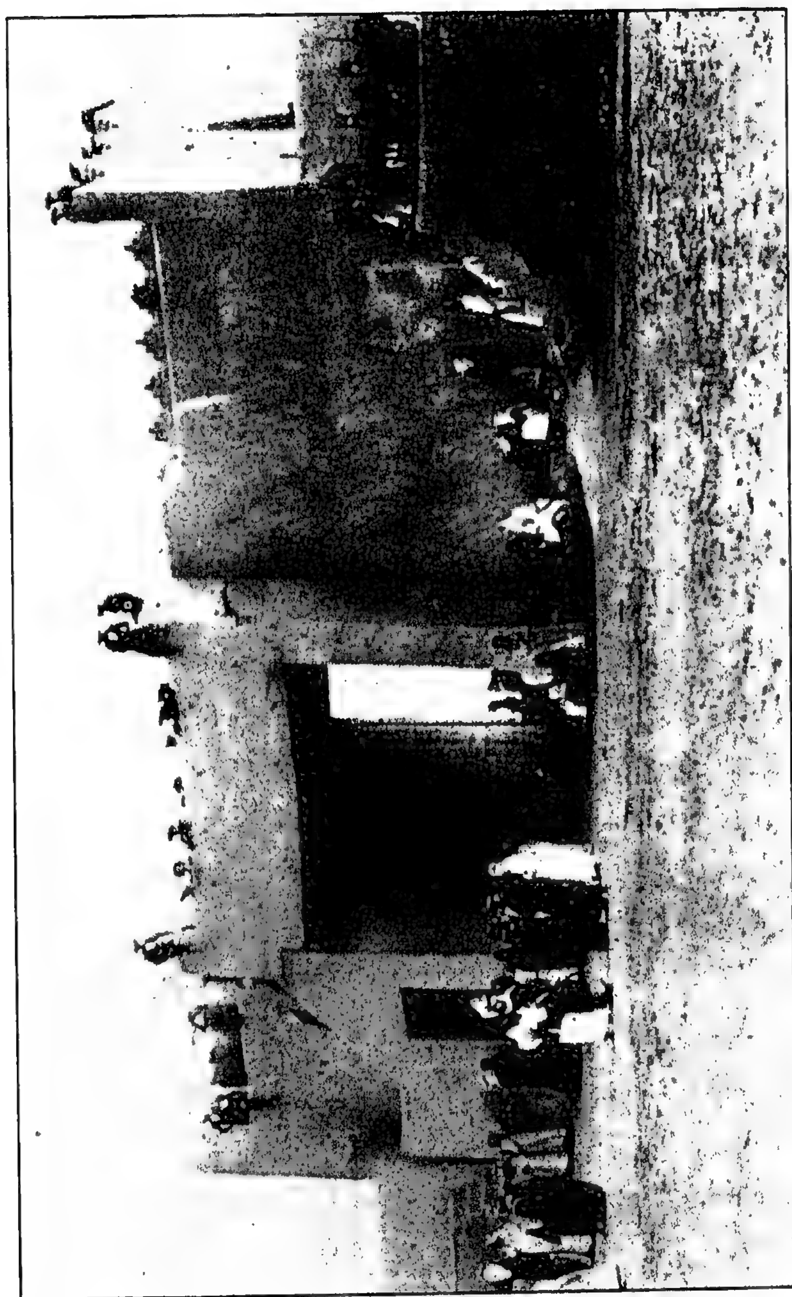
Chisholm , The First Ku wait Oil Conncession ,
A Record of the Negotiations for the 1934
Agreement , London , 1975 .



منظر لبوابة في سور مدينة الكويت

عانت منه البلاد ، أشد المعاناة منذ عام ١٩٢٣ ، وحتى لحظة اكتشاف النفط . وكذلك لابد من أن نشير الى أن الكويت لم تستفد مبكرا من نفطها بالنظر لاندلاع الحرب العالمية الثانية ، التي استمرت قائمة حتى عام ١٩٤٥ . الا أن عائدات النفط أخذت تتدفق على الكويت بعد أن احتفلت الكويت باسالة النفط وبداية تصديره في العام اللاحق ، وذلك في ٣٠ يونيو عام ١٩٤٦ . ومنذ ذلك التاريخ بدأ وجه الكويت في التغير السريع ، اذ سرعان ما استغل الشيخ احمد الجابر هذه الثروة في بناء نهضة البلاد التعليمية والصحية ، وهي نهضة كان يحرص عليها ، حتى قبل العثور على النفط . وهنا لابد من أن نذكر أن دخل الكويت من النفط في ذلك العام لم يكن عظيما ، اذ أنه لم يزد عن مائتين وثمانين ألف جنيه استرليني .

وبالطبع أخذ هذا الرقم في الارتفاع خلال السنوات الباقية من حكم الشيخ احمد الجابر ، حتى بلغ أربعة ملايين من الجنيهات عام ١٩٥٠ . ولعلنا نذكر هنا أن الشيخ احمد الجابر قد عهد لابن عمه الشيخ عبدالله السالم بادراة نواحي عديدة من شئون البلاد وكان التوفيق حليف الشيخ عبدالله السالم فيما كلف به .
وليس ادل على ذلك مما صار اليه حال الكويت في عهد الشيخ عبدالله السالم ، حين تولى مقاليد الحكم بعد وفاة الشيخ احمد ٠ وقبل ان نتعرض في ايجاز لفترة حكم الشيخ عبدالله السالم ، التي امتدت من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٦٥ ، لا بد من ان نعرج على اوضاع الكويت الداخلية ، وما احدثه فيها الشيخ احمد الجابر من تغيير ٠
ان حكم احمد الجابر في الكويت قد شهد مر الحياة في اوله وحلوها في اخره ٠ ونحن لا نقصد بذلك المر العسر المادي ، بل الضغط السياسي الشديد ، ليس من قبل الانجليز فحسب ، ولكن من قبل جيرانه العرب ٠ وقد حدثني من عاصره في الكويت من الاجانب منذ توليه الحكم عام ١٩٢١ ، وحتى بداية تدفق النفط ، بما تحلى به الشيخ احمد من صفات حب بلده ، والاخلاص لها ، وكيف انه كان طوال تلك الفترة يتوق لليوم الذي يرى فيه انتعاش الكويت ماديا حتى يساهم في



منظر لبوابة في الكويت ١٩٢٨

بناء نهضتها في مختلف الميادين لا سيما التعليم والصحة (١) • بل قيل لي ان اول ما قرره احمد الجابر بعد ان تسلم الدفعة الاولى من ايراد النفط ، انما انفقت على بداية التعليم للبنات•

كذلك يدرك الدارس الفاحص لحكم احمد الجابر بعد نظره السياسي ، وعناده في الحق • وقد وضحنا ذلك في علاقاته بسلطان نجد عبدالعزيز ال سعود في بداية عهده بالحكم في الكويت ، ثم بعد ذلك حين صار ملكا للعربية السعودية •

وبعد تزايد الاموال بسبب تدفق النفط ، وبداية تزايد سكان مدينة الكويت وقراها بدأ احمد الجابر في العناية بالشئون البلدية ، وتحلية مياه الشرب ، والكهرباء • ثم زاد الاهتمام بالشئون الصحية • وكل هذه امور تولاها من بعده خليفته الشيخ عبدالله السالم ، الذي كان من اقرب المقربين اليه •

وخلاصة القول في حكم احمد الجابر للكويت انه قاوم المحاولات التي قام بها الطامعون في الكويت بقصد ضمها الى ملكهم • ولم يقف عند ذلك الحد ، بل انه جعل الكويت دولة لا امارة • وقد اشار الى ذلك في خطابه ، حين الاحتفال باسالة النفط في انابيبه يوم ٣٠ يونيو عام ١٩٤٦ • ولئن كانت الكويت غير مستعدة في عهده للمضي في طريق الديموقراطية الحديثة ، فان الحركة الدستورية ظهرت بشائرها في عهده ، وتابعها من بعده الشيخ عبدالله السالم ، في عهد

---

(١) هذا هو الانطباع الذي خرجت به من مقابلة عقدتها مع السيدة Mary Von Blarcom أو الآنسة Mary Van Pelt (الخاتون مريم) ، التي عملت رئيسة للهيئة التمريضية الامريكية في الفترة ما بين ١٩١٩ و ١٩٤١ في الكويت . كان لقائي معها في اعوام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ في منزلها في ولاية كارولاينا الشمالية بقرب مدينة هندرسنفيل Hendersonville وعمرها الآن (١٩٧٩) ثمانون سنة .

ولعل من اكثر الممرضات والهيئة الطبية الامريكية غزارة في المعلومات عن الفترة التي قضتها في جزيرة العرب هي الآنسة كورنيليا دالنبرغ او شريفة دالنبرغ ، كما تحب أن تسمى . وقد مكثت عاملة في البحرين ومسقط ما بين ١٩٢١ و ١٩٦١ ، وعمرها الآن تسع وثمانون سنة . ومن أجل الحقيقة والتاريخ أحب أن أقرر أنها كانت غاية في السخاء في معلوماتها عن تاريخ المنطقة (شرقي الجزيرة العربية) ، وهي تقيم حاليا في مدينة قريبة من شيكاغو بأمريكا .



الشيخ عبدالله السالم (١٩٥٠ - ١٩٦٥)

الاستقلال ، بعد ان ساهم فيها في ظل حكم الشيخ احمد .

الشيخ عبدالله السالم (١٩٥٠ - ١٩٦٥)

ولقد كان من حسن الطالع ، أن يشهد كاتب هذا التاريخ تطور الكويت في الميـادين المختلفة ، وهو تطور بدأه الشيخ احمد الجابر ، وذلك في عهد خلفه الشيخ عبدالله السالم ، حين عمل في الكويت ما بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٨ دون انقطاع ، وحين أخذ يتردد عليها بصورة مستمرة بعد ذلك التاريخ ، الى يومنا هذا .

رأينا قبل قليل كيف عمل عبدالله السالم واحمد الجابر معا على رعاية شئون الكويت الادارية والمالية ، وذكرنا أن الشيخ احمد الجابر كان يعتمد على حصافة رأي الشيخ عبدالله السالم اعتمادا كبيرا ، وذلك في اكثر من مناسبة .

وهكـذا كان الشيخ عبدالله السـالم قد أعد لدور الحاكـم ، قبل أن يتولى الحكم . وأن المتتبع لاحوال الكويت الداخلية ، وعلاقاتها الخارجية ، في عهد الشيخ عبدالله السـالم ، ليلحظ في جلاء ووضـوح انه كان يقتفي اثر ساسـة سلفه ، اذ حرص على اقامة علاقات حسن الجوار مع الدول القريبة من الكويت ، بقدر ما سمحت به الظروف ، ثم استمر في علاقاته الطيبة بالانجليز حتى بعد الاستقلال ، والغاء معاهدة الحماية المبرمة بين جده مبارك وهؤلاء عام ١٨٩٩ ، حين صار الغاء تلك المعاهدة واستبدالها بمعاهدة تعاون وصـداقة في يونيو ١٩٦١ . شهد ذلك العام تحرك الكويـت كدولة مستقلة ذات سيـادة على الصعيد العالمي ، وبدأت تحتل مركزها بين صفوف الامم ذات الكلمة المسموعة في المحافل الدولية المختلفة .

كانت سياسة الشيخ عبدالله السالم وخطته فيما يتعلق بالكويت الدولة ، أن يراها تستند الى سواعد المثقفين من ابنائها ، فبالاضافة الى عنايته الزائدة بتقدم الكويـت العمراني ، اهتم بالفرد الكـويتي وتنشئته وتثقيفه ، ومن هنا كانت النهضة التعليمية المرتقبة . ثم خص بالاهتمام الاحوال الصحية للسكان ، فكان العلاج المجاني للجميع . ولا ريب أن الكويت كانت رائدة في هذا المضمار بين



همفري بومان والشيخ أحمد الجابر والسيد جاسم اليعقوب (مجموعة بومان)



بومان ، الشيخ فيصل ، القصيبي والآنسة الثام تصور فيصل على ظهر باخرة النقل (كيجوما) في سبتمبر ١٩١٩

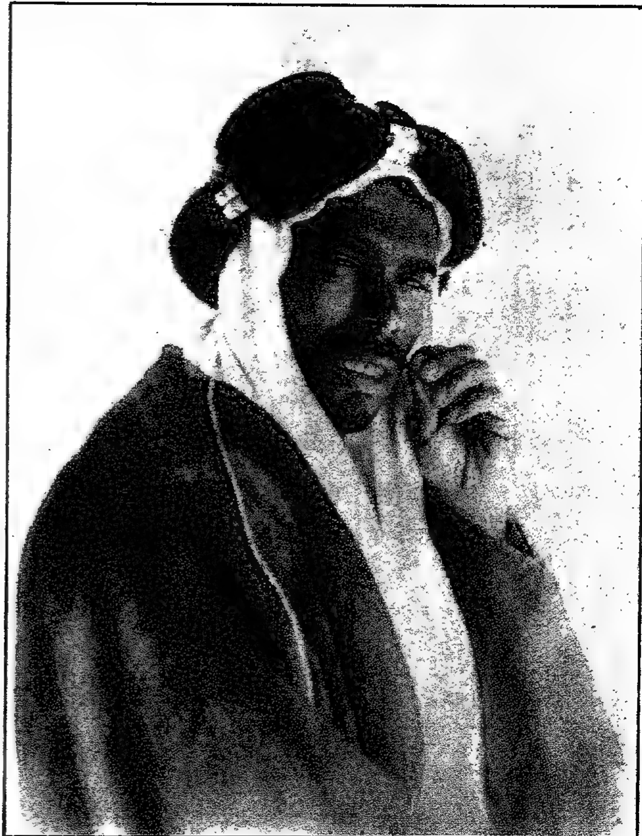
جميع الدول المنتجة للنفط في المنطقة آنذاك . ولن نبالغ ان ذكرنا هنا أنها اتخذت قدوة من لدن بعض تلك الدول التي سارت على نهج الكويت فيما بعد .

لقد تضاعفت اموال النفط مرارا عما كانت عليه في عهد الشيخ احمد الجابر ، ولكن الكويت مدت يد العون لمن شاء من جيرانها الذين لم تتوفر لديهم الثروة النفطية ، ثم امتدت يد العون الى بلدان عربية أخرى غير مجاورة .

ان سياسة الشيخ عبدالله السالم ، تذكرنا بسياسة مؤسس دولة الكويت ، وهو عبدالله الاول بن صباح ، اذ كان رائده حسن الجوار . وقد رأينا كم لجأ الى رحابه من الذين كانوا ذات يوم أعداء للكويت في تاريخها المبكر .

ان الحديث عن حكم الشيخ عبدالله السالم منذ بدايته وحتى نهايته لن تكفيه بضع صفحات من تاريخنا هذا ، فان كل ميدان من الميادين التي نالها بعنايته بحاجة لبحث مستفيض . غير أننا لابد من أن نقرر حقيقة أساسية ، وهي أنه لولا رعاية الشيخ عبدالله السالم لدخل الكويت من النفط ، وحسن استثمار ذلك الدخل في داخل الكويت وخارجها ، لما شهدنا في الكويت في يومنا هذا ، ما نشهده من تقدم في ميادين عديده ، لعل أبرزها ميدان التعليم ، وميدان الخدمات الصحية ، وذلك على الصعيد المحلي ، وميدان الديبلوماسية على الصعيد العالمي .

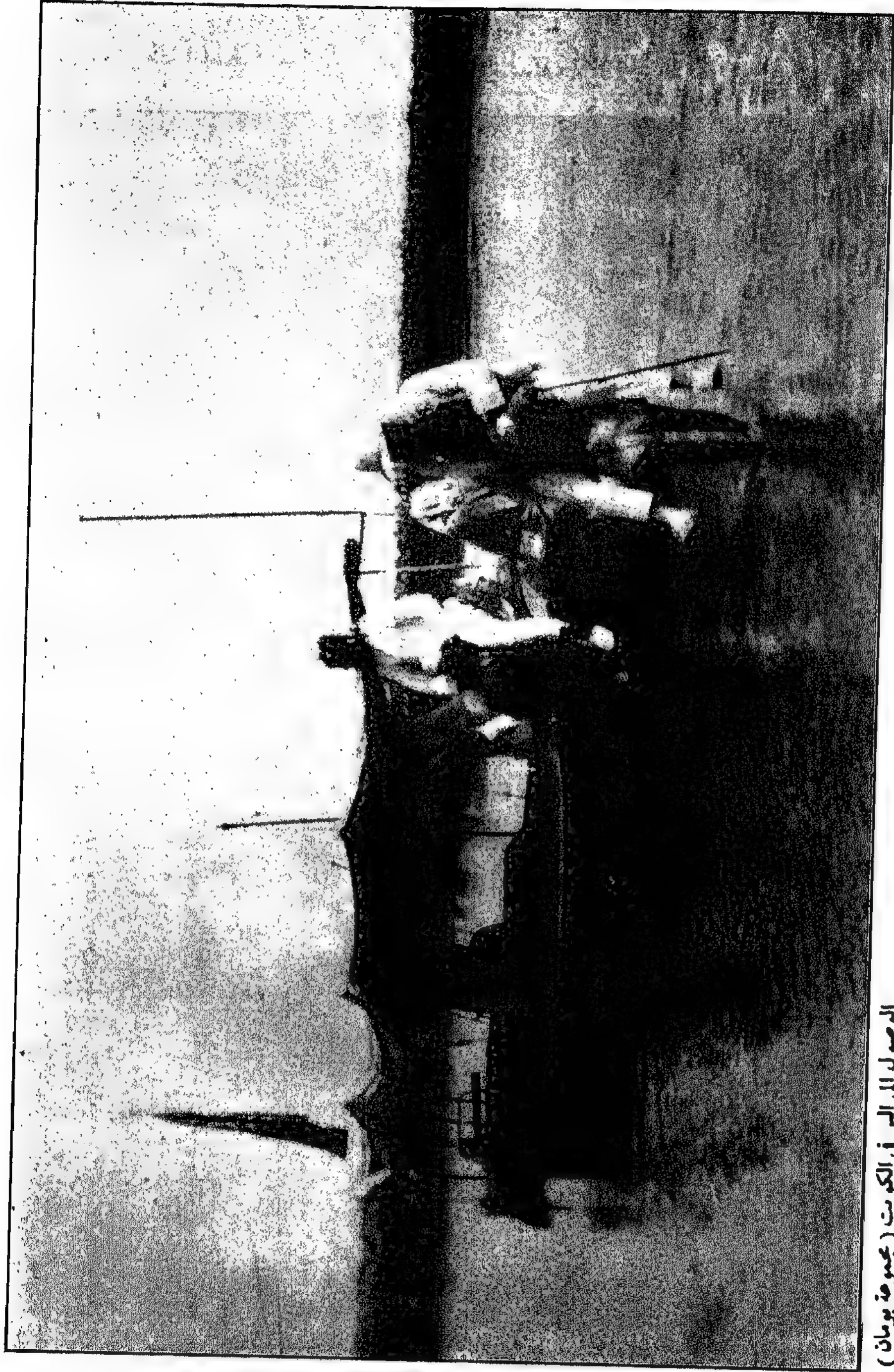
لقد حكم الشيخ عبدالله السالم مدى خمسة عشر عاما ، أمضاها جميعها في عمل متواصل ، وكان طوال حكمه قريبا من الرعية ، وكان كأسلافه أبا لأبناء بلده . ولسوف يظل قدوة للخلف من بعده .



الشيخ فهد من الكويت ١٩١٩

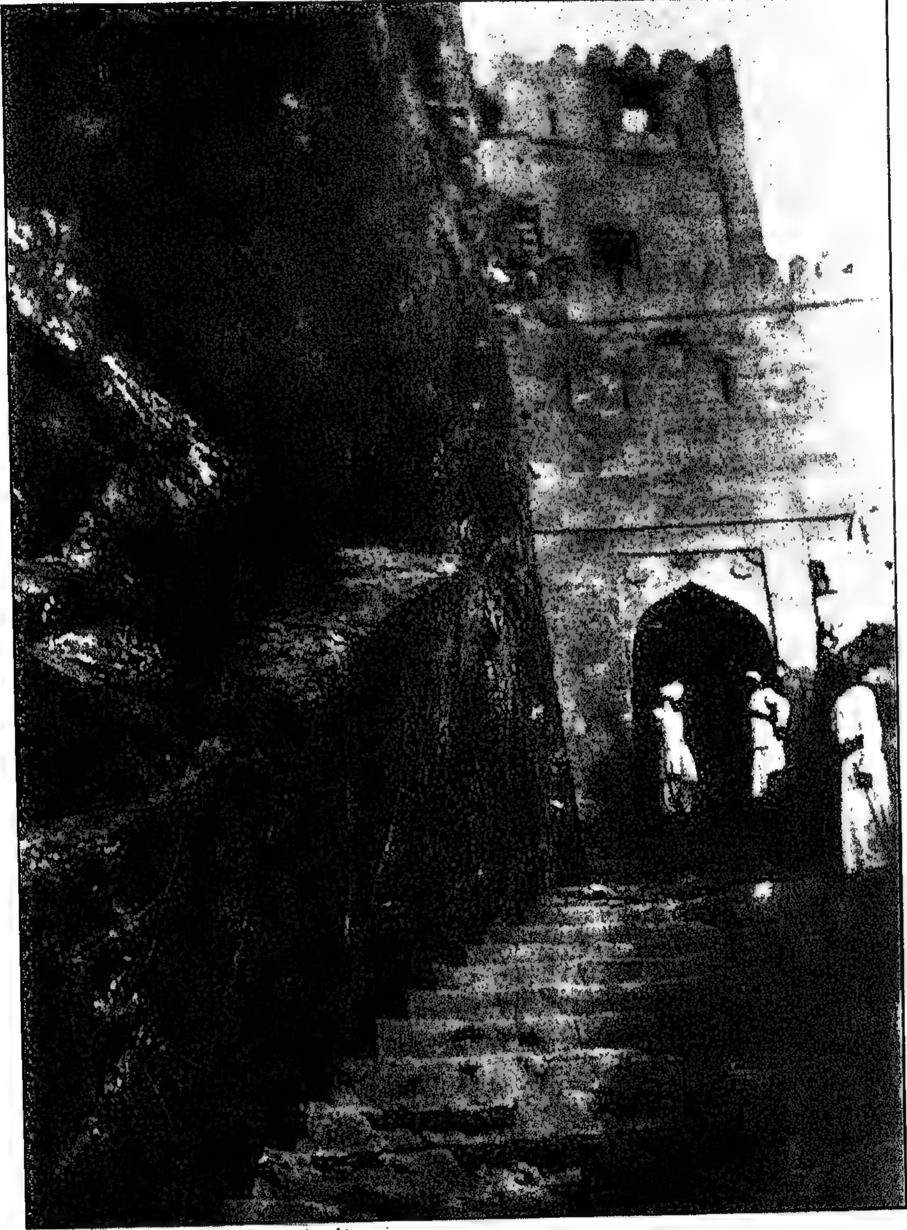


الشيخ احمد الجابر - الكويت صورة مأخوذة على الباخرة (كيجوما) في سبتمبر ١٩١٩



الوصول الى البر في الكويت (مجموعة بومان)

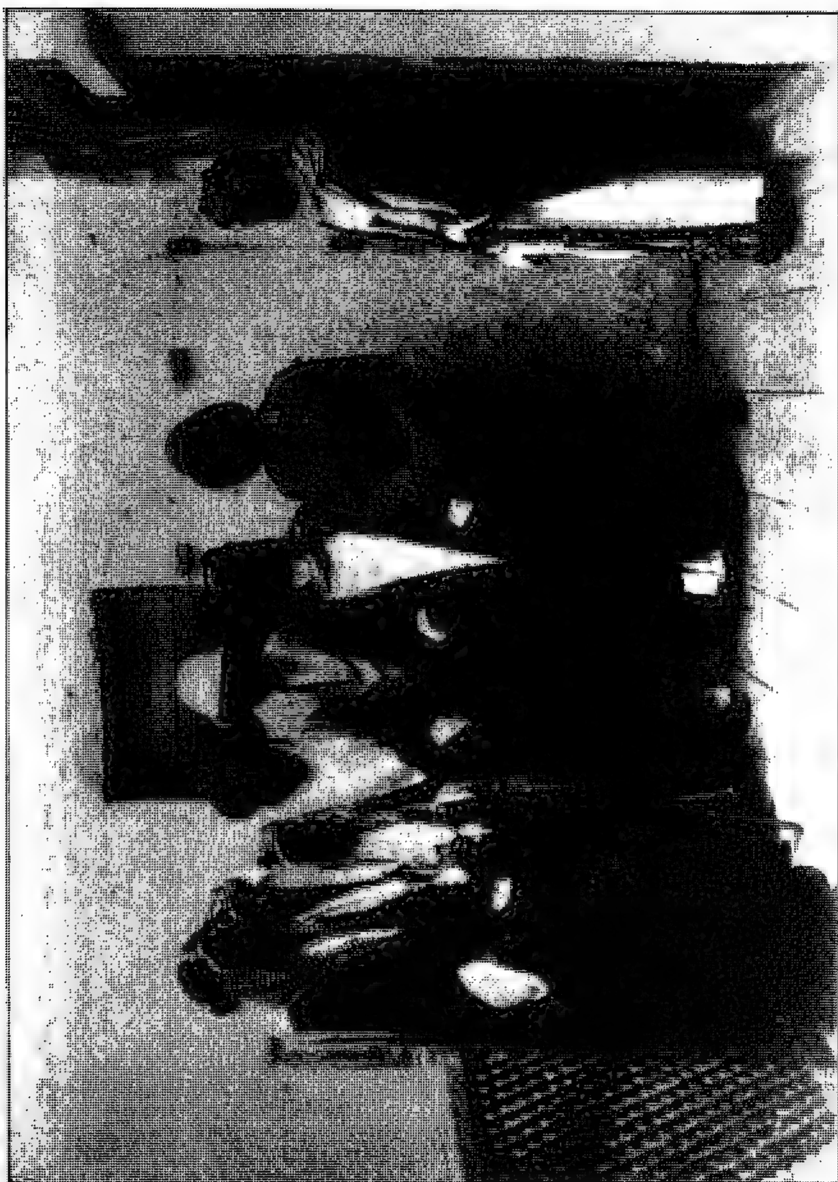
صور من رحلة الشيخ أحمد الجابر وهو في طريقه إلى بريطانيا عام ١٩١٩ عندما كان وليا للعهد



المدخل الى قلعة مسقط (مجموعة بومان)



فيصل ، وسلطان مسقط وهوارث (القنصل في مسقط) واحمد الثنيان (من مجموعة بومان)



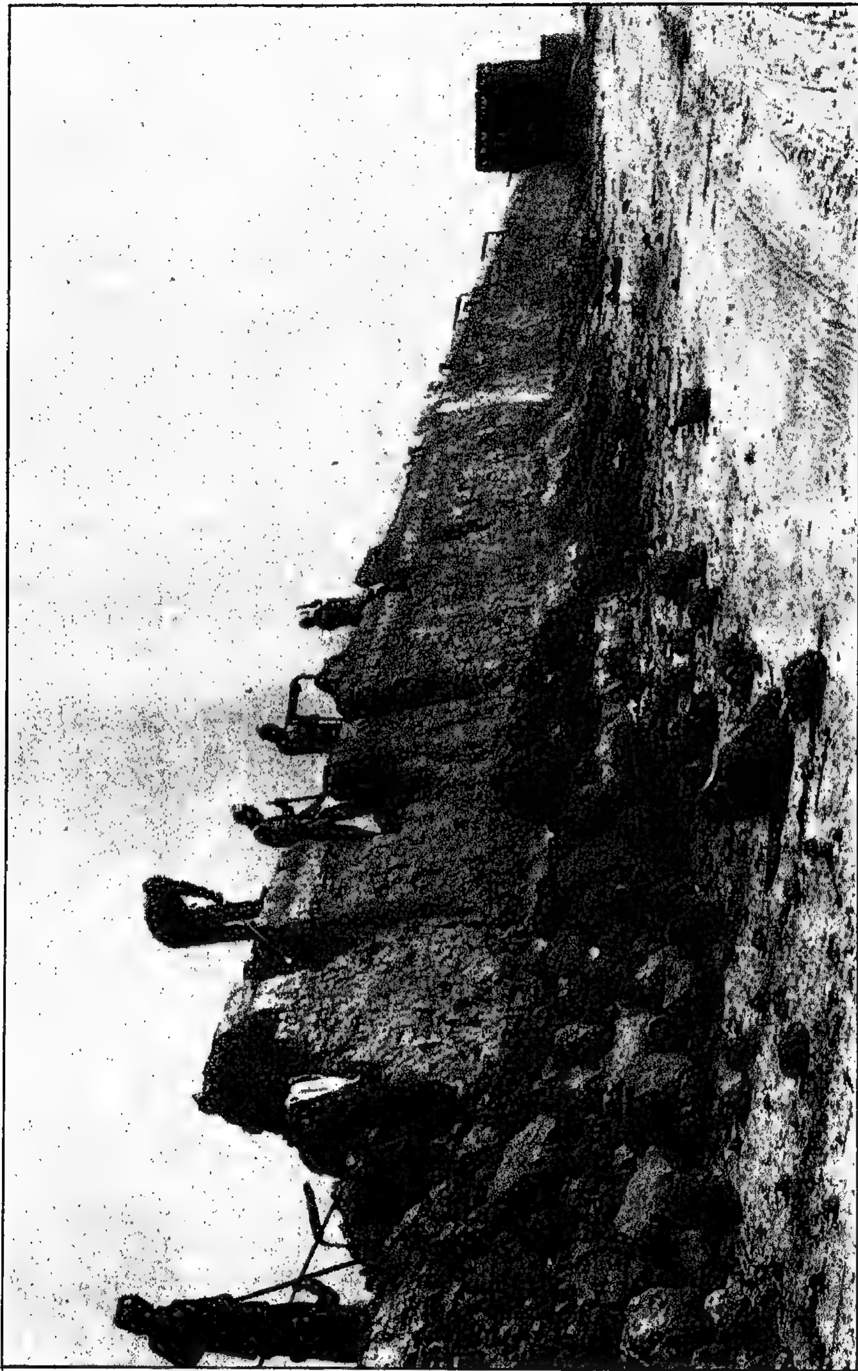
مجموعة في قصر مسقط (مجموعة بومان)



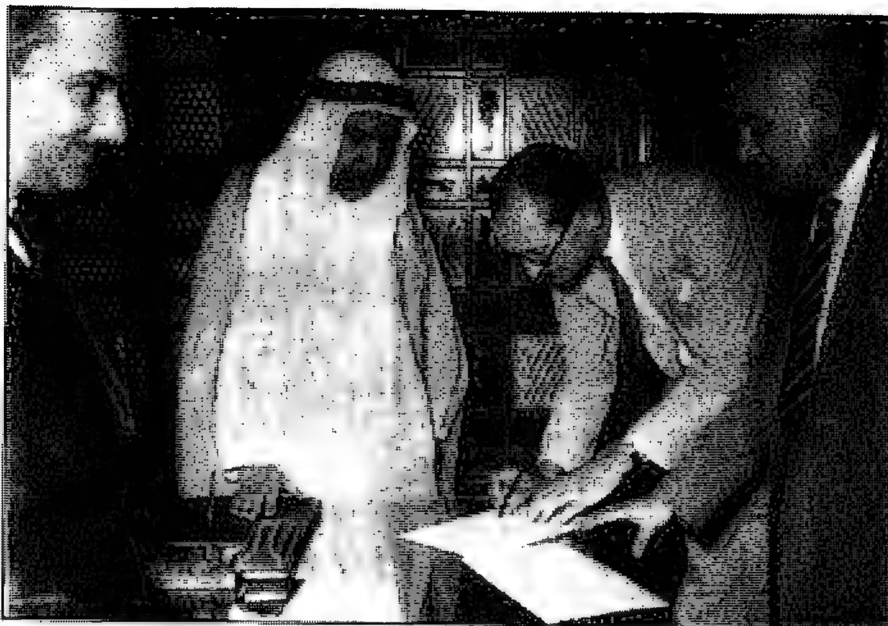
في مسقط : فيصل وحاشيته (مجموعة بومان)



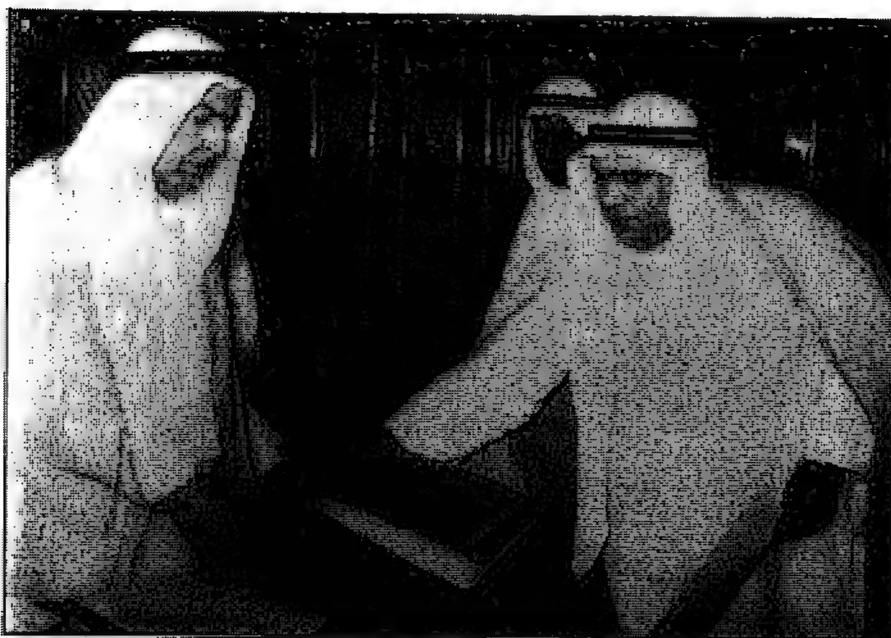
القصيبي وهوارث وفيصل واحمد وثنيان وبومان والسلطان واحمد الجابر في مسقط (مجموعة بومان)



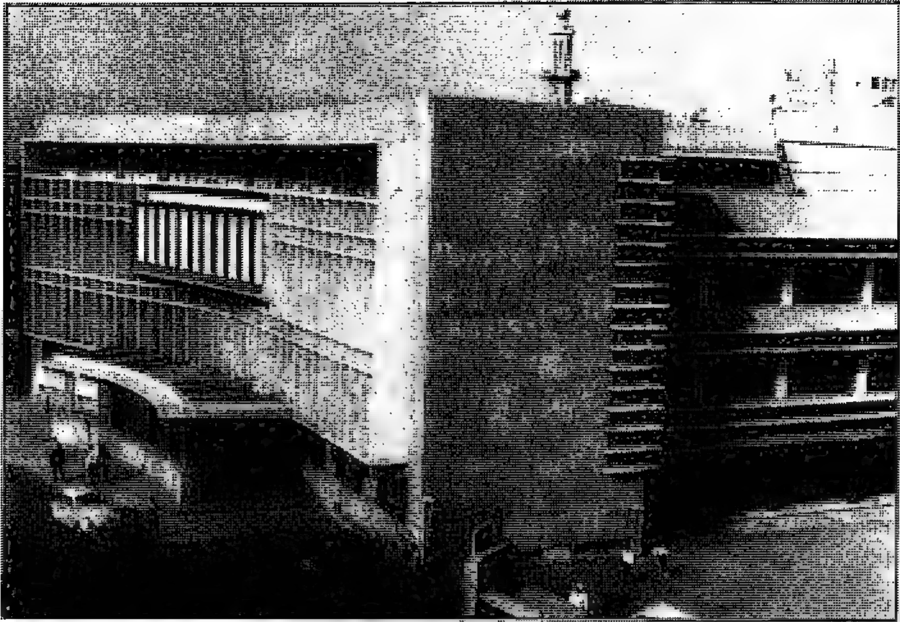
هدم سور الكويت القديم



المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح يوم توقيع وثيقة استكمال الاستقلال



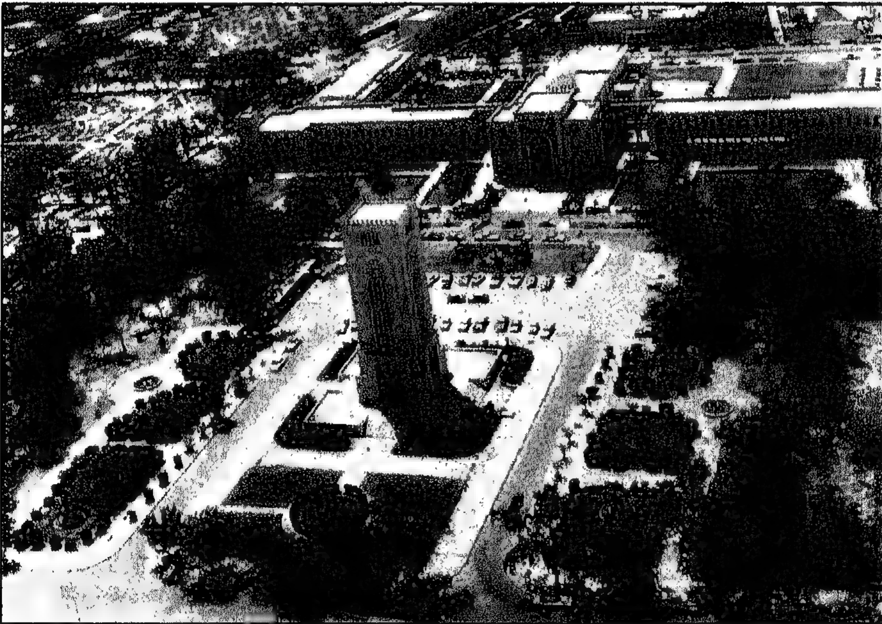
المغفور الشيخ عبدالله السالم يتسلم نسخة من دستور الكويت يقدمها له عبداللطيف الثنيان


المدرسة المباركية (بناء حديث)

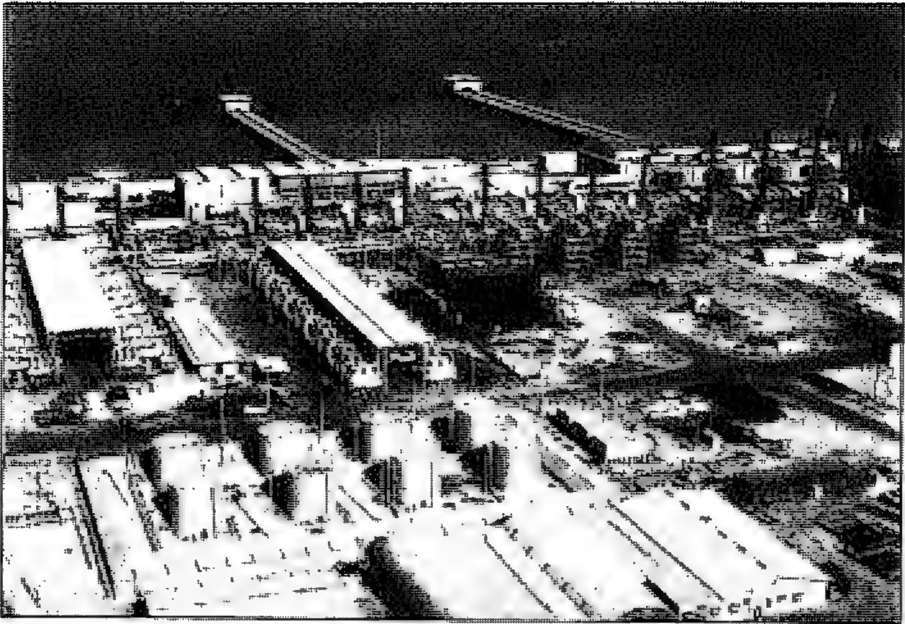

مدخل شارع فهد السالم



جلسة للمجلس التأسيسي



ثانوية الشويخ (كليات جامعية حاليا)



محطة تقطير الماء وانتاج الكهرباء - الشويخ



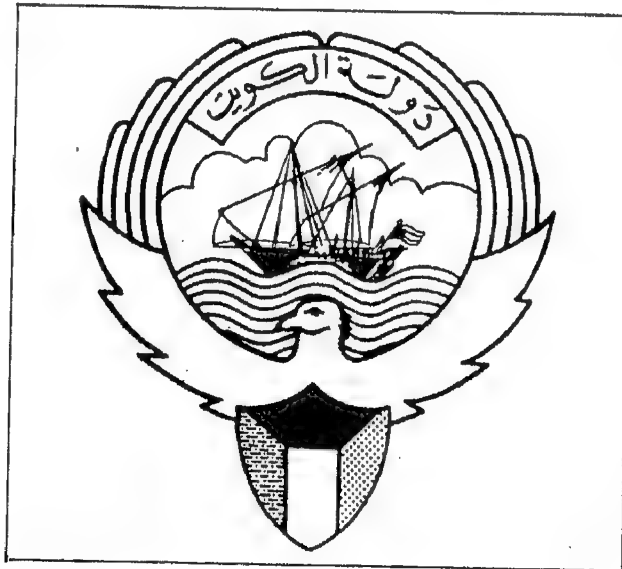
مستشفى الصباح


اول وزارة شكلت في الكويت بعد استكمال الاستقلال


افتتاح اول مجلس امة



اول عملة كويتية عقب استكمال الاستقلال



شعار الدولة

المـــلاحـــق

الملحـــق رقـــم ١

THE AFFAIR OF M. BOREL DE BOURGES (1)

In consequence of intelligence received from Grain of the arrival there of a French Officer having in charge a packet of importance for Pondicherry, it was determined by your Honours Factors at Bussora to endeavour to get possession of it, a measure which appeared to them the more necessary from an unguarded declaration made at Grain by the officer in question that war was absolutely declared between France and England.

I was in consequence, ordered immediately to repair to Grain to use my utmost endeavours towards getting possession not only of the packet but of the bearer also. I departed from Bussora the 1st at night on board your Honours Cruizer the Eagle; and finding the wind unfavourable and a great probability of being detained so long perhaps as to afford an opportunity to the bearer of the packet to escape to Muscat, I procured a boat in the river which I was convinced would convey me to Grain by some days sooner than I could expect to reach it in the Eagle whose presence too I judged might alarm the Prey I had in view and give him an opportunity, if not of avoiding me entirely, at least of destroying his packet. I therefore left the Eagle in the river, and in about twenty hours arrived at Grain at 10 o'clock at night; I immediately proceeded to the Sheik and having gained him to my interest so far as not to interfere in the business I had in hand, I proceeded

---

1 Abraham to the C. of D., Grain, 7.xi.1778, *F.R.P.P.G.*, Vol. 17

directly to the house where the messenger lodged, and informed him who I was, seized him together with his packet, and conveyed him instantly on board my boat — this was all effected without the least disturbance.

I arrived on board the Eagle in about twelve hours, where having examined the packet, I find it contains sundry advices in cypher from Monsieur de Sartine, Minister for the Marine Department in France directed to Monsieur de Bellecombe, Commander-in-Chief at Pondicherry, and to Monsieur de Briancourt, the French Consul at Surat, together with a declaration of War between France and England, and sundry private letters from all which I can only gather that the bearer of the packet is Captain Borel du Bourg, that the advices he bears are of the utmost consequence, and that he is directed to fix a Resident at Muscat in order to convey all French packets with the utmost expedition by way of Aleppo, and that, the King of France having acknowledged the Independency of the United States of America, all vessels belonging to them are to be received into the port belonging to the King of France and to be paid the same honors as are paid to the United States of Holland. From a Journal of Captain du Bourg, I find he left Marseilles the 14 of August, and arrived here from Aleppo in 21 days.

Before I left Bussora, it was determined should I find the packet in question to be of any consequence immediately to despatch it to India by the Eagle. The Declaration of War alone therefore I have judged to be of sufficient consequence to warrant her despatch. I have in consequence ordered Captain Sheriff, the Commander, immediately to proceed to Bombay without touching at Bushire or Muscat and to deliver Monsieur du Bourg together with his packet to the Honorable the Governor and Council.

A letter from William Digges Latouche (Basra Fact.)
to Mr. Manesty (Basra Fact.) ([1])

There are several other Powers (besides the Banī Ka'b) with whom it is the Company's Interest to continue on friendly Terms— with the Bunderick, the Grain People, and other Tribes of Arabs on the Persian and Arabian Coasts, who have it in their Power to annoy our Trade — with the shaiks of the Montificks, of the Benechalids, of the Anisas, of the Gheesaals for the Security of the Company's Dispatches, of the English Trade, and of English Travellers passing between Bussora, Aleppo and Bagdat.

Timely Presents are often of great Use in preserving this good Understanding. Those on the changes of the Mussalems here are fixed, and should not be increased though Attempts under various Pretences have been, and will be probably made for that Purpose. The Others must be regulated by your own Prudence and according to Circumstances — they should be made with Caution. If they are too frequent and too large they will increase Expectations of future Ones. If on the other hand they do not in some Measure answer the Expectation of the Person to whom they are given, the giving them will be worse than not giving any. They are too often in this country considered as a kind of Tribute and therefore as a Right. When I have found this to be the Case, I have deferred them until they appeared as made from my own Inclination, and rather as a Return for Favours received, than as given through for or in Expectation of future Services.

Basra 6th Nov. 1784 Signed Latouche

---

[1] *F.R.P.P.G.*, Vol. 18, dispatch No. 1299.

The Capture of Bahrain by the 'Utūb

A letter from Mr. Latouche (Baṣra Resid.)
to the Court of Dir., London, dated 4th Nov., 1782. (1)

The Zebara, and the Grain People, have lately taken and plundered Bahreen, and have likewise seized at the Entrance of this River, several Boats belonging to Bushire and Bunderick. Shaik Nassir of Bushire, in return is collecting a Marine, as well as a Military Force, at Bushire, Bunderick, and other Persian Ports — he gives out that he intends to revenge these Hostilities by attacking Zebarra, and has wrote for a Supply of Money to Aly Morat Caum at Isphahan. Notwithstanding this show of vigor, however, it is said, that he has lately sent to Grain to request a Peace, but that the Shaik had refused to grant it, unless Shaik Nassir pays him half the Revenues of Bahreen, and a large Annual Tribute also for Bushire.

It is not many years since Grain, was obliged to pay a large tribute to the Chaub, and that the name of Zebarra , was scarcely known. On the Persians attacking Bussora, one of the Shaiks of Grain, retired to Zebarra, with many of the principal People. Some of the Bussora Merchants also retired thither. A great Part of the Pearl and India Trade, by this means entered there, and at Grain, during the Time that the Persians were in possession of Bussora, and those Places have increased so much in Strength and Consequence, that they have for some time past set the Chaub at defiance, have gained very considerable Advantages against him, and now under no Apprehensions from the Force, which Shaik Nassir threatens to collect against them.

Baṣra 4th Nov. 1782 — Signed Latouche

1 *F. R. P.P.G.*, Vol. 17, dispatch No. 1230.

Translate of a Letter from the Resident to Abdulla ibn Subbah Shaik of Grain dated the 17th April 1789 ([1])

I am induced by the Consideration of the Friendship which has long subsisted between us, to write to You in the present Hour.

I have lately paid a Visit to the Bacha of Bagdat in his Camp. In the Course of our Conversations the Bacha mentioned Your Name. He said that an ancient Friendship had subsisted between the People of Grain and of Bussora, he expressed great Surprise and anger at Your Conduct in giving Protection to People, who had been in Rebellion against him, and who had fled to avoid the Punishment due to their Guilt, he said that unless You delivered them up to him, or ordered them to quit the Town of Grain, they should consider You, as his Enemy, and proceed on an Expedition against You. He said that he would march with his Army to Grain and order his Fleet, to repair thither to cooperate with it. He said that he would write a letter to the Governor of Bombay, requesting the early Assistance of a Marine force and he desired that I would also write a Letter to the Governor of Bombay to the same Purport.

Friendship has urged me thus to make known to you the Sentiments of the Bacha of Bagdat.

Translate of a Letter from Shaik Abdulla ibn Sabbah to the Resident received the 30th April 1789.

After Compliments,

I have received Your Letter and understand its Contents. You

---

[1] This letter with its heading and the following one come from Volume 18 of the Factory Records, Persia and Persian Gulf. Their serial number in that volume is 1532.

mention that a friendship has always subsisted between the English and myself, I pray God, it may continue so to the End of time.

I am obliged to You for the Information You have given me in Regard to the Intentions of Soliman Bacha, whom I am sorry to observe is dispeased at my Conduct towards Mustapha Aga.

The Town of Grain belongs to the Bacha, the Inhabitants of it are his Servants but You Yourself thank God are well enough acquainted with our Customs, to know, that if any Person whatsoever falls upon Us for Protection we cannot refuse to afford it to him and that after having afforded it, it is the extreme of Infamy to desert him or to deliver him into the hands of his Enemies.

You know the Bacha knows, the whole World knows that I receive no Advantage from Mustapha Aga's Residence at Grain but to turn him out is wrong, to deliver him up is Infamy.

I depend upon Your Friendship to stop this Matter to the Bacha in its proper Light.

May Your Years be long and happy

Bussora the 29th June 1789.

True Translates

(signed) Samuel Manesty

Translation of a contract with the Shaik Suliman for an escort of Arabs across the Great Desert from Aleppo to Bassora. [1]

"THIS writing is to certify, that we the under-written of the tribe of Arabs Nigadi, have for our own free will agreed to accompany and conduct the bearer of this contract, Colonel Capper, an Englishman, and those of his company: and that we oblige ourselves to take with us seventy guards of the tribes of Arabs Nigadi, and Agalli and Benni Khaled, who are all to be armed with muskets; we the under-written are included in the number, excepting Shaik Haggy Suliman Eben Adeyah. — And we do promise also to carry with us nine refeeks with their muskets, two of whom of the two different tribes called Edgelass, two of the two tribes Il Fedaan, one of the tribe of Welled Aly, one of the tribe of Benni Waheb, one of the tribe of Lacruti, one of the tribe of Baigee, and one of the tribe of Sarhaani, making in all nine refeeks, as above-mentioned.

AND it is agreed, that we the underwritten are to bring with us our own provisions, and the provisions for the guards and refeeks above-mentioned, and the same provisions are to be loaded upon our camels, the hire of which camels is to be paid by us; and we likewise agree to buy ourselves thirteen rotolas of gunpower, and twenty-six rotolas of balls, the cost of all the aforesaid things are to be paid by us, and not by Colonel Capper.

AND we also oblige ourselves to provide for him and his people nineteen camels, for the use of himself and his company, to carry their tents and baggage, water and provisions for themselves and for their horses, beside those nineteen camels above-mentioned; we also oblige ourselves to provide them two other strong camels to carry the mohafa, in order that they may change every day one camel, and to provide a person to lead the camel that carries the mohafa from Aleppo to Graine, and moreover we will appoint him a person to take care of his horses.

---

[1] CAPPER, *Observations on the Passage to India*, pp. 55-58.

WE the underwritten do promise Colonel Capper, by our own free will and consent, and oblige ourselves to pay all kafars and giawayez (that is to say duties) to all the Arabs, and to the Shaik Tamur, the Shaik Tiveini, and all the Shaik of the tribe of Beni Khaled, and to all other tribes of Arabs whatever; and we make ourselves responsible for all what is above-written, and further when we approach the tribe of Arabs called Il Aslam, and Shammar and any other tribes, we oblige ourselves to take from them a refeek to walk with us till we have passed their confines.

WE agree to carry no goods, or even letters from any other person or persons, excepting the goods from Khwaja Rubens, which are thirty-one loads, for the hire of the said goods from Khwaja Rubens we have received in full, that is, the hire, the inamalumi, the refeeks, the giawayez, figmaniah, and all other expences to Graine; we have received of him in full, according to the receipt in the hands of the said Khwaja Rubens: moreover we have agreed with our free will to provide for the said thirty-one loads, for every load of camels, in order to keep up with the above-mentioned Colonel Capper, and never separate from his company till our arrival at Graine; and we also oblige ourselves to pay the dolleels (scouts) the maadeb, the birakdar, and the chaous (officers of the guards) all the said persons we are to pay ourselves, and not Colonel Capper. We have agreed also with our free will, with the said Colonel Capper, to carry him and his company safe in thirty-six days to Graine, from the day we depart from the village of Nayreb; but in case the said Colonel Capper should be desirous of staying to rest a day or more the said delay is not to be reckoned in the aforesaid thirty-six days. And we the underwritten also engage three days before our arrival at Graine, to dispatch a messenger from our parts with Colonel Capper's letter to the agent of the British nation in Graine. And by this instrument it is stipulated and agreed between the said Colonel Capper and us the underwritten persons, that he pays us for all the services above-mentioned dollars nine hundred forty-one and one fourth in Aleppo, which sum we have received in full; besides which the said Colonel Capper does oblige himself to give us on

the road dollars five hundred; and moreover at our safe arrival at Graine, on our having fulfilled this our agreement with him, he the said Colonel Capper obliges himself to pay us dollars eight hundred rumi, and in case we should fail in performing any part of our agreement with him, we then are to forfeit the last-mentioned eight hundred dollars, and all we the underwritten are responsible one for the other, for the performance of the promises as above agreed between the contracting parties. In witness whereof, we have signed with our fingers this the sixteenth day of the moon called Shewal, in the year of the Hegira, one thousand one hundred and ninety-two.

Suliman Ebben Adeyah — Mohamed il Bisshir — Ally Ebben Faddil — Haggy Isa Ebben Hameidan — Nasseh Ebn Resheidan — Suliman Ebben Gaddib — Mohamed Ebn Nidghem — Suliman Ebben Naaisay.

The witnesses to the agreement are:

Il Haggi Omar Ulleed — Ismael Estracy — Il Haggi Mahomed Firous — Il Haggi Ibrahim Ulbed — Il Haggi Mahomed Emin il Takrity — Il Haggi Fathu Ebn il Haggu Usuph Maadaraloy — Ismael Ebben Achmed Tecrity.

الملحق رقم ٢

معاهدة العمومية مع الاقوام العرب في خليج فارس في سنة ١٨٢٠ م

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الصلح خيراً للأنام وبعد قد صار الصلح الدائم بين دولة سركار الأنكريز وبين الطرايف العربيّة المشروطين على هذه الشروط ـ

الشرط الأول ــــ أن تزال النهب والغارات في البر والبحر من طرف العرب المشروطين في كل الأزمان ـ

الشرط الثاني ــــ أن تعرض أحد من قوم العرب المشروطين على المترددين في البر والبحر من كافة النّاس بالنهب والغارات بلا حرب معروف فهو عدو لكافة الناس فليس له الأمان على حاله ولا ماله والحرب المعروف هو الذي معلناً به مبيّن مأموره من دولة الى دولة وقتل الناس وأخذ المال بغير مناداة وتبيين وامر دولة فهو النهب والغارات ـ



الشرط الثالث ــــ أن العرب المصالحين لهم في البر والبحر علم أحمر فيه حروف أو بلا حروف على مطلوبهم وهو في كفّة أبيض عرض الأبيض الذي في الكفّة يعادل عرض الأحمر كما هو مصوّر في الحاشية وأن هذا هو علم العرب المصالحين فيستعملون به ولا يستعملون بغيره ـ

الشرط الرابع ــــ أن الطرايف المصالحين كلهم على حالة الأول الّا انهم صار الصلح بينهم وبين دولة سركار الأنكريز وأن لا يحرب بعضهم بعضاً والعلم هو الشاهد على ذلك فقط وليس هو شاهد على غيره ـ

الشرط الخامس ــــ أن مراكب العرب المصالحين كلهم بأيديهم قرطاس مرشوم بخط اميرهم فيه اسم المركب وطوله وعرضه وكم أصل من كارة وبأيديهم أيضاً مكتوب آخر مرشوم بخط أميرهم فيه اسم صاحب المركب واسم الناخذاة وعدد الرجال وعدد السلاح ومن أين سافر وفي أيّ وقت والى أيّ بندر يتوجه فان تعرض لهم مركب من الأنكريز أو غيرهم يعرضون عليه القرطاس والمكتوب ـ

الشرط السادس ــــ أن العرب المصالحين ان كان مرادهم يرسلون رسولاً الى سركار الأنكريز في البحر الفارسي ومعه الذي احتاج اليه فيجلس مع السركار حتى يقضي غرضهم منه وسركار الأنكريز

ان كل مراكب يرسل معها ايضاً الى بلدهم كذلك و الرسول يلحق خطه الى خط اميرهم في قرطاس مراكبهم المذكور فيه طول المركب و عرضه و كم يحمل من كارة و ينبغي هذا الرسول يتجدد في كل سنة و ايضاً كل من الرسولين خرجه على قومه .

الشرط السابع — ان كل طايفة او غيرهم ابتدوا من النهب و الغارات كالعرب المصالحين يقرضون عليهم على قدر جرمهم و يصير بين العرب المصالحين و بين الانكريز كلام في ذلك في وقت وقوع ذلك النهب و الغارات .

الشرط الثامن — ان قتل النفس بعد تسليم السلاح هو من الغارات و ليس من الحرب المعروف و ان كل طائفة يقتل النفس مسلمين او غيرا بعد تسليم السلاح هو قد انقض الصلح فان العرب المصالحين مع الانكريز يقرضون عليهم و ان شاء الله تعالى فلا يزال عليهم الحرب الا بعد تسليم من فعل بذلك و حكم به .

الشرط التاسع — ان نهب الرقيق الرجال و النساء و الأولاد في سواحل السواحل او غيره و حملهم في المراكب هو من النهب و الغارات فالعرب المصالحين لا يفعلون من ذلك شيئاً .

الشرط العاشر — ان مراكب العرب المصالحين الحاملة علمهم المذكور يدخلون في كل بنادر دولة سركار الانكريز و في بنادر رابطهم على الرسم يشترون و يبيعون فيها و ان كان احد تعرض لهم فذلك على سركار الانكريز .

الشرط حادي عشر - ان هذه الشروط المذكورة تجري على جميع الطوايف و الناس يقبلونها من المستقبل كما قبلوها في الحين - تم الشروط - و ان تحرير القول في راس الخيمة بثلاثة نسخ في تاريخ شهر يوم السبت الثامن و عشرين من شهر ربيع الاول في سنة ١٢٣٥ الهجرية مطابق خمس و ثلاثين بعد الالف و رسمو الشروطين في الاماكن و التواريخ المكتوبة ذيلاً فرسمو في راس الخيمة في تاريخ تحرير القول .

خط السردار بيده و خاتمه

(Sd.) W. GRANT KEIR,
Major-General.

الملحق رقم ٣

Secret Department

H.C. Sloop of war code
Koweit or Grane Harbour 24 April,
1841.

To The Honorable The Secret Committee
of the Honorable the Court of Directors
of the East India Company.

Honorable Sirs,

My last letter to the address of your Honorable Committee in this department was dated the 5th instant.

2. On the 17th of this month, I had the honor to receive your dispatch No. 709 under date the 23rd Feb. last, directing me to inquire and report upon the suitableness of Grane for a station, if we should remove from Karrak, and if suitable how it might be aquired.

3. At the time of the receipt of the letter now acknowledged, I had made the requisite arrangements for proceeding on a tour of the Arabian Coast for the purpose of taking measures to renew the annual maritime Truce prior to the commencement of the Pearl Fishery. I therefore considered it expedient to proceed to this port in the first instance, inorder, that I might be better enabled to report upon the subject to which my attention has been directed by your honorable Committee.

4. My own opinion has always been, that many and serious objections exist to the location of an establishment upon the main land, or any place which could not be effectively protected by our naval means, if necessary. Without however referring to this objection, the result of a careful examination of the Town of Grane, and its vicinity, is, that although not unsuitable for a naval station, and Coal

Depot, it is, on account of the scarcity and badness of the fresh water on the spot, and in its neighbourhood, as well as for other reasons, hereafter adverted to, altogether unfitted for military occupation.

5. The principal point in favor of Grane, is its Harbour, which is certainly an exceedingly fine one, capable of holding the navy of Great Britain, but so far as my observation goes, it possesses no other advantage. The country around is a salt and sandy desert, of the most barren and unhospitable description, with not a tree or shrub visible, as far as the eye can reach, excepting a few bushes which mark the wells. From the taste and quality of the water, I feel almost certain that it would not agree with the constituations of either Europeans, or Indians, and that the latter especially, would from drinking it, be liable to the attack of a dangerous disease called the Bereherse.

6. In respect however to a naval station, and Coal Depot, the above objection would not exist to anything like the same extent, as in the case of a military port. The vessels of war can always water at places on the coast where this essential necessary is procurable of a better and purer quality than at Grane. I have reasons however to think, that our location in his neighbourhood would be received by Shaikh Jabir with much dissatisfaction : the information I received from those who had the best means of knowing his sentiments leads me to believe, that although the proposition to form an establishment within his territories would be exceedingly unpalatable to him, still his Town, Commerce, and means of subsistence, are so wholly in our power, by means of our Naval Force, that he would not dare to return a direct refusal, or offer open opposition to it.

7. I trust sincerely that the course of events may not compel us to remove from a place so suitable to our views, and so rapidly improving in population and prosperity, as Karrak. Should however such a contingency arise, it would probably become necessary to change the location of our Coal Depot from that Island to some other place, in which case, I am inclined to the opinion, that excepting Bushire, no other Port in the Northern part of this Gulf would be found better adapted for the purpose in question than Grane.

8. This Town presents a singular instance of commercial prosperity, although wanting in almost every advantage, excepting its

magnificent Harbour. Its population is large, as it can produce about six thousand men capable of bearing arms, which at a moderate average would make the total number of inhabitants nearly twenty five thousand individuals. They possess thirty one Buglas and Bateels, from one hundred and fifty to three hundred Tons burthen, which trade constantly with India. Fifty smaller vessels are employed in the coasting commerce of the Gulf, and about three hundred and fifty boats engaged in fishing and on the Pearl Banks. The energy and courage of the people, who are closely united, and free from feuds and factions, render them respected and feared by all the other Maritime Tribes, and as in fact, they are as prompt to resent insult or aggression toward themselves as they are cautious in refraining from injury or arrogance towards their peaceable neighbours, piracy upon a Grane boat is of rare occurrence. The government of Shaikh Jabir is of a truly mild and paternal character. Both himself and his Sons are perhaps among the worst dressed and most ill lodged residents in the place. Excepting a small duty levied upon the sales and purchases of the Bedouins who resort to his Town, the Sheik collects no taxes or customs, the port being entirely a free one. nearly all the small revenue realized by him, not perhaps exceeding 3000 Dollars yearly. together with the profits dérived from his trading vessels are expended in keeping up a sort of public label of a plentiful but coarse description to which every one appears to be welcome. This liberality together with the utter absence of all pretension of outward superiority, renders Shaikh Jabir and his Son Soobah, (to whom the management of affairs has been made over by his father) most popular among his subjects, who are consequently devoted to them in an unusual degree. and ready to place at their disposal, both person and property, when called upon to do so.

9. These remarks may perhaps appear somewhat irrelevant to the subject of this letter, but from the peculiar nature of the state of society, and government of Grane, your Honorable Committee will be better able to understand the reluctance with which a chief holding himself so much above the common motives of interest, would view the introduction of a foreign power, which according to the rooted belief entertained by these people, would probably sooner or later dispossess him and his Son of the power and influence they now enjoy Moreover in respect to forming a military station at Grane, it will not

escape the notice of your Honorable Committee, that great risks of collision would exist, lending perhaps to serious and even fatal results, were our Troops located among, or in the immediate neighbourhood of an independent and bold population like the inhabitants of this port. The Walls and Towers of the Town, are in a state of delapidation and ruin, consequently there does not exist a single place which without undergoing extensive repairs, could be made available as a defence or military post. For these reasons, in addition to the more weighty consideration regarding the bad quality of the water, referred to in the 4th para of this letter, I must repeat my conviction that Grane is quite unsuitable for a Military Station.

I have the honor to be
Honorable Sirs
Your most obedient
humble Servant
S. HENNELL,
Resident Persian Gulf

الملحـــق رقـــم ٤

المعاهدات و المقاولات الجاريه فيمابين
حاكم الكويت و الدولة البهية القيصريه الانكليس

١٢٥٧ — ١٣٣١ هـ

١٨٤١ — ١٩١٣ ع

للملاحظه

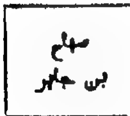
اذا بعد هذا حصل الا شتباه في معنى بعينه اى جزء من نص
الشرائط المعاهدات كان انكليسيا او عربياً فالنص الانكليسي
موثوق به للتوضيح ذالك قطعياً

No. 1.

قبولية حاكم الكويت بالمهادنة البحرية لأجل سنة واحدة في سنة ١٨٤١ ع

بسم الله

مضمون هذه الأحرف بأني انا يا صباح ابن جابر بنيابتي عن ابي جابر ابن عبد الله الصباح حاكم الكويت قد رضيت و قبلت عن نفسي عن رعاياي و المتعلقين عليّ بالقرار الذي قرره جناب ذي الشوكة و الأجلال الأجل الافخم القبطان هنل بالبوز الخليج فارس مع المشايخ العرب المصالحين من استقامة المهادنة و الصلح عن صدور التعديات و التعرضات في البحر و انّ لالي حرب ولا جدال في البحر مع جميع مشايخ العرب الداخلين في سلك الصلح و المهادنة مع جناب ذي الأقتدار و المفاخر السركار الأنقريز الأفخم و انّ اصون رعاياي و المتعلقين عليّ عن التعدي و التعرّض على ساير الطوايف المصالحين في البحر و ان لا قدر الله تعالى احدا تجرى و تعرض رعاياي و المحسوبين عليّ في البحر فلايكون فوراً اقوم لأخذ القصاص و الأنتقام بل التزم برفع الأمر لجناب عالي الجاه الباليوز صاحب المذكور حتى هو يقوم بلازم التنبيه و القصاص بعد تحقيق الأمر و اجريت مع جناب المشار اليه مضمون ماذكر من حين التحرير الذي هو غرة ربيع الاول سنه ١٢٥٧ الى مدة سنة كاملة هذا و الله خير الشاهدين.





No. 2.

المعاهدة مع حاكم الكويت في ٢٣ جنوري ١٨٩٩ ع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقصود من تحرير هذا الصّک الحقانية المعتبر انه قد تحقّق العهد و القبول بين كرنل ملكم جان ميد اندين ستاف كار باليوز جلالة الملكة البريطانية العظمى من جانب الدولة البهية القيصرية في طرفٍ و جناب الشيخ مبارك بن صباح شيخ الكويت في الطرف الثاني بان جناب الشيخ مبارك بن صباح المذكور برضائه و اختياره يعطي العهد ويقيّد نفسه و ورثته و اخلافه الى الأبد بان لا يقبل وكيلاً او قائم مقام من جانب دولةٍ او حكومةٍ في الكويت او في قطعة أخري من حدوده بغير رخصة الدولة البهية القيصرية الأنكليس و لا يفرّض و لا يبيع و لا يوجر و لا يرهن و لا ينقل بنوع آخر و لا يعطي للسكون قطعة من اراضيه الى دولة او رعيةٍ احد من الدول الأخر بغير ان يحصل الأجازة اولاً من الدولة جلالة الملكة البريطانية العظمى لأجل هذه الأرادة وهذه المقاولة ايضاً تشتمل على كل قطعةٍ في اراضي الشيخ المذكور التي تكون حالاً في تصرف رعايا كل واحد من الدول الغير و لأجل الشهادة لتكميل هذه المقاولة الحقانية المعتبرة المحترمة كرنل ملكم جان ميد اندين ستاف كار باليوز جلالة ملكة البريطانية العظمى في خليج فارس و جناب الشيخ مبارك الأول منهما من جانب الدولة البهية القيصرية الأنكليس و الثاني منهما من جانب نفسه و ورثته و اخلافه كل واحد منهما بحضر الشهود وضعا صحيحهم في هذا اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك سنه ١٣١٦ مطابق ٢٣ جنوري سنه ١٨٩٩

Signed. MUBARAK-US-SUBAII

(L. S.)
MUBARAK-US-SUBAH

Signed. MUHAMAD RAHIM BIN ABDUL NABI SAFAR

(L. S.) Ditto.

(Sd.) M. J. MEADE, Lt.-Colonel,
Political Resident in the Persian Gulf.

(Sd.) E. WICKHAM HORE, Capt., I.M.S.

(Sd.) J. CALCOTT GASKIN.

(Sd.) CURZON OF KEDLESTON,
Viceroy and Governor-General of India.

Ratified by His Excellency the Viceroy and Governor-General of India at Fort William on the sixteenth day of February 1899.



(Sd.) W. J. CUNINGHAM,
Secretary to the Government of India in the Foreign Department.

No. 8 (*a*).

تعهد الشيخ مبارك بن صباح حاكم الكويت فى دفع تجارة الأسلحة

انّي قد قبلتّ أن امنع كليّة دخول الأسلحة فى الكويت و الخروج منها و لأجل اجراء هذا المنع قد صدرت إعلاناً و اشتهاراً الي كافة المباشرين بهذ الأمر تحريراً باليوم الرابع و العشرين من شهر محرم الحرام سنه ١٣١٨ مطابق ليوم الرابع و العشرين من شهر مي سنة ١٩٠٠



No. 3 (*b*).

من الشيخ مبارك بن صباح حاكم الكويت

فليعلم الواقفون على كتابنا هذا أنّ منارر الدولة البهية القيصرية الأنكليس و منارر الدّولة العليّة الأيران لهم اجازة ان يفتشوا السّفن التي عليها بيرق الدولتين الفخيمتين المذكورتين و بيرقنا فى البحر المتعلّق على الكويت و ان يقبضوا بطريق بيت المال جميع التفقان و ساير الأسلحة الحربية الموجودة فيها ان كانت الأسلحة الموجودة محمولة الى بنادر الهند و ممالك العجم فجميع سفن اهالي الكويت حين مصادفتهم فى البحر المتعلق بالهند او بالأيران بمنارر الدولتين الفخيمتين الأنكليس و الأيران اذا يظن فيها حمل الأسلحة الى بنادر الهند و ممالك الأيران و الكويت تكون معرضاً لتفتيش المنارر المذكورة و جميع الأسلحة التى توجد فيها ستقبض بطريق بيت المال

تحريراً باليوم الرابع و العشرين من شهر محرم الحرام سنة ١٣١٨ مطابق ليوم الرابع و العشرين من شهر مئي المسيحي سنة ١٩٠٠



No. 3 (*c*).

من الشيخ مبارك بن صباح حاكم الكويت

فليعلم الواقفون على كتابنا هذا بان معاملات الأسلحة فى ممالك الهند و الأيران ممنوعة فلذلك اردنا نعمل اقداماً حدّ المقدرة لأن نساعد الدولة البهية القيصرية الأنكليس و الدّولة العلية الأيران فى قطع هذه المعاملة المخالفة للقانون فبموجب هذه الورقة نصرّح بان من تاريخ هذا الأعلان دخول التفق و الفشق و ساير الأسلحة و خروجها مطلقاً ممنوع فى الكويت و توابعه و جميع التفقان و ساير الأسلحة التى تجلب في المستقبل فى الكويت او تخرج منه ستقبض بطريق بيت المال

تحريراً باليوم الرابع و العشرين من شهر محرم الحرام سنه ١٣١٨ مطابق للرابع و العشرين من شهر مئي سنه ١٩٠٠ المسيحية -



No. 4.

بسم الله تعالى · السبب الداعي الى تحريره

بناء على استحساننا و لاجل راحة رعيتنا التجار من خصوص البوستت التي تترتب في بلدنا من جانب الدولة البهية القيصرية الأنكليس صار قاللك موقع الاستحسان من الطرفين و على هذا القرار اننا لا نعطي اذن لجعل بوستت دولة اجنبية في طرفنا فقط هذه البوستت تترتب من جانب الدولة البهية الانكليس لا غير احد يكون و علي هذا القرار تحرر هذا عنا و عن من يأتن بعد نا من اولادنا و عليه الاعتماد و لاجل البيان تحرّر هذا ف ١١ ذالحجة سنه ١٣٢١

صحيح
مبارك الصباح



No. 5 (*a*).

الأجارة البندر الشويخ

بسم الله تعالى

هذه مقاولة مني انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت منطرفي و منطرف ورثتي من بعدي لميجر ايس جي ناكس برلتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في الكويت من طرف الدولة البهية القيصرية الأنكليزية - وجه تحرير هذه الورقة هو اني انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت منطرفي و من طرف ورثتي من بعدي قد آجرة على الدوام للدولة البهية القيصرية الأنكليزية الأرض المشروحة حدودها ادناه الواقعة جنوب بندر الشويخ -

———— اولاً جهت الأرض من شمال طول سبعة آلف و خمسماية ذراع بخط مستقيم و واقع عليه البيت حق الفحم الذي عمرته انا يا شيخ مبارك الصباح في هذه الأيام في الأرض المذكوره و يمشي الخط المستقيم حتي الأمكان مطابقاً لحد البحر وغير عن هذه الشرطين يجوز لميجر ايس جي ناكس برلتكل اجنت في كويت اولأحد غيره معرض من طرف الدولة البهية القيصرية الأنكليزية ليجر هذا الحد المستقيم من شمال على اختيارهم و رغبتهم و هذا الحد يصير مقبول مني انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت منطرفي و منطرف ورثتي من بعدي (وثانياً) الجهت الشرقية و الجهت الغربية طول كل جهة ستماية ذراع و الجهت الجنوبية سبعة آلف و خمسماية ذراع و جميع الأرض مستقيمة الأركان و من هذه الأرض يصير منها لي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت و لورثتي من بعدي قطعة من جهت الشمال الذي عليها بيت الفحم المذكور من اربع الجهات طول كل جهة ثلاثماية ذراع الجميع عن الف و ما يتين ذراع غير مساحة البيت و عدال هذه القطعة من الشمال لي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ولورثتي من بعدي ————

———— ثانياً تحسب اجرة الأراضي المذكورة على اربع ربياة لكل ذراع سنارية تجري من يوم ما جاء بين يدين الطرفين هذه الورقة المعاهدة والممضاة والمختومة و تسلم الأجرة قدمة في كل سنة ————

ـــــــــ ثالثاً فى ايضاح العبارة السابقة تشتمل الأراضي المذكورة بخط واحد طوله ستعشر الف و ما يتين ذراع يخرج منها قطعة الأرض الف و ما يتين ذراع المحفوظة بهذه المقاولة لي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت و لورثتي من بعدي الباقي خمسة عشر الف ذراع و بحسب اجرة الأراضي موجب هذا الخط و تبلغ الأجرة السفارية ستين الف ربية تسلّم لي انا يا شيخ. مبارك الصباح حاكم الكويت ولورثتي من بعدي قدمة فى كل سنة ما دام دولة البهية القيصرية الأنكليزية لهم خاطر فى الأراضي المذكورة ولاكن صار معلوم و اتفق بيني انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرفي و من طرف ورثتي من بعدي و بين مجر ايس جي نكس بولتكل اجنت الدّولة البهيّة القيصريّة الأنكليزية فى الكويت منطرف الدّولة البهيّة القيّصرية الأنكليزية انه اذا الدولة البهية القيصرية فيما بعد لا تشتهي لتأخذ على الأجرة الأراضي المذكورة لهم حق ليخبرونني انا يا شيخ مبارك الصباح او ورثتي من بعدي باي وقة يشتهون عن مقصدهم و انه بعد اعلان هذا الخبر وقفت الأجرة و الأرض ترجع عندي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت او لورثتي من بعدي ولاكن اذا صار للدولة البهية القيصرية مراد في اراضي غير هذه الأرض مالت الشويخ مثل الأراضي المشروحة فى العبارة السّادسة ادناه يصير بطريق الأ جار برضاي انا يا شيخ مبارك الصباح او لورثتي من بعدي ـــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــ رابعاً يشتمل على اجرة الأراضي المذكورة بغير اجرة اخري و غير طلب من كل جنس حق لمل ارض على البر او تحت البحر بين الجهتين الشرق و الغرب محدودة من جهة الشمال الى ثلاثة ادواع من البحر بوقت الجزر الأ سفل في عدال العد من الشمال و يجوز للدولة البهية القيصرية الأنكليزية يبنون و يعمرون بين الحدود المذكورة كل بنيان من كل جنس بيوت حق الفحم اوالحوايج البندر وغيره و ايضاً يجوز للدولة الأنكليزية المذكورة ليحطون بريات و يسوون كل شغل لازم حق راحة المراكب من البحر اليم الى بندر الشويخ مثلاً فى غير تعمير المناير او بيقن في حدود الكويت في وقة دون وقة اذا بدالازم ـــــــــــــــــــ

ـــــــــ و ايضاً يجوز للدولة الأنكليزية المذكورة ليأجرون الأراضي جزئي اوكلي اجل من السنين او علي الدوام لرعايا الأنكليز اولرعايا بريتش انديا اعني اهل الهند او لرعاياي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت اعني اهل الكويت على كيفهم و رغبتهم التّامة ـــــــــــ

ـــــــــ خامساً و بعد في عوض الأ جرة المشروحة اقّر انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت منطرف نفسي و منطرف ورثتي من بعدي اقرار السابق انه لا انا ولا ورثتي من بعدي سنعطى

او نبيع او نآجر لدولة اجنبية و فيها اشتملت الدولة العثمانية او لرعايا دولة اجنبية شيئاً من ارضنا فى حدود الكويت او حولها الاّ برخصة من الدولة البهية القيصرية الأنكليزية ———

——— سادساً و ايضاً انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرف نفسي و منطرف ورثتي من بعدي التزم فى هذه الورقة اننا سنعطى للدولة البهية القيصرية الأنكليزية حق الشفعه فى مشترا او اجارة الأراضي المشروحه ادناه ———

(اولاً) الأراض التي فى قرب الأراضي المستأجرة بمسافة الفين ذراع من اي جهت من الأرض المستأجرة من الحد الأ قرب لا كن لرعاياي اهل الكويت لهم حق الشّفعه فى هذه الأرض اقوي و اقدم من حق الدولة فى هذه الأرض فقط ———

(ثانياً) كلّ جزيرة الشّويخ وساحلها المحيط فقط الحضور لي انا يا شيخ مبارك ———

(ثالثاً) كلّ جزيرة وربا عند خورعبد الله و ساحلها المحيط ———

(رابعاً) كل الأراض والساحل فى جهت رأس كاظمة الى مسافة ميلين بحرية اعني ثمانية آلاف ذراع في اي جهت من رأس كاظمه اذا يصير للدولة رغبة بالمحلّ المذكور اعني كاظمه فيصيرله اجبار غير اراضي الشويخ بل اجرة الذي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت او ورثتي من بعدي فرضي منها و يصير لي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت و لورثتي من بعدي بيت في قرب بيت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية اذا يصير للدولة المذكورة رغبة في هذه الأرض و البيت الذي لي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ولورثتي من بعدي مربع كل ربع ثلاثماية ذراع عن الف و ما يتين ذراع و لرعيّتي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ارض ما عدي رغبت الدّولة الأنكليزية المذكورة و ان صار لازم انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت و ورثتي من بعدي نخلّي للدولة المذكورة الأنكليزية درب للبحر فى حدودنا و عرض الدرب لا اقلّ من عشرة الذرع ———

——— سابعاً في ايضاح هذه العبارة السابقة اذا جاء كلمن يصير يشتهي يشتري او يستأجر الأراضي المشروحة فى العبارة السادسة اعلاه جزئي او كلّي كلّ وقت قبل ان اقبل انا يا شيخ مبارك الصّباح حاكم الكويت او ورثتي من بعدي قول المشتري او قول المستأجر ينبغي و يلزم لي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت اولورثتي اننا نخبر اجنت الدولة الانكليزية فى الكويت او قنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الأنكليزية فى ابو شهر و سنعطى للصاحب المذكور فرصة كاملة لا اقلّ

من ثلاثة اشهر ايشاوررن حكامهم الا على ويقررن واليهم امّا الدولة البهيّة القيصرية الأنكليزيّة تشتهي مشترا او اجار الأراض المذكورة اولا ــــــــــــــــــــــــــــــــ

ــــــــ ثامنا ان قررابي الدولة الأنكليزية المذكورة على مشترا او اجارة الأرض المطلوبة بموجب قول و شرط المشتري او المستاجر سيقبل قول الدولة الأنكليزية المذكورة بلا حكي او طلب آخر و تبتاع او تأجر الأراضي المطلوبة للدولة المذكورة الأنكليزية على هذه الشروط -

ــــــــ تاسعا و صار مفهوم مبين و متفق بين الطرفين بان الدولة البهية القيصرية الأنكليزية قد فرضت ميجر ايس جي ناكس بولتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في الكويت ليقر و هو قد اقرّ ان بلد الكويت و حدودها كذلك لي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت و لورثتي من بعدي و انه كل مرتباتي انا يا شيخ مبارك الصباح في امر الكمارك وغيره و كل مرتباتي الجارية هي باقية بعدي انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت و لورثتي من بعدي و انه في امر اراضي الشويخ و الأراض التي تاخذها الدولة الأنكليزية المذكورة فيما بعد بطريق الأجار مني انا يا شيخ مبارك الصباح اومن ورثتي من بعدي لا تأخذ الدولة المذكورة الأنكليزية كمارك علي شئ في جميع الأراضي التي يستأجروها او يصير لهم بها مسكن في حدود الكويت -

ــــــــ عاشرا في عرض هذا الأقرار المذكور اعلاه قد اقريت انا يا شيخ مبارك الصباح منطرف نفسي و منطرف ورثتي من بعدي في هذه الورقة اننا لا نأخذ كمارك على الأموال الداخلة و الخارجة لرعايا الدولة المذكورة الأنكليزية اعني الأنكليز و اهل الهند و غيرهم من رعايا الدولة المذكورة الأنكليزية زايد على المائة اربعه حسب قيمة الأموال بموجب القوايم الواردة من البنادر المتحمّل منها الأموال ولاكن اذا انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت او ورثتي من بعدي في اي وقت يصير يبدي لنا لازم لنزيد الرسم زايد عن المائة اربعة بقيمة الأموال قد اقريت انا في هذه الورقة منطرف نفسي و منطرف ورثتي من بعدي انه لا يؤخذ من رعايا الدولة الأنكليزية المذكورة هذه الزيادة الا عقب ما نطلب و يحصل لنا رخصة من الدولة البهية القيصرية الأنكليزية لهذه الزيادة ــــــــــــــــــــــــــــــــ

ــــــــ حادي عشر و ايضا قد اقريت انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت منطرف نفسي و منطرف ورثتي من بعدي ان الرسم المأخوذ على الأموال الداخلة او الخارجة لرعايا الدولة المذكورة الأنكليزية من حدود الكويت لا يزيد عن الرسم الماخوذ على الأموال الداخلة او الخارجة لرعاياي اعني اهل الكويت من حدود الكويت ــــــــــــــــــــــــــــــــ

ــــــــ ثاني عشر و صار مفهوم مبين اني انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت قبلت هذه

الأجرة خصوصاً للدولة البهية القيصرية الأنكليزية و امّا لغيرها ما اقبل من جميع الدول لو يعطوني اكثر من هذا الأجار ما اخلّيهم يتمكنون فى ملكنا و امّا الدّولة البهية القيصرية الأنكليزيّة فانا ممنون منها ولها عليّ فضل و ما اقبل تداخل دولة غيرهم من الدّول لو يعطوني اكثر من هذا الأجار و اني أمل انشاء الله انّ هذا اللّطف لي من الدّولة البهيّة القيصريّة الأنكليزيّة باقي لي و لورثتي من بعدي وحلول انظارها و احسانها وقد اكرمة الدّولة البهيّة القيصريّة الأنكليزيّة ميجر ايس جي ناكس برلتكل اجنت الدّولة البهيّة القيصريّة في الكويت برخ .ة خصوصة ايبّلغني انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت منطرف الدّولة البهيّة القيصريّة الأنكليزيّة ان الدّولة المذكورة الأنكليزيّة لا تشتهى تداخل في امور الكويت الّا لنفع اهل الكويت و لتزايد التّجارة و العلم و الصّداقة بين الدّولة الأنكليزيّة و اهل الكويت و اما انا يا شيخ مبارك الصّباح و ورثتي من بعدي انه مراد الدّولة البهيّة القيصريّة الأنكليزيّة ان الصّداقة و الأ تفاق بينهم و بيننا باقية على الدّوام

———— و في الأ خير انا يا شيخ مبارك الصّباح حاكم الكويت على المراد الخاص من الدّولة البهيّة القيصريّة الأنكليزيّة قد اقربت في هذه الورقة انّ هذه المقاولة تصير مخفيّة عن العام و الخاص الى وقت ما تعطي الدّولة البهيّة القيصريّة الأنكليزيّة رخصة لأعلانها————

———— و انا يا شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ماطرف نفسي و منطرف ورثتي من بعدي قد قبلت الشّروط المشروحة في هذه المقاولة جزئي او كلّي و لهذا قد حطّيت مهري فى ٨ شهر رمضان عام ١٣٢٥ هجرية مطابق فى ١٥ اكتوبر عام ١٩٠٧ و الله على ما اقول خير شاهداً و وكيل -

صحيح جابر المبارك الصّباح　　　　صحيح حاكم الكويت مبارك الصّباح

No. 5 (b).

قبوليّة اجارة البندر الشويخ

بسم الله تعالي

هذه مقاولة مني انا يا ميجر ايس جي ناكس پولتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في الكويت من طرف الدولة البهية القيصرية الأنكليزية لشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرفه و من طرف ورثته من بعده -

وجه تحرير هذه الورقة هو انه انا يا ميجر ايس - جي ناكس پولتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية من طرف الدولة البهية القيصرية الأنكليزية بدون اخلال للشرط المهم المشروح في العبارة الثالثه ادناه استأجرت على الدوام من شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرفه و من طرف ورثته الأرض المشروحة حدودها ادناه الواقعة جنوب بندر الشويخ اولاً جهت الأرض من شمال طول سبعة آلاف و خمسماية ذراع بخط مستقيم و واقع عليه البيت حق الفحم الذي عمره الشيخ مبارك الصباح في هذه الأيام في الارض المذكورة و يمشي الخط المستقيم حتى الأمكان مطابقاً لحد البحر و غير عن هذه الشرطهن يجوز لي انا يا ميجر ايس جي ناكس پولتكل اجنت في كويت او لواحد غيري مفوّض من طرف الدولة البهية القيصرية الأنكليزية للبحر هذا لحد المستقيم من شمال على اختيارنا و رغبتنا و هذا الحد يصير مقبول من شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرف نفسه و من طرف ورثته من بعده

(ثانياً) الجهة الشرقية و الجهة الغربية طول كل جهة ستماية ذراع و الجهة الجنوبية سبعة آلاف و خمسماية ذراع و جميع الأرض مستقيمة الأركان و من هذه الأرض يصير منها للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ولورثته من بعده قطعة من جهة الشمال الذي عليها بيت الفحم المذكور من اربع الجهات طول كل جهة ثلاثماية ذراع الجميع الف و مايتين ذراع غير مساحة البيت و عدال هذه القطعة من الشمال للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ولورثته من بعده ———

——— ثانياً تحسب اجرة الأراضي المذكورة على اربع ربياة لكل ذراع سنارية تجري من يوم منجاء بين يدين الطرفين هذه الورقة المعاهدة و الممضاة و المختومة وتسلم الأجرة قدمه في كل سنة

——— ثالثاً في ايضاح العبارة السابقة تشتمل الأراضي المذكورة بخط واحد طوله ستعشر الف و مايتين ذراع يخرج منها قطعة الأرض الف و مايتين ذراع المحفوظة بهذه المقاوله الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت و لورثته من بعده الباقي خمسة عشر الف ذراع وتحسب اجرة الأراضي بموجب هذا الخط تبلغ الأجرة السنارية ستين الف ربية التي انا يا ميجر ايس جي ناكس برلتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في الكويت من طرف الدولة البهية القيصرية الأنكليزية اقر انها تسلم قدمه في كل سنة مادام دولة البهية القيصرية الأنكليزية لهم خاطر في الأراضي المذكوره و لاكن صار معلوم و اتفق بيني انا يا ميجر ايس جي ناكس برلتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في الكويت من طرف الدولة البهية القيصرية الأنكليزية و بين الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرف نفسه ومن طرف ورثته من بعده انه اذا الدولة البهية القيصرية الأنكليزية فيما بعد لا تشتهي لتستأجر الأراضي المذكورة لهم حق ليخبرون الشيخ مبارك الصباح او ورثته من بعده باي وقت يشتهون عن مقصدهم وانه بعد اعلان هذا الخبر رتفة الأجرة والأرض ترجع عند الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت او لورثته من بعده و لاكن اذا صار للدولة البهية القيصرية الأنكليزية مراد في ارض غير هذه الأراضي مالت الشويخ مثل الأراضي المشروحة في العبارة السادسة ادناه يصير بطريق الأجار برضاء الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت او ورثته من بعده ———

رابعاً - اشتمل على اجرة الأرض المذكورة بغير اجرة اخري و غير طلب من كل جلس حق لكل ارض على البر ارتفعت البحر بين الجهتين الشرق و الغرب محدودة من جهة الشمال الي ثلاثة ابراع من البحر بوقت الجزر الأسفل في عدال الحد من الشمال ويجوز للدولة البهية القيصرية الأنكليزية ليبنون و يعمرون بين الحدود المذكورة كل بنيان من كل جلس بيوت حق الفحم او لحوائج البندر وغيره ———

و ايضاً يجوز للدولة الأنكليزية المذكورة ليعطون برياة و ليسوون كل شغل لازم حق راحة المراكب من البحر اليم الي بندر الشويخ مثلاً في غيره تعمير المنائر او بيقن في حدود الكويت في رقعة لدون وقة اذا بدا لازم ———

و ايضاً يجوز للدولة الأنكليزية المذكوره ليا جرون الأراضي جزئي او كلّي اجل من السنين او على الدوام لرعايا الأنكليز او لرعايا بريتش انديا اعني اهل الهند ولرعايا الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت اعني اهل الكويت علي كيفهم و رغبتهم التامة ———

——— خامساً و بعد في عرض الأجرة المشروحة من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرف نفسه و من طرف ورثته من بعده اقراره السابق انه لاهوولا و رثته من بعده سيعطون او يبيعون او يا جرون لدولة اجنبية و فيها اشتملت الدولة العثمانية او لرعايا دولة اجنبية شئ من ارضهم في حدود الكويت او حولها الا برخصة من الدولة البهيّة القيصرية الأنكليزية -

——— سادساً و ايضاً يلتزم في هذه الورقة الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرف نفسه و من طرف ورثته من بعده انه و انهم سيعطون للدولة البهية القيصرية الأنكليزية حق الشفعة في مشترا او اجارة الأراضي المشروحة ادناه———

(اولاً) الأرض التي في قرب الأرض المستاجرة بمسافة الفين ذراع من اي جهة من الأرض المستأجرة من الحد الأقرب لكن لرعايا الشيخ مبارك اعني اهل الكويت لهم حق الشفعة في هذه الأرض اقوي و اقدم من حق الدولة في هذه الأرض فقط -

(ثانياً) كل جزيرة الشويخ و ساحلها المحيط فقط الحضور للشيخ مبارك الصباح -

(ثالثاً) كل جزيرة وربا عند خور عبد الله و ساحلها المحيط -

(رابعاً) كل الأراضي و الساحل في جهة رأس كاظمة الى مسافة ميلين بحرية اعني ثمانية آلاف ذراع في اي جهة من رأس كاظمة اذا يصير للدولة رغبة بالمحل المذكور اعني كاظمة فيصير له اجار غير اراضي الشويخ بل اجرة الذي الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت او ورثته من بعده يرضون منها و يصير للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ولورثته من بعده بيت في قرب بيت الدولة البهية القيصيرية الأنكليزية اذا يصير للدولة المذكورة رغبة في هذه الأرض و البيت الذي للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت و لورثته من بعده مربع كل ربع ثلاثماية ذراع عن الف و مايتين ذراع و لرعايا الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ارض ماعندي رغبة الدولة الأنكليزية المذكورة وان صار لازم شيخ مبارك الصباح حاكم الكويت و ورثته من بعده يعطون للدولة المذكورة الأنكليزية درب للبحر في حدوده هم و عرض الدرب لااقل من عشرة اذراع ———

——— سابعاً في ايضاح هذه العبارة السابقة اذا جاء كلمن يصير يشتهي يشتري او يستاجر الأراضي المشروحة في العبارة السادسة اعلاه جزئي او كلي كل وقت قبل ان يقبل الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت او ورثته من بعده قول المشتري او قول المستأجر ينبغي و يلزم للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت اولورثته من بعده انهم يخبرون اجنت الدولة الأنكليزية في الكويت او قنصل جنرال الدولة البهية القيصيرية الأنكليزية في ابو شهر و سيعطون الصاحب المذكور فرصة كاملة لا اقل من ثلاثة اشهر ليشاورون حكامهم الأعلى ويقرون رأيهم : اي الدولة البهية القيصرية الأنكليزية

تشتهي مشترا او اجار على الأراضي المذكورة اولا ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــ ثامناً ان قر رأي الدولة الأنكليزية المذكورة على مشترا او اجارة الأراضي المطلوبة بموجب قول و شروط المشتري او المستاجر سيقبل قول الدولة الأنكليزية المذكورة بلا حكي او طلب آخر و تبتاع او تأجر الأراضي المطلوبة للدولة المذكورة الانكليزية على هذه الشروط ـــــــــــــــــ

ـــــــــ تاسعاً وصار مفهوم مبين و متفق بين الطرفين ان الدولة البهية القيصرية الأنكليزية قد فوضتني انا يا ميجر ايس جي ناكس بولتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في الكويت أقر و قد اقريت ان بلد الكويت وحدودها كذلك للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ولورثته من بعده و انه كل مرتباة الشيخ مبارك الصباح في امر الكمارك وغيره وكل مرتباته الجارية هي باقية بيد الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ولورثته من بعده و انه في امر اراضي الشريخ والأراضي التي تاخذها الدولة الأنكليزية المذكورة فيما بعد بطريق الاجار من الشيخ مبارك الصباح او من ورثته من بعد لاتاخذ الدولة المذكورة الانكليزية كمارك علي شئ في جميع الاراضي الذي يستاجروها او يصير لهم بها مسكن في حدود الكويت ـــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــ عاشراً في عوض هذه الأقرار المذكورة اعلاه قد اقر الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرف نفسه و من طرف ورثته من بعده انهم لأيا خذون كمارك على الأموال الداخله او الخارجة لرعا يا الدولة المذكورة الانكليزية اعني الأنكليز او اهل الهند او غيرهم من رعا يا الدولة المذكورة الأنكليزية زايد على المابة اربعة حسب قيمة الأموال بموجب القوائم الوارده من البنادر المتحمل منها الأموال و لاكن اذا الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت او ورثته من بعده في اي وقت يبدي لهم لازم ليزيدون الرسم زايد على المايه اربعة بقيمة الاموال قد اقر الشيخ مبارك من طرف نفسه و من طرف ورثته من بعده انه لايرخذ من رعايا الدولة الانكليزية المذكورة هذه الزيادة الا عقب ما يطلبون و يحصل لهم رخصة من الدولة البهية القيصرية الأنكليزية لهذه الزياده -

ـــــــــ حادي عشر و ايضاً قد اقر الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرف نفسه و من طرف ورثته من بعده ان الرسم الماخوذ على الأموال الداخلة او الخارجة لرعايا الدولة المذكورة الأنكليزية من حدود الكويت لايزيد عن الرسم الماخوذ على الأموال الداخلة او الخارجة لرعيته اهل الكويت من حدود الكويت ـــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــ ثاني عشر - وصار مفهوم مبين ان الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت قد قبل هذه الأجرة خصوصاً للدولة البهية القيصرية الأنكليزية و اما لغيرها ما يقبل من جميع الدول لو يعطونه اكثر

من هذ الأجارما يخليهم يتمكنون في ملكه و اما الدولة البهية القيصرية الأنكليزية فهو ممنون منها و لها عليه فضل وما يقبل تداخل دولة غيرهم من الدول لو يعاونه اكثر من هذ الأ جار و يا مل انشاء الله ان هذاللطف له من الدولة البهية القيصرية الأنكليزية باقي له و لورثته من بعده وحلول انظارها واحسانها وقد اكرمتفي الدولة البهية القَيْصَرية الأنكليزية انا يا ميجر ايس جي ناكس بولتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في الكويت برخصة مخصوصة لأبلغ الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت من طرف الدولة البهية القيصرية الأنكليزية ان الدولة المذكورة الأنكليزية لاتشتهي تداخل في امور الكويت الا لنفع اهل الكويت ولتزايد التجارة و العلم و الصداقة بين الدولة الأنكليزية واهل الكويت واما الشيخ مبارك الصباح وورثته من بعده ان مراد الدولة البهية القيصرية الأنكليزية ان الصداقة و الأ تفاق بينهم و بين شيخ الكويت باقية على الدوام ———————

——— وفي الأخير الشيخ مبارك الصباح على المراد الخاص من الدولة البهية القيصرية الأنكليزية قد اقر ان هذه المقاولة تصير مخفيه عن العام و الخاص الي وقة ماتعطي الدولة البهية القيصيرية الأنكليزية الرخصة لأعلانها———————

——— و انا يا ميجر ايس جي ناكس بولتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الانكليزية في الكويت من طرف الدولة البهية القيصرية الأنكليزية قد قبلت الشروط المشروحة في هذه المقاولة جزئي و كلّي و لهذا قد حطيت صحيحي في ٨ شهر رمضان عام ١٣٢٥ مطابق في ١٥ اكتوبر عام ١٩٠٧ و الله على ما اقول خير شاهداً و وكيل -

No. 6(*a*).

كتاب من قبطان شيكسپير باليوز الدولة البهية الانكليس الى الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت -

نمبره ٣٤٥

من قبطان شيكسپير برلتكل اجنت الدّولة البهية القيصرية الأنكليزية فى الكويت الى جناب الأجل الأمجد الأفخم المفخم المحبّ عمدة الأصحاب الشيخ مبارك الصباح دام بقاه -

غب السؤال عن عزيز خاطرك لا زلت بخير و سرور بعده لابد يصير في با لكم من مدة خمس سنوات وصل انسان اجنبي يبي ياخذ امتياز لاجل يأخذ اسفنج شيئاً يطلع من البحر و ذلك الوقت جنابكم ما رضيتم و احسن ما سويت و في هذه الأيام يمكن يجون ناس كذالك يدوّرون مصالح لأنفسهم وكتب باليوز ابو شهر لي انه اخبر جنابكم لتكونو على بصيرة لأنه يمكن يصير ضرر من هذا الشيئ على الشيوخ و على رعاياهم خصوصاً لو يحصل لهم امتياز لأجل غوص اللؤلؤ و من سبب هذا الباليوز يذكر لو يجي احد يطلب امتياز من الشيخ لأي شيئ انشاء الله جناب الشيخ يعرفنا و يأخذ رأينا قبل يكمل الأمر هذا ما لزم بيانه لجنابكم و دمتم سالمين محروسين -
حرر ف ٢ شهر شعبان عام ١٣٢٩ مطابق ٢٩ شهر جولاي ١٩١١ -

No. 6(*b*).

كتاب من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت الى قبطان شيكسپير باليوز الدولة البهية الأنكليس في كويت ـ

من مبارك الصباح حاكم الكويت   الى حضرة عالي الجاه قبطان شيكسپير برلتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية فى الكويت دام بقاه -

غب السئوال عن خاطركم هو ان يد الوداد اخذة كتابكم المؤرخ ف ٢ شهر شعبان علم ١٣٢٩ مطابق ٢٩ شهر جولاي عام ١٩١١ و به ذكرتم عن الأجلبي الذي من قبل مدة خمس سنواة طلب منا امتياز لأجل يأخذ اسفنج و بوقته رفضنا طلبه و انه بهذه الدفعة جاكم تعريف من حضرة باليوز ابو شهر ذاكر انه يمكن في هذه الأيام يجون ناس يدوّرون مصالح أنفسهم و من مصالحهم يحصل ضرر علينا وعلى رعايانا و يلصحنا ان لا نوافقهم قبل لا نستمد برئيه غايتاً صرة ممنون من محب الجميع و من المعلوم لدي حضرتكم اني لا استغني عن مشورتكم في كل الأحوال ولا اعمل شيئ الا الذي يوافق نظاركم و نظر الدولة البهية فا لمأمول من جنابكم تطمئنون خاطره و تعرضون تشكراتي له و دمتم محروسين   في ٢ شعبان سنة ١٣٢٩ ع



No. 7.

من مبارك الصباح حاكم الكويت الى حضرة ذو الشوكة و الأجلال كرنل سر برسي كاكس باليوز و قونسول جنرال الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في خليج فارس دام بقاه ـ آمين

غب افتقاد خاطركم العزيز دمتم بخير و سرور هو ان يد الخلوص اخذة امركم العالى المورخ ٢٧ رجب سنة ١٣٣٠ مطابق ١٣ جولاي سنة ١٩١٢ و به امرتم بخصوص مرام الدولة البهية القيصرية لوجود التلغراف في بلدنا الكويت و في حين معاودة حضرتكم السامية الى بوشهر لا حظتم كما كنتم مترصدين او امراً خيرة من الدولة البهية القيصرية حتّى تخبرونا من طرف مرامها و تطلبون مساعدتنا في هذا المرام و ان وجود التلغراف يصير موجب تسهيل لدولة البهية و لنا و جماعتنا ـ انّي اخبرة حضرتكم العالية شخصاً بوقت ماكنا مسترين بملاقاتكم البهيّة بموافقتي و مساعدتي فى هذا العمل وغيرة الذي منه اصلاح و ترونه موافق بخيرية حسبما يصدر به امر الدولة البهية القيصرية و ارادتكم العالية و التفاصيل حسب امركم في جريان الشغل يبيّنها لنا الصعب قبطان شيكسپير و نحن ايضاً نبيّن له نوع الذي فيه راحتنا و نسئل اللّه ان يجعل جميع مساعيكم مقرونة ميمونة بالتوفيق محمودة العواقب و يوفقنا لكسب رضاكم بالقول و العمل هذا و ارجو دوام توجهاتكم و وقوع انظاركم السامية مع قبول احتراماتي و لا زلتم سالمين محروسين ١١ شعبان سنة ١٣٣٠ ع

مبارك الصباح

مبارك
الصباح

No. 8 (a).

من كرنل سر برسي كاكس باليوز و قنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس الى جناب الأجل الامجد الاحشم حميد الشيم المحب عمدة الاصحاب الشيخ سر مبارك الصباح

كى - سي - آي - اي -

حاكم الكويت دام بقاه -

غب سئو النا عن خاطر كم لازلتم في خير و سرور بعده من خصوص المذاكرة الذي جرت بيننا امس اذا جنابكم ما تشوفون فيها اعتراض ارجو من جنابكم ان ترخصوني اخبر الدولة البهية القيصرية الأنكليزية بان جنابكم راضين بوصول جناب ادمرار سليد لأجل ملاحظة مكان القار في البرقان و غير اماكن و اذا صار في نظرهم امل تحصيل الكاز منه جنابكم تقبلون بان لا تعطي امتياز في هذ الخصوص الى احد سوي الشخص المعيّن المومّا من طرف الدولة البهية القيصرية الانكليزية هذا ما لزم بيانه لجنابكم و دمتم سالمين محروسين ٢٦ ذي القعدة ١٣٣١ مطابق ٢٧ اكتوبر ١٩١٣ -

---

No. 8 (*b*).

من مبارك الصباح حاكم الكويت الى حضرة ذي الشوكة و الاجلال كرنل سر پرسي كاكس باليوز و قنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في خليج فارس دام محروساً ـ

غب افتقاد خاطركم العزيز دمتم بخير و سرور هو انّ يد الخلوص تنارلت امركم السامي المؤرخ ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٣١ و به آمر تم بخصوص المذاكرة التي جرت بيننا بالأمس اذا لم نراء فيها اعتراض نفيد حضرتكم تخبرون الدولة البهية القيصرية الأنكليزية اننا راضين بوصول جناب ادمرار نحن في كلما تروه صلاح راضين فاذا شرف حضرة ادمرار لطرفنا نصحّب معه احد الأولاد يصير بخدمته ينظر مكان القار في البرقان و غير اماكن و اذا صار في نظرهم امل تحصيل الكازمنة نحن قطعاً ما نعطى امتياز في هذا الخصوص الى احد سوى الشخص المعين من طرف الدولة البهية الانكليزية هذا و ارجو دوام توجهاتكم القلبية و لازلتم سالمين محروسين ٠ ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٣١ ع

الملحق رقم ٥

TERMS OF A FRIENDLY CONVENTION ENTERED INTO BETWEEN SHAIKH MAHOMED BIN KHALIFAH, INDEPENDENT RULER OF BAHRAIN, ON THE PART OF HIMSELF AND SUCCESSORS, AND CAPTAIN FELIX JONES, HER MAJESTY'S INDIAN NAVY, POLITICAL RESIDENT OF HER BRITANNIC MAJESTY IN THE GULF OF PERSIA, ON THE PART OF THE BRITISH GOVERNMENT, 1861.

Preliminary.—Considering the tribe disorders which arise and are perpetuated from maritime aggressions in the Persian Gulf, I, Shaikh Mahomed bin Khalifah, independent ruler of Bahrain, on my own part and on that of my heirs and successors, in the presence of the Chiefs and elders who are witnesses to this document, do subscribe and agree to a perpetual Treaty of peace and friendship with the British Government, having for its object the advancement of trade and the security of all classes of people navigating or residing upon the coasts of this sea:—

ARTICLE 1.

I recognise as valid and in force all former Treaties and Conventions agreed to between the Chiefs of Bahrain and the British Government, either direct or through the mediation of its representatives in this Gulf.

ARTICLE 2.

I agree to abstain from all maritime aggressions of every description, from the prosecution of war, piracy, and slavery by sea, so long as I receive the support of the British Government in the maintenance of the security of my own possessions against similar aggressions directed against them by the Chiefs and tribes of this Gulf.

ARTICLE 3.

In order that the above engagements may be fulfilled I agree to make known all aggressions and depredations which may be designed, or have to place at sea, against myself, territories, or subject, as early as possible, to the British Resident in the Persian Gulf, as the arbitrator in such cases, promising that no act of aggression or retaliation shall be committed at sea by Bahrains or in the name of Bahrain, by myself or others under me, on other tribe, without his consent or that of the British Government, if it should be necessary to procure it. And the British Resident engages that he will forthwith take the necessary steps for obtaining reparation for every injury proved to have been inflicted, or in course of infliction by sea upon Bahrain or upon its dependencies in this Gulf. In like manner, I, Shaikh Mahomed bin Khalifah, will afford full redress for all maritime offences which in justice can be charged against my subjects or myself, as the ruler of Bahrain.

ARTICLE 4.

British subjects of every denomination, it is understood, may reside in, and carry on their lawful trade in the territories of Bahrain, their goods being subject only to an *ad valorem* duty of 5 per cent. in cash or in kind. This

amount once paid shall not be demanded again on the same goods if exported from Bahrain to other places; and in respect to the treatment of British subjects and dependants they shall receive the treatment and consideration of the subject and dependants of the most favoured people. All offences which they may commit, or which may be committed against them, shall be reserved for the decisions of the British Resident, provided the British Agent located at Bahrain shall fail to adjust them satisfactorily. In like manner the British Resident will use his good offices for the welfare of the subjects of Bahrain in the ports of the maritime Arab tribes of this Gulf in alliance with the British Government.

ARTICLE 5.

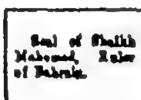
These Articles of alliance shall have effect from the date of ratification or approval by the British Government.

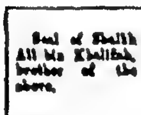
Done at Bahrain this twentieth day of Zilkad, in the year of the Hegira 1277, corresponding with the thirty-first day of May 1861.

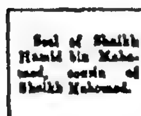
Signature and seal of—

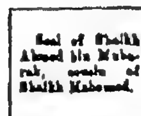


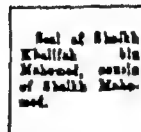
FELIX JONES,
Political Resident in the Persian Gulf.











Elders of Bahrain and witnesses to this Convention.

Approved by His Excellency the Governor-General in Council on the 9th October 1861, and ratified by the Government of Bombay on 25th February 1862.

الملحق رقم ٦

<u>UNDERTAKING WITH THE BRITISH GOVERNMENT</u> (Copy)

We the undersigned, Directors in the Persian Gulf of the Dutch Reformed Church Mission in Arabia, recognizing the special position of the British Government at Kuweit, hereby undertake - in the event of our obtaining from Sheikh Mubarek with British consent, a site in Kuweit, on lease or purchase, for the permanent establishment of (*) our Mission - that while it will always be our endeavour to carry on our work and arrange any little difficulties that may arise from time to time, with the Sheikh direct, should we find ourselves unable to adjust our differences in that manner, we will refer them for the arbitration or good offices of the British representative alone, or , in his absence, of the British resident in the Persian Gulf. The Kuweit establishment will be entirely independent of the branch of our Mission at Busrah and in no circumstances will we, directly or indirectly, seek the intervention of Turkish Authorities, or of Consular officials accredited to Turkish territory.

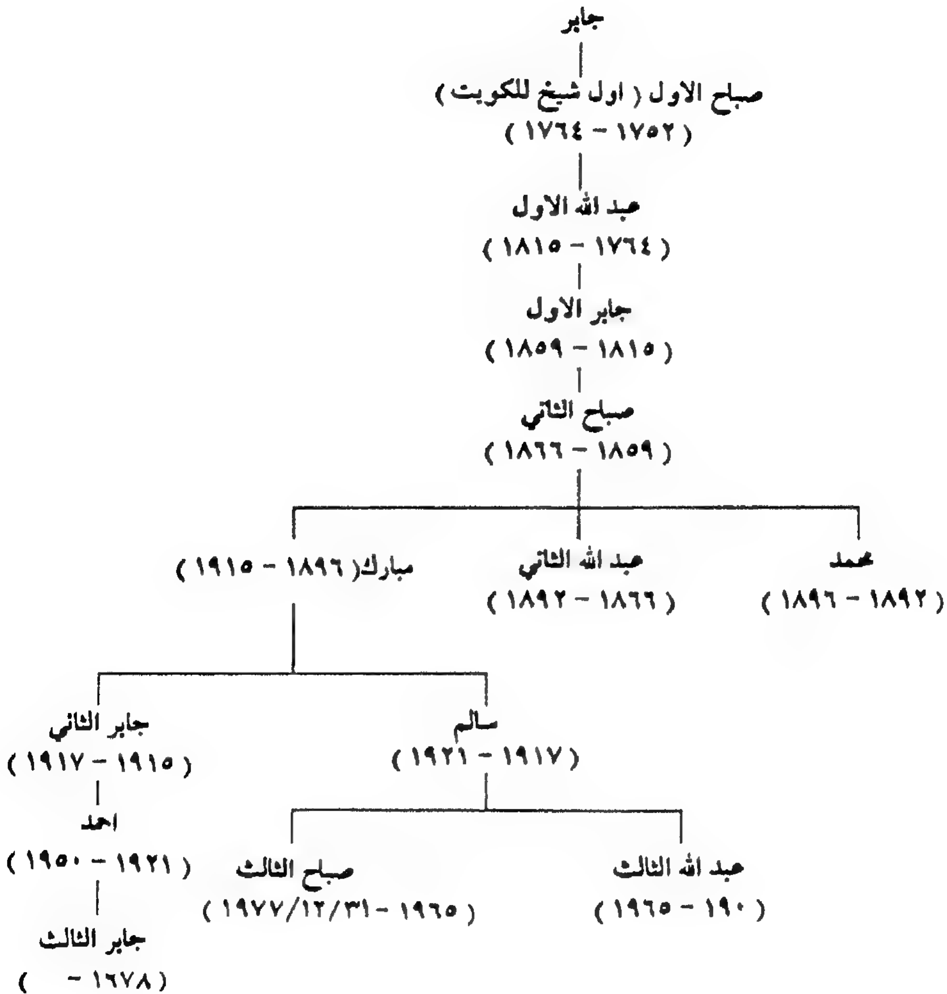
(Signed) Jas. E. Moerdyk
D. Dykstra

At Bahrein
November 18th, 1910

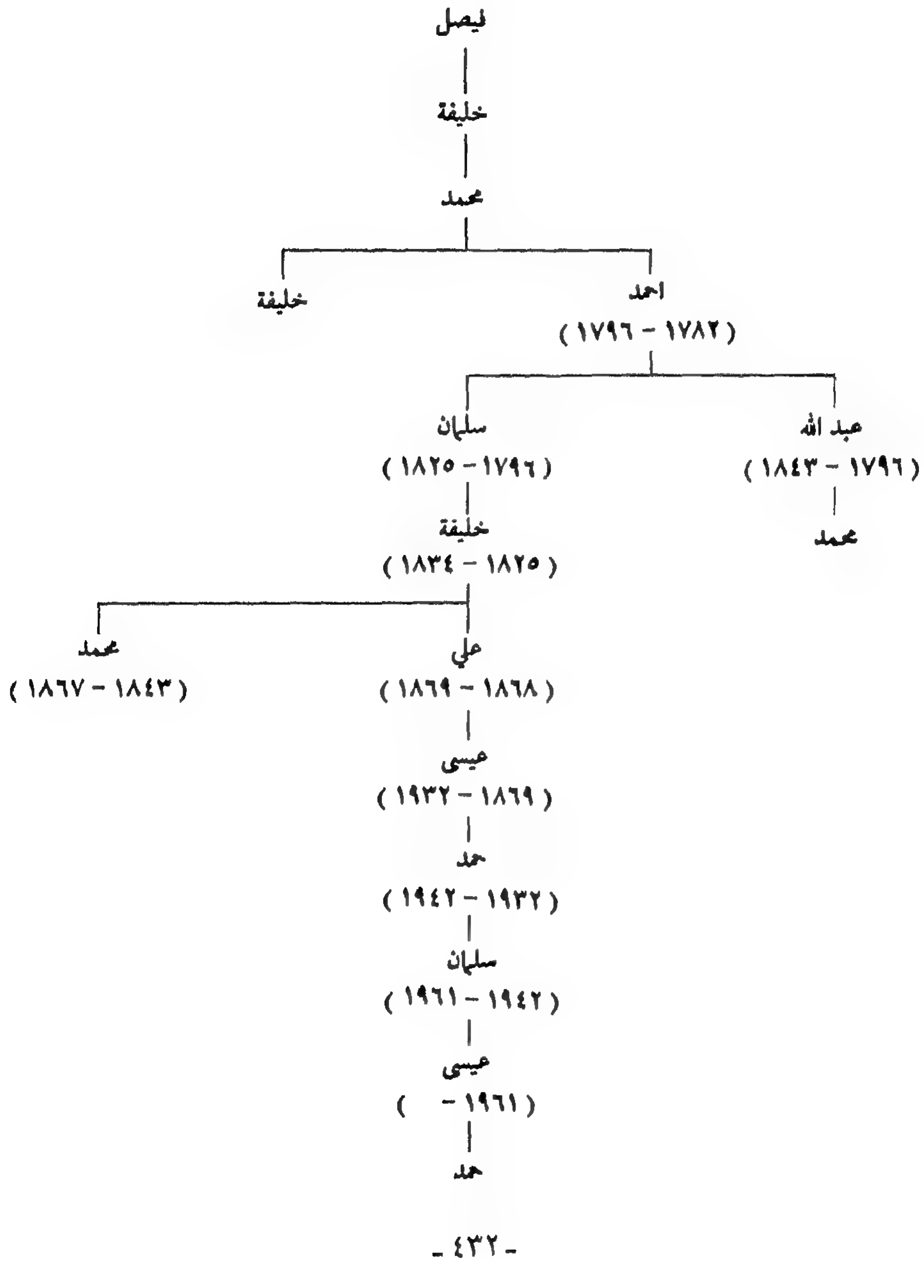
(*) In this signed copy the word "our" has been substituted for the words "a Medical" of the original as submitted to us by the British Resident of the Gulf.

الملحق رقم ٧

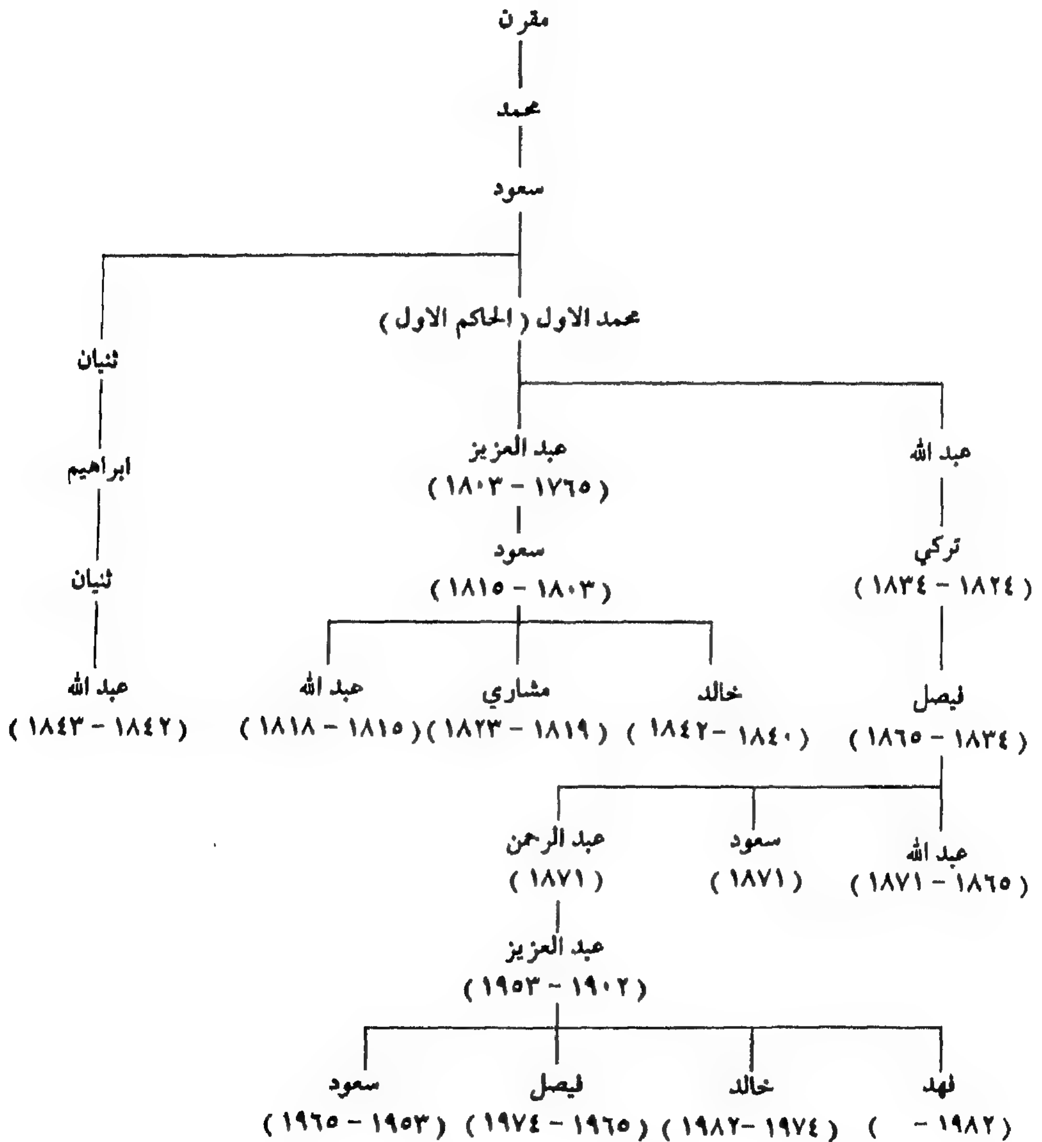
حكم آل الصباح للكويت



حكم آل خليفة للبحرين

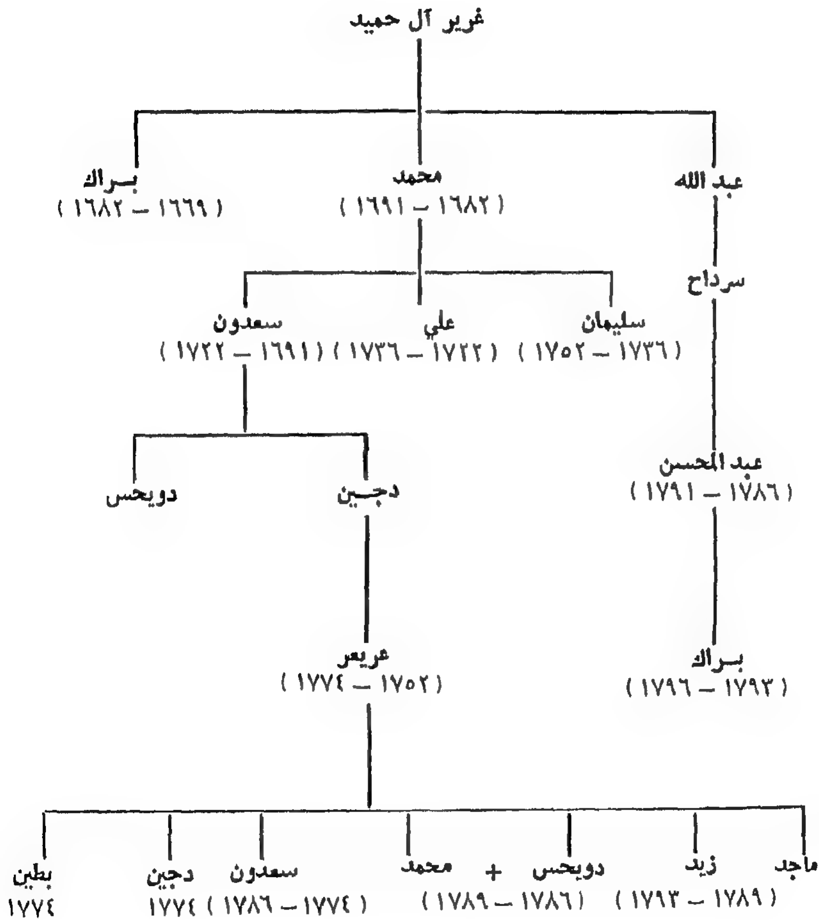


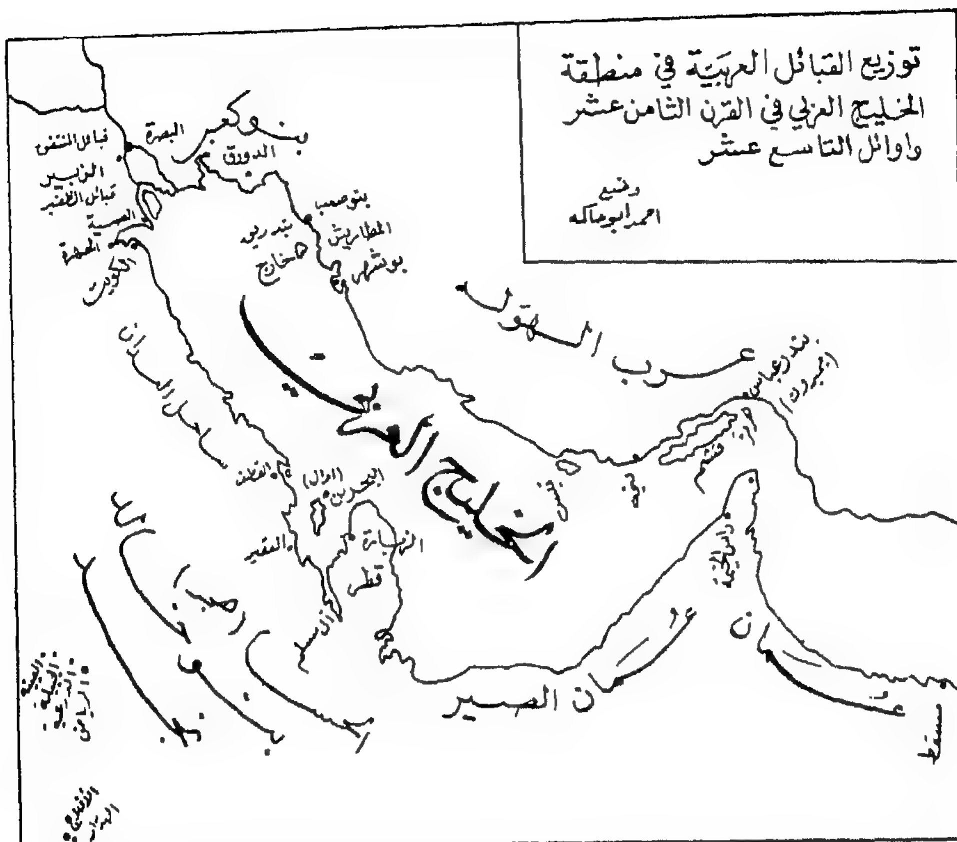
جدول بامراء السعوديين الوراثي



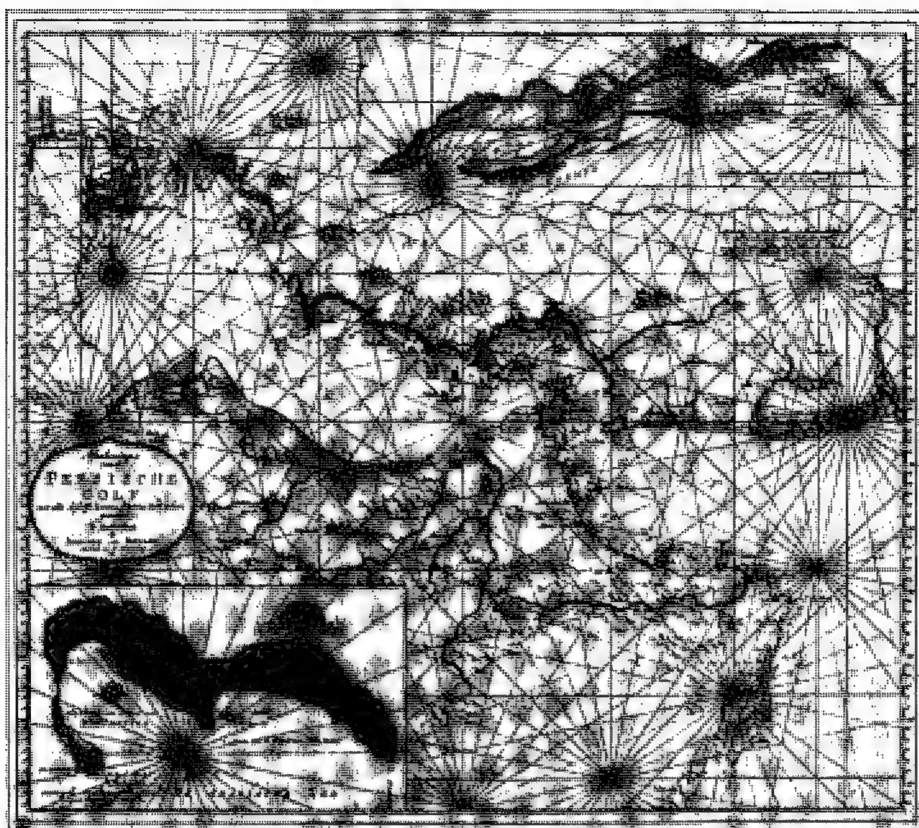
شيوخ بني خالد المتوارثون

في القرنين السابع عشر والثامن عشر

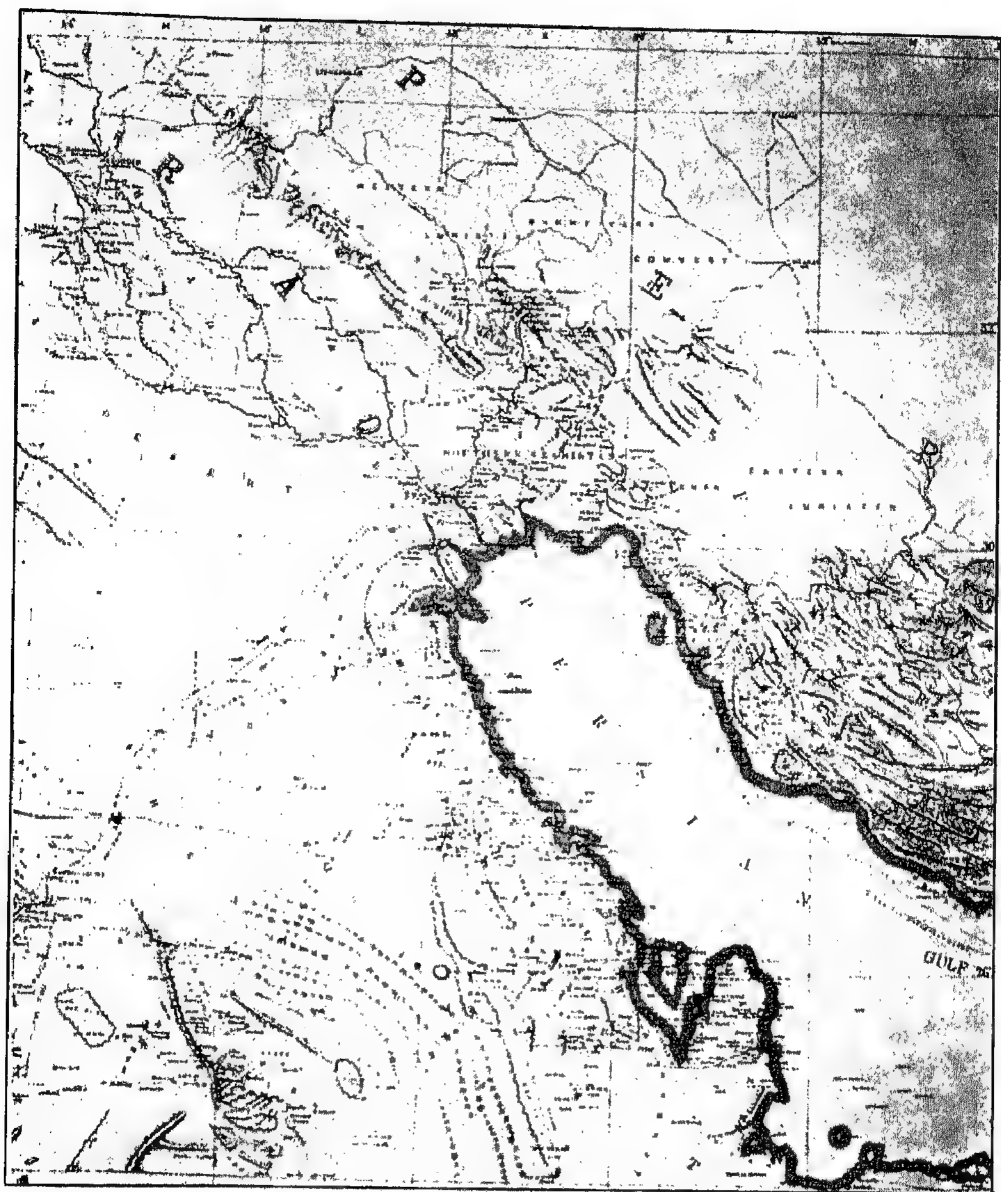




توزيع القبائل العربية في منطقة الخليج العربي في القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر
وضع
احمد ابو حاكمه
بنو كعب
البصرة
الدورق
قبائل المنتفق
الزبير
قبائل الظفير
الجهرة
الكويت
بندر ريق
المطاريش
بوشهر
خارج
عرب الهولة
بندر عباس
(جمبرون)
قشم
الخليج العربي
ساحل السلمان
البحرين
(آل خليفة)
العقير
الزبارة
قطر
عمان الصير
عمان
مسقط



خريطة هولندية اعدت حوالي ١٦٦٠ وتظهر فيها الكويت باسم القرين



خريطة تعود لعام ١٩١٣ تبين حدود الكويت

المَراجع

أولا ــ المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة :

■ **ابن بشر ، عثمان بن عبد الله**

كتاب عنوان المجد فى تاريخ نجد (مكة ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠ م) وكذلك (مخطوطة المتحف البريطاني Or 7710) .

■ **ابن دريد : ابو بكر محمد بن الحسن**

كتاب الاشتقاق (القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) .

■ **ابن رزيق ، حميد بن محمد**

١ ــ الفتح المبين المبرهن سيرة السادات البوسعيديين (مخطوطة جامعة كمبردج رقم Add. 2892) .

٢ ــ السيرة الجلية المسماة سعد السعود البوسعيدية (مخطوطة جامعة كمبردج رقم Add. 2893) .

٣ ــ صحيفة القحطانية (مخطوطة جامعة اكسفورد ، رقم Afr. 5. 3) .

٤ ــ صحيفة العدنانية (مخطوطة المتحف البريطاني رقم Or. 6569) .

■ **ابن سند ، عثمان بن سند البصرى**

١ ــ مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود (مخطوطة برلين ، رقم Ber. Gu. 1338) وهذه المخطوطة محفوظة الان بجامعة توبنجن بالمانيا .

٢ ــ سبائك العسجد فى أخبار احمد نجل رزق الأسعد (بومباى ١٣١٥م/١٨٩٧م) ومنها نسخة خطية بالمتحف البريطانى (Or. 7565)

■ **ابن غنام ، حسين بن غنام الاحسائي**

١ ــ كتاب روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام .

٢ ــ كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية وذكر السبب الذى حمل على ذلك (بومباى ١٩١٩) .

■ **ابن منظور ، جمال الدين**

لسان العرب ج ١ (بيروت ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) .

■ **الآلوسي ، محمود شكرى**

تاريخ نجد (القاهرة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) .

■ **البسام ، الشيخ محمد**

الدرر المفاخر فى أخبار العرب الأواخر (مخطوطة المتحف البريطاني Add. 7385

■ **حتي ، فيليب**

تاريخ العرب مطول ــ الجزء الأول (بيروت ١٩٦١) .

■ **الحلواني ، أمين بن حسن الحلواني المدني**

مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصرى المسمى بمطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود (بومباى ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) .

■ **حمزة ، فؤاد**

قلب جزيرة العرب (القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) .

■ **الحيدرى ، ابراهيم فصيح بن صبغة الله بن محمد أسعد الحيدرى الصفوى البغدادى**

عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد (مخطوطة المتحف البريطاني Or. 7567) وكذلك (طبعة بغداد ١٩٦٢) .

■ **الدجيلى ، كاظم**

« الشيخ عثمان بن سند البصرى » فى مجلة لغة العرب ، مجلد ٣ (بغداد ١٣٣١هـ/١٩١٩م) .

■ **الديراني ، ابراهيم افندى خليل الديراني اللبناني**

كتاب مصباح السارى ونزهة القارىء ، طبعة أولى (بيروت ١٢٧٢)

■ **الرشيد ، عبد العزيز**

تاريخ الكويت فى جزءين (بغداد ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م)

■ **الريحاني ، أمين**

١ ــ ملوك العرب ، فى مجلدين (بيروت ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥) .

٢ ــ تاريخ نجد الحديث وملحقاته (بيروت ١٩٢٨) .

■ **زيدان ، جرجي**

العرب قبل الاسلام (القاهرة بدون تاريخ) ــ طبعة جديدة راجعها وعلق عليها حسين مؤنس .

■ **السالمي ، نور الدين عبد الله بن حميد**

١ ــ تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان ، فى مجلدين :

المجلد الاول ، الطبعة الثانية (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) .

المجلد الثاني ، الطبعة الاولى ، القاهرة (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) .

■ **الشملان ، سيف مرزوق**

من تاريخ الكويت (القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) .

■ **العزاوى ، عباس**

١ ــ تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٦ ، (بغداد ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).

٢ ــ عشائر العراق ، ج ١ (بغداد ١٣٦٥هـ/١٩٤٧م) .

، ج ٢ (بغداد ١٣٦٦هـ/١٩٤٨م) .

■ **العمرى ، ياسين بن خير الله الخطيب العمرى**

كتاب الدر المكنون فى مآثر الماضية من القرون (مخطوطه المتحف البريطاني Add. 23312, 23313) .

■ **غنيم ، يعقوب يوسف**

كاظمة فى الادب والتاريخ (القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) .

■ **فخرى ، أحمد**

دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم (القاهرة ١٩٦٤) .

■ **القناعي ، الشيخ يوسف بن عيسى**

صفحات من تاريخ الكويت ــ الطبعة الثانية (دمشق ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م).

■ **كحالة ، عمر رضا**

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ٣ أجزاء (دمشق ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) .

■ **الكرملي ، انستاس ماري**

مقالة « الكويت » فى مجلة المشرق البيروتية ، العدد العاشر سنة ١٩٠٤ بيروت .

■ **الكويت اليوم (الجريدة الرسمية لحكومة الكويت)**

العدد ٢١٨ السنة الخامسة ٢٠ رمضان ٢٩/١٣٧٨ مارس آذار ١٩٥٩ .

■ **لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب**

(مخطوطة المتحف البريطاني Add. 23, 346)

■ **النبهاني ، محمد بن خليفة**

التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية فى اثنى عشر جزءا .

١ ـ تاريخ البحرين ، (القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) .

ج ٩ ـ تاريخ البصرة ، (القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) .

ج ١٠ ـ تاريخ المنتفق ، (القاهرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) .

ج ١٢ ـ تاريخ الكويت ، (القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) .

■ **وزارة التربية والتعليم (الكويت)**

تقرير شامل عن الحفريات الأثرية فى جزيرة فيلكا (١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ (مطبعة حكومة الكويت ، غير مؤرخ) .

■ **وهبه ، حافظ**

جزيرة العرب فى القرن العشرين (القاهرة ١٩٣٥) .

ثانيا ــ المصادر الاجنبية المخطوطة والمطبوعة بما في ذلك وثائق شركة الهند الشرقية الانجليزية

An Account of the Monies, Weights, and Measures in General Use in Persia, Arabia, East India and China. (London, 1789)

Admiralty War Office, Intelligence Division, A Handbook of Arabia,
Vol. I, (London, May 1916).
1ol. II, (London, May 1917)

'Aqqad, Salah al-,
Le Premier etat Sa'udite (1744-1818), Essai sur son histoire Politique et Religieuse. These pour Le Doctorat d'Etat, Universite de Paris, Faculte de Lettres, 1956.

Ashkenazi, T.,
"The Anazah Tribes", Southwestern Journal of Anthropology, New Mexico, 1948, 222-39.

Badger, G. P.
History of the Imams and Seyyids of 'Oman, by Salil ibn Razik, from A.D. 661-1856, translated from the original Arabic and edited with notes, appendices and introduction containing the history down to 1870 by George Percy Badger, F.R.G.S., Hakluyt Society, No. 43, (London, 1871).

Batrik, Abdel Hamid, M, El-,
Turkish and Egyptian Rule in Arabia, (1810-1841), Ph.D. Thesis, London University, 1947.

Berve and Gruben,
Greek Temples, (London, 1963)

Breasted, J. H.
Ancient Times, (New York, 1944).

Brockelmann, Carl,
1. Geschichte der Arabischen Litteratur,
Erster Band, (Leiden, 1943).
Zweiter Band, (Leiden, 1944).

Vol. 18 (1784-1792),

Vol. 19 (1792-1799),

Vol. 20 (1798-1801),

Vol. 21 (Misc. 1764-1799),

Vol. 23 (1798-1801),

Irwin, Eyles,

A series of Adventures in the course of a Voyage up the Red Sea, on the Coast of Arabia and Egypt ; And of a Route through the Desert of Thebais, in the Year 1777, With a Supplement of a Voyage from Venice to Latichea ; and of a Route through the Deserts of Arabia, by Aleppo, Bagdad, and the Tygris, to Busrah, in the Years 1780 and 1781. Two Vols. (London, 1787).

Ives, Edward

A Voyage from England to India, in the Year 1753, and an Historical Narrative of the Operations of the Squadron and Army in India, under the Command of Vice-Admiral Watson, and Colonel Clive, in the years 1755, 1756, 1757 ; including a correspondence between the Admiral and the Nabob Serajah Dowlah. Interspersed with some interesting Passages relating to the Manners, Customs & c. of several Nations in Indostan. Also, a Journey from Persia to England, by an unusual Route with an Appendix, containing an Account of Diseases prevalent in Admiral Watson's Squadron. A Description of Most of the Trees, Shrubs and Plants, of India, with their real, or supposed medical Virtues ; Also a copy of a Letter written by a late ingenious Physician, on the Disorders incidental to Europeans at Gombroon in the Gulph of Persia, (London, 1773).

Jenour, Captain Matthew,

The Route to India through France, Germany, Hungary, Turkey, Natolia, Syria, and the Desert of Arabia, delineated in a clear concise Manner, with Distances, Time, Mode and Expence of Travelling, (London, 1791).

Kelly, J. B.,

1. " The Persian Claim to Bahrain " in International Affairs, Vol. 33, No. 1, (London, 1957).

2. British Policy in the Persian Gulf (1813-1843) Thesis for Ph.D., London University, 1956.

3. Eastern Arabian Frontiers, (London, 1964).

Lockhart, L.,

Nadir Shah, a critical Study Based Mainly upon Contemporary Sources, (London 1938).

Lullies, R.,

Greek Sculpture, (London, 1960).

Malcolm, John,

The History of Persia from the most Early Period to the Present Time. Two Vols. 1st edition. (London, 1815).

Mansur, Shaikh (Vincenzo Manrizi)

History of Seyd Said, Sultan of Muscat together with an account of the Countries and People on the Shores of the Persian Gulf particularly of the Wahabees. (London, 1819).

Miles, Colonel S. B.,

The Countries and Tribes of the Persian Gulf. Two Vols. (London 1919).

Murray, H.,

Historical Account of Discoveries and Travels in Asia from the Earliest Ages to the Present Time. Vol. III, (Edinburgh, 1820).

Musil, Alois,

1. Northern Negd, A Topographical Itinerary (New York, 1928).
2. The Manners and Customs of the Rwala Bedouins, (New York, 1928).
3. The Northern Hegaz, (New York, 1926).
4. Palmyrena, A Topographical Itinerary, (New York, 1928).
5. Arabia Dessrta, A Topographical Itinerary, (New York, 1927).
6. The Middle Euphrates, A Topographical Itinerary, (New York, 1927).

Niebuhr, B. G.,

The Life of Carsten Niebuhr, the Oriental traveller, with an appendix by J. D. Michaelis. Translated from the German by Professor Robinson. (Edinburgh, 1836).

Niebuhr, Carsten,

1. Description de l'Arabie, faite sur des observations propres et des avis recueillis dans les Lieux memes, (Amsterdam, 1774).
2. Voyage en Arabie en d'autres Pays circonveisins, (Amsterdam, Tome Premier 1776, Tome Deuxieme, 1780).
3. Travels in Arabia, and other countries in the East, translated into English by Robert Hersan. (Two Vols., Edinburgh, 1792).

Noshy, Ibrahim,

The Arts in Ptolemaic Egypt, (London, 1937).

Olivier, G. A.,

Voyage dans l'Empire Ottoman et la Perse, 3 Vols., (Paris, 1801).

Oppenheim, M. F. von,

Die Beduinen unter mitbearbeitung von Erich Braunlich and Werner Caskel,

Band 1, (Leipzig, 1939).
Band II, (Leipzig, 1943).
Band III, (Wiesbaden, 1952).

Oppenheim, M. F. Von,

Vom Mittelmeer zum Persischen Golf, Durch den Hauran dia Syrische Wuste and Mesopotmien

Erster Band, (Berlin, 1899).
Zweiter Band, (Berlin, 1900).

Parsons, Abraham,

Travels in Asia and Africa including a Journey from Scanderoon to Aleppo, and over the Desert to Bagdad and Bussora ; A Voyage from Bussora to Bombay, and along the Western coast of India ; A Voyage from Bombay to Mocha and Suez in the Red Sea ; and a Journey from Suez to Cairo and Rosetta, in Egypt. (London 1808).

Philby, H. St. John,

1. Arabia, (New York, 1930).
2. Arabian Jubilee, (London, 1952).
3. Sa'udi Arabia, (London, 1955).

Plaisted, Bartholomew,

" Narrative of a Journey from Basra to Aleppo in 1750," published in Carruthers' The Desert Route to India etc., Hakluyt Society, (London, 1929).

Roủsseau, J. B. L. J.,

Description du Pachalik de Bagdad suivie d'ume notice historique sur les Wahabis et de quelques autres piece relatives a la litterature de L'orient, (Paris, 1809).

Rentz, G. S.,

Muhammad Ibn 'Abd al-Wahhab (1703/4—1792) and the Beginnings of Unitarian Empire in Arabia. Dissertation submitted for the degree of Ph. D. in History, (California University 1948), Microfilm copy.

Sadlier, Captain G. Foster,

Diary of a Journey across Arabia from el Khatif in the Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, during the year 1819. (Bombay, 1866).

Saldanha, J. A.,

Selections from State Papers, Bombay regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, with a summary of Events, 1600-1800. (Calcutta, 1908).

Seetzen, Dr.

„ Letters to Baron von Zach " in Monatliche Correspondentz, XI and XII, July-December, 1805, pp. 234-241.

Stocqueler, J. H.,

Fifteen Months Pilgrimage through untrodden tracts of Khuzistan and Persia in a journey from India to England through parts of Turkish Arabia, Persia, Armenia, Russia, and Germany, performed in the years 1831 and 1832. Two Vols. (London, 1832).

Sykes, P.,

A History of Persia, 2 Vols. (London, 1921).

Taylor, John,

Considerations on the Practicability and Advantages of a more speedy Communication between Great Britain and her Possessions in India ; with the Outline of a Plan for the more ready Conveyance of Intelligence overland by the Way of Suez ; and an Appendix, containing Instructions for Travellers to India, by different Routes, in Europe, as well as Asia (London, 1795).

Waring, Edward Scott,

A Tour to Sheeraz by the route of Karoon & Feerozabad with various remarks on the Manners, Customs, Laws, Language, and Literature of the Persians, to which is added a History of Persia from the Death of Kareem Khan to the Subversion of the Zund Dynasty, (Bombay, 1804).

Wellsted, J. R.,

1. Travels in Arabia, 2 Vols. (London, 1838).
2. Travels to the City of the Caliphs along the Shores of the Persian Gulf and the Mediterranean, including a Voyage to the Coast of Arabia, and a Tour on the Island of Socotra. 2 Vols. (London, 1840).

Wilson, A. T.,

The Persian Gulf, (Oxford, 1954).

Wilson, H. H.

A Glossary of Judicial and Revenue Terms and of Useful words occuring in Official Documents Relating to the Administration of the Government of the British India from Arabian, Persian...... and other Languages. (London, 1855).

Winder, R. B.,

A History of the Sa'udi State from 1233/1818-1308/1891. Ph. D. Thesis, Princeton University, 1950. Published in London, 1965 under : Saudi Arabia in the Nineteenth Century.

المحتوى

الفصل الأول
نشأة الكويت

الفصل الثاني
الاوضاع السياسية في منطقة الخليج
في النصف الاول من القرن الثامن عشر

الفصل الثالث
الكويت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر
النمو السياسي والاقتصادي

الفصل الرابع
المد الوهابي في النصف الثاني من القرن
الثامن عشر والعلاقات بين الكويت والوهابيين

الفصل الخامس
اتضاح الطريق السياسي للكويت
السنوات الاخيرة للشيخ عبد الله بن صباح

الفصل السادس
جابر بن عبدالله آل صباح
وصباح بن جابر ١٨١٥ - ١٨٦٦

الفصل السابع
احوال الكويت الداخلية والخارجية
في عهد جابر بن عبدالله وولده صباح (١٨١٥ - ١٨٦٦)

الفصل الثامن
عبدالله بن صباح ١٨٦٦ - ١٨٩٢
محمد بن صباح ١٨٩٢ - ١٨٩٦

الفصل التاسع
تجارة الكويت منذ التأسيس حتى عصر النفط

الفصل العاشر
مبارك بن صباح ١٨٩٦ - ١٩١٥

الفصل الحادي عشر
الكويت بعد مبارك (١٩١٥ - ١٩٦٥)

ولد الدكتور احمد ابو حاكمة في العباسية من اعمال فلسطين ، وقد انهى دراسته الثانوية في الكلية العربية الحكومية في القدس سنة ١٩٤٤ ، وواصل دراساته العليا في جامعة القاهرة حيث حصل على شهادة البكالوريوس (بمرتبة الشرف) ومن ثم على شهادة الماجستير في التاريخ ، وفيما بين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٨ عمل في دائرة المعارف الكويتية ، وكان في هذه الفترة قد بدأ ابحاثه المبكرة حول تاريخ الكويت وامارات الخليج العربية ، وفي نهاية عام ١٩٥٨ التحق بجامعة لندن للقيام بابحاث متقدمة عن تاريخ الخليج العربي ، ونال شهادة الدكتوراة (تاريخ) من مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في عام ١٩٦٠ ، وعمل محاضرا في جامعة الخرطوم فيما بين ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢ ، وعمل كخبير لدى منظمة اليونسكو لمدة سنتين ومحاضرا اول ورئيسا لدائرة التاريخ في كلية زاريا في شمال نيجيريا ،

وفي عام ١٩٦٤ وجهت له الجامعة الاردنية الدعوة للمساعدة في تأسيس قسم التاريخ ، حيث امضى سبع سنوات كأستاذ للتاريخ العربي الحديث ،

ومنذ عام ١٩٧٢ حصل على كرسي الكويت لدراسات الخليج العربي في جامعة ماكجل (MC Gill) في مونتريال (كندا) ،

وكان الدكتور ابو حاكمة قد عمل كأستاذ زائر لمادة تاريخ الخليج العربي في جامعة كولومبيا لعام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ ، وكذلك في جامعة هارفارد عام ١٩٧٣ ،

ولقد كتب ونشر خلال العشرين السنة الماضية اعمالا كثيرة عن الخليج العربي باللغتين الانكليزية والعربية ،



منشورات ذات السلاسل ـ ١٩٨٤ ـ الكويت